(فهرسة الجزء الاول من شرح العلامة خليل بن أيبك الصفدى على لامية العجم)

صحيفة

صحيفه

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

هذا كتاب الغيث المسجم في شرح لامية
العجم للشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك
الصفدي الاديب الشاعر المنشي
الاديب تغمده الله برحمته
وأسكنه فسيح جنته
آمين

قال في كشف الظنون (لامية العجم) لمؤيد الدين اسماعيل بن الحسين بن علي
فخر الكتاب العميد الطغرائي المتوفى سنة ٥١٤ نظمها ببغداد سنة ٥٠٥ في
وصف حاله وشكاية زمانه واعتنى بها الادباء (فشرحها) صلاح الدين خليل
ابن أيبك الصفدي المتوفى سنة ٧٦٤ بشرح أوله الحمد لله الذي شرح صدر
من تأدب الخ وسماه الغيث المسجم في شرح لامية العجم ذكر فيه شيئا كثيرا
على طريق الاستطراد فصار مشحونا بغرائب الجد والهزل واحسن المجاميع
(وعليه حاشية) لعبد الرحيم بن عبد الرحمن العباسي المتوفى سنة ٩٦٣
(واختصره) كمال الدين محمد بن موسى الدميري المتوفى سنة ٧٣٩ ذكر فيه ان
الصفدي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة من فوائده الا أظهرها وأنه ينتقل فيه
من علم الى علم ومن غريبة الى غريبة فهو غريب في بابه عزيز عند طلابه
(وشرحها) أيضا أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري المتوفى سنة ٦١٦
(وبدر الدين) محمد بن أبي بكر بن عمر المالكي الدماميني المتوفى سنة ٨٢٨
(وابن جماعة) النحوي وسماه ايضاح المبهم من لامية العجم (وعلي بن قاسم)
الطبري وسماه حل المبهم والمعجم في شرح لامية العجم (وجمال الدين) محمد بن
عمر بن مبارك الحضرمي وسماه نشر العلم في شرح لامية العجم (وحسين
الكفوي) جمعه من الشروح كشرح الصفدي (والقاضي)
جلال الدين المدني (وجلال الدين) خضر الحنفي الذي ألفه بقسطنطينية
سنة ٩٦٢ (وخمسها) معاذ الدين أبو جعفر محمد بن علي الربيعي البغدادي
(وشهاب الدين) أحمد بن عبد الله الاندلسي وأجاد انتهى باختصار



(وما توفيق الا بالله)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى شرح صدر من تأدب * ورفع قدر من تأهل للعلم وتأهب *
وجمل من تدرع لباس الفضل وتدرب * وكمل من ترقى الى غاية ما ترقب *
(أحمده) على نعمه التى جعلت العلوم بالادب روضا مثمرا * وأعلت همة
من برى له قلما قد اتخذ الانامل منبرا * وأغلت قيمة جواهره فكانت ثمنا
تباع به القلوب وتشترى * وأوجدت من كرام أهله من يهب البدر النضار
لمن قرى (وأشهد) أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تسجع بها
حمائم الخطباء على غصون المنابر * ونجعى الذين نصبوا الهاجسور الاقلام
على معابر المحابر * وتتضد حليها على عرائس السطور فى منصات الدفاتر *
وتنبه بايقاظ نسيمها مقل الزهر الفواتر * (وأشهد) أن سيدنا محمدا عبده
ورسوله أفصح ناطق صرف عنان لفظه * وأبلغ صادق ارهف سنان
وعظه * وأشرف زاهد ثنى عن زهرة الدنيا عند الحياة سوام لحظه *

واعرف

وأعرف ناقدبني في حضرة العلياء بعد الممات معام حظه * صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين تمسكوا بآدابه * وسبقوا الى مدى لم يطمع أحد من بعدهم في عادية سكابه * ونصروا أقواله ولسان السيف لم يتلفظ في فم قرابه * وهزموا غرب الكفر بنصل كنانته ونص كتابه * صلاة تطول لهم بها القصور * وتحيط بهم بركاتها احاطة الهالات بالبدور * ما خفقت اقلام الطروس على مواكب السطور * وأودعت نفائس الكلام في خزائن الصدور * وسلم * ومجد وكرم (وبعد) فان القصيدة الموسومة بلامية العجم رحم الله ناظم عقدها * وراقم بردها * مما تعاطى الناس مدام أكوابه * وتجاذبوا هذاب أهدابه * وتداولوا ضرب مثله الذي علا عن أضرابه * واقتطفوا ثمر معانيه متشابها وغير متشابه

اهانت الدر حتى ماله ثمن * وأرخصت قيمة الأمثال والخطبا

أما فصاحة لفظها * فيسبق السمع الى حفظها * وأما انسجامها * فيطوف منه بخمر الانس جامها * وأما معانيها * فنزهة معانيها * وأما قوافيها * فتذهب القوى فيها * وأما شكواها فترض الاكباد في الاجسام * وأما اغراؤها فيوجب الوثوب على الآساد في الآجام * وأما غزلها فما تذكر معه نغمات الأوتار * وأما مثلها فما هي الا كالمصابيح في المساجد ذات الأنوار * كأن ناظمها غاص في البحر فأتى بالدرر منضودة * أو ارتقى الى السماء فجاء بالدراري من الافق مصفودة

فما لها في الورى مثل يناظرها * وكم لها سار بين الناس من مثل
أقمارها في تمام النظم قد طلعت * تسير في أوج معناها ولم تفل
وزهرها لم تزل تندى نضارته * لان منبته في روضها الخضل
برياح سامعها حتى يهزلها * من التعجب عطف الشارب الثمل
فلا تعرغيرها سمعا ولا بصرا * في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

وقد أحببت ان أضع عليها شرحا يزيد جيدها افرائدا * وقصيدتها فوائدا * مما سمعت فوعيت * وجمعت فأوعيت * ولا أغادر فيها لغة ولا اعرابا *

ولا ايضاح معنى ولا اغرابا * ولا مايضمه اليها سلك أو يدخل معها جرابا الا نبهت عليه * وأشرت بحسب الامكان اليه * هذا الى ما يستطرد اليه الكلام من نكتة * وتعترض جملة ذكره بغتة * ويبديه الضمير على لسان القلم وكم للسان فلتة * ويثنيه التعهد اذا علمت ان لجيد الاطلاع اليه لفتة * ليكون هذا الشرح أنموذج الأدب * وعنوانا يدل على الفضيلة التى امتاز بها لسان العرب * فقد أودعت فيه فوائد جمة * وقواعد مهمة * وشواهد هى لجامحات المعانى أزمة * ودلائل نبرهن كل علم فلا يكن أمركم عليكم غمة * فما شامت عيونه برق علم الا انتجعت قطره الصيب * وصبرت على ثمره الردئ حتى رأيت الطيب * ولا تطلعت أعناقه الى مرعى بحث الا أسمته سعدانه * وأثقلت بالفوائد اذا انصرف من مأدبته اردانه * ولا قرمت شهواته الى نكت بديع الا أنزلته بمن يخصه العطاء ويمنحه العطب * وتتبعت لقراه ذوائب النيران التى وقودها المندل الرطب لا الحطب * فقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال منهومان لا يشبعان طالب دنيا وطالب علم (وقال) عبدالله بن قتيبة من أراد أن يكون عالما فليطلب فنا واحدا ومن أراد أن يكون أديبا فليتسع فى العلوم فلهذا لا تجدنى فى هذا الشرح واقفا مع ضيق المقام * ولا فارا من مشق القواضب ولا رشق السهام * بل أشرف على كل مكان فأسقط * وأتوخى الحب من الدرر الكبار فألقط * فمهما استطرد الكلام اليه وفيته حقه * ومهما تعلق به ملكته رقه * فمن غور الى نجد * ومن ربوة الى وهد * ومن ظهر أرض الى بطن مهد * ومن اقتناص بصقر الى اصطياد بفهد * ومن سنام واخدة شملال الى صهوة كميت نهد

طورا يمان اذا لاقيت ذا يمن * وان لقيت معديا فعدنانى

فقد يتسلسل الاستطراد والقلم معه * ويتشعب الكلام فلا أدعه يجدعه فأترك كثيرا مما طاب * وأتطلب ما يحق له الفرار والهرب * وأتذكر بالضد غيره عند الرجوع والمنقلب * وأعطف على نظائره فأفوز بالغلب

فكنت كما قيل

جئنا بليلى وهي جنت بغيرنا * وأخرى بنا مجنونة لانريدها

ولا أقول علقتها عرضا وعلقت رجلا * غيري وعلق أخرى ذلك الرجل

بل أقول أحب الذي هام الحبيب بحبه * ألا فاعجبوا من ذا الغرام المسلسل

ولا بدع فالمعاني بعضها ببعض مشتبك * والمباحث لايزال نافرها في شرك الذهن يرتبك * وما أليق هذا المقام بقول ابن عميرة * لما جعل البرق سميره

تعرض مجتازا وكان مذكرا * بعهد اللوى والشئ بالشئ يذكر

ومن وقف على كتاب الحيوان للجاحظ وغالب تصانيفه ورأى تلك الاستطرادات التي يستطردها والانتقالات التي ينتقل اليها والجمل التي يعترض بها في غضون كلامه ويدرجها في اثناء عباراته بادنى ملابسة وأيسر مشابهة علم ما يلزم الاديب ومايتعين عليه من مشاركة المعارف

هكذا هكذا والا فلالا * طرق الجد غير طرق المزاح

ولم أقصد بما أوردته غير صلة العائد من الفائدة * وبعث النفوس التي هي في قبور الفتور هامدة سامدة * فان المطالعة تستروح اليها النفوس * وتجد في مراجعتها ماتجده في معاطاة الكؤس * فالكتاب خير جليس * ونعم أنيس * لايمل من محادثته الانيس * واسمح كريم لايبخل الاعلى الغبي بما عنده من الدر النفيس

لم يبق شئ من الدنيا يسر به * الا الدفاتر فيها الشعر والسمر

(قال) شيخ قرأت عليه ما ترغطفان من كتاب * ذهبت المكارم الامن الكتب والخروج من فن الى فن أقدر على البحث وأسلط * والانتقال من نوع الى نوع انشط للمطالعة وأبسط * والمشاركة أقوى على الظفر بالصواب وأقوم وأقسط

لا يصلح النفس اذ كانت مدبرة * الا التنقل من حال الى حال

ولان فيما أوردته ما يتسلط به الواقف على الانتقاء والانتقاد * ويتوصل به الى حسن الارتياء والارتياد (قال) الجاحظ طلبت علم الشعر عند الاصمعي

فوجدته لا يعرف الا غريبه * فرجعت الى الاخفش فوجدته لا يتقن الا اعرابه * فعطفت على أبي عبيدة فرأيته لا ينقل الا فيما اتصل بالاخبار وتعلق بالانساب والايام فلم أظفر بما أردت الا عند أدباء الكتاب كالحسن بن وهب ومحمد بن عبد الملك (وقال) محمد بن يوسف الحمادي حضرت مجلس عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وقد حضره البحتري فقال يا أبا عبادة أمسلم أشعر أم أبو نواس فقال بل أبو نواس لانه يتصرف في كل فن ويتنوع في كل مذهب ان شاء جد وان شاء هزل * ومسلم يلزم طريقا واحدا لا يتعداه * ويتحقق بمذهب لا يتخطاه * فقال له عبيد الله ان أحمد بن يحيى المعروف بثعلب لا يوافقك على هذا فقال أيها الامير ليس هذا من علم ثعلب واضرابه ممن يحفظ الشعر ولا يقوله وانما يعرف الشعر من دفع الى مضائقه فقال ورت بك زنادي يا أبا عبادة وان حكمك في عميك أبي نواس ومسلم وافق حكم أبي نواس في عميه جرير والفرزدق فانه سئل عنهما ففضل جريرا فقيل له ان أبا عبيدة لا يوافقك على هذا فقال ليس هذا من علم أبي عبيدة وانما يعرفه من دفع الى مضائق الشعر على انني لم أدع الجفلى الى هذه المادبة * ولا رضيت طفيلي الكلام ان يتصدر في هذه المرتبة * فكم توقف القلم في الاذن على ما حمل فيه أدنى لبس * وكم ضاق بواحد من غسان ولم يسع جميع بني عبس * وكم دفع عن صدر كثير من المحاسن * وأعرض عن منهل كان ماؤه العذب غير آسن

وهل يباعد عذب الماء ذو غصص * أو ينثني عن لذيذ الزاد منهوم

(نعم) خشيت الاطالة * واجتنبت العثرة خوفا من عدم الاقالة * وفررت من الزيادة حتى لا يكون ضغثا على ابالة * وقلت مع ضوء الشمس لا يظهر فضل الذبالة * ومع الظفر بالصيد لا فكرة في الحبالة * ومع الحصول على متاع البيت لا يلتفت الى الزبالة * فاضربت عن التحمل بالاثيل الاثير * وعلمت ان من الناس من يقرأ لنافع ولا يقرأ لابن كثير * فاقتصرت على الزبد واختصرت * وملت في المباحث الى قول المتأخرين وانتصرت (اللهم) الا فيما

ندر * وخان هذا الشرط وغدر (قال) بعضهم الاديب من يكتب أحسن ما يسمع * ويحفظ أحسن ما يكتب * ويورد أحسن ما يحفظ (ومثل) هذا قول عبد الرحمن بن مهدي اذا لقي الرجل الرجل فوقه في العلم كان يوم غنيمته واذا لقي من هو مثله كان يوم دراسته * واذا لقي من هو دونه تواضع له وعلمه * ولا يكون اماما في العلم من حدث بكل ما سمع * ولا يكون اماما من حدث عن كل أحد * ولا يكون اماما من حدث بالشاذ * فلهذا عرضت نخب فكري وانتقيت * وعلوت عن التعرض للرذل وارتقيت * ولم انتق له الا ما كان أديه غضا * ولم اخترمنه الا ما كان نفعه نضا * مما راق جنا * ولاق سنا * ووجد المعنى فيه بريئا من العنا * وحمته من الاوراق بيض الظبا * ومن الاقلام سمر القنا * لئلا يكون هذا القول الشارح محمود المقدم مذموم التالي * وحتى لا يتطر السائل حسنه بعين السالي * فتصبح أماليه بعد القائل عند القالي * وقد علقت هذا الشرح وأنا في هموم قد علم الله ترادف بعوثها * وانسكاب غمائم غمومها وغيوثها * وافتراس فوارسها واذهلني الجناس عن ذكر ليوثها * قد لهجت في نهج الكناية بكميت * أو التصغير بالثريا عن الكميت * وامتنعت الراحة مني امتناع الفاء من الدخول على خبر امل وليت

والافا بالي ولم أشهد الوغى * أبيت كأني مثخن بجراح

أتجرع كؤسا عاقيها العلقم * وأساور على الارق منها ما هو انفث سما من الارقم * واتلقى بصدري كل صدع قد يئس من الجبر * والتزم بحملها التزام واصل بن عطاء بالقدر أو جهم بن صفوان بالجبر * وأعالج منها كل جراحة بعد غورها عن السبر * واتطلب رضى الايام وهي على أشد حقدا من سلامة بنت سعد على عاصم حمى الدبر * وألقى جيوش الخطوب وأنا عارنم ذكرت بالسجع ان لي درعا من الصبر * وأعد في الاحياء وأنا من الاموات ولكن ما ضمتني جوانح القبر

فالارض تعلم انني متصرف * من فوقها وكانني من تحتها

فكيف يتألق مع هذا المحال برق فكر * وكيف يترقرق ودق ذكر * وكيف تعلق يد الذهن بذيل مسألة * وكيف يتعقل بحثا وقد غمه غمه وله وله * وكيف يعرف الكلمة الاولى من الثانية ولا أقول الاولة * وكيف وكيف وكيف * وأنى لمن يتردد بين جناس الحتف والخوف والحيف

ومامثل هذا الامر تحمل مضغة * ولكن قلبى فى الردى وقلوب

ولكن قد يلفت الحظ الاعنة * ويثور كمين اللطف الخفى لهذا الخمول وتشرع الاسنة * وتضع الايام حملها فان الآمال فى بطونها أجنة * وليس الاحسن الظن بالله فانه ثمن الجنة

ان ختم الله بغفرانه * فكل مالاقيته سهل

اعترضت بهذا الفصل * وقطعت به لذة ذلك الوصل * ليعذر الواقف على الخطا * ويتحقق السبب فى عدم نوم القطا * لان هذه الاوراق مافيها غير هذه القصيدة ثمر * ولو عاين الطغراءى رحمه الله هذا الشرح لقال أرانى السها وأريته القمر * وما أولانى بقول العماد الكاتب

هى كتبى فليس تصلح من بعـ ـدى لغير العطار والاسكاف

هى اما مزاود للعقاقـ ـير واما بطائن للخفاف

(وقول) مجير الدين محمد بن تميم الاسعردى

عرضت كتابى كى يباع بدرهم * على مشتر عند الوفاء شحيح

رأى خطه ذا علة فأعاده * ومن يشترى ذا علة بصحيح

ومن هنا أشرع فى ذكر الطغراءى رحمه الله وتاريخ مولده ووفاته وسبب قتله وما اتفق له فى ذلك ثم اتلوه بشئ من شعره المقاطيع التى له ثم أتكلم فيما بعد على عروض القصيدة وقافيتها وما يتعلق بذلك واذا انتهى الامر الى ذلك أجمع سردت القصيدة بيتا فبيتا ولا أذكر الثانى حتى أفرغ من الاول وأسوق فيه ماله به علاقة لا يستغنى الاديب عنها ومن الله استمد الاعانة على الابانة * وأسأله التوفيق * الى التحقيق * لاهدى الا بنوره * ولا بيان لمتكلم ان لم يوره * عليه توكلت واليه أنيب (ذكر مولد الطغراءى ووفاته رحمه

الله) هو العميد مؤيد الدين فخر الكتاب أبو اسماعيل الحسين بن على ابن محمد بن عبد الصمد الاصبهانى المنشى المعروف بالطغراءى بضم الطاء المهملة وسكون الغين المعجمة وفتح الراء وهذه نسبة الى من يكتب الطغرى وهى الطرة التى تكتب فى أعلا الكتب فوق البسملة بالقلم الجلى تتضمن نعوت الملك وألقابه وهى لفظة أعجمية * قال قاضى القضاة شمس الدين أحمد بن خلكان كان غزير الفضل لطيف الطبع فاق أهل عصره بصنعة النظم والنثر وذكره السمعانى فى كتاب الانساب واثنى عليه وأورد له قطعة من شعره فى وصف الشمعة وذكر انه قتل فى سنة خمس عشرة وخمسمائة وللطغراءى المذكور ديوان شعر جيد ومن محاسن شعره قصيدته المعروفة بلامية العجم وكان عملها ببغداد سنة خمس وخمسمائة يصف فيها حاله ويشكو زمانه ولم يذكر القصيدة مستوفاة وأتبعها بمقاطيع من شعره ثم قال وذكره أبو المعالى الخطيرى فى كتاب زينة الدهر وذكر له مقاطيع وذكره أبو البركات فى المستوفى تاريخ اربل وقال انه ولى الوزارة بمدينة اربل مدة وذكر العماد الكاتب فى كتاب نصرة الفطرة وعصرة القطرة وهو تاريخ الدولة السلجوقية ان الطغراءى كان ينعت بالاستاذ وكان وزير السلطان مسعود ابن محمد السلجوقى بالموصل وانه لما جرى بينه وبين أخيه السلطان محمود المصاف بالقرب من همدان والرى وكانت النصرة لمحمود فأول من أخذ الاستاذ أبو اسماعيل وزير مسعود فأخبر به وزير محمود وهو الكمال نظام الدين أبو طالب على بن أحمد بن حرب السميرى فقال الشهاب أسعد وكان طغرائيا فى ذلك الوقت نيابة عن النصير الكاتب هذا الرجل ملحد يعنى الاستاذ فقال وزير محمود من يكن ملحدا يقتل فقتل ظلما وقد كانوا خافوا منه لفضله فاعتمدوا قتله بهذه الحجة وكانت الواقعة سنة ثلاث عشرة وخمسمائة وقيل سنة أربع عشرة وقيل ثمانى عشرة وقد جاوز ستين سنة وفى شعره ما يدل على انه بلغ سبعا وخمسين سنة لانه قال وقد جاءه ولد

هذا الصغير الذى وافى على كبر * أقر عينى ولكن زاد فى فكرى

سبع وخمسون لو مرت على حجر * لبان تأثيرها فى ذلك الحجر *
والله أعلم بما عاش بعد ذلك وقتل السميرى المذكور يوم الثلاثا سلخ صفر سنة ست عشرة وخمسمائة فى السوق ببغداد عند المدرسة النظامية قيل قتله عبد اسود كان للطغرائى لانه قتل استاذه انتهى (وقال) عز الدين ابن الاثير فى الكامل فى ترجمة سنة أربع عشرة وخمسمائة واتصل الاستاذ أبو اسماعيل الحسين بن على الاصبهانى الطغرائى بالملك مسعود وكان ولده أبو المؤيد محمد بن اسماعيل يكتب الطغرى مع الملك مسعود فلما وصل والده استوزره الملك مسعود بعد ان عزل أباعلى ابن عمار صاحب طرابلس سنة ثلاث عشرة وخمسمائة بباب خوما فحسن ما كان دبيس يكاتب به من مخالفة السلطان محمود والخروج عن طاعته وطاوورماهم عليه فبلغ السلطان محمود الخبر فكتب اليهم يخوفهم ان خالفوه ويعدهم الاحسان ان أقاموا على طاعته وموافقته فلم يصغوا الى قوله واظهروا ما كانوا عليه ثم قال ابن الاثير بعد أسطر قلائل فانهزم عسكر الملك مسعود آخر النهار وأسر منهم جماعة كثيرة من أعيانهم وأسر الاستاذ أبو اسماعيل وزير مسعود فأمر السلطان محمود بقتله وقال قد ثبت عندى فساد دينه واعتقاده وكانت وزارته سنة وشهرا وقد جاوز ستين سنة وكان حسن الكتابة والشعر يميل الى صناعة الكيميا وله فيها تصانيف قد ضيعت من الناس أموالا لا تحصى انتهى (وذكره) العماد الكاتب فى الخريدة فقال الطغرائى خدم السلطان العادل ملكشاه بن آلب رسلان وكان منشى السلطان محمد مدة مملكته متولى ديوان الطغرى ومالك قلم الانشاء تشرفت به الدولة السلجوقية وتشوقت اليه المملكة الايوبية وتنقل فى مراقى المناصب وتوقل فى مراقب المراتب وتولى الاستيفا وترشح للوزارة واستبد بالحكم وتوشح بالكتابة ولم يكن للدولتين السلجوقية والامامية من يضاهيه فى الترسل والانشاء سوى امين الملك أبى نصر حفص من أهل أصبهان المنشى فى عهد نظام الملك والفضل له لتقدمه ولكن برز هذا فى فنون العلم

وحسن

وحسن الاستعارة فى النثر والنظم وراض فى العلوم العربية المصعب فأصحب وسلك المذهب المذهب وأبدع المعنى المهذب وله معجز البلاغة المعجب * وصاحب البيان المغرب فأما شعره فعبر الشعرى العبور وعلو عبارة وسمو استعارة وسموق راية وشروق آية وتناسق مقصد وغاية وتناسب بداية ونهاية وأما نثره فنثر الدرارى والدرر ومنثور الزهر وأما خلائقه فمفطورة على الكرم موقورة بحسن الشيم متأرجة بعرف العرف متموجة بماء اللطف متبلجة بنور الظرف متوهجة بنار الحسن مبتهجة بنور اليمن حدثنى الامام محمد بن الهيثم باصفهان عنه وهو الذى سمت شعره منه انه كشف بذكائه سر الكيميا المرموز واستخرج من معماه المكنوز لم يزل فى مدة حياته مصدرا فى الدسوت موقرا بالنعوت حليفا بل جليسا أنيسا للسلاطين والملوك محبرا بنظمه ونثره الموشى المحبوك فلما انتهت الايام الغياثية المحمدية واستوفت مدتها استأنفت الدولة المغيثية المحمودية جدتها واستقر الشهاب أسعد فى مكانه وانتصب فى منصب ديوانه وكان السلطان مسعود بن محمد حينئذ ملكا صغيرا فاستوزر أبا اسماعيل وروض به روض ملكه المحيل وأصبح بالمؤيد مؤيدا وبسداده مسددا حتى اتفقت بينه وبين أخيه السلطان محمود الحرب التى أودعت أهل الفضل الحرب وقات العلم والادب ولما مس عود مسعود العجم انكسر وأحجم مقدم جيوشه جوشك وألقى قناع الهزيمة فانحسر وأدرك الاستاذ رحمه الله فأسر وطغى رأى الطغراءى فى حقه فسعى فى حتفه خوفا على منصبه فأجال فى نصبه وأعطى الرضى بغضبه وفتك به وقت أسره بل قدم سرا وقتل صبرا * قبل ان ينبه بأمره وينوه بقدره * وأزر الطغراءى الوزير وعانده التقدير ففاز بالشهادة وختم له بالسعادة وذلك فى سنة خمس عشرة وخمسمائة (فهذا) من جملة من قتله فضله ورماه بنبل الدهر نبله وألحفه رداء الردى عمله وسامه الادب فهام به فى حيرة التيه فهمه وحده الدهر فاغتاله وقلص بعد السبوغ ظلاله بل غار

الزمان على مثله من بين الجهال فاسترده وأخلق من الابتهاج بفضله ما استجده انتهى اقتصرت هنا على ماذكره العماد الكاتب (قلت) فعلى ماذكره ابن خلكان عن مستوفى أربل وابن الاثير أيضا يكون مولد الطغراءى فى عشر الستين بعد الاربعمائة تقريبا والخلاف فى وفاته مبنى على الخلاف فى الواقعة التى كانت بين الملك مسعود وأخيه السلطان محمود كما مر فى كلام مستوفى أربل وأخبرنى العالم العلامة شمس الدين محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصارى بالقاهرة المحروسة ان الطغراءى لما عزم أخو مخدومه على قتله أمر به ان يشد الى شجرة وان يقف تجاهه جماعة ليرموه بالسهام ففعل به ذلك وأوقف انسانا خلف الشجرة من غير ان يشعر به الطغراءى وأمره ان يسمع مايقول وقال لارباب السهام لاترموه الا اذا أشرت اليكم فوقفوا والسهام فى أيديهم مفوقة لرميه فانشد الطغراءى فى تلك الحالة

ولقد أقول لمن يسدد سهمه * نحوى وأطراف المنية شرع
والموت فى لحظات أحور طرفه * دونى وقلبى دونه يتقطع
بالله فتش عن فؤادى هل يرى * فيه لغير هوى الاحبة موضع
أهون به لولم يكن فى طيه * عهد الحبيب وسره المستودع

فرق له وأمر باطلاقه فى ذلك الوقت ثم ان الوزير عمل على قتله فيما بعد وقتل (قلت) ماهذا الاثبات جنان بل ثبوت جنون لقد أربى هذا فى الثبات والشجاعة وعدم الالتفات الى الحياة ونفادها والوفاء بشرط المحبة والذكرى لمحبوبه فى السراء والضراء على عنترة العبسى وغيره ممن تبعه من الشعراء فى قوله ولقد ذكرتك والابيات فى هذا المعنى مشهورة ولولا خوف الاطالة ههنا لذكرتها ولعلها ترد فيما بعد فى اثناء هذه الاوراق (وأما حله رموز الكيميا) فان له فيها تصانيف وهى معتبرة عند أربابها منها كتاب مفاتيح الرحمة ومصابيح الحكمة * ومنها جامع الاسرار وكتاب تراكيب الانوار * ورسالة وسمها بذات الفوائد وكتاب حقائق الاستشهادات بين فيه اثبات صناعة

الكيميا والرد على ابن سينا في ابطاله ما بمقدمات من كتاب الشفاء وله مقاطيع شعر في الصنعة وله ديوان شعر على عادة الشعراء ومن شعره قوله

أما العلوم فقد ظفرت ببغيتي * منها فما أحتاج أن أتعلما
وعرفت أسرار الخليقة كلها * علما أنار لي البهيم المظلما
وورثت هرمس سر حكمته الذي * مازال ظنا في الغيوب مترجما
وملكت مفتاح الكنوز بفطنة * كشفت لي السر الخفي المبهما
لولا التقية كنت أظهر معجزا * من حكمتي يشفي القلوب من العما
أهوى التكرم والتظاهر بالذي * علمته والعقل ينهى عنهما
وأريد لا ألقى غنيا موسرا * في العالمين ولا أرى معدما
والناس اما ظالم أو جاهل * فمتى أطيق تكرما وتكلما

(قلت) يقال ان طلب الكيميا أول ما ظهر في جبابرة قوم هود وتعاطوا ذلك وبنوا مدينة من ذهب وفضة لم يخلق مثلها في البلاد وهذه اللفظة معربة من اللفظ العبراني وأصله من كيم يه ومعناه انه من الله والاشبه انها فارسية فمنى كي ميامتي تجي على الاستبعاد وكان الشيخ تقي الدين أحمد بن تيمية ينكر ثبوتها وصنف رسالة في انكارها ورد عليه فيها نجم الدين ابن أبي الدر البغدادي وزيف ما قاله وأما الامام فخر الدين الرازي فانه في المباحث المشرقية عقد فصلا في بيان امكانها فقال سلمنا امكان صبغ النحاس بصبغ الفضة والفضة بصبغ الذهب وان يزال عن الرصاص أكثر ما فيه من النقص فأما أن يكون الفصل المنوع يسلب أو يكتسى قال فلم يظهر لي امكانه بعد اذ هذه الامور المحسوسة يشبه أن لا تكون هي الفصول التي تصير بها هذه الاجساد أنواعا بل هي اعراض ولوازم فصولها مجهولة واذا كان الشئ مجهولا كيف يمكن أن يقصد قصدا ايجاده او افنائه ثم ان الامام ذكر جميعا أخر للفلاسفة على امتناعها وأبطل بعد ذلك ما قاله الشيخ وغيره وقرر امكانها واستدل الامام أيضا في الملخص على امكانها فقال الامكان العقلي ثابت لان الاجسام مشتركة في الجسمية فوجب أن يصح على كل واحد منها

ما يصح على الكل على ما ثبت وأما الوقوع فلان انفصال الذهب عن غيره
باللون والرزانة وكل واحد منهما يمكن اكتسابه ولا منافاة بينهما نعم الطريق
اليه عسر (وحكى) أبو بكر ابن الصائغ المعروف بابن باجة الاندلسى
فى بعض تعاليقه عن الشيخ أبى نصر الفارابى انه قال قد بين ارسطوطاليس
فى كتبه فى المعادن أن صناعة الكيميا داخلة تحت الامكان الا انها
من الممكن الذى يعسر وجوده بالفعل اللهم الا أن تتفق قرائن يسهل بها
الوجود وذلك انه فحص عنها أولا على طريق الجدل فأثبتها بقياس وأبطلها
بقياس على عادته فيما يكثر عناده من الاوضاع ثم أثبتها آخرا بقياس ألفه
من مقدمتين بينهما فى أول الكتاب وهما أن الفلزات واحدة بالنوع
والاختلاف الذى بينها ليس فى ماهياتها وانما هو فى أعراضها فبعضه
فى أعراضها الذاتية وبعضه فى أعراضها العرضية والثانية ان كل شيئين تحت
نوع واحد اختلفا بعرض فانه يمكن انتقال كل واحد منهما الى الآخر فان كان
العرض ذاتيا عسر الانتقال وان كان مفارقا سهل الانتقال والعسر فى هذه
الصناعة انما هو لاختلاف أكثر هذه الجواهر فى أعراضها الذاتية ويشبه
أن يكون الاختلاف الذى بين الذهب والفضة يسيرا جدا انتهى كلامه
والمراد بالفلزات الجواهر التى لا تحرقها النار عند الملاقاة بل تذيبها فاذا فارقتها
النار عادت الى حالتها الاولى وهى هذه المتطرقات السبع الذهب والفضة
والنحاس والحديد والقصدير والرصاص والخارصينى وهو المعروف
فى زماننا بالحديد الصينى الذى تأتى منه القدور من بلاد الصين وتكسر
وتعمل فى أكاريخ البارود وقال الشيخ العلامة شمس الدين محمد بن ابراهيم بن
ساعد الانصارى أما ان أراد المدبر أن يصنع ذهبا نظير ما صنعته الطبيعة من
الزئبق والكبريت الطائرين فيحتاج الى معرفة أربعة أشياء كمية كل واحد من
ذينك الجزءين وكيفيته ومقدار الحرارة الفاعلة للطبخ وزمانه وكل واحد منها
عسر التحصيل وأما ان أراد ذلك بأن يدبر دواء وهو المعبر عنه بالاكسير مثلا
ويلقيه على الفضة ليمتزج بها ويستقر خالدا فيها ويكسبها لون الذهب ورزانته

فاستخراج

فاستخراج ذلك بالتجربة يحتاج الى استقراء حال جميع المعدنيات وخواصها وان استخرجه بالقياس فمقدماته مجهولة ولا خفا في عسر ذلك ومشقته انتهى كلامه (قلت) زعم الطبيعيون في علة كون الذهب في المعدن ان الزئبق لما كمل نضجه جذبه اليه كبريت المعدن فأجنه في جوفه لئلا يسيل سيلان الرطوبات فلما اختلطا واتحدا وذابت الحرارة في طبخهما ونضجهما انعقد عند ذلك منهما ضروب المعادن فان كان الزئبق صافيا والكبريت نقيا واختلط أجزاؤهما على النسبة وكانت حرارة المعدن معتدلة لم يعرض لها عارض من البرد واليبس ولا من الملوحات والمرارات والحموضات انعقد من ذلك على طول الزمان الذهب الابريز وهذا المعدن لا يتكون الا في البرارى الرملة والاحجار الرخوة فتبارك الله الفعال لما يريد ومراعاة الانسان النار في عمل الذهب بيده على مثل هذا النظام مما يشق معرفة الطريق اليه والوصول الى غايته وعمل الزجاج ومعامل الفراريج بالديار المصرية مما يطمع العقول في عمل الذهب

فيا دارها بالخيف ان مزارها * قريب ولكن دون ذلك أهوال

وليعقوب الكندى رسالة في ابطال دعوى الذين يدعون صنعة الذهب والفضة جعلها مقالتين يذكر فيهما تعذر فعل الناس لما انفردت الطبيعة بفعله وخدع أهل هذه الصناعة وجهلهم ورد عليه أبو بكر محمد بن زكريا الرازى ردا غير طائل (قلت) قال المنكرون لذلك لو كان الذهب الصناعى مثلا للذهب الطبيعى لكان ما بالصناعة مثلا لما بالطبيعة ولو جاز ذلك لجاز أن يكون ما بالطبيعة مثلا لما بالصناعة فكان يجد نسيجا أو سريرا أو خاتما بالطبيعة وذلك باطل * وقالوا أيضا الجواهر الصابغة اما ان تكون أصبر على النار من المصبوغ أو يكون المصبوغ أصبر أو يتساويان فان كان الصابغ أصبر وجب ان يفنى المصبوغ قبل الصابغ وان كان المصبوغ أصبر وجب ان يفنى الصابغ و يبقى المصبوغ على الحالة الاولى عريا عن الصبغ وان تساويا في الصبر على النار فهما من جنس واحد لاستوائهما

فى المصابرة على النار فلا يكون أحدهما صابغا ولا مصبوغا وهذه الحجة الثانية من أقوى حجج المنكرين * والجواب من المثبتين عن الاولى انا نجد النار تحصل بالقدح واصطكاك الاجرام والريح يحصل بالمراوح وأكوار الفقاع والنوشادر قد يتخذ من الشعير وكذلك كثير من المزاجات ثم بتقدير ان لا يوجد بالطبيعة ما يوجد بالصناعة لا يلزمنا الجزم بنفى ذلك ولا يلزمنا من امكان حصول الامر الطبيعى بالصناعة امكان العكس بل الامر موقوف على الدليل * وعن الثانية انه لا يلزم من استواء الصابغ والمصبوغ فى الصبر على النار استواؤهما فى الماهية لما عرفت ان المختلفين قد يشتركان فى بعض الصفات وفى هذا الجواب نظر (وحكى) لى بعض من أنفق عمره فى الطلب ان الطغراءى التى المثقال من الاكسير أولا على ستين ألفا ذهبا ثم انه التى آخرا المثقال على ثلثمائة ألف (وحكى) لى أيضا ان مريانس الراهب معلم خالد بن يزيد التى المثقال على ألف ألف ومائتى ألف مثقال وقال لى أيضا قالت مارية القبطية والله لولا الله لقلت ان المثقال يملأ ما بين الخافقين فما كان له عندى جواب الا ان انشدته قول أبى اسحاق ابراهيم الغزى

بجوهر الكيمياء ليس يرى * من ناله والانام فى طلبه

والذى ظهر لى من حال الطغراءى انه لم يدبر شيئا البتة لانه قال

ولولا ولاة الجور أصبحت والحصى * بكفى أنى شئت در وياقوت

وسيأتى تمام هذا الشعر فى موضعه عند قوله أريد بسطة كف البيت وصاحب الشذور من جلة أئمة هذا الفن صرح بان نهاية الصبغ الفاء الواحد على الالف فى قوله فى القصيدة الفائية

فعاد بلطف الحل والعقد جوهرا * يطاوع فى النيران واحده الالف

وفى قوله فى القصيدة القافية

فذان هما البدران فاغن بعلمنا * تنل بهما ما يصبغ الالف دانقه

وأنشدت بعض المولعين بها قول القائل

أعيى الفلاسفة الماضين فى الحقب * ان يصنعوا ذهبا الا من الذهب

أو بعضه وافضة بيضاء خالصة * الامن الفضة المعروفة النسب
فقل لطالبها من غير معدنها * أضعت نفسك بالتنكيد والتعب

فقال لى صدق لولم يكن الذى يدبره الصانع فى أصله ذهبا بالقوة لما صار ذهبا بالفعل فقلت له هذا من باب التأويل واخراج اللفظ الظاهر عن الصريح الى مالا يفهم منه الا بالاحتمال والصريح لا يعارض بالمؤول ولو أراد الانسان ان يحمل معلقة امرئ القيس مرثية فى قط أوغزلا فى فيل لما أعجزه ذلك (حكى) لى بعض الفضلاء أن الشيخ تقى الدين بن تيمية كان كثير الحط على الشيخ محيى الدين بن عربى فقيل له يوما ان هنا انسانا يخرج جميع ما تنكره عليه ويرده بالتأويل الى ما يوافق ظاهر الشريعة فطلبه فلم يحضر اليه فلما كان بعد مدة اتفق اجتماعهما فى مكان واحد فقيل له هذا الذى وصفناه لك فقال له ما الذى تفهم من قول محيى الدين بن عربى دخلت لجة بحر الانبياء ووقوفا بساحله فقال له صدق لان الانبياء يقفون على الساحل بصدد من يغرق فينقذونه من الغرق فقال هذا بعيد فى الاحتمال فقال أليس انه يحتمل ما قلته خلا الغرض لك وحظ نفسك فلم يجبه وكان شمس الدين محمد شيخ الربوة المعروف بابن أبى طالب يقول زعم بعضهم ان المقامات وكليلة ودمنة رموز فى الكيمياء سمعته يقول ذلك غير مرة ويزعمون أيضا ان الصناعة مرموزة فى صورة السرابى وكل ذلك من شغفهم وكلفهم بحبها نسأل الله السلامة ووجدت بعض من جرب وتعب فاقلقه الوجد وظن ان جدها لعب قد كتب على بعض مصنفات جابر بن حيان تلميذ جعفر الصادق

هذا الذى بمقاله * غر الاوائل والاواخر
ما أنت الا كاسر * كذب الذى سماك جابر

وبعض الناس ينكر وجود جابر هذا وهو محال لان له تصانيف كثيرة وهى مشهورة بين القوم * وقال صاحب الاغانى فى ترجمة خالد بن يزيد بن معاوية وكان من رجالات قريش سخاء وعارضة وفصاحة وكان قد شغل نفسه

بطلب الكيمياء فافنى بذلك عمره وأسقط نفسه وحدثنى من اثق به ممن كان يطلع على أحوال الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد انه كان بها مغرى وأنفق فيها مالا وعمرا وقيل ان امام الحرمين مات وهو يفك وصلا من أوصالها خرج اليه منه لسان نار فقتله وقد صحت كيمياء العشق مع كمال الدين على ابن النبيه حيث يقول

تعلمت علم الكيمياء بحبه * غزال بجسمى ما بعينيه من سقم
فصعدت أنفاسي وقطرت أدمعى * فصح من التدبير تصفيره جسمى

(وقال أيضا)

صنعة الكيمياء صحت لعينى * حين يزداد اذ يرانى احمرارا
فاذا ما ألقيت اكسير لحظى * فى لجين الخد و عاد نضارا

وقال ابن حمديس الصقلى

ومغرب طعنته غير نابية * أسنة هن ان حققتها شهب
ومشرق كيمياء الشمس فى يده * ففضة الماء من القائها ذهب

وما أحلى قول عبد الملك التميمى المعروف بالدركار المغربى

قم الى كيمياء شرب كرام * لا ترى فيهم نديما خسيسا
خذ بدور الكؤس ألق عليها * من أكاسيرها تعدها شموسا

ما أحسن هذا وأوقعه فى النفس لان أرباب الكيمياء يرمزون الفضة بالقمر والذهب بالشمس وقد أقام الخمر مقام الاكسير الذى يصبغ الجسم وقد حام الشيخ صدر الدين بن الوكيل فى قصيدته على هذا المعنى فقال

وليست الكيميا فى غيرها وجدت * وكل ما قيل فى أبوابها كذب
قيراط خمر على القنطار من حزن * يعيد ذلك أفراحا و ينقلب

ولكنه لم يكن على تراكيب كلامه تلك الخفة ولا ذلك الانسجام وأما قول بكر بن النطاح فى أبى دلف

ياطالبا للكيمياء وعلمه * مدح ابن عيسى الكيمياء الاعظم
لو لم يكن فى الارض الا درهم * ومدحته لاتاك ذاك الدرهم

فليس هذا من صناعة الكيمياء فى شئ بل هذا من باب الرقى والعزائم وكذا قول ابن قلاقس الاسكندرى

ماصح علم الكيمياء لغير مـ * ـدّاح الامام الارىحى الحافظ
يعطيهم الاموال اذ يعطونه * لفظا ومامقدار لفظ اللافظ

وكذا قول القائل فى حق الشعراء يخاطب ممدوحه

ماصح علم الكيمياء لغيرهم * فيما رأينا من جميع الناس
تعطيهم البدر النضار اذاهم * رفعوا اليك الشعر فى قرطاس

وهذا كله من فساد التخيل أو من الجهل بماهية الكيمياء وقد ظرف شيطان العراق فى قصيدته التائية حيث قال

وما صنفه جابر * من الصنعة جربت
فكم للطين حلت * وللآمال وصلت
وفوق الشب والكبريـ * ـت للزرنيخ صعدت
وكم ركبت انبيقا * على النار وقطرت
وللاجساد لينت * وللارواح لطفت
وللزهرة نقيت * وكم للشمس كلست
وكم فى بوط بربوط * من الراسخت نزلت
وبالماشك كم كويـ * ـت فى كفى وحرقت
وماصح لى التدبيـ * ـر لكنى أدبرت

وملح البوصيرى حيث قال يهجو جماعة

اكسير نحس كل بمفرده * مركب من مدبر فاسد
ان شئت أن تجعل الورى سفلا * ألق على الالف منهم واحد

وكتب الظهير البارزى الى من رزق توءمين ذكرا وأنثى من جارية سودا أبياتا من جملتها

وخصك رب العرش منها بتوءم * ومن ظلمات البحر تستخرج الدرر
وابرك أضحى وارثا علم جابر * فأعطاك من القائه الشمس والقمر

(وأما هذه القصيدة اللامية) فانما سميت لامية العجم تشبيها لها بلامية العرب لانها تضاهيها فى حكمها وأمثالها ولامية العرب هى التى قالها الشنفرى وأولها

أقيموا بنى أمى صدور مطيكم * فانى الى قوم سواكم لأميل

وقد روى عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال علموا أولادكم لامية العرب فانها تعلمهم مكارم الاخلاق * ورأيت لها شرحا حسنا تام المقاصد كثير الفوائد وهو مجلد جيد وحسبك أن الناس قالوا فى هذه القصيدة انها لامية العجم فى نظير تلك يعنى ان كان للعرب قصيدة لامية مشهورة بالادب والامثال والحكم فان للعجم لامية مثلها تناظرها واضافة الشئ الى شئ مشهور أو عظيم يدل على شرف المضاف الاترى قوله تعالى من كان عدوا لله وملائكته أشرف لهم من قوله والملائكة لاضافتهم اليه * وزعم بعضهم ان بعض الشعراء غير قوافى هذه القصيدة من اللام الى حرف العين وهذا عندى يتعذر لان ألفاظ هذه القصيدة فى غاية الفصاحة وتراكيب كلماتها كلها منسجمة عذبة غير قلقة ولا نافرة ومعانيها بليغة غير ركيكة وقوافيها فى غاية التمكن فهى كما قال ابن عنين

معنى بديع وألفاظ منقحة * غريبة وقواف كلها نخب

والقافية المتمكنة هى التى يبنى البيت من أوله الى آخره عليها فاذا ختم البيت بها نزلت فى مكانها ثابتة فيه متمكنة فى محلها قد رسخت فى قرارها ودفعت الى مركزها فهى لا تتزحزح ولا تتغير منه بخلاف القافية القلقة التى اجتلبت وجئ بها لتمام الوزن وهى أجنبية منه غريبة من تركيبه عارية من الالتصاق به والالتحاق بحسبه ومتى غيرت القافية المتمكنة بغيرها جاءت نافرة عن الطباع فى غاية الركة وليت شعرى بماذا يغير قوله

لو أن فى شرف المأوى بلوغ منى * لم تبرح الشمس يوما دارة الحمل

(وقوله أيضا)

وان علانى من دونى فلا عجب * لى أسوة بانحطاط الشمس عن زحل

الى غير ذلك من بقية القوافى المتمكنة التى هى فى البيت بمثابة القاعدة التى اذا زحزحت أو نقلت تهدم البيت وخرب وذهب حسنه وزال رونق تركيبه واذا غير مثل هاتين القافيتين فقد زال طرازها وذهب شمسها وقمرها ومحيت آية حسنها * نعم قد يتفق للشاعر نفسه اذا أراد بناء قصيدته على قافيتين أو اكثر لانه يراعى ذلك فى أصل التركيب ويوفق بين ذلك من أول العمل كما فعل سيف الدين بن المشد فى قصيدته التى مدح بها السلطان نجم الدين أيوب وهى مشهورة أولها

اسقني الراح قد تجلى النهار الظلام وتغنى على الأراك الهزار الحمام
وبدا الروض فى ثياب من الزهـ * ـر سداها بنفسج وعرار وثمام
فاسقنيها مثل الخدود احمرارا * وكثغر الحبيب فيه افترار ابتسام
قهوة مرة رحيق شمول * قرقف لذة سلاف عقار مدام
من يدى أوطف الجفون غرير * زانه الخصر والحلى والعذار والقوام
بدرتم يلوح فى زى ظبى * قصرت عن صفاته الافكار الافهام

ثم انه سار على هذا الانموذج الى تمام أحد وعشرين بيتا ولا يخفى ما فى هذه الابيات من الانحلال والانحطاط وما فيها من الايراد لمن يروم النقد عليه وكما فعل الامير مؤيد الدولة اسامة بن منقذ فى ثلاثة أبيات أنشأها وهى

كتمت بثى غيران لم أطق *
كتمان فيض المدمع الهامل * السافح الساكب الماطر
وليس يدرى لقذى جائل *
فى العين فاضت أم هوى داخل * فاضح غالب قاهر
كالورق لايدرى على هالك *
ناحت أم ارتاحت الى راحل * نازح غائب هاجر

وقال ابن الزروى والذى حملنى على نظم ذات القوافى على بن الرومى اذ قال فى كلمة له

لما تؤذن الدنيا به من صروفها * يكون بكاء الطفل ساعة يولد

والا فـا بكـه منها وانهـا * لافسح مما كان فيه وأرغد
اذا أبصر الدنيـا استهل كأنه * بما سوف يلقى من أذاها يهدد

وقال فى كلمة أخرى نظير هذه الابيات الا أنه أبدل فى البيت الاول يولد بقوله يوضع وابدل ارغد بقوله أوسع وأبدل يهدد بقوله يقرع ونظم ابن الزروى قصيدته التى أولها

نوى اطلعت منها القفارا لبـابس * بخيل مطى طلعهن أوانس

وهى تزيد على العشرين بيتا جعل لكل بيت أربعا وعشرين قافيـة وهذه القصيدة تنشد أربعا وعشرين قصيدة وهذا فى غاية القدرة وانما سهل هذا معه وانقاد له ما أراد لانه هو الذى بنى كل بيت فى الاصل على ما يريد ختمه به من القوافى المتعددة ولو أخذ قصيدة لغيره وأراد تغيير قوافيهـا لتقاعس المعنى عليه ولم ينقد له وأنت ترى قافية ابن الرومى الداليـة كيف لفظة أرغد فيها قلق يسير وكيف أوسع أحسن منها وكيف لفظة يهدد اليق من يقرع هذا أمر يشهد به الذوق وصنع أبو القاسم على بن منجب المعروف بابن الصيرفى بيتين وهما

لما غدوت مليك الارض أفضل من * جلت مفاخره عن كل اطراء
تغـايرت أدوات النطق فيك على * ما يصنع الناس من نظم وانشاء

ثم انه غير روى البيتين على جميع حروف المعجم ومن وقف على كلام أبى العلاء المعرى فى رسالة الغفران فى ذينك البيتين اللذين للنمر بن تولب وهما

ألم بصحبتى وهـم هجوع * خيال طارق من أم حصن
لها ما تشتهى عسل مصفى * متى شاءت وحوارى بسمن

وكيف غير القوافى منها ونزلها على سائر حروف المعجم خلا حرف الطاء علم تمكن أبى العلاء من الادب واطلاعه على اللغة وحكاية خلف الاحمر مع أصحابه ومعناها انه لو قال أم حفص ماذا كان يقول فى تمام البيت الثانى فسكتوا فقال بلص وأما اتفاق الشاعرين فى الابيات وتخالفهما فى القافية فكثير فمنه قول النابغة

الحوارى بضم الحاء وشد الواو وفتح الراء الدقيق الابيض وهو لباب الدقيق اه
الملص اله الوذج أوشئ يشبهه يأكله الصبى بالدبس اه

لو انها عرضت لاشمط راهب * عبد الاله ضرورة متعبد
لرنا لبهجتها وحسن حديثها * ولخاله رشدا وان لم يرشد

وقول ربيعة بن مقدوم الضبي

لو انها عرضت لاشمط راهب * عبد الاله ضرورة متبتل
لرنا لبهجتها وحسن حديثها * ولهم من ناموره بتنزل

الناموس صومعة الراهب

وقول الافشين الجبلي

جريت مع الصبا طلق العنيق * وهان على مأثور الفسوق
وجدت ألذ عارية الليالي * قران النغم بالوتر الخفوق
ومسمعة متى ماشئت غنت * متى نزل الاحبة بالعقيق
تمتع من شباب ليس يبقى * وصل بعرى الصبوح عرى الغبوق

وقول أبي نؤاس

جريت مع الهوى طلق الجموح * وهان على مأثور القبيح
وجدت ألذ عارية الليالي * قران النغم بالوتر الفصيح
ومسمعة متى ماشئت غنت * متى كان الخيام بذي طلوح
تمتع من شباب ليس يبقى * وصل بعرى الغبوق عرى الصبوح

وهذا من أبي نؤاس في غاية الحسن لمن تأمله وقول امرئ القيس

وقوفا بها صحبي على مطيهم * يقولون لاتهلك أسى وتجمل

وقول طرفة بن العبد بعده

وقوفا بها صحبي على مطيهم * يقولون لاتهلك أسى وتجلد

وقول امرئ القيس أيضا

ألا أيها الليل الطويل الا انجل * بصبح وما الاصباح منك بأمثل

وقول الطرماح بعده

ألا أيها الليل الطويل الا اصبح * بيوم وما الاصباح منك باروح

وقول على بن الخليل

لا أظلم الليل ولا أدعى * أن نجوم الليل ليست تزول

ليلى كما شاءت قصيرا اذا * جادت وان ضنت فليلى طويل

وقول ابن بسام بعده

لا أظلم الليل ولا أدعى * أن نجوم الليل ليست تغور
ليلى كما شاءت فان لم تجد * طال وان جادت فليلى قصير

وقول الامير أبى الفضل الميكالى

أقول لشادن فى الحسن اضحى * يصيد بلحظه قلب الكمى
ملكت الحسن أجمع فى نصاب * فاذ زكاة منظرك البهى
وذلك أن تجود لمستهام * برشف من مقبلك الشهى
فقال أبو حنيفة لى امام * يرى ان لا زكاة على الصبى

وقد رواها بعضهم على غير هذه القافية فأنشدها

أقول لشادن فى الحسن فرد * يصيد بلحظه قلب الجليد
ملكت الحسن أجمع فى قوام * فلا تمنع وجوبا عن وجود
وذلك ان تجود لمستهام * برشف من مقبلك البرود
فقال أبو حنيفة لى امام * يرى أن لا زكاة على الوليد

وقول سليمان بن دبا كل الخزاعى

يا بنت خنساء التى أتجنب * ذهب الزمان وحبها لا يذهب
انى لأمنحك الصدود وانى * قسما اليك مع الصدود لاحبب

وقول الأحوص

يا بنت عاتكة التى أتعزل * حذر العدى وبها الفؤاد موكل
انى لامنحك الصدود وانى * قسما اليك مع الصدود لاميل

وقد اشتهر قول الاحوص وشاع وذاع وملأ الافواه والاسماع واستشهد الناس به قديما وحديثا فى حكايات مشهورة عند أرباب الادب * وعن محمد بن كعب القرظى قال بينما عمر بن الخطاب جالسا وعنده أصحابه اذ مر به رجل فسلم عليه فقال رجل من القوم يا أمير المؤمنين أتعرف هذا المسلم قال لا قال هو سواد بن قارب الذى أتاه رئيه من الجن بظهور رسول الله صلى الله

الرئى كغنى جنى يرى فيحب ١٨ قاموس

عليه وسلم فدعاه عمر فقال له أنت سواد بن قارب قال نعم قال أنت على ما كنت عليه من كهانتك فغضب الرجل غضبا شديدا وقال ما استقبلني أحد منذ أسلمت بهذا فقال عمر ما كنا عليه من الشرك أعظم مما كنت عليه من كهانتك فاخبرني بالذى أنبأك به رئيك من ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم بينا انا بين نائم و يقظان اذ اتاني رئيي وضربني برجله وقال قم ياسواد بن قارب وافهم واعقل انه قد بعث رسول من لؤى بن غالب يدعو الى الله تعالى ثم أنشأ الجنى يقول بحيث أسمع

عجبت للجن وأخبارها * وشدها العيس بأكوارها
تهوى الى مكة تبغى الهدى * ما مؤمن الجن ككفارها
فارحل الى الصفوة من هاشم * بين روابيها وأحجارها

فقلت دعنى أنام فقد أمسيت ناعسا فلما كانت الليلة الثانية أتانى فضربني برجله وقال قم ياسواد بن قارب وافهم واعقل ان كنت تعقل قد بعث رسول من لؤى بن غالب يدعو الى الله والى عبادته ثم أنشأ الجنى يقول

عجبت للجن وتطلابها * وشدها العيس باقتابها
تهوى الى مكة تبغى الهدى * ما صادق الجن ككذابها
فارحل الى الصفوة من هاشم * فليس قداماها كأذنابها

فقلت دعنى أنام فقد أمسيت ناعسا فلما كانت الليلة الثالثة أتانى فضربني برجله وقال قم ياسواد بن قارب وافهم واعقل ان كنت تعقل قد بعث رسول من لؤى بن غالب يدعو الى الله والى عبادته ثم أنشأ الجنى يقول

عجبت للجن وتحساسها * وشدها العيس بأحلاسها
تهوى الى مكة تبغى الهدى * ما خير الجن كأنجاسها
فارحل الى الصفوة من هاشم * واسم بعينيك الى رأسها

فلما أصبحت شددت على ناقتى رحلها وسرت الى مكة فقيل لى قد سار الى المدينة فأتيت المدينة فسرت الى المسجد فعقلت ناقتى واذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جماعة من أصحابه فلما نظر الى قال هات ياسواد بن

قارب فقلت

أتاني رئيي بعد هدء ورقدة * ولم اك فيما قد بلوت بكاذب
ثلاث ليال قوله كل ليلة * أتاك رسول من لؤي بن غالب
فشمرت من ذيلي الازار ووسطت * بي الدلعب الوجناء بين السباسب
وأشهد أن الله لا رب غيره * وانك مأمون على كل غائب
وانك اعلا المرسلين وسيلة * الى الله ياابن الاكرمين الاطائب
فرنا بما يأتيك ياخير من مشى * وان كان فيما جاء شيب الذوائب
وكن لي شفيعا يوم لاذو شفاعة * سواك بمغن عن سواد بن قارب

الدلعب البعير الضخم اه قاموس

قال ففرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فرحا شديدا فقام اليه عمر فالتزمه وقبله بين عينيه وقال لقد كنت أحب ان أسمع هذا الخبر منك فاخبرني هل يأتيك رئيك اليوم قال اما منذ قرأت كتاب الله فلا ونعم العوض كتاب الله من الجن (وحكى) صاحب الجليس والانيس قال كان الاصمعي يعادي عباس بن الاحنف فقال يوما وهو بين يدي الرشيد والاصمعي حاضر

اذا أحببت ان تعمل * شيئا يعجب الناسا
فصورها هنا فردا * وصور ثم عباسا
وبينهما فدع فترا * فان زدت فلا باسا
فان لم يدنوا حتى * ترى رأسيهما راسا
فكذبها بما قاست * وكذبه بما قاسا

فقال الرشيد ما سمعت معنى أحسن من هذا فقال الاصمعي قد سبقه الى هذا المعنى رجل من العرب ورجل من النبط فقال ما قال العربي قال كان رجل يقال له عمر يحب جارية يقال لها قمر فقال

اذا أحببت ان تعمل * شيئا يعجب البشرا
فصورها هنا قمرا * وصورها هنا عمرا
فان لم يدنوا حتى * ترى بشريهما بشرا
فكذبها بما ذكرت * وكذبه بما ذكرا

قال الرشيد فما قال النبطي قال كان رجل يقال له روز يحب جارية يقال لها فلق فقال

اذا أحببت ان تعمل * شيئا يعجب الخلقا
وتسمع صوت معشوقيـ * ـن لاقا في الهوى رتقا
فصورها هنا روزا * وصورها هنا فلقا
فان لم يدنوا حتى * ترى خلقيهما خلفا
فكذبها بما لاقت * وكذبه بما يلقى انتهى

وتغيير قوافي هذه اللامية أراه متعذرا الا أن يتهدم جانب جيد من كل بيت ومع ذلك فلا يكون لغير قوافيها ديباجة استأثر بها الطغرائي * وأنشدني لنفسه من لفظه المولى نور الدين علي بن محمد بن فرحون المالكي اليعمري المدني بدمشق المحروسة في سنة احدى وأربعين وسبعمائة هذه اللامية وقد ركب على كل صدر عجزا وعلى كل عجز صدرا فناسبها وهذا قصد ظريف ومما أنشدني قوله

المذل افشاء السر اه قاموس

اصالة الرأي صانتني عن الخطل * وسرعة الحزم ذادتني عن المذل
وحلة العلم أغنتني ملابسها * وحلية الفضل زانتني لدى العطل
مجدي اخيرا ومجدي أولا شرع * وسوددي ذاع في حل ومرتحل
وهمتي في الغنى والفقر واحدة * والشمس رأد الضحى كالشمس في الطفل
فيم الاقامة بالزوراء لا سكني * دان ولا أنا في عيش بها خضل
وليس لي ارب فيها ولا خولي * بها ولا ناقتي فيها ولا جملي

وتغيير القوافي في البيت والبيتين أمر يهون كما أنشد بعضهم البيتين المشهورين في الشيب وهما

وخود دعتني الى وصلها * وعصر الشبيبة مني ذهب
فقلت مشيبي ما ينطلي * فقالت بلى ينطلي بالذهب

وكان في المجلس بعض ظرفاء الادباء حاضرا فقال ما أعرف القافية في هذين البيتين الا حرف الراء فقال له المنشد كيف قال فقال قال * وعصر الشبيبة مني

سرا * فقال فكيف تصنع بالثاني بعد قوله مشيي ما ينطلي فقال فقالت بلى ينطلي بالخرا * فأطرق المنشد خجلا وأما أنا فاتفق لي يوما مثل هذه الواقعة في بعض مجالس المذاكرة في محفل فيه رؤساء وأكابر من الكتاب وفيهم من يتعاطى الادب وهو شاب فيه مغمز ومطمع فأنشد قول ابن العفيف التلمساني

ولقد عتبت عليه وهو ممدد * والاير في أحشائه مدسوس

أومى بمعره وقال بنفرة * من ها هنا يتعوج الفقوس

فقلت وقد أشار بيده عند نصف البيت الثاني مثل مولانا يغير القافية انما هو ومن ها هنا يتعوج اليقطين فاستحي فقال بعض الحاضرين كيف تعمل في القافية الاولى فقلت بسرعة عوض مدسوس مدفون والتنديب يغتفر فيه ويسامح بما لا يسامح في غيره لسرعة الجواب الا ترى ما أحلى جواب بعض الوعاظ وهو على المنبر لما سئل عن أشياء ما الاصل فيها فقال اذا كان الله عز وجل قال يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء فكيف تسألون أنتم عنها فاستحسن هذا الجواب منه لسرعته وان كان قد مغلط ولكن لما عجز عن الجواب مال الى هذا الجواب الاقناعي لان أرباب التصريف لهم فيها كلام طويل منهم من يقول أصل أشياء فعلاء ومنهم من يقول فعلاء والكلام في ذلك يطول * ويقال ان أبا الحسين بن السماك كان يتكلم على رؤس الناس بجامع المدينة وكان لا يحسن شيئا من العلوم الا ما شاء الله وكان مطبوعا بالتكلم على مذاهب الصوفية فرفعت اليه رقعة فيها ما تقول السادة الفقهاء في رجل مات وخلف كذا وكذا فلما فتحها ورأى ما فيها من الفرائض رماها من يده وقال أنا أتكلم على مذاهب أقوام اذا ماتوا لم يخلفوا شيئا فعجب الحاضرون من سرعة جوابه * وكذا التنديب في البيتين الاولين الاصل فيهما أكمل لان الطلاء دائما بالذهب مع ما في القافيتين من الجناس التام وكذا قولي اليقطين فان فيه تغييرا للمثل المتداول بين الناس وهو من ها هنا يتعوج الفقوس ولكن لما كانت تلك الحالة لائقة باليقطين عند اشارته بيده حسن ذلك وخف على السمع وراج على القلب * وأنشدت يوما بعض الافاضل قولي

التنديب الخفة يقال رجل ندب كهندب خفيف في الحاجة اه قاموس

البحتري

البحتري من قصيدته المشهورة

وازرق الصبح يبدو قبل أبيضه * وأول الغيث قطر ثم ينسكب

فقال بدل ينسكب ينهمر فقلت كيف تصنع فى الاول وهو قوله

هذى مخايل برق خلفه مطر * جود وورى زناد خلفه لهب

فقال بدل لهب شرر فقلت هذه القصيدة بائية أولها

نحن الفداء فاجود ومرتقب * يذوب عنك اذا همت بك النوب

فلم يحرجوا بالسكنى اعترفت له بالاحسان لسرعة الجواب فى الثانى (ايراد شئ من نظم الطغرائى) قال قصيدة خائية عارض بها محمد بن هانئ المغربى فى قصيدته التى أولها

سرى وجناح الليل أقتم أفتخ * مهاد ضجيع بالعبير مضمخ

ومدح الطغرائى بها السلطان محمود بن محمد أيام سلطنة أبيه سنة أربع وخمسمائة وهى

هى العيس قودا فى الازمة تنفخ * تمطى لها من لجمة الليل برزخ ومنها

ويا نار قلبى ما لجمرك كلما * نفخت عليه الماء لا يتبوخ

ويا صادحات الورق فى الايك أقصرى * فمالى اذن أشكو ولا لك مصرخ

ويا جيرة شطت بهم غربة النوى * ولا عهدهم ينسى ولا الود يفسخ

لكم فى جنوب الارض مسرى ومسرح * وللحب فى جنبى مرمى ومرسخ ومنها

وحظى من الايام ملك بعزه * تقام مواقيت العلا وتورخ

يتوق اليه الملك وهو له اب * ويصبو اليه التاج وهو له أخ

يربى العدى أبناءهم لحسامه * وللصقر ما أضحى البغاث يفرخ ومنها

خدمتكم والعمر غصن بجيمه * ندوا هاضيب الشبيبة تنضخ ومنها

أسير فى ايامكم من شواردى * غلالة سفر حين تمتد سربخ

وأحمل من أسراركم كل ناهض * يضيق به صدر الكتوم فينفخ

وأنشر فى الشورى صحائف طبها * نوافث سحر للعزائم تنسخ

وأنصحكم فى حل كل مترجم * به يضبط الامر الشعاع فيرسخ

قوله لا يتبوخ أى لا يسكن وقوله جميه الجميم النبت الكثير أو الناهض المنتشر وقوله تنضخ النضخ الاثر يبقى فى الثوب وغيره من الطيب وقوله سربخ كجعفر الارض الواسعة وقوله فينفخ أى يفور وقوله الشعاع كسحاب الرأى المتفرق اه قاموس

أحن إلى أن أجتني ثمر الرضا * أرد إلى نزر من العيش برضخ
أعوذ بكم من كبوة الجد أنها * دهتني ولا ذنب به أتلطخ

قلت كان الطغرائي يتمنى علو شأنه ويؤمل اقبال زمانه في أيام هذا الممدوح اذا آل امر السلطنة اليه فكان فيها حتفه * وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تتمنوا الدول فتحرموها وما أحسن قول القائل

سألت الله أن تعلو محلا * كعرض الارض في طول السماء
فلما ان علوت علوت عني * فكان اذن على نفسي دعائي

وقال ابن دريد

اذا رأيت امرأ في حال عسرته * مصافيا لك ما في وده دخل
فلا ترج له أن يستفيد غنى * فانه بانتقال الحال ينتقل

وقال محمد بن سبط التعاويذي

ألحرم دولتكم بعدما * ركبت الاماني وأنضيتها
ومالي ذنب سوى انني * رجوتكم وتمنيتها

وقال أحمد بن أبي بكر الكاتب

اذا لم يكن للمرء في دولة امرء * نصيب ولا حظ تمنى زوالها
وماذاك عن بغض لها غير انه * يرجي سواها فهو يهوى انتقالها

وقال جريج المقل

ربما يرجو الفتى نفع فتى * خوفه أولى به من أمله
رب من ترجو به دفع الاذى * سوف يأتيك الأذى من قبله

وقال ابن عنين في ابن المجاور

سواء علينا نلت ما نلت من علا * اذا لم تنل أو كنت ما كنت من قبل
وما نافعي أن يبلغ العرش صاحبي * ويحط قدري عنده عندما يعلو

أنشد الزكي عبد الرحمن القوصي الملك المظفر قبل أن يملك حماه

حتى أراك ومن تهوى وأنت كما * تهوى على رغمهم روحين في بدن
هناك أنشد والآمال حاضرة * هنئت بالملك والاحباب والوطن

فوعده اذا ملك حماة ان يعطيه ألف دينار فلما ملكها أنشده

مولاى هذا الملك قد نلته * برغم مخلوق من الخالق
والدهر منقاد لما شئته * وذا أوان الموعد الصادق

فدفع اليه الالف وأقام معه ولزمه فى اسفار أنفق فيها المال الذى أعطاه ولم يحصل به دهن يادة عليه فقال

ذاك الذى أعطوه لى جملة * قد استردوه قليلا قليل
فليت لم يعطوا ولم يأخذوا * وحسبى الله ونعم الوكيل

فبلغ ذلك المظفر فاخرجه من دار كان أنزله بها فقال

أتخرجنى من كسر بيت مهدم * ولى فيك من حسن الثناء بيوت
فان عشت لم أعدم مكانا يضمنى * وأنت ستدرى ذكر من سيموت

فحبسه المظفر فقال ماذنبى اليك فقال وحسبى الله ونعم الوكيل ثم أمر بخنقه فلما أحس بالهلاك قال

أعطيتنى الالف تعظيما وتكرمة * ياليت شعرى أم أعطيتنى ديتى

قلت لو كنت حاضر الزكى عبد الرحمن لا نشدته قول القائل

وكنت كالمتمنى ان يرى فلقا * من الصباح فلما أن رآه عمى

وما أحسن قول أبى الطيب وهو مما رواه تاج الدين الكندى عنه ولم يكن فى ديوانه

أبعين مفتقر اليك نظرتنى * وأهنتنى وقذفتنى من حالق
لست الملوم انا الملوم لاننى * أنزلت آمالى بغير الخالق

ومما ينخرط فى هذا السلك قول القائل

لما بدا العارض فى خده * بشرت قلبى بالنعيم المقيم
وقلت هذا عارض ممطر * فجاءنى منه العذاب الاليم

وقال الطغرائى يصف خيلا

سبقت حوافرها النواظر فاستوى * سبق الى غاياتها وسفون
لولا ترامى الغايتين لاقسم الـ * ـراؤن ان حراكها لسكون

الحالق بالحاء المهملة الجبل المرتفع قاموس

السفون الريح السابة اه

وتكاد تشبهها البروق لانها * لم تعتقلها أعين وظنون

هذه مبالغة فى السرعة والاول ماخوذ من قول أبى الطيب

تقبلهم وجه كل سابحة * أربعها قبل طرفها تصل

قيل ان أبا الحر الثعلبى قال عندما سمع هذا البيت هذه كانت عينها فى استها وذكرت بهذه واقعة اتفقت لبعض أكابر أهل العصر وهو انه كان له غلام حسن الوجه فحضر يوما عنده بعض أصحابه وأخذ يصف ذلك الغلام ويلاحظه فى دخوله وخروجه لا يفتر عن ذلك فقال له مالك قد أطلت النظر الى هذا الغلام فقال أعجبنى حسنه فقال عينك فى استك فقال لا والله بل عينى فى استه وقد فسر بعض المتعصبين على أبى الطيب قوله

تبل خدى كلما ابتسمت * من مطر برقه ثناياها

فقال كانت تبصق فى وجهه وكذلك قوله

كفى بجسمى نحولا اننى رجل * لولا مخاطبتى اياك لم ترنى

فقال هو اذن ضرطة يسمع ولا يرى وبالغ ابن حجاج فى مرثية فرس له فقال

قال له البرق وقالت له الريح جميعا وهما ماهما

أأنت تجرى معنا قال لا * ان شئت أضحكتكما منكما

هذا ارتداد الطرف قد فته * الى المدى سبقا فمن أنتما

وقال أبو العلاء المعرى

ولما لم يسابقهن شئ * من الحيوان سابقن الظلالا

وقال ابن خفاجة الاندلسى

وأبلق خوار العنان مطهم * طويل الشوى والساق أقود أتلعا

جرى وجرى البرق اليمانى عشية * فابطأ عنه البرق عجزا وأسرعا

وحسب الاعادى منه ان يزجرونه * مغيرا غرابا صبح الحى أبقعا

هذا المعنى فى غاية الحسن ومن هنا اختلس هذا المعنى النفيس أحمد بن عبد العزيز المالكى حيث قال

حبذا ليلة رأيت دجاها * زاهيا عطفه بجـــــله تخر

قوله خوار العنان أى سهل المعطف كثير الجرى وقوله مطهم كمعظم النحيف الجسم وقوله الشوى أى اليدان والرجلان وقوله أقود أى ذلول منقاد وقوله أتلعا أى طويل العنق اه قاموس

بشرت باللقاء وهى غراب * ونعى الفجر حسنها وهو قرى

وقرأت على الشيخ الامام القاضى شهاب الدين أبى الثناء محمود الكاتب كتابا انشاه فى وصف الخيل جاء منه لا يستن داحس فى مضماره ولا تطمع الغبراء فى شق غباره ولا يظفر لاحق من لحاقه بسوى آثاره تسابق يداه مرامى طرفه ويدرك شوارد البروق ثانيا من عطفه وقد اشتهر هذا المعنى فى سبق الحافر الناظر قال بعضهم

كم سابح اعددته فوجدته * عند الكريهة وهو نسر طائر

لم يرم قط بطرفه فى غاية * الا وسابقه اليها الحافر

ما أحسن ما أنشدنى لنفسه من لفظه المولى صفى الدين عبد العزيز بن سرايا الحلى بالباب و بزاعة من بلاد حلب سنة احدى وثلاثين وسبعمائة

وأغر تبرى الاهاب مورّد * سبط الاديم محجل ببياض

أخشى عليه ان يصاب باسهمى * مما يسابقها الى الاغراض

وأنشدنى لنفسه أيضا

وأدهم يقق التحجيل ذى مرح * يميس من عجبه كالشارب الثمل

مضمر مشرف الاذنين تحسبه * موكلا باستراق السمع عن زحل

ركبت منه مطاليل تسيرنه * كواكب تلحق المجهول بالحمل

اذا رميت سهامى فوق صهوته * مرت بهاديه وانحطت من الكفل

قلت الثانى من الاول والرابع من الثانى فى غاية الحسن وهما من المبالغات المليحة وما أحسن ما أنشدنيه لنفسه من لفظه المولى جمال الدين محمد بن محمد بن نباتة بدمشق سنة تسع وعشرين وسبعمائة

وردمع العرب منسوب فلا قطعت * أيدى الحوادث من انسابه شجره

اذا امتطى ظهره رامى السهام مضى * والسهم حذوا فلولا سبقه عقره

تحت حسين يسمى سابحا وله * وثب لو ابصر ارسى دونه طفره

فقصا فى هضاب الحزن صاعدة * أو لا فصاعقة فى السهل منحدرة

اما ترفع عن ندّ يسابقه * أضحى يسابق فى ميدانه نظره

داحس والغبراء ولاحق افراس كانت لبعض العرب اه

الهادى هو العنق

الطفر الوثوب فى ارتفاع كما يطفر الانسان الحائط الى ماوراءه مصباح

فقصى كسكرى الريح كما فى القاموس وعليه فذها للضرورة

وأنشدني من لفظه لنفسه المولى جمال الدين يوسف بن سليمان بن أبي الحسن الصوفي بدمشق في جمادى الاولى سنة احدى وثلاثين وسبعمائة

وأدهم اللون فات البرق وانتظره * فغارت الريح حتى غيبت أثره
فواضع رجله حيث انتهت يده * وواضع يده أنى رمى بصره
شهم تراه يحاكي السهم منطلقا * وماله غرض مستوقف نظره
و يعقر الوحش في البيدا فارسه * و ينثني وادعا لم يلتحف غبره

ومما اتفق لي نظمه في فرس أشقر

يا حسنه من أشقر قصرت * عنه بروق الجو في الركض
لا تستطيع الشمس من جريه * ترسم ظلا على الارض

وقال الطغرائي يصف الصبح

وردنا سحيرا بين يوم وليلة * وقد علقت بالغرب أيدي الركائب
على حين عري منكب الشرق جذبه * من الصبح واسترخى عنان الغياهب

ما احسن هذه الاستعارة في عري منكب الشرق وفي استرخاء عنان الليل يعني ان الصبح ظهر وانكشف والليل أسرع ذاهبا والاستعارة الاولى من قول ذي الرمة

وقد لاح للساري الذي كمل السرى * على أخريات الليل فتق مشهر
كمثل الحصان الانبط البطن قائما * تمايل عنه الجل واللون أشقر

الانبط من الخيل بين النبط وهو بياض يكون تحت ابط الفرس أو بطنه اه

فأخذه ابن المعتز فقال

وساق يجعل المنديل منه * مكان حمائل السيف الطوال
غدا والصبح تحت الليل باد * كطرف أشقر ملقى الجلال

ونقله ابن المعتز الى النار فقال

مشهرة لا يحجب البخل ضوءها * كان سيوفا بين عيدانها تجلى
بفرج أغصان الوقود اضطرامها * كما شقت الشقراء عن متنها جلا

والاستعارة الثانية تشبه قول ابن عمار الاندلسي

أدر الزجاجة فالنسيم قد انبرى * والليل قد صرف العنان عن السرى

لكن ابن عمار كنى عن ذهاب الليل بصرف العنان والطغرائى كنى عن ذهابه بارخاء العنان كانه أسرع وولى هاربا واستعمله ابن قلاقس فى البرق فقال

نعم هو البرق على الأنعم * فاشق به ان شئت أو فانعم
لاح بأعلا هضبة خافقا * خفق لواء البطل المعلم
و زال عن صهوة طرف الدجا * سقطة جل الفرس الادهم

وقال الطغرائى من أبيات

ونفس باعقاب الامور بصيرة * لها من طلاع الغيب حاد وقائد
وتأنف ان يشفى الزلال غليلها * اذا هى لم تشتق اليها الموارد

يشير الى قول أبى العلاء المعرى مع انه هدم القافية

اذا اشتاقت الخيل المناهل أعرضت * عن الماء فاشتاقت اليها المناهل

وهو مأخوذ من قول البحترى

لو أن مشتاقا تكلف فوق ما * فى وسعه لسعى اليك المنبر

ومن هذا المعنى أخذ المتنبى قوله

لو تعقل الشجر التى قابلتها * مدت محيية اليك الاغصنا

ولكن ديباجة البحترى أحسن وأمكن وأمتن قال ميمون بن هارون رأيت أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلادرى المؤرخ يقول كنت من جلساء المستعين فقصده الشعراء فقال لست أقبل الا من قال مثل قول البحترى فى المتوكل لو ان مشتاقا البيت فرجعت الى دارى وصنعت بيتين وأتيته فقلت قلت فيك أحسن مما قال البحترى فقال هاته فأنشدته

ولو ان بردا المصطفى اذ لبسته * يظن لظن البرد انك صاحبه
وقال وقد أعطيته ولبسته * نعم هذه اعطافه ومناكبه

فقال ارجع الى منزلك وافعل ما آمرك به فرجعت فبعث لى بسبعة آلاف دينار وقال ادخر هذه للحوادث بعدى ولك على الجراية والكفاية مادمت حيا وقال الطغرائى

انی لاذ کرکم وقد بلغ الظما * منی فاشرق بالذلال البارد
وأقول ليت أحبتی عاینتهم * قبل الممات ولو بیوم واحد

وقال أيضا

مرض النسيم وصح والداء الذی * أشكوه لا يرجى له افراق
وهدا خفوق البرق والقلب الذی * ضمت عليه جوانحی خفاق

الافراق البرء ولا يكون الا فيما لا يصيبك غير مرة كالجدری اه

وما أحسن قول ابن التعاويذی وأرقه

ارحم ضنى جسد أودى السقام به * اتلفته فيك وانظر فی تلافيه
واسأل خيالك عن هم أكابده * ليلى الطويل وعن وجد أعانيه
تصرمت فيك أيامی وقصر عذ الى وقلبی المعنى فی تماديه

وقال الطغرائی

تالله ما استحسنت من بعد فرقتكم * عينی سواكم ولا استمتعت بالنظر
ان كان فی الارض شیء غيركم حسنا * فان حبكم واغطى على بصری

وقول أبی الطيب

يقضی على المرء فی أيام محنته * حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن

هذا من قول العباس بن الاحنف فيما أظن

قالت وابثثتها سری فبحت به * قد كنت عندی تحب الستر فاستتر
ألست تبصر من حولی فقلت لها * غطى هواك وما ألقى على بصری

وما أحسن ما ضمنه مجير الدين محمد بن تميم وسيأتی

لما رحلتم بقلبی فی حمولكم * فظلت حيران بين الهم والفكر
سلطت دمعی على عينی وقبلكم * قد كنت أشفق من دمعی على بصری

وقال الطغرائی

خبروها انی مرضت فقالت * أضنى طارفا شكى أم تليدا
وأشاروا بان تعود وسادی * فابت وهی تشتهی ان تعودا
وأتتنی فی خيفة وهی تشكو * ألم الوجد والمزار البعيدا
ورأتنی كذا فلم تتمالك * ان أمالت على عطفا وجيدا

(قلت) هذه الابيات يرشفها السمع مداما ويفضلها السامع على العقود نظاما ويظن الناظر ألفاتها غصونا والهمزات عليها حماما وما أحسن قول الاستاذ شمس الدين بن العفيف فى الزيارة

ومليح كالبدر زار بليل * فجلا حسنه الدجا اذ تجلى
مادرى منزلى ولكن قلبى * بلهيب الجوى هداه وولى
وعجيب منه فقيه ذكى * بجعل النزاع كيف استدلا

وفى قوله بجعل النزاع مسامحة يسيرة تغتفر لما فيها من التورية وأما العيادة فيعجبنى فيها قول السراج الوراق ومن خطه نقلت

مرضت لله قوم * مافيهم من جفانى
عادوا وعادوا وعادوا * على اختلاف المعانى

وقد أنشدتهما لجماعة من العصريين فلم يفسروا كيفية اختلاف المعانى فى عادوا بل الفاضل منهم يقول الاول من العيادة والثانى من العود قلت والثالث من قولهم اللهم عد علينا بفضلك ونقلت من خط السراج الوراق له أيضا

قال صديقى ولم يعدنى * وعارض السقم فى أثر
لقد تغيرت ياصديقى * ويعلم الله من تغير

وأنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة

وملولة فى الحب لما ان رأت * أثر السقام بعظمى المهتاض
قالت تغيرنا فقلت لها نعم * أنا بالسقام وأنت بالاعراض

والثانى بديع وفى الاول نظر من وجهين وقال ناصر الدين بن النقيب الفقيسى رحمه الله تعالى

سمعت بما تشكو وما أنت واجد * فظلت دموع العين فى الخد تسفح
وأرسلت خطى فى العيادة نائبا * وما كل خط للزيارة يصلح

وقال الطغرائى فى البان

غصون الخلاف اكتست فانبرت * لها الطير دراسة شجوها

مقدمة لورود الربيع تشخص أبصارنا نحوها
أحست برحلة فصل الشتا * فجاءت وقد قلبت فروها

قلت لابد من المسامحة فى هذا الثالث وقد قلده الآخر فقال

قد أقبل الصيف وولى الشتا * وعن قليل نشتكى الحرا
اماترى البان بأغصانه * قد قلب الفرو الى برا

وأسلم منهما قول القائل

أوماترى البان الذى يزهو على * كل الغصون بقده المياس
وافى بشيرا بالربيع وقربه * يختال فى السنجاب والبرطاس

وما أحلى قول محيى الدين بن قرناص

والبان مذ ولى الشتا * أقبل فى زى عجب
يخلع سنجابا من السفرو ويبدو فى غبب

قلت تشبيه البان بالسنجاب والبرطاس واقع فى موضعه (حكى) ان شهاب الدين أبا جلنك كتب ورقة الى بعض الحكام يسأله فيها شيئا فوقع له برطلين من خبز فتوجه الى بستان للحاكم وكتب على حائطه رحمه الله تعالى

لله بستان حللنا دوحه * فى جنة قد فتحت أبوابها
والبان تحسبه سنانيرا رأت * قاضى القضاه فنفشت أذنابها

قيل ان الشيخ بدر الدين بن مالك أملى عليهما كراسة فى البديع ولم أرها وقال الطغرائى فى الشمعة من أبيات

يحيى بما يفنى به من جسمه * فحياته مرهونة بفنائه
ساويته فى لونه ونحوله * وفضلته فى بؤسه وشقائه
هب انه مثلى بحرقة قلبه * وسهاده طول الدجا وبكائه
أفوادع طول النهار مرفه * كمعذب بصباحه ومسائه

الوادع الساكن المرفه

وماتركت قصيدة الارجانى الهائية التى له فى الشمعة رأسا برفعه شاعر ولا بيتا فى غيرها بعده من البديع النادر بل أخذت بمجامع الحسن ووقفت على المقاول اللسن ولشهرتها لم أثبتها هنا وقال الطغرائى فيها أيضا

من

من أبيات

اعدى اليه لظى فؤادى فالتقى * نارا تحدث عن لظى برحائه
أمعذب والنار فى عذباته * كمعذب والنار فى احشائه

وما أحلا قول مجير الدين محمد بن تميم وقد اجتاز ليلة بدار صاحب له ومعه شمعة وقد طفئت فأوقدها من داره ومن خطه نقلت

لما أزرتك شمعتي لتنيرها * جاءت تحدث عن سراجك بالعجب
وافته حاسرة فقبل رأسها * وأعادها نحوى بتاج من ذهب

وله فى مليح فى يده شمعة

عجبا له أنى يزور بشمعة * وضياؤه يثنى الظلام نهارا
وأظنها لما تلهب قلبها * حسدا أسالت دمعها مدرارا
وغدت لفرط الغيظ تعطى كل من * وافى ليقطع رأسها دينارا

وما أحسن قول القائل

وباكية من غير حزن بأدمع * تذوب بها أحشاؤها حين تنهمل
دموع اذا اردن اليها بكت بها * ولم أر دمعا غيره رد فى المقل

وقول الآخر

اذا مرضت طال منها اللسان * ومد المداوى اليها يدا
ويقطف من رأسها الجلنار * فيرجع أهليلجا أسودا

الجلنار زهر الرمان والاهليلج بفتح اللام وقد تكسر ثمر معروف منه أصفر ومنه أسود وهو البالغ النضج اه قاموس

وقال الطغرائى من أبيات فى الروض والنهر

يشقها فى وسطها جدول * مياهه العذبة مثلوجة
له سواقى طفحت والتوت * تلوى الحيات مشجوجة
فهى رماح أشرعت نحوها * تطعنها سلكى ومخلوجة

(قلت) عجز البيت الثالث صدر بيت امرئ القيس وهو

نطعنهم سلكى ومخلوجة * كرك لامين على نابل

السلكى الطعنة المستقيمة التى تكون حيال الوجه والمخلوجة التى تأتى عن اليمين وعن الشمال وقال ابن حمديس الصقلى وأحسن

ومطرد الاجزاء تصقل متنه * صبا أعلنت للعين ما فى ضميره
جريح بأطراف الحصا كلما جرى * عليه شكى أوجاعه بخريره
كأن حبابا ريع تحت جنابه * فاقبل يلقى نفسه فى غديره

وقال الطغرائى يصف كوكب الرجم

وليل ترى الشهب منقضة * بها نحو مسترق سمعه
كما مد من ذهب مدة * على لازوردية الرقعه

وما أحسن قول بعضهم فيه

وكوكب أبصر العفريت مسترقا * للسمع فانقض يذكى اثره لهبه
كفارس حل من تيه عمامته * وجرها كلها من خلفه عذبة

وقال الطغرائى يصف الهلال والثريا

وترى الثريا والهلال مظاهرا * لعنبر من حليه ومحصد
كالحب فضل فى وشاح خريدة * حسناء تطلع فى لثام أسود
فكأنه وكأنها فى جنبه * عنقودة فى زورق من عسجد

قلت وقول ابن طباطبا العلوى أحسن ما قيل فى هذا الباب

اما والثريا والهلال جانهما * لى الشمس اذ ودعت كرها نهارها
كأسماء اذ زارت عشاء وغادرت * دلالا لدينا قرطها وسوارها

وتشبيه ابن المعتز أكمل من ثالث الطغرائى حيث قال

قد انقضت دولة الصيام وقد * بشر سقم الهلال بالعيد
يتلو الثريا كفاغر شره * يفتح فاه لاكل عنقود

وقال ابن المعتز أيضا

زارنى والدجا أحم الحواشى * والثريا فى الغرب كالعنقود
وهلال السماء طوق عروس * بات يجلى على غلائل سود

وشبهها ابن قلاقس تشبيها حسنا فقال

يارب ليل أشتهى لباسه * قد عطر الوصل لنا أنفاسه
دع امرئ القيس ودع أمراسه * فترى الهلال سرعة قد قاسه

منسساغه والثريا براسه * هل تعرف العرجون والكباسة

ولمحمد بن الخياط الدمشقى فى تشبيه الهلال قريبا من كوكبين

لاح الهلال كما تعوج درهفا * والكوكبان فأعجبا بل أطرفا

متتابعين تتابع الكعبين فى * رمح أقيم الصدر منه وثقفا

فكأنه وقد استقاما فوقه * كف بخالف أكرتين تلقفا

ولآخر فى تشبيهه مع الزهرة

أما رأيت الافق لما غدا * هلاله ملتقم الزهرة

كعاشق قبل معشوقة * فالتقمت من فمه درة

ولآخر فى تشبيهه مع انقضاض النجوم

كأنما الليل والهلال وقد * وافت نجوم السماء منقضة

رام من الزنج قوسه ذهب * تندر منه بنادق الفضة

(أنشدنى) من لفظه لنفسه الشهاب أبو الثناء محمود بدمشق سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة فى تشبيه الثريا والهلال والدارة

كأن الثريا والهلال ودارة * حوته وقد زان الثريا التثامها

حباب طفا من حول زورق فضة * بكف فتاة طاف بالراح جامها

وقال الطغراءى فى تقابل الشمس والقمر

وكأنما الشمس المنيرة اذ بدت * والبدر يجنح للغروب وما غرب

متحاربان لذا مجن صاغه * من فضة ولذا مجن من ذهب

(قلت) وقال الشريف دفتر خوان

تأمل اذا ما قابل البدر شمسه * صباحا وكل يملأ الافق أنوارا

كأن الذى ألقى الى الغرب درهما * لحاجته ألقى الى الشرق دينارا

وقال الطغراءى فى الهلال

قوموا الى لذاتكم بانيام * وتمموا العود وصفوا المدام

هذا هلال الفطر قد جاءنا * بمنجل يحصد شهر الصيام

(قلت) وأحسن منه قول ابن المعتز

العرجون أصل الكباسة وسمى بذلك لانعراجه وانعطافه والكباسة العذق وهو جامع الشماريخ اهـ

تندر أى تسقط اهـ

انظر الى حسن هلال بدا * يهتك من أنواره الحندسا
كمنجل قد صيغ من عسجد * يحصد من زهر الدجا نرجسا

ومن أحسن ما قيل فى وصف الهلال قول علاء الدين النابلسى

هلال شوال مازالت مطالعه * يرنو اليها الورى من شدة الفرح
كاصبعى كف ندمان أشار الى * ساق لطيف يروم الاخذ للقدح

وقول أبى الحسين الجزار

ان هلال الفطر لما بدا * مستحسنا فى أعين الناس
وددت أن ألثمه عندما * راح بها كى شفة الكاس .

وقول ناصر الدين حسن بن النقيب

اعملت فكرى فى السماء وقد بدا * فيها هلال جسمه منهوك
فكأنما هى شقة ممدودة * وكأنه من فوقها مكوك

وقلت انا وفيه تشبيهان باستعارتين

حكى هلال الافق لما مضت * له ثلاث واعتلى واستنار
مرآة خد بعضها ظاهر * والبعض منها فى غلاف العذار

وقد جمع بعض الافاضل فى وصف الهلال ما يقارب السبعين وأنا أذكر الآن هنا ما يمكن من تشبيه ولم أذكر الشاهد عليه خوفا من الاطالة فأقول المقدم على ذلك كله تشبيه القرآن العظيم بالعرجون وشبه بحاجب النوبى الشائب وبقلامة الظفر وبضلع ملقاة فى فلاة وبالصدع فى الزجاج وبالزورق وبحرف النون وبشفرة السكين وبالنؤى وبالسرج وبمخلب الطائر وبناب الفيل وبالخلخال وبالسوار وبالدملج وبطوق عروس وبوقف من عاج وبالقوس وبمليحة انتقبت وبأثر الظفر فى تفاحة وبزبانى عقرب من فضة وبمقبضى سرطان من ذهب وبراكع منحن وبمشكانه وبعين المليحة وبقراضة دينار وبالفخ وبالمنجل وبطرف الصدغ وبالمكوك وبشفة الكاس وبوجه مسافر رفع العمامة عن جبينه وبجانب مرآة انكشف عنها الغلاف وباكليل

النؤى هو الحفير حول الخباء أو الخيمة يمنع السيل اه

الوقف السوار من العاج اه

قوله بعين وفى نسخة بغيبة فليتأمل اه

ملك وبأثر الحافر وبنعل الحافر وبالعذار الشائب وبالسنان المنعطف وبعطفة اللام وبصولجان وبطيلسان مقور وبنصف زردة وقد ذكرت الشواهد على هذه التشبيهات فى مقتضب لى مسمى بالتنبيه على التشبيه وقال الطغراءى رحمه الله

ساحجب عنى أسرتى عند عسرتى * وأبرز فيهم ان أصبت ثراء

ولى أسوة بالبدر ينفق نوره * فيخفى الى ان يستجد ضياء

ينفق من نفق كفرح ونصر ومعناه قل ا هـ

(قلت) أخذه من قول أبى بكر الخوارزمى

رأيتك ان أيسرت خيمت عندنا * لزاما وان أعسرت زرت لماما

فما أنت الا البدر ان قل نوره * أغب وان زاد الضياء أقاما

والاصل فى هذا المعنى قول عبد الله بن معاوية بن جعفر بن أبى طالب حيث قال

اذا افتقرت نفسى قصرت افتقارها * عليها فلم يظهر لها أبدا فقرى

وان ألتق فى الدهر مندوحة الغنى * يكن لاخلائى التوسع فى العسر

فلا العسر يزرى بى اذا هو نالنى * ولا اليسر يوما ان ظفرت به فخرى

على ان الخوارزمى أخذ المعنى من قول ابراهيم بن العباس الصولى فى محمد بن عبد الملك الزيات

أسد ضار اذا مانعته * وأب بر اذا ما قدرا

يعرف الابعد ان اثرى ولا * يعرف الادنى اذا ما افتقرا

ولكن الخوارزمى أراد ان يضرب لهذه الحالة مثالا فى الخارج فلم يجده الا فى القمر فزاد ذلك حسنا وعكس الوراق الخطيرى هذا المعنى أعنى قول الطغراءى فقال

قد كان يجمع صحبه فى فقره * فتفرقوا عنه لطول ثرائه

مثل الهلال ترى الكواكب حوله * فاذا استتم تغيبوا لضيائه

(الكلام فيما يتعلق بالقصيدة من العروض والقافيه) العروض مؤنثة لانها مشتقة اما من الناحية والمراد بذلك الناحية التى قصدتها العرب قال

الاخنس بن شهاب

لكل اناس من معدّ عمارة * عروض اليها يلجئون وجانب

واما من قولهم ناقة عروض أى صعبة والمراد بذلك انها يراض بها الصعب حتى يدخل الوزن وهذا أحسن من قول من قال مأخوذ من العرض لان الشعر يعرض على هذه الاوزان فما وافق كان صحيحا وما خالف كان سقيما اذ الصحيح انه معروض عليه اللهم الا ان يقال مفعول بمعنى فعول وليس بشئ وعلى هذا تكون العروض مذكرة واما من العروض أى الطريق التى فى الجبل والمراد الطريقة المسلوكة التى تسلكها العرب وقيل لما شبهوا البيت من الشعر ببيت من الشعر شبهوا العروض التى تقيم وزنه بالعروض وهى الخشبة المعترضة فى سقف البيت كما شبهوا الاسباب بالاسباب والاوتاد بالاوتاد والفواصل بالفواصل والعروض اسم لآخر الجزء الذى هو نصف البيت الاول وانما سمى عروضا لكثرة دورة كما سمى علم المواريث فرائض لكثرة قولهم فرض الزوج كذا فرض الام كذا وأما حده علم العروض اصطلاحا فانه علم بمعرفة أوزان شعر العرب وقال الجاحظ العروض ميزان الشعر ومعياره وبه يعرف الصحيح من السقيم والمعتل من السليم وعليه مدار القريض من الشعر وبه يسلم من الأود والكسر (قلت) هذا أليق بالوصف من الحد وقال الجوهرى العروض ميزان الشعر وهى ترجمة عن ذوق الطباع السليمة وقال على بن عبد الرحمن علم يدرك به معرفة ما تعتقده العرب من كلامهم شعرا وأقول انا العروض آلة قانونية تعصم مراعاتها الانسان عن ان يضل فى وزن شعر العرب وهذا الاحتراز الاخير أتيت به لان اللغة اليونانية فيها شعر ولهذا نسمعهم يقولون سولون الشاعر وقال أرسطو حكيم اليونان وخطيبهم وشاعرهم وليس الشعر عندهم ما يكون ذا وزن وقافية ولا ذلك ركن فيه بل الركن فى ذلك ايراد المقدمات المخيلة فحسب فان كانت المقدمة التى ترد فى القياس الشعرى مخيلة فقط تمحض القياس شعريا وان انضم الى المقدمة قول اقناعى تركبت المقدمة

من

من معنيين شعري واقناعي قال أرباب المنطق القياس الشعري قول مؤلف من مقدمات مخيلة تؤثر في النفس تأثيرا عجيبا من قبض أو بسط كقول القائل مخ البيضة عذرة والخمر ياقوت سيال فالاول يؤثر في النفس انقباضا والثاني انبساطا (وذكر) لي العالم العلامة شمس الدين محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصاري ان الشعر اليوناني له وزن مخصوص ولليونان عروض لبحور الشعر والتفاعيل عندهم تسمى الايدي والارجل قال ولا يبعد أن يكون وصل الى الخليل بن أحمد شيء من ذلك فأعانه على ابراز العروض الى الوجود انتهى والحاجة ماسة وداعية الى معرفة الوزن وما يجوز من الزحاف في كل بحر وما لا يجوز فقد وقع في ذلك جماعة من كبار العرب كالمرقش ومهلهل وعلقمة ابن عبدة وعبيد بن الابرص وغيرهم وجماعة من كبار المحدثين كابي العتاهية والبحتري وأبي الطيب وحسبك بوقوع مثل هؤلاء الفحول في الخروج عن الوزن واذا اتفق مثل هذا المثل هؤلاء فما الظن بغيرهم وقال قوم لا حاجة الى العروض لانّ كل من نظم بالعروض شق ذلك عليه وأتى به متكلفا ولا يتأتى له وزن البيت الواحد بل الكلمة الواحدة يدخلها الوزن وينظر في حركاتها وسكناتها وهل هي من سببين وفاصلة صغرى أو لا الى غير ذلك من التفصيل الا بعد مكابدة مشقة عظيمة والى أن ينظم الناظم بالعروض بيتا نظم صاحب الطبع السليم قصيدة وما أحسن قول أبي فراس ابن حمدان

تناهض الناس للمعالي * لما رأوا نحوها نهوضي
تكلفوا المكرمات كدّا * تكلف النظم بالعروض

وقول ابن حجاج

مستفعلن فاعلن فعول * مسائل كلها فضول
قد كان شعر الورى صحيحا * من قبل أن يخلق الخليل

(قلت) هذا الوزن يعرف بمخلع البسيط ولا بدّ للباغي من مصرع فان ابن الحجاج بغى على الخليل فأورده بغيه مصرعا فظيعا وأوقعه الله في زحاف هذا

الوزن بعينه لانه قال أول قصيدته البائية

النيل عندي أحلا وأطيب * من عنب أصفر مزبب

فان وزنه مستفعلن فاعلن فعولن فهو كما ترى غير فاعلن بفعولن فزاد سببا خفيفا في قوله عندي أحلا وقال ابن نقادة يهجو

أعيد من سماك انسا كاذب * ما للوجاشة عن خلالك معدل

وأقمت ميزان العروض وقد غدا * تقطيع كاملها بوصفك يكمل

مستصفع مستقود مستجهل * مستحمق مستبرد مستثقل

مستفعلن مستفعلن مستفعلن * مستفعلن مستفعلن مستفعل

ولقائل ان يورد على العروض ما أورد على المنطق وعلم المعاني فيقول ان كان هذا العلم من النظريات فليستغن عن تعلمه والا افتقر الى علم آخر ودار او تسلسل ولان اصابة الانسان في الاتيان بما ينظمه من بحور الشعر على اختلاف أوزانها من غير مراعاة هذا العلم تنفي الحاجة اليه وقال الجاحظ العروض علم مستبرد ومذهب مرفوض وكلام مجهول يستكد العقول بمستفعلن ومفعول من غير فائدة ولا محصول (يحكى) ان أبا جعفر أحمد ابن النحاس المصري النحوي كان جالسا على درج المقياس في سنة لم يزد فيها النيل والناس من أمره في شدة وهو اذ ذاك يقطع في بيت شعر فربه انسان فسمعه يتكلم بكلام غير معقول المعنى فتوهما فيه انه يسحر النيل فدفعه الى البحر فغرق (ويحكى) ان بعض الاكابر مر بامرأة من بعض أحياء العرب فقال لها ممن المرأة فقالت من بني فلان فاراد العبث بها فقال لها أتكتنون فقالت نعم نكتني فقال لها معاذ الله ولو فعلته لاغتسلت فاجابته على الفور وقالت له دع ذا أتعرف العروض قال نعم قالت قطع لي قول الشاعر

حولوا عنا كنيستكم * يابني حمالة الحطب

فلما أخذ يقطعه وقال حولوا عن نا كني فقالت من هو فتعجب وقال الله أكبر ان الباغي مصرعا وقد روى صاحب العقد وغيره هذه الحكاية واختلفوا فيها وزادوها بيتا آخر والذي اعتقده انها موضوعة وعلى الجملة فلا

باس بمعرفة ما أمكن من العروض وأحسن ما فيه معرفة فك الدوائر وبمعرفة ذلك يعرف قدر واضعه الذي استنبطه فانه كان ذا ذهن متوقد وعقل صحيح وفطرة سليمة قيل انه قال أريد ان أضع قاعدة في الحساب اذا توجهت الجارية بها الى البقال ومعها درهم لا يكاد يظلمها في فلس واحد ثم أخذ يفكر فيها وهو في المسجد ذاهبا وراجعا فبينا هو مشغول عن نفسه لطمته السارية فمات منها (ومن فوائد) علم العروض فصل القضية فيما يتنازع فيه هل هو شعر عربي أم لا وقد رأيت للشيخ جمال الدين بن واصل كلاما على قول البهاء زهير

يا من لعبت به شمول * ما ألطف هذه الشمائل

الابيات فقال فيها انها غير داخلة في أبحر العروض وتابعه جماعة والصحيح أنها من بحر الوافر الا أنه دخل فيه العقص وهو اجتماع الخرم بالراء والنقص فيخالفه مفعول بتحريك اللام وشاهده

لولا ملك رؤف رحيم * تداركني برحمته هلكت

تقطيع بيت البهاء زهير وتفعيله

يا من لـ عبت به شمول * ما ألط ف هذه الشمائل

مفعول مفاعلن فعولن * مفعول مفاعلن فعولن

ورأيت قصيدة أظنها لابي الحسين الجزار مطلعها

يا عاذلي هجر المحبوب أو وصلا * أنا الذي لا أرى في حبه بدلا

هذا البيت من البسيط ويخرج منه وزن آخر من المديد وهو

هجر المحبوب أو وصلا * لا أرى في حبه بدلا

وأما عروض قصيدة الطغرائي هذه فانها من الضرب الاول من البسيط والبسيط نفسه مركب من مستفعلن فاعلن أربع مرات وعروضه الاولى مخبونة والضرب مثلها ولم يأت عن العرب سالما لا العروض ولا الضرب ولا يحسن ذوقهما في السمع الا مزاحفين وهو أمر غير معقول المعنى والخبن هو حذف الثاني الساكن فيرجع مستفعلن الى مفاعلن وفاعلن الى فعلن

وانما سمى البسيط بسيطا لانبساط السببين على الوتد فى أول جزء وهو مستفعلن لانها مركبة من سببين خفيفين ووتد مجموع وقيل لانه بسطت أسبابه من أسباب الطويل لانه فلك منه فان عيلن مفاهو مستفعلن وقيل لانه كانت عروضه فاعلن وضربه كذلك فصار افعلن فانبسطت الحركات فى قاعدتيه لان الالف كانت فاصلة ومانعة من انبساط الاولى الى الثانية فهو فعيل بمعنى مفعول وهذا أحسن ما علل به والبيت مقفى لانه فى العروض بحرف الروى وهو اللام استعجالا لبيان القافية للسامع ثم فى التقفية لم يلتزم ذلك وليس بمصرع لان من شرط التصريع تغيير العروض عن زنتها الى زنة الضرب وهاهنا لم يتغير للعروض وزن والتصريع أخص من التقفية لان كل مصرع مقفى من غير عكس (ذكرت) هنا لغزا أنشدنيه بعض الاصحاب لشمس الدين بن الصائغ الحنفى

يا عروضيا له فطن * بحرها بالفكر يضطرب

ايما اسم وضعه وتد * وهو ان صحفته سبب

ويرى فى الوزن فاصلة * ساكن تحريكه عجب

وهذا اللغز ظاهره مشكل اذ الوتد غير السبب والسبب غير الفاصلة عند العروضى واللغز هو فى جبل وأراد بالوتد قوله تعالى والجبال أوتادا وهو فى تصحيفه حبل وهو السبب لغة ووزنه فاصلة صغرى لان جبلا ثلاثة أحرف متحركة بعدها ساكن وقد جمع مثال السببين والوتدين والفاصلتين فى قول القائل لم أر على ظهر جبل سمكة ونقلت من خط السراج الوراق له

أنا الذى مرضت شهرا كاملا * فما رأيت عائدا ولا صلة

لولا الوزير الصاحب البدر الذى * نعماه لى مع الزمان واصلة

شارف قلما وتدى وخاف قط * عاسببى فقلت هذى الفاصلة

ومن شعره أيضا

قالت جمعت لفاقة كسلا * فانهض وقم وادأب لهم العائلة

فأجبت هل تدرين لى سببا * قالت ولا وتدا وهذى الفاصلة

ونقلت من خطه أيضا له

مالى ونظم الشعربانت صبوتى * والناس قد رغبوا عن الآداب
أأقوله عبثا بلا سبب له * والشعر مبنى على الأسباب

أنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة

من منصفى من أناس * فيهم تحير ذهنى
لادرهما وزنوه * وحاولوا الشعر منى
وهل سمعتم بشعر * يأتى على غير وزن

وما أحسن قول الغزى

قالوا هجرت الشعر قلت لهم نعم * باب الدواعى والبواعث مغلق
خلت الديار فلا كريم يرتجى * منه النوال ولا مليح يعشق
ومن العجائب انه لا يشترى * ويخان فيه مع الكساد ويسرق

والبسيط من الدائرة الاولى وهى دائرة المختلف وانما سميت بذلك لاختلاف أجزائها وهذه الدائرة تجمع ثلاثة أبحر وهى الطويل والمديد والبسيط أنشدنى بعض الاصحاب لغزا حسنا وهو

يا أيها الحبر الذى * علم العروض به امتزج
أبن لنا دائرة * فيها بسيط وهزج

ثم قال ان العالم العلامة نجم الدين أبا الحسين على بن داود القحفيرى أنشده لبعض الطلبة فى حلقته ففكر ساعة طويلة ثم قال هذا فى الساقية فقال له الشيخ أصبت الا أنك درت فيها زمانا طويلا حتى وقفت على المقصود (قلت) وهذا من الشيخ أحسن من فك اللغز فانه ظرف فى التندير واللغز ظاهره مشكل لانه ليس فى دوائر العروض ما يجمع البسيط والهزج لان البسيط من دائرة المختلف والهزج من المجتلب وأوهم بالبسيط وهو يريد الماء لانه أحد البسائط وأوهم بالهزج وهو يريد الصوت اللذيذ المسموع من الساقية حال الدوران ومن أبيات المعاياة فى العروض قول الشاعر

يا أيها القوم برتنى الخطوب * وخيال اذا رجعت يوما يؤوب

فانه يخرج من ثلاثة أبحر الاول من الضرب الثالث من الطويل الا ان أول النصف الاول مخروم بالراء المهملة أى ناقص حرفا وأول النصف الثانى مخزوم بالزاى المعجمة أى زائد حرفا والثانى من الضرب الاول من المديد الا انه مخزوم الاول بالزاى أى زائد حرفين ومخزوم أول النصف الثانى بزيادة اربعة أحرف والثالث من الضرب الاول من السريع وذلك اذا سكنت الباء وجعلت القافية مردوفة لكن فى أول النصف الثانى خزم بزيادة حرفين ويمكن عليه ان يخرج أيضا من الضرب الثانى من المديد وتقطيع البيت

أصالة الـ رأى صا نتنى عن الـ خطل * وحلية الـ فضل زا نتنى لدى الـ عطل

مفاعلن فاعلن مستفعلن فعلن * مفاعلن فاعلن مستفعلن فعلن

وأما القافية فانها من المتراكب وأقول القافية لغة تطلق على القصيدة قالت الخنساء

وقافية مثل حد السنا * ن تبقى و يذهب من قالها

واشتقاقها من قفوت اثره اذا تبعته كأن الشاعر يتتبع الكلام التى تناسب ما بنى قصيدته عليه فحينئذ تكون فاعلة بمعنى مفعولة أى مقفوة كقوله تعالى عيشة راضية أى مرضية وقوله من ماء دافق أى مدفوق أوكأن كل قافية تقفو صدر البيت الاول وما أحسن قول أبى تمام الطائى

وتقفو لى الجدوى بجدوى وانما * يروقك بيت الشعر حين يصرع

والقافية اصطلاحا اختلفوا فيها اختلافا كثيرا وأصح الاقوال ما ذهب اليه الخليل بن أحمد من انها من آخر حرف فى البيت الى أول ساكن يليه مع حركة الحرف الذى قبله لانك ترى هذا القول منتظما بجميع العوارض فى القافية من حروف وحركات تراعى احكامها ومتى اختل شئ مما شرطه فسدت القافية وانما أنثوا القافية مع كون الحرف أو الروى مذكرا لان حروف المعجم كلها مؤنثة تقول هذه ألف مستقيمة و جيم حسنة والمتراكب من القوافى ما كان فى آخر البيت فاصلة صغرى وهى ثلاث حركات بعدها ساكن وكذلك الخطل الخاء والطاء واللام متحركات والياء ساكنة وسمى

هذا النوع متوا كالترا كب حركاته وهو دون المتكاوس لان التكاوس هو الاضطراب والمتكاوس أربع متحركات والاضطراب أشد من التراكب فالروى فى هذه القصيدة هو اللام لانها الحرف الذى بنيت القصيدة عليه والروى فى اللغة هو الجمع والاتصال والضم ومن ذلك الرواء وهو الحبل الذى يشد به المتاع والاحمال قال الراجز

انى اذا ما القوم كانوا أنجيه * واضطرب القوم اضطراب الارشيه

وشد فوق بعضهم بالاروية * هناك توصينى ولا توصى بيه

وقيل للماء الكثير روى لاجتماع الناس اليه فكأن هذا الحرف يربط القصيدة ويجمعها والياء التى بعد اللام فى القصيدة هى الوصل وسمى الوصل بذلك لانه وصل حركة المجرى وهى حركة الروى قلت قول الشاعر

يوشك من فر من منيته * فى بعض غراته يوافقها

هذه القافية وأمثالها نهاية ما يمكن ان يجتمع فى قافية وذلك لانه اجتمع فيها خمسة أحرف وهى التأسيس والدخيل والروى والصلة والخروج وكل واحد من هذه يلزم تكراره الا الدخيل واجتمع قبله أربع حركات وهى الرس والاشباع والاطلاق والنفاذ فهذه تسعة أشياء اجتمعت فى قافية واحدة كما ترى فالالف فى الكلمة تأسيس وحركة الواو التى قبلها رس والفاء دخيل وحركتها اشباع والقاف روى وحركتها اطلاق ومجرى ان شئت والهاء صلة وحركتها نفاد والالف خروج (ذكرت هنا) ما كتب به بعض ادباء الاندلس الى الفقيه أبى عبد الله المازرى بالمهدية وهو

ربما عالج القوافى رجال * تلتوى تارة لهم وتلين

طاوعتهم عين وعين وعين * وعصتهم نون ونون ونون

فأبن لى ما طاوعهم وما عصاهم فأجاب طاوعهم العجمة والعى والعجز وعصاهم اللسان والجنان والبيان قلت ما أجاب بشئ ومال عن الجدا الى الهزل وما ناسب بين الاول والثانى وكان ينبغى أن يقول عوض الثلاثة الاخيرة التى ذكرها النحو والنقل والنظم أو يقول طاوعهم الهلع والجزع والطبع

وعصاهم اللسان والجنان والبيان لتكون أواثر الكلمات من القسمين متناسبة وكذلك الاواخر منهما ومثل هذا الجواب ماحكاه ضياء الدين بن الاثير في المثل السائر بعد ماساق لغزا في الخلخال وهو

ومضروب بلاجرم * مليح اللون معشوق
له شكل الهلال على * مليح القد ممشوق
وأكثر مايرى أبدا * على الامشاط في السوق

قال وبلغني أن بعض الناس سمع هذه الابيات فقال دخلت السوق فلم أر على الامشاط شيئا انتهى قلت ولو قال دخلت فلم أر على الامشاط في السوق غير الكتان لكان أغرب وقد أوهم بالامشاط التي يرجل بها الشعر وهو يريد أمشاط الاقدام والسوق جمع ساق ومما اتفق لي نظمه في الخلخال

أيا عجبا من صابر صامت ولم * يفه بكلام قط في ساعة الضرب
أقام ولم يبرح مكانا ثوى به * على أنه أضحى يدور على الكعب

واتفق لي فيه أيضا

ماأصفر دار على أبيض * لان ولكن قلبه قاسي
ورب ساق غص منه وما * أحسن هذا الوصف في الناس

(وأما الجواب) عن البيتين المتقدمين في ذكر القوافي فهو ماوقفت عليه بالقاهرة المعزية بخط الفقيه كمال الدين أبي العباس أحمد بن سليمان بن ابراهيم الطوخي الشافعي صهر الشيخ جمال الدين أبي عمرو بن الحاجب وصورته أنشدني الشيخ جمال الدين بن الحاجب ماذكره بعض أصحاب التاريخ في المعميات وذكر البيتين ثم قال كتب هذان البيتان الى حاذق باخراج المعميات فأقام ستة أشهر ينظر فيهما الى ان كشفهما ثم حلف بأيمان مغلظة انه لاينظر في معمى أبدا ولم يذكر تفسيرهما أصلا قال الشيخ جمال الدين فأضربت عن النظر فيهما لما تبين من عسرهما من سياق الحكاية ثم بعد أربعين سنة خطر الى بالليل فأفكرت فيهما فظهر لي أمرهما وانه انما أراد بقوله طاوعتهم عين وعين وعين يعني نحو يد وغد ودد لانها عينات

مطاوعة فى القوافى مرفوعة كانت أو منصوبة أو مجرورة وكل واحد منها آخره عين الكلمة لان وزن غدفع وو زن يدفع ووزن ددفع وأراد بقوله وعصتهم نون ونون ونون الحوت لانه يسمى نونا والدواة لانها تسمى نونا والنون أحد حروف الهجاء وكلها نونات غير مطاوعة فى القوافى اذ لا يلتئم كل واحد منها مع الآخر ثم انه نظم فى ذلك بيتين وسبك الجواب فيهما على الوزن والقافية فقال

وغدمع يددد هي حروف * طاوعت فى الروى وهي عيون
ودواة والحوت والنون نونا * ت عصتهم وأمرها مستبين

ثم قال ولا يشك عارف بالمعميات انه لم يرد سوى ذلك انتهى وعلى ذكر القافية فنقلت من خط السراج الوراق له

قلت صلنى فقد تقيدت فى الحب * بأسر والاسر فى الحب ذل
قال يامن يجيد علم القوافى * لا تغالط ما للمقيد وصل

وقال الاسعد بن مماتى يصف قصيدة مقيدة

تبكى قوافى الشعر لامية * يمضها جهلا فسودتها
لما علا وسواس ألفاظها * ظننتها جنت فقيدتها

(وقلت) أخاطب أمرد يسرق نظمى

ان كان لابد لمولاى أن * يأخذ شعرى جملة كافية
قافية البيت اطرح لفظها * وقم خذ الكل بلا قافية

(وهذا أول القصيدة قال الطغرائى)

(أصالة الرأى صانتنى عن الخطل * وحلية الفضل زانتنى لدى العطل)

اللغة (أصالة) مصدر أصل الشئ أصالة مثل ضخم ضخامة ومجد أصيل ذو أصالة ورجل أصيل الرأى محكمه قال ابن الانبارى الاصيل القوى الذى له أصل (الرأى) مصدر رأى رأيا مهموز ويجمع على آراء وأرءاء أيضا مقلوب منه والرأى هو التفكر فى مبادى الامور ونظر عواقبها وعلم ما تؤول اليه من الخطا والصواب وأصحاب الرأى عند الفقهاء هم أصحاب القياس

والتأويل كأصحاب أبي حنيفة وأصحاب أبي الحسن الاشعري وروى نوح الجامع انه سمع أبا حنيفة يقول ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس والعين وما جاء عن الصحابة اخترنا وما كان من غير ذلك فهم رجال ونحن رجال وقال يحيى القطان لا نكذب الله ما سمعنا أحسن من رأى أبي حنيفة وقد أخذنا أكثر أقواله وقال أبو يوسف قال أبو حنيفة علمنا هذا رأى وهو أحسن ما قدرنا عليه فمن جاءنا بأحسن منه قبلناه وقال ابن حزم جميع الحنفية مجمعون على ان مذهب أبي حنيفة ان ضعيف الحديث عنده أولى من الرأى قلت وقول أبي حنيفة يشبه قول الخليل بن أحمد حيث قال مثلي في النحو كمثل رجل دخل دارا قد صح عنده حكمة بانيها فقال انما كان الاثوان هنا لكذا والصفة هنا لكذا فان وافق نية البانى والا فقد أتى بما يقبله العقل والشافعي احتاط لمذهبه فقال اذا صح الحديث فهو مذهبي أو واضربوا بمذهبي عرض الحائط وبهذا احتج الشيخ محيي الدين النووي وصحح امتداد وقت المغرب الى غيبوبة الشفق قال أبو الحكم منذر بن سعيد البلوطي

عذيرى من قوم يقولون كلما * طلبت دليلا هكذا قال مالك
وقد قاله ابن القاسم الثقة الذى * على قصد منهاج الهدى هو سالك
فان عدت قالوا هكذا قال أشهب * وقد كان لا تخفى عليه المسالك

(قال) الشافعي ما رأيت كاهل مصر اتخذوا الجهل علما لانهم سألوا مالكا عن مسائل فقال لهم لا أعلمها فهم لا يتعلمونها ممن يعلمها لان مالكا قال لا أعلمها وأصحاب الرأى والتأويل ضد أصحاب الظاهر كالحنابلة واتباع داود وابن حزم الظاهرين (أنشدني) الحافظ المحدث الاديب فتح الدين محمد بن أبي عمرو محمد بن أبي بكر بن محمد بن سيد الناس اليعمري بالقاهرة المحروسة قال انشدني والدي قال انشدني الحافظ أبو العباس أحمد بن محمد بن مفرج النباتي قال أنشدني أبو الوليد سعد السعود بن أحمد بن هشام قال أنشدني الحافظ أبو العباس أحمد بن عبد الملك قال أنشدنا أبو أسامة يعقوب قال انشدني والدي الفقيه الحافظ أبو محمد بن حزم لنفسه

من عذيري من أناس جهلوا * ثم ظنوا انهم أهل النظر
ركبوا الرأي عشادا فسروا * في ظلام تاه فيه من عبر
وطريق الرشد نهج مهيع * مثلما أبصرت في الافق القمر
وهو الاجماع والنص الذي * ليس الا في كتاب أو أثر

ولابن حزم أيضا أبيات عينية في هذه المادة أضربت عن اثباتها لطولها الا أنه ختمها بقوله

فخير الامور السالفات على الهدى * وشر الامور المحدثات البدائع

وقد بالغ في الشناع حيث قال

ان كنت كاذبة الذي حدثتني * فعليك اثم أبي حنيفة أو زفر
الواثبين على القياس تمردا * والراغبين عن التمسك بالاثر

واستطرد استطرادا قبيحا (وحاش لله) ليس أبو حنيفة وزفر ممن يقال في حقهما مثل هذا وبين الظاهرية وأصحاب الرأي والتأويل خلاف شديد في الوقف في قوله تعالى وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا فأصحاب التأويل قالوا الوقف عند قوله والراسخون في العلم بناء على أن الواو عاطفة والظاهرية يقولون الوقف على الا الله والواو استئنافية وعلى هذا لا يعلم المتشابه الا الله (قال الامام فخر الدين) وعلى هذا قول ابن عباس وعائشة والحسن ومالك والكسائي والفراء ومن المعتزلة قول أبي على الجبائي وهو المختار عندنا والاول مروى عن ابن عباس ومجاهد والربيع بن أنس وأكثر المتكلمين وقد استدل الامام في مفاتيح الغيب على ان الوقف الصحيح على قوله الا الله بستة أوجه ملخص الثاني منها ان الآية دلت على أن طلب التأويل مذموم لقوله تعالى فأما الذين في قلوبهم زيغ الى آخره ولو كان التأويل جائزا لما ذمه الله والرابع منها ملخصه لو كانت الواو في والراسخون عاطفة لصار قوله يقولون آمنا به ابتداء وهو بعيد عند ذوي الفصاحة بل كان الاولى أن يقول وهم يقولون آمنا به أو يقال ويقولون آمنا به (قلت) مذهب أبي الحسن الاشعري انما أن يرد ظاهر القرآن

قوله مهيع أي بين اه

بالتأويل الى ما يطابق العقل واما أن يجره على ظاهره ويسند العلم فيه الى الله من غير أن يحكم فيه بشئ ولا يعتقد فيه ما يقوله الحشوية فقد سئل ابن عباس عن قوله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم فقال علمه وهذا اشارة الى ان ذلك القول الاول مروى عن ابن عباس (صانتنى) تقول صنت الشئ صونا وصيانة وصيانا فهو مصون ولا يقال مصان وثوب مصون على النقص ومصوون على التمام قال الجوهرى ليس يأتى ثلاثى من بنات الواو بالتمام الاحرفان مسك مدووف وثوب مصوون فان هذين جاآنادرين والكلام مدوف ومصون لثقل الضمة على الواو والياء أقوى على احتمالها منه فلهذا جاء ما كان من بنات الياء بالتمام والنقصان نحو ثوب مخيط ومخيوط (الخطل) المنطق الفاسد المضطرب وقد خطل فى كلامه بالكسر خطلا أى أفحش وأذن خطلاء اذا كانت مسترخية كالكلاب والغنم ورمح خطل أى مضطرب ومنه سمى الاخطل لخطل كان فى أذنيه (وحلية) الحلية للسيف وغيره جمعها حلى مثل كاية وكلى وحلية الرجل صفته وليست هى مرادة هنا وانما المراد بها هنا الزينة التى يتحلى بها الانسان من الفضائل (الفضل) خلاف النقص لغة والمراد به هنا ما ينطوى عليه الانسان من العلم والادب والتجارب والممارسة للامور والاشياء التى يفضل بها الانسان غيره والفاضل بخلاف الناقص كانه فى انسانيته زائد على الجاهل (زانتنى) الزينة ما يتزين به والزين ضد الشين (لدى) بمعنى عند (العطل) مصدر عطلت المرأة اذا خلا جيدها من القلائد فهى عطل (الاعراب) اصالة مبتدا مضاف الى ما بعده والمبتدا قال الشيخ بدر الدين بن مالك هو الاسم المجرد عن العوامل اللفظية غير الزائدة مخبرا عنه أو وصفا رافعا المكتفى به وقد اختلف فى رافعه فقيل الابتداء وهو جعلك الاسم أول الكلام وهذا أمر معنوى والعامل المعنوى لم يأت عن النحاة الا فى موضعين هذا والثانى وقوع الفعل المضارع موقع الاسم حتى أعرب وهذا قول سيبويه وأكثر البصريين واضاف الاخفش اليهما

قوله فهى عطل أى بضمتين ويقال عاطل أيضا اهـ

موضعا ثالثا وهو عامل الصفة فذهب الى ان الاسم يرتفع لكونه صفة لمرفوع وينتصب لكونه صفة لمنصوب وينجر لكونه صفة لمجرور وكونه صفة فى هذه الاماكن معنى يعرف بالقلب وليس للفظ فيه حظ وما أحسن قول القائل

قالوا أحب حبيبا ماتأمله * فكيف حل به السقم تأثير
فقلت قد يعمل المعنى لقوته * فى ظاهر اللفظ رفعا وهو مستور

(ملحة) اذا عجز الفقيه عن تعليل الحكم فى المسئلة قال هذا تعبد كما يعلل المالكى غسل الاناء سبعا من ولوغ الكلب لانه قائل بطهارته فاذا أورد عليه الحديث وهو طهور اناء أحدكم اذا ولغ فيه الكلب ان يغسله سبعا قال هذا شئ تعبدنا الله به والحديث رواه مالك فى الموطأ عن أبى الزناد عن الاعرج عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا شرب الكلب فى اناء أحدكم فليغسله سبع مرات وفى حديث مسلم طهور اناء أحدكم اذا ولغ فيه الكلب ان يغسله سبع مرات اولاهن بالتراب وفى حديث آخر وعفروه الثامنة بالتراب وقال ابن حزم وروى ابن القاسم عن مالك انه ان كان فى الاناء ماء أريق وغسل سبع مرات وان كان فيه لبن أو زيت أكل ذلك ثم لا يغسل الاناء سبعا ولا أقل ولا أكثر وروى ابن وهب عن مالك انه قال يشرب الماء ويؤكل اللبن والزيت ثم يغسل الاناء سبع مرات قال وكلتا هاتين الروايتين مخالفة لما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صاحب اثارة العزم فى الرد على ابن حزم ان ابن حزم وأهل الظاهر فى معزل عن فقه هذه المسئلة وشبهها ولا شك ان هذه الاحاديث جاءت هكذا وقال الله تعالى فى الكلاب فكلوا مما أمسكن عليكم فهذه الاحاديث معارضة لعموم القرآن وعموم القرآن مقدم عند كثير من العلماء وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعدى بن حاتم اذا أرسلت كلابك المعلمة وذكرت اسم الله فكل مما أمسكن عليك قلت وان قتلن قال وان قتلن ولم يأمره بغسل الصيد ولو كان ريق الكلاب نجسا لامره بغسله ولم يؤخر البيان

عن وقت الحاجة وإذا عجز النحوى عن تعليل الحكم أيضا قال العامل هنا معنوى كما تقدم وإذا عجز الحكيم عن التعليل فى شئ قال هذا بالخاصية كما إذا طلب منه علة جذب المغناطيس الحديد (رجع) وقيل رافع المبتدا التجرد عن العوامل وليس بشئ إذ العدم لا يكون علة للوجود وفيه نظر وقيل رافعه الخبر وهو باطل لأن الخبر متأخر عنه وضعا وقيل بل هما مترافعان وقيل الابتدا رافعهما وهو ضعيف لأن المعنى ماله هذه القوة وقيل الابتدا رفع المبتدا والمبتدا رفع الخبر وهو أقرب الاقوال وقد استوفيت هذه المسئلة فى تعليقى على الحاجبية (الرأى) مجرور بالمضاف لا بالاضافة الى المبتدا (صانتنى) صان فعل ماض والتاء ضمير يرجع الى أصالة وهو فى موضع رفع لانه فاعل صان والنون الثانية نون الوقاية وهذه النون هى التى تقى الفعل من الكسر وما أحلى قول الامير امين الدين أبى الحسن على بن عثمان السليمانى

أضيف الدجا معنى الى ليل شعره * فطال ولولا ذاك ماخص بالجر
وحاجبه نون الوقاية ما وقت * على شرطها فعل الجفون من الكسر

والياء ضمير المتكلم وهى فى موضع نصب على انها مفعول صان وهذه الجملة من الفعل والفاعل والمفعول فى موضع رفع على انها خبر المبتدا وهو أصالة والاصل فى الخبر ان يكون مفردا وقد يكون جملة اسمية مثل زيد أبوه كريم وفعلية كما فى البيت (عن) حرف جر وتجئ للمجاوزة كما هنا أى تجاوزت بى عن الخطل وتجئ بمعنى بعد كقوله تعالى لتركبن طبقا عن طبق وتجئ بمعنى على كقول الشاعر

لاه ابن عمك لا افضلت فى حسب * عنى ولا أنت ديانى فتخزونى

(الخطل) مجرور بعن وسيأتى الكلام على الالف واللام فى قوله ويحررون كرام الخيل والابل (وحلية) الواو تكون تارة للعطف كهذه وهى للتشريك فى الحكم بلا ترتيب فان الواو فى قوله تعالى واسجدى واركعى ما أفادت الترتيب وقيل لعل السجود كان قبل الركوع فى ذلك الزمان ثم نسخ

قوله والتاء ضمير الى آخره الصواب أن التاء علامة التأنيث ولا محل لها لكونها حرفا وأن فاعل الفعل الذى لحقته هذه التاء ضمير يعود على أصالة كما هو ظاهر اه

قوله فى ذلك الزمان وفى نسخة فى ذلك الدين اه

وكذا قوله تعالى انى متوفيك ورافعك الى والصحيح ان المسيح عليه السلام
ماتوفى بل رفعه الله اليه لان الخبر ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم انه سينزل
ويقتل الدجال وعلى هذا لاترتيب فى الواو لكن قال ابن عباس ومحمد بن
اسحاق متوفيك أى مميتك والمقصود لا يصل أعداؤك من اليهود الى قتلك
ثم أكرمه الله تعالى بعد ذلك برفعه الى السماء واختلف فى مدة الوفاة فقال
ابن وهب توفى ثلاث ساعات ثم رفع وأحيى وقال محمد بن اسحاق سبع ساعات
ثم رفع وقال الربيع بن أنس نومه حال مارفعه واستشهد بقوله تعالى
الله يتوفى الانفس حين موتها الآية وقال ابو بكر الواسطى المراد انى متوفيك
عن شهواتك وحظوظ نفسك ومنهم من قال التوفى أخذ الشئ وافيا ولما علم
الله تعالى ان من الناس من يخطر بباله ان الذى رفعه الله انما هو روحه
ذكر ذلك ليدل على ان الله رفعه بجسده اليه ومنهم من قال كل من رفع
وانقطع خبره وأثره عن الارض كان كالمتوفى ومنهم من قال فى الكلام
حذف مضاف تقديره متوفى عملك وهو جائز (رجع) وتارة تكون بمعنى
رب وتارة للقسم وتارة تكون واو مع وتارة تكون واو الحال وتارة تكون
ضمير الفاعلين فى مثل يقومون أو علامة الرفع فى مثل الزيدون وتارة تزاد
فى مرسوم الخط فى مثل عمرو فرقا بينه وبين عمر فاذا دخل تنوين النصب عمرا فلا
دخول لها لان الفرق حاصل لكون عمر غير منصرف (حكى) ان بعضهم كان
يكتب كتابا والى جانبه آخر فكتب عمرا بغير واو فقال له ياه مولانا زدها واوا
للفرق فقال له والله لقد تفضل مولانا بزيادة واو يعنى انه تفوضل و بعضهم
يرى أن تزاد بعد لا النافية فى الجواب اذا قيل هل فعلت كذا فتقول لا
وعافاك الله (يحكى) عن الصاحب ابن عباد انه قال هذه الواو ههنا
أحسن من واوات الاصداغ فى خدود الملاح قال ابن الجوزى جمال الدين
أبو الفرج رحمه الله روينا عن عمر رضى الله عنه انه قال لرجل عرس هل كان
كذا فقال لا أطال الله بقاك فقال عمر رضى الله عنه قد علمتم فلم تعلموا
هلا قلت وأطال الله بقاك وتارة تكون الواو واو الثمانية فى مثل قوله تعالى

ثيبات وأبكارا وفى قوله تعالى الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وفى قوله تعالى وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها أتى بالواو وهنا ولم يأت بها فى ذكر جهنم لان للنار سبعة أبواب وللجنة ثمانية وستأتى أسماء الجنة والنار فيما بعد ان شاء الله تعالى (وحكى) لى بعض الافاضل عن بعض الحكام فى المدن الكبار انه ألقى درسا فى هذه الآية الكريمة وقد قال فى حق أصحاب جهنم انهم لما جاؤها فتحت لهم أبوابها على التعقيب لان الفاء للتعقيب فلم يمهلوا للدخول بل أدخلوا على الفور وأما أهل الجنة فانهم لم يضطروا الى الدخول بل امهلوا لانه قال وفتحت أبوابها (قلت) انظر الى هذه الغفلة فى الاولى والثانية كونه ظنها أولا خارجة عن الكلمة ولم تكن من أصلها ووجدها ثابتة فى الثانية فلم ينكرها ونقول هذه هى تلك الحمد لله واهب العقل اه وفى قوله تعالى ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم ولعمرى ان هذا استقراء حسن وبعض المحققين منع هذا وقال انما تقع بين المتضادين لان الثيبات غير الابكار والآمرين ضد الناهين وقال فى قصة أهل الكهف انه أتى بالواو مع الثمانية لان القول الثالث أقرب الى الحق أو هو الحق لانه قال فى القولين الاولين رجما بالغيب وفى الثالث قال تعالى قل ربى أعلم بعدتهم وقال فى قصة أهل الجنة وأثبت الواو لان أبواب جهنم لا تفتح الا عند دخول أهلها زيادة فى الضيق على من بها وأما أبواب الجنة فانها تفتح لاهلها قبل دخولهم اليها اكراما لهم لقوله تعالى جنات عدن مفتحة لهم الابواب ورد هذا القول بأن الواو دخلت مع تعدد الصفات فى قوله تعالى غافر الذنب وقابل التوب ولم تدخل فى قوله تعالى الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن الآية ولا تضاد بين الغفران وقبول التوبة (قلت) لو سقطت الواو من أبكارا لاختل المعنى لانهن لا يكن ثيبات أبكارا معا فاضطر الى الواو لتدل على المغايرة قال الشيخ جمال الدين بن الحاجب رحمه الله ان القاضى الفاضل رحمه الله كان يعتقد زيادة الواو فى هذه الآية ويقول هى واو الثمانية الى أن ذكر ذلك بحضرة الشيخ أبى الجود المقرى فبين له انه وهم وان

الضرورة تدعو الى دخولها هنا والا فسد المعنى بخلاف واو الثمانية فانه يؤتى بها لا لحاجة فقال ارشدتنا يا أبا الجود اه والامام فخر الدين اعترف بأن الواو فى قوله تعالى وثامنهم كلبهم واو الثمانية وعلى الجملة ففى هذه الواو مباحث جليلة جمعتها فى كراسة أضربت عن اثباتها هنا خوفا من الاطالة والواو التى فى سبحانك اللهم وبحمدك قال أبو اسحاق الزجاج سألت أبا العباس المبرد عن العلة فى ظهور الواو ههنا فقال لقد سألت أبا عثمان المازنى عما سألت عنه فقال المعنى سبحانك اللهم وبحمدك سبحتك (قلت) وأما واو عمرو فقد نظم الشعراء فيها كثيرا منهم أبو نواس قال يهجو اشجع السلمى

قل لمن يدعى سليمى سفاها * لست منها ولا قلامة ظفر
انما أنت من سليمى كواو * ألصقت فى الهجاء ظلما بعمرو

(حكى) ان بعض الناس رأى فى منامه انه قد كتب على ظفره واو الجاء الى المعبر وقص الرؤيا عليه فقال له أنت دعى فى نسبك واستشهد بالبيتين وقال آخر يهجو

غير المقول عيوبه كالواو من * عمرو يرى واللفظ عنه قصير
كالنون من زيد بقال مديحه * بالالفاظ لكن لا يراه بصير

(وقال التهامى)

لغو كحرف زيد لا معنى له * أو واو عمرو فقدها كوجودها

(وكان) الجاحظ يزعم ان عمرا أرشق الاسماء وأخفها وأظرفها وأسهلها مخرجا وكان يسميه الاسم المظلوم ومعنى ذلك الزاقهم به الواو التى ليست من جنسه ولا فيه دليل عليها ولا اشارة اليها ويزعم ان هذا الاسم لم يقع فى الجاهلية الا على فارس مذكورا وملك مشهور او سيد مطاع أو رئيس متبوع ثم انه يقول بعد ذلك عمرو بن هاشم وعمرو بن سعيد الاكبر وعمرو الاشدق وعمرو بن العاص وعمرو بن حممة وعمرو بن يحيى بن قمئة وعمرو بن معدى كرب وعمرو بن عبد ود وعمرو بن الشريد وعمرو بن الحمق الى ان يذكر عمرو

ابن عبيد وعمرو بن فائد وغيرهم ثم يحتج بقول أبي نواس

فقلت له ما الاسم قال شمردل * على انني أكني بعمرو ولا عمرا
وما شرفتني كنية عربية * ولا أكتسي منه سناء ولا فخرا
ولكنها خفت فقلت حروفها * وليست كأخرى انما خلقت وفرا

قلت انما كان الجاحظ يقول هذا لان اسمه عمرو وكنيته أبو عثمان وقال أبو سعيد الرستمي

أفي الحق ان يعطى ثلاثون شاعرا * ويحرم ما بين الورى شاعر مثلي
كما سامحوا عمرا بواو مزيدة * وضويق اسم الله في ألف الوصل

(وما) أحلى قول ابن نفادة

أقل وجدي مذ تناءوا فكر * وبعض ما ألقاه فيهم سهر
أنحلني الوجد فجسمي ألف الـ * ـوصل وأسقامي ليست تظهر

(وقد) جمع السراج الوراق رحمه الله هذه الواوات في أبيات وأحسن فيها حيث قال ومن خطه نقلت

مالي أرى عمرا أني استجرت به * قد صار عمرا بواو فيه وانصرفا
ونام عن حاجة نبهته غلطا * بها فألفيت منه السهد والاسفا
والمستجير بعمرو وقد سمعت به * فما أزيدك تعريفا بما عرفا
وتلك واو ولا والله ما عطفت * ولو أتت واو عطف ما أتت طرفا
ولو أتت واو حال لم تسد ولو * أتى بها قسما ما برّ اذ حلفا
أو واو رب لما رجوت سوى أسف * وكثرته خلافا للذي ألفا
أو واو مع لم أجد خيرا أتى معها * أو واو جمع غدا من فرقة تلفا
وليت صدغا بها قد شبهوه غدا * يكوى بناري وهذا في السلو كفى
والله طمسها واو اذكرت بها * دالا بوسطى وكانت قبل ذا ألفا

(قلت) أما تشبيه الصدغ بالواو فهو كثير مشهور بين الشعراء ومن ذلك قول ابن قلاقس الاسكندري وهو مليح

قرنت بواو الصدغ صادا لمقبل * وأبديت لاما من عذار مسلسل

فان لم يكن وصل لديك لعاشق * فما ذا الذى أبديت للمتأمل

(وقال) البهازهير فى ماأظن

عسى عطفة للوصل ياواو صدغه * وحقك انى أعهد الواو تعطف

(وقول) السراج والله يطمسها واوا البيت يريد بذلك احليله وانه قد تعقف من الكبر فكان واوا لكنه منحن كالدال بعد ان كان كالالف وله فى هذا المعنى عدة مقاطيع منها قوله ومن خطه نقلت

انحل ايرى منى * كأنهم عقدوه

وصار يحضن بيضى * كأنهم رقدوه

(وقوله أيضا)

كان ايرا صار سيرا * يالطم الاكياس سخرة

كيف لاينأ ين عنى * ومعى شيب ودرة

(أنشدنى) لنفسه الشيخ زين الدين عمر بن مظفر بن عمر الوردى اجازة

وكان اذا رأيت ولو عجوزا * يبادر بالقيام على الحرارة

فاصبح لا يقوم لبدرتم * كأن النحس قد ولى الوزارة

(وقولهم) وقع رمضان فى الواوات يريدون أنه جاوز العشرين فلا يذكر الابواو عطف (وما) أحسن قول محمد بن على بن منصور بن بسام

قد قرب الله منا كل ماشسعا * كأننى بهلال الفطر قد طلعا

فخذ للهوك فى شوال أهبته * فان شهرك فى الواوات قد وقعا

(وكذا) قول بعضهم وقع الشهر فى الاذنين مرادهم انه يقال فيه احد وعشرون ثانى وعشرين فيكرر فيه الاذنين وفى أمثال العوام اذا وقع رمضان فى الاذنين خرج شوال من الكمين (رجع الى الاعراب) حلية مبتدا والنصف الثانى اعرابه كاعراب الاول وأما الذى فانها ظرف مكان موضعها النصب والعامل فيها زانت (المعنى) رأيى الاصيل يصوننى عن الاضطراب فى القول والعمل وحليتى على تزيننى عند العطل أى التعرى من أعراض الدنيا وزخرفها ولعمرى ان الانسان شئ وراء الزينة واللبس والشكل والرؤاء وقد قال

صلى الله عليه وسلم المرء بأصغريه قلبه ولسانه وقال عليه السلام المرء مخبوء تحت لسانه وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قيمة كل امرء ما يحسنه قال الجاحظ في كتاب البيان والتبيين عند ذكر هذه الكلمة لو لم نقف من هذا الكتاب الا على هذه الكلمة لوجدناها فاضلة عن الكفاية غير مقصرة عن الغاية اه (وقيل شعر)

واجهد لنفسك واستكمل فضائلها * فأنت بالنفس لا بالجسم انسان

(وأنشدني بعضهم)

كمل حقيقتك التي لم تكمل * والجسم دعه في الحضيض الاسفل

أتكمل الفاني وتترك باقيا * همــلا وأنت بأمره لم تحفل

النفس للجسم النفيسة آلة * مالم تحصــــــــله به لم يحصل

يفنى ويبقى دائما في غبطة * أبدية أوشقوة لاتنجلي

شرك كثيف أنت في حبلاته * بادر الى وجه الخلاص وعجل

من يستطيع بلوغ أعلا منزل * ما باله يرضى بأدنى مــنزل

والرأي مازال ممدوحا عند العقلاء قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه رأي الشيخ خير من مشهد الغلام وقال أبو فراس الحمداني

ولا أرضى الفتى مالم يكمل * برأي الكهل اقدام الغلام

وقال أيضا

فما شاورت الا وأصبح شيخها * ولا احتربت الا وكان فتاها

(ولو) قال استحربت مكان احتربت لكان حسنا ولما همت ثقيف بالارتداد بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم استشاروا عثمان بن أبي العاص وكان فيهم مطاعا فقال لهم لا تكونوا آخر العرب اسلاما وأولهم ارتدادا فنفعهم الله برأيه (وكان) الحباب بن المنذر يدعى ذا الرأي أشار يوم بدر على النبي صلى الله عليه وسلم ان ينزل على آخر ماء ببدر ليبقى المشركون على غير ماء وكان برأيه الخير لان ذلك أضر بكفار قريش والمشهورون بالرأي والدهاء خمسة معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة ومن الانصار

قيس بن سعد بن عبادة ومن المهاجرين عبد الله بن بديل الخزاعي رضي الله عنهم وقال بعضهم دهاة العرب أربعة معاوية بن أبي سفيان وعمرو ابن العاص والمغيرة بن شعبة وزياد بن أبيه أما معاوية فللاناة والحلم وأما عمرو فللمعضلات وأما المغيرة فللمبادهة وأما زياد فللصغير والكبير ويقال لهم ذوو الرأي العرب ومكيدتهم معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة وعبد الله بن بديل ذكرهم الشعبي في بيت

من العرب العرباء قد عد أربع * دهاة فما يوفي لهم بشبيه
معاوية عمرو بن عاص مغيرة * زياد هو المعروف بابن أبيه

ثم جمعت الستة في قولي

من العرب ان رمت الدهاة فستة * هواند فضل مالهن طفيلي
معاوية عمرو وزياد مغيرة * وقيس وعبد الله نجل بديل

وقال أبو الطيب المتنبي

الرأي قبل شجاعة الشجعان * هو أول وهي المحل الثاني
فاذا هما اجتمعا لنفس مرة * بلغت من العلياء كل مكان
ولربما طعن الفتى أقرانه * بالرأي قبل تطاعن الاقران
لولا العقول لكان أدنى ضيغم * أدنى الى شرف من الانسان
ولما تفاضلت النفوس ودبرت * أيدي الكماة عوالي المران

وقال أيضا

نفت التوهم عنه حدة ذهنه * فقضى على غيب الامور تيقنا

وقال الامير بدر الدين نشو الدولة أحمد بن نفادة

العلم للاعلام أقوى ناصب * والرأي للرايات أثبت حامل
ولربما علم المغيب من له * فهم صحيح باتضاح دلائل
وأخو الحجا بالفكر منه يستدل * على أواخر أمره بأوائل
علم المجرب شمسه يهدى بها * والرأي مرآة اللبيب العاقل
لكنه كالسيف يصدى ثم يجلى * بالاشارة لا بكف الصاقل

وقال أبو تمام

وما شيء من الاشياء أمضى * على المهجات من رأى سديد

وقال البحترى

يوم أرسلت من كتائب آرا * ئك جندا لا يأخذون عطاء

ويود الاعداء لو تضعف الجيـ * ـش عليهم وتصرف الآراء

قلت لو كان لى فى هذا البيت حكم لقلت بدل تصرف تضعف أيضا فيكون الاول من الاضعاف وهو الزيادة بالمثل والثانى من الضعف وهو المرض والوهن على ان تصرف أمدح وتضعف أصنع (وقال) على بن الجهم

فهمته جيش وعزمته سرى * وفكرته حرب وآراؤه جند

(وقال) ابن حيوس

وما البطش الشديد مفيد عز * اذا لم يعضه الرأى السديد

(وقال ابن مكنسة)

بت جاره فالعيش تحت ظلاله * واستسقه فالبحر من أنوائه

يلقى الخطوب بمثلها من صبره * والباترات بمثلها من رأيه

وقال ابن المعتز

وأثارنى الدهر عضبا مهندا * يفل شبا الخطى وقلبا مشيعا

ورأيا كمرآة الصناع أرى به * سرائر غيب الدهر من حيث ما سعى

قلت ما رأى من غيب الدهر شيئا فانه ولى الخلافة يوما واحدا ثم قتل

وقال التهامى

وللعادى رتب فى الحجا * الرأى ثم الكيد ثم الكفاح

قد يغلب المرء بتدبيره * ألفا ولا يغلبهم بالسلاح

(قيل) ان الملك العزيز ابن صلاح الدين لما أتى عمه العادل لقتاله ووصل بالعساكر الى بلبيس ضاق الامر به وأراد النفقة فى الجيوش ولم يكن عنده شئ فقيل له ان القاضى الفاضل عنده من الاموال ما يقوم بما تريده فقال أستحى ان أطلب منه شيئا فألزموه بطلبه فلما علم بوصوله دخل الى الحريم

حياء منه فتضرع القاضي الفاضل له حتى خرج اليه وحكى له القصة فقال له كل ما أنا فيه من نعمة فهي من صدقاتكم والمال عندي يكفي ماترومه ولكن دعني أتوجه الى العادل وأطلب منه الصلح فان وافق فبها ونعمت والا فالنفقة قدامنا والمحاربة امامنا ثم ان القاضي الفاضل توجه الى الملك العادل ولم يزل يسحره ببيانه ويفتك في ذروته والغارب بلسانه حتى ردّ راجعا ولم يدخل وكفى الله العز يزأمره تلك المرة برأى الفاضل ومن شعر مؤيد الدين الطغرائي صاحب القصيدة

لا تحقرن الرأى وهو موافق * حكم الصواب اذا أتى من ناقص
فالدر وهو أجل شئ يقتنى * ماحط قيمته هوان الغائص

وقال القاضي الحشيشي

ولى صاحب ماخفت مكروه طارق * من الامر الا كان لى من ورائه
اذا عضــنى صرف الزمان فانني * برايتــه اسطو عليه ورأيه

وقال أبو الفتح البستي

عول على رأيه اذا حزبت * نائبة من نوائب الزمن
فليس فى الارض معقل أشب * كرأيه من كرائه المحن

هذان الجناسان اللذان فى هذين المقطوعين من أنواع الجناس المرفو وهو ان يكون أحد ركنى الجناس مركبا من جزئين أولهما حرف من حروف المعانى وقد ذكرت ذلك مستوفى فى كتابى المسمى جنان الجناس (وما) أحلى قول أسعد بن مماتي

طبع المجنس فيه نوع قيادة * أوما ترى تأليفه للاحرف

ونظمت أنا فى هذا المعنى

ألا ان من عانى القريض بطبعه * يقود فارسله لمن صد واحتشم
ألم تره ان قال شعرا مجنسا * يؤلف ما بين الحروف اذا نظم

ونظمت فيه أيضا

ما ناظم الشعر فى محل فتى * يقود فاسمع مقالة الظرفا

ألف هذا حروفه وسمت * همة هذا فألف الحرفا

وقال ابن سنا الملك

وشاعر كاتب أديب * منتظم العقل والقياس
قلت له والفضول داء * وهو كما قيل كالعطاس
لم كنت تبغي فصرت تبغو * فقال من العشق في الجناس

وقلت أنا

تعشقته جارا أسال مدامعي * وحملني ما ليس يحمله الناس
فجار وأجرى حين جار وراجترى * فهاأنا فيه مما يروم جناس

(وقلت)

أفي محلي أناس * بهم تحلى المديح
زاروا وزانوا وزادوا * هذا الجناس المليح

(وقلت)

لله قوم حوني * من حادثات الليالي
صانوا وصابوا وصالوا * كذا جناس المعالي

(رجع القول الى الرأى) لما استولى الاسكندر على ملك فارس كتب الى ارسطو يأخذ رأيه في ذلك فكتب اليه الرأى ان توزع مملكتهم بينهم وكل من وليته ناحية سمه بالملك وأفرده بملك ناحيته واعقد التاج على رأسه وان صغر ملكه فان المسمى بالملك لا يخضع لغيره ولا ينشب في ذلك ان يقع بينهم تغالب على الملك فيعود حربهم لك حربا بينهم فان دنوت منهم دانوا لك وان نأيت تعززوا بك وفي ذلك شاغل لهم عنك وأمان لاحداثهم بعدك شيئا فلما بلغ الاسكندر ذلك علم انه الصواب وفرق القوم في الممالك فسموا ملوك الطوائف فيقال انهم لم يزالوا برأى ارسطو مختلفين أربعمائة سنة لم ينتظم لهم أمر (وحكى) ان المأمون لما هادن بعض ملوك النصارى أظنه صاحب جزيرة قبرص طلب منه خزانة كتب اليونان وكانت عندهم مجموعة في بيت لا يظهر عليها أحد فجمع الملك خواصه من ذوى الرأى واستشارهم

فى ذلك فكلهم أشار واعليه بعدم تجهيزها الامطرانا واحدا فانه قال جهزها اليهم فما دخلت هذه العلوم على دولة شرعية الا أفسدتها وأوقعت بين علمائها (حدثنى) من أثق به ان الشيخ تقى الدين أحمد بن تيمية رحمه الله كان يقول ما أظن ان الله يغفل عن المأمون ولابد أن يقابله على ما اعتمده مع هذه الامة من ادخال هذه العلوم الفلسفية بين أهلها (قلت) ان المأمون لم يبتكر النقل والتعريب بل نقله قبله كثير فان يحيى ابن خالد البرمكى عرب من كتب الفرس كثيرا مثل كليلة ودمنة وعرب لاجله كتاب المجسطى من كتب اليونان والمشهور ان أول من عرب كتب اليونان خالد بن يزيد بن معاوية لما اولع بكتب الكيميا (وللتراجمة) فى النقل طريقان أحدهما طريق يوحنا بن البطريق وابن الناعمة الحمصى وغيرهما وهو أن ينظر الى كل كلمة مفردة من الكلمات اليونانية وما تدل عليه من المعنى فيأتى بلفظة مفردة من الكلمات العربية ترادفها فى الدلالة على ذلك المعنى فيثبتها وينتقل الى الاخرى كذلك حتى يأتى على جملة ما يريد تعريبه وهذه الطريقة رديئة لوجهين أحدهما أنه لا يوجد فى الكلمات العربية كلمات تقابل جميع الكلمات اليونانية ولهذا وقع فى خلال هذا التعريب كثير من الالفاظ اليونانية على حالها الثانى ان خواص التركيب والنسب الاسنادية لا تطابق نظيرها من لغة أخرى دائما وأيضا يقع الخلل من جهة استعمال المجازات وهى كثيرة فى جميع اللغات الطريق الثانى فى التعريب طريق حنين بن اسحاق والجوهرى وغيرهما وهو أن يأتى الى الجملة فيحصل معناها فى ذهنه ويعبر عنها من اللغة الاخرى بجملة تطابقها سواء ساوت الالفاظ أم خالفتها وهذه الطريق أجود ولهذا لم تحتج كتب حنين بن اسحاق الى تهذيب الا فى العلوم الرياضية لانه لم يكن قيما بها بخلاف كتب الطب والمنطق والطبيعى والالهى فان الذى عربه منها لم يحتج الى اصلاح فاما أوقليدس فقد هذبه ثابت بن قرة الحرانى وكذلك المجسطى والمتوسطات بينهما (رجع القول الى ما يتعلق بالمأمون) والخلاف ما زال فى هذه الامة منذ توفى

رسول الله صلى الله عليه وسلم في موته ودفنه وأمر الخلافة بعده وأمر ميراثه وأمر قتال مانعي الزكاة الى غير ذلك بل في نفس مرضه صلى الله عليه وسلم لما قال ائتوني بدواة وقرطاس أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعدي على ما هو مذكور في مواطنه وقد روى انس بن مالك رضي الله عنه انه عليه أفضل الصلاة والسلام قال ان بني اسرائيل افترقوا على احدى وسبعين فرقة وان امتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة وهي الجماعة وهو صلى الله عليه وسلم الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى قد أخبر ان الامة ستفترق ومتى افترقت خالف بعضها بعضا ومتى خالفت تمسكت بشبه وحجج وناظر كل فرقة من يخالفها فانفتح باب الجدل واحتاج كل أحد الى ترجيح مذهبه وقوله بحجة عقلية أو نقلية أو مركبة منهما فهذا الامر كان غير مأمون قبل المأمون نعم زاد الشر شرا والضرر ضررا وقويت به حجج المعتزلة وغيرهم وأخذ أصحاب الاهواء ومخالفوا السنة مقدمات عقلية من الفلاسفة فادخلوها في مباحثهم وفرجوا بها مضايق جدالهم وبنوا عليها قواعد بدعهم فاتسع الخرق على الراقع وكاد منار الحق الواحد يشتبه بالتلاث الاثافي والرسوم البلاقع على ان السنة الشريفة مرفوعة المنار مأمونة الشرار خافقة الاعلام راسخة الاحكام باهرة السنا ساطعة عهدة الجنى يانعة

ويزيدها مر الليالي جدة * وتقادم الايام حسن شباب

وأهل السنة فتح لهم السلف الصالح مغالق أبوابها وذللوا بالشواهد الصادقة الصادعة ما جمح من صعابها وأطلعوا نيرها الاعظم فطمس من البدع تالي شهابها وأجنوا من اتبع هداهم ثمر اليقين متحد النوع وان كان متشابها وجاسوا خلال الحق فيز وأهل مكة أخبر بشعابها

ومن قال ان الشهب أكبرها السها * بغير دليل كذبته ذكاء

(قال) أبو بكر الصيرفي الفقيه الشافعي الاصولي كانت المعتزلة قد رفعوا رؤسهم حتى أظهر الله أبا الحسن الاشعري فحجزهم في أقماع السمسم اه

ذات

(قلت) ومن وقف على طبقات المعتزلة للقاضي عبد الجبار علم قدر ما كانوا عليه من العدد والعدد (وحكى) ان أبا الحسن الاشعري رحمه الله تعالى كان تلميذا لابي على الجبائي قرأ عليه وتمذهب بمذهبه لان الجبائي كان زوج أم الشيخ أبي الحسن فاتفق ان جرت بينهما مناظرة في وجوب الاصلح والصلاح على الله تعالى فقال له الشيخ أبو الحسن أتوجب الصلاح أو الاصلح على الله تعالى في حق عباده فقال نعم فقال ما تقول في ثلاثة صبية اخوة اخترم الله تعالى منهم أحدهم قبل البلوغ وبقي اثنان فأسلم أحدهما وكفر الآخر ما العلة في اخترام الصغير ان سأل ربه تعالى فقال لم اخترمتني دون اخوتي فقال له أبو على انه لو عاش لكفر فكان الاصلح اخترامه فقال الشيخ أبو الحسن فقد أحيى أحدهما وكفر فهلا اخترمه عملا بالاصلح له فقال له أبو على انما أحياه ليعرضه لأعلى المراتب فهو الاصلح له فقال له الشيخ أبو الحسن فهلا أحيا الذي اخترمه ليعرضه لاعلى المراتب كما فعل بأخيه اذ قلت انه الاصلح له فانقطع أبو على ولم يحر جوابا ثم قال الشيخ أبو الحسن أوسوست قال أبو على ماوسوست ولكن وقف حمار الشيخ على القنطرة ثم فارقه الشيخ أبو الحسن وخالفه وخالف سائر المعتزلة اللهم انا نسألك لطف الهداية والعصمة ودوام النعمة التي لا تناهيها نقمة والثبات بالقول الثابت حتى نحشر مع الفرقة الناجية من هذه الامة انك أهل التقوى وأهل المغفرة وولي الخيرات التي وجدناها برسولك الصادق الامين لنا مدخرة وهذا الالزام من الشيخ أبي الحسن رضي الله تعالى عنه في غاية الحسن (ومن الالزام) أيضا ما حكى انه توفى لصالح بن عبد القدوس ولد فحضر اليه أبو الهذيل العلاف ومعه ابراهيم النظام وهو صغير فوجده يتلظى حزنا على ولده فقال له لا أرى لتحرقك وجها اذ الناس عندك كالنبات فقال يا أبا الهذيل انما تحرقي لانه لم يقرأ كتاب الشكوك فقال وما هذا قال كتاب وضعته من قرأه شك فيما كان حتى كأنه لم يكن وفيما لم يكن حتى كأنه كان فقال له ابراهيم النظام فابن أنت على انه لم يمت وان كان قد مات

وعلى أنه قرأ الكتاب وان لم يكن قرأه فلم يحر جوابا (ومن الالزامات) نظما قول ابن الرومي

ماعذر معتزلي موسر منعت * كفاه معتزليا معسرا صفدا
أيزعم القدر المحتوم ثبطه * ان قال ذاك فقد حل الذي عقدا

(وسمعت) الشيخ تقي الدين بن تيمية ينشد

أصفح الجبر الذي * بقضا السوء قد رضى
فاذا قال لم فعلت * فقل هكذا قضى

(وما) أحسن قول بعضهم

لئن كان حكم النجم لاشك واقعا * فما سعينا في رده بنجيح
وان كان بالتدبير يبطل حكمه * فقد صح أن الحكم غير صحيح

وقال أبو العلاء المعري

زعم المنجم والطبيب كلاهما * ان لامعاد فقلت ذاك اليكما
ان صح قولكما فلست بخاسر * أو صح قولي فالوبال عليكما

وقال أيضا

عجبا للمسيح بين النصارى * والى أي والد نسبوه
أسلموه الى اليهود وقالوا * انهم بعد قتله صلبوه
فاذا كان مايقولون حقا * فاسألوهم في أين كان أبوه
واذا كان راضيا بقضاهم * فاشكروهم لاجل ماعذبوه
واذا كان ساخطا بأذاهم * فاعبدوهم لانهم غلبوه

ووجدت منسوبا الى أبي العلاء المعري أيضا

زعم الجهول ومن يقول بقوله * أن المعاصي من قضاء الخالق
ان كان حقا مايقول فلم قضى * حد الزناء وقطع كف السارق

وهذه من مسائل الاعتزال والجواب عنها مذكور في مسألة خلق الافعال وقال أيضا

يد بخمس مئين عسجد وديت * ما بالها قطعت في ربع دينار

تحكم مالنا الا السكوت له * وأن نعوذ بمولانا من النار

فاجاب علم الدين السخاوى

عز الامانة أغلاها وأرخصها * ذل الخيانة فافهم حكمة البارى

(وحكى) ان بعض اليهود صحب قدريا فى الطريق فقال له لاى شئ لم تسلم فقال له لوشاء الله تعالى لاسلمت فقال ان الله تعالى قد شاء ولكن الشيطان لايدعك فقال اليهودى أنا مع أقواهما فلم يحر القدرى جوابا (وناظر) بختويه النيسابورى عافية بن شبيب البصرى فقال له بختويه مادليلك على اثبات الخالق فقال له شعرة أمك التى تحلقها فتنبت فلو لم يكن لها منبت لم تنبت فقال له بختويه ينبغى ان يكون بظر أمك حين قطع ولم ينبت دليلا على انه لامنبت فأفحمه (وأما حلية الفضل) فانها أفضل حلية وأنفس شئ تطمح اليه نواظر الامنية وهى جمال من ليس له جمال وكمال من يتعلم منه البدر الكمال ومن كلام ابن المعتز العلم جمال لايخفى ونسب لايجفى قيل ان بعض الملوك شتم بقراط فقال له انما تفتخر على بغيرك ولكن رد كل جانس الى جنسه وتعال فتكلم وقال المأمون لبعض أولاده وقد سمع منه لحنا ماعلى أحدكم ان يتعلم العربية فيقيم بها أوده ويزين بها مشهده ويفل بها حجج خصمه ويملك مجلس سلطانه بظاهر بيانه أيسر أحدكم ان يكون لسانه كلسان عبده أولسان أمته فلايزال الدهر أسير كلمته (دخل) الاحنف ابن قيس على معاوية وافدا لاهل البصرة ودخل معه النمر بن قطبة وعلى النمر عباءة قطوانية وعلى الاحنف مدرعة صوف وشملة فلما مثلا بين يدى معاوية اقتحمتهما عيناه فقال النمر ياأمير المؤمنين ان العباءة لاتكلمك انما يكلمك من فيها فأومأ اليه فجلس (وحكى) المسعودى فى شرح المقامات ان المهدى لما دخل البصرة رأى اياس بن معاوية وهو صبى وخلفه أربعمائة من العلماء وأصحاب الطيالسة واياس يقدمهم فقال المهدى أف لهذه العثانين أما كان فيهم شيخ يتقدمهم غير هذا الحدث ثم ان المهدى التفت اليه وقال كم سنك يافتى قال سنى أطال الله بقاء أمير المؤمنين سن

قوله العثانين جمع عثنون وهو اللحية اه

أسامة بن زيد بن حارثة لما ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا فيهم أبو بكر وعمر فقال له تقدم بارك الله فيك (قلت) كذا ذكره المسعودي والصحيح ما قرأته على الشيخ الامام الحافظ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي في تاريخه الكبير ان اياسا قاضي البصرة توفي في زمن بني أمية سنة مائة وتسع عشرة ولم يلحق دولة بني العباس ويقال سنه اذ ذاك سبع عشرة سنة وكان معروفا بالذكاء والفطنة والفراسة ولاه قضاء البصرة عمر بن عبد العزيز وحسبك بمن يختاره مثل عمر لهذا المنصب (وذكر) الخطيب في تاريخ بغداد ان يحيى بن أكثم ولي قضاء البصرة وسنه عشرون سنة أو نحوها فاستصغروه فقالوا كم سن القاضي فقال أنا أكبر من عتاب بن أسيد الذي وجه به النبي صلى الله عليه وسلم قاضيا على مكة يوم الفتح وأنا أكبر من معاذ بن جبل الذي وجه به النبي صلى الله عليه وسلم قاضيا على أهل اليمن وأنا أكبر من كعب بن سوار الذي وجه به عمر بن الخطاب قاضيا على البصرة فجعل جوابه احتجاجا وقد جمع بعضهم مجلدا في ذكاء اياس بن معاوية ويقال انه نظر الى نسوة ثلاث فزعن من شئ فقال هذه حامل وهذه مرضع وهذه بكر فسئلن فكان الامر على ما ذكر فقيل له من أين لك ذلك قال لما فزعن وضعت احداهن يدها على بطنها والاخرى على ثديها والاخرى على فرجها (ونظر) يوما الى رجل غريب لم يره قط فقال هذا رجل غريب واسطي معلم كتاب هرب له غلام فسئل فوجد الامر كما ذكر فقيل له من أين لك ذلك قال رأيته يمشي ويتلفت فعلمت انه غريب ورأيت على ثوبه حمرة تراب واسط ورأيته يمر بالصبيان ويسلم عليهم ويدع الرجال واذا مر بذي هيئة لم يلتفت اليه واذا مر بأسود ذي أسمال يتأمله وأين هذه من فراسة أبي الحارث جمير وقد أنشد بين يديه قول العباس بن الأحنف

قلبي الى ماضرني داعي * يكثر أسقامي وأوجاعي
كيف احتراسي من عدوي اذا * كان عدوي بين أضلاعي

ان دام بي هجرك مع كل ذا * يوشك أن ينعاني الناعي

فبكى وقال هذا رجل جائع يصف جارية طباخة مليحة فقيل له من أين لك هذا فقال لانه بدأ فقال قلبي الى ماضرني داعي وكذلك الانسان تدعوه شهوته وقلبه الى ما يضره من الطعام والشراب فيأكل فتكثر عليه أوجاعه وهذا تعريض ثم صرح فقال كيف احتراسي البيت وليس للانسان عدو بين اضلاعه الا معدته فهي تتلف ماله وهي سبب أسقامه ومفتاح كل بلاء عليه ثم قال ان دام بي هجرك البيت فعلمت ان الطباخة كانت صديقته وهجرته ففقدها وفقد الطعام ولو دام عليه لمات جوعا ونعى (أخبرني) الشيخ الامام العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصاري قال أخبرني الحكيم علم الدين عبد الرحيم بن أبي خليفة رئيس الاطباء عن والده الحكيم الرشيد أبي خليفة رئيس الاطباء بمصر زمن الملك الكامل انه أتت اليه امرأة من الريف ومعها ولدها وهو مصفر ناحل فوضع يده في نبضه وقال لغلامه ناولني الفرجية فتغير النبض تحت يده في الحال فقال لها هذا الغلام عاشق واحدة اسمها فرجية فقالت اي والله يامولاي وقد عجزت في عذله فعجب الحاضرون من ذلك (أقول) ان الحكيم الرشيد انما اهتدى الى ذلك من كلام الشيخ أبي علي بن سينا في القانون حيث ذكر العشق فانه قال ومما يتوصل به الى معرفة المعشوق اذا كتمه العاشق ان يضع يده على نبض العاشق زمانا ويذكر أسماء وصنائع فتى اختلف النبض اختلافا شديدا واضطرب دفعة عند ذكر واحد منها فهو المعشوق ولو قال الشيخ بدل قوله وصنائع وصفات لكان أجمل والمعنى حاصل (يقال) أصدق الناس فراسة ثلاثة العزيز في قوله لامرأته عن يوسف عليه السلام اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا وابنة شعيب التي قالت لابيها ياأبت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين وأبو بكر في الوصية بالخلافة لعمر (رجع القول الى ذكر حلية الفضل) قال الشريف الرضي

ان يبل ثوبي فاني أكتسي حسبي * أو ترد خيلي فاني راكب منني

لقد تقدّم بى فضلى بلاقدم * أعظم بأمر على ذى السن قدمنى

وتولى قضاء المعرة القاضى أبو على عبد الباقى بن أبى حصين وهو ابن خمس وعشرين سنة وأقام فى الحكم خمس سنين فقال

وليت الحكم خمسا وهى خمس * لعمرى والصبا فى العنفوان

فلم تضع الأعادى قدر شانى * ولا قالوا فلان قدر شانى

ولقاضى القضاة ابن حجة

يا أيها السلطان لا تسمع * فى حق قاضيك كلام الوشاة

والله لم يسمع بأن امرأ * أهدى له شيئا ولا قدر شاه

(وقال بعضهم)

قد قال قوم أعطه لقديمه * جهلوا ولكن أعطنى لتقدمى

مانا ابن نفسى لا ابن عرضى أحتذى * بالفضل لا برفات تلك الأعظم

(وقال آخر)

ان الامير هو الذى * يضحى أميرا يوم عزله

ان زال سلطان الولا * ية لم يزل سلطان فضله

أنشدنى لنفسه اجازة القاضى زين الدين عمر بن مظفر بن عمر الوردى

خلعت ثوب القضاء عمدا * ولم أكن فيه بالظلوم

ان زال جاه القضاء عنى * كان لى الجاه بالعلوم

لما تولى الشيخ الامام العلامة كمال الدين محمد بن على الزملكانى قضاء حلب عامل أهلها بالتشديد فقال له نائب السلطنة الامير علاء الدين الطنبغا يا قاضى لاى شئ لم تعاملنا كما كان القاضى زين الدين يعاملنا فقال ذاك كان يخاف على منصبه ليتكثر به وأنا لو عزلتمونى اليوم لأصبح على بابى من الطلبة والتلاميذ والمستفيدين مثل ما على بابى اليوم فى الحكم فقال له صدقت وكذا كان رحمه الله يعملون عليه ويعزلونه من الوظائف والرياسة العلمية فيه لا تزول وفى بيت الطغرائى من البديع نوعان وهما الموازنة فى صاننى وزانتنى وفيهما الترصيع والنوع الثانى لزوم ما لا يلزم فانه التزم

الطاء في الخطل والعطل

مجدى أخيرا ومجدى أولا شرع * والشمس رأد الضحى كالشمس في الطفل

(اللغة) المجد لغة الكرم والمجيد الكريم وقد مجد بالضم فهو مجيد وماجد قال ابن السكيت الشرف والمجد انما يكونان بالآباء يقال رجل شريف ماجد له آباء متقدمون في الشرف قال والحسب والكرم يكونان في الرجل وان لم يكن لآبائه شرف اهـ قلت قول امرئ القيس

ولو أن ما أسعى لأدنى معيشة * كفاني ولم أطلب قليل من المال

ولكنما أسعى لمجد مؤثل * وقد يدرك المجد المؤثل أمثالي

يؤيد ما ذهب اليه ابن السكيت لان المجد المؤثل هو الموروث ويحتمل أن يكون المجد مما يكتسبه الرجل بنفسه بدليل قوله أسعى والسعي انما يكون لتحصيل مالم يكن للانسان والوراثة لا يسعى لها لانها حاصلة هذا ان قلنا ان اللام هنا للتعليل وان قلنا انها لشبه الملك فيترجح قول ابن السكيت وقد ذهب كثير من النحاة الى ان قوله كفاني ولم أطلب قليل من المال من باب التنازع في العمل منهم أبو علي الفارسي على جلالة قدره وليس منه قال ابن الحاجب رحمه الله لان أطلب منفي بلم والنفي في سياق لو اثبات لانه حرف امتناع والامتناع نفي ونفي النفي اثبات فاذا امتنع النفي صار ثبوتا واذا كان كذلك فيكون طلب القليل ثابتا وطلب القليل هو السعي لأدنى معيشة فيكون قد أثبت بلو غير ما نفى بلم لان قوله ولم أطلب معطوف على كفاني وهو جواب والمعطوف في حكم المعطوف عليه واذا تقرر ذلك تعين ان قوله قليل لم يتوجه له من العاملين غير كفاني وانتفى ان يتوجه اليه اطلب ولو توجه اليه لفسد المعنى لتوارد النفي والاثبات على شئ واحد وان كان الطلب ثابتا تعين أن يكون مفعوله غير القليل لان امرأ القيس انما طلب الملك وقد ذكره في البيت الثاني قال ابن اياز في المطارحة قال الجرمي أراد كفاني قليل من المال ولم أطلب ولو أعمل لم أطلب في قليل لاستحال المعنى (أخيرا) أي آخرا والآخر ضد الاول (سرع) أي سواء يحرك ويسكن

ويستوى فيه المذكر والمؤنث والمفرد والجمع ومنه قولهم الناس فى هذا الامر شرع أى سواء (رأد الضحى) الضحى شروق الشمس بعد طلوعها والرأد ارتفاعها وقد سمت العرب ساعات النهار بأسماء فالاولى الذرور ثم البزوغ ثم الضحى ثم الغزالة ثم الهاجرة ثم الزوال ثم الدلوك ثم العصر ثم الأصيل ثم الصبوب ثم الحدور ثم الغروب ويقال فيها أيضا البكور ثم الشروق ثم الاشراق ثم الرأد ثم الضحى ثم المتوع ثم الزوال ثم الهاجرة ثم الاصيل ثم العصر ثم الطفل ثم الغروب (الطفل) بتحريك الفاء بعد العصر اذا طفلت الشمس للغروب فعلى هذا الطفل آخر النهار والرأد أوله فهما طرفا النهار وتقول أتيته طفلا (الاعراب) مجدى مبتدأ وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الدال لان الياء لا يكون ماقبلها الامن جنسها أى مكسورا والياء فى موضع جر بالاضافة لانه ضمير المتكلم والضمائر كلها مبنية وسيأتى الكلام على ذلك (أخيرا) منصوب على انه ظرف زمان وكذلك قوله أولا والظرف ينتصب بالمعنى فالعامل فيه معنى الاستقرار ومجدى الثانى معطوف على الاول وشرع خبر عنهما كقولك زيد وعمرو كريمان فكريمان خبر عن المبتدأين (والشمس) هذه الواو هى واو الابتداء والشمس مبتدأ (رأد الضحى) منصوب على انه ظرف زمان والضحى مضاف اليه علامة جره كسرة مقدرة على الالف لانه مقصور والالف حرف هوائى أى ممالا يقبل الحركة (كالشمس) الكاف تجئ فى الكلام لمعان منها ان تكون للتعليل كقوله تعالى واذكروه كما هداكم وزائدة كقوله تعالى ليس كمثله شئ لانه يلزم من عدم زيادتها اثبات المثل لله تعالى الله عن ذلك هكذا أعربها الجمهور من النحاة قال الشيخ بهاء الدين بن النحاس رحمه الله فى التعليقة على المقرب قال أكثر الناس هى زائدة للتوكيد والمعنى والله أعلم ليس مثله شئ وقال جماعة من المحققين ليست بزائدة وانما هى على بابها ومعنى الكلام والله أعلم نفى مثل المثل ويلزم من ذلك نفى المثل ضرورة وجوده سبحانه فان قيل لم توصل الى نفى المثل بنفى مثل المثل

وهلا نفي المثل من أول وهلة فالجواب ان نفي المثل بنفي مثل المثل أبلغ وأفخم من قولنا أنت لا تفعل هـذا لانه نفي الشئ بذكر دليله فهو أبلغ من نفي الشئ بغير ذكر دليله اه (قلت) وقد قال بعضهم انها ليست بزائدة ولم يعول على هذا الدليل بل قال مثل ومثل سا كاوممر كاسواء في اللغة كشبه وشبه فمثل هـاهنا بمعنى مثل قال الله تعالى ولله المثل الاعلى ويكون المعنى ليس مثل مثله شئ وهو صحيح ومن أمثلة زيادتها قول رؤبة بن العجاج

* لواحق الاقراب فيها كالمقق *

وهو الطول وما أحلى قول بن قلاقس يمدح الحافظ السلفي

كالبحر والكاف ان أنصفت زائدة * فيه فلا تحسبنها كاف تشبيه

وقد أخذه من أبي الطيب حيث قال

كفاتك ودخول الكاف منقصة * كالشمس قلت وما للشمس أمثال

وتخرج الكاف من الحرفية الى الاسمية فتكون فاعلا كقول الشاعر

أتنتهون ولن ينهى ذوي شطط * كالطعن يذهب فيه الزيت والفتل

وتكون مبتدا كقول الشاعر

أبدا كالفراء فوق ذراها * حين يطوي المسامع الطرر

وتكون مجرورة كقوله * وصاليات ككما يؤثفين * وقوله يضحكن عن كالبرد المنهم (المعنى) مجدي في الاول ومجدي في الآخر سواء لا تفاضل فيه كما ان الشمس استوت حالتاها في أول النهار وآخره ومن الكلم النوابغ التاجر مجده في كيسه والعالم مجده في كراريسه ومنها أيضا من أخطأته المناقب لم تنفعه المناسب وفي خبر شمر بن عبس الحميري أحد ملوك اليمن في خبر طويل انه سأل أولاده فيل الوفاة فقال ما المجد فقالوا ابتناء المكارم وحمل المغارم والاضطلاع بالعظائم وكف النفس عن ركوب المظالم ويحتمل بيت الطغرائي أنه أراد مجد اسلافي ومجدي واحد أي اني ورثت المجد عن آبائي الكرام وسدت كما سادوا وقد أخذ الطغرائي هـذا المعنى من قول أبي العلاء المعري حيث قال

قوله لواحق أي ضوامر والاقراب جمع قرب بضمتين وبضم فسكون الخاصرة وضمير فيها يرجع الى الخيل اه

قوله وصاليات هي الحجارة المحترقة ويؤثفين يجعلن أثافي وهي حجارة توضع تحت القدر عند الطبخ اه

قوله المنهم بتشديد الميم الثانية أي الذائب والمراد الذائب بعضه اه

قوله الوهن هو نحو من نصف الليل أو بعد ساعة منه اه

وافقتهم فى اختلاف من زمانكم * والبدر فى الوهن مثل البدر فى السحر
فهذا هذا خلا أن ذاك فى الشمس وهذا فى القمر ولكن قول المعرى ألطف عبارة وأحسن اشارة لان الطغرائى أغرب فى لفظتى رأد والطفل وعذوبة الالفاظ أمر مهم فى البلاغة وكلا المعنيين يشبه قول الحريرى

وطالما أصلى الياقوت جمر غضا * ثم انطفا الجمر والياقوت ياقوت

كتب نجم الدين يعقوب بن صابر المنجنيقى الى الامام الناصر يعرض بالوزير القمى وكان يدعى انه شريف علوى

خليلى قولا للخليفة أحمد * توق وقيت الشر ما أنت صانع
وزيرك هذا بين أمرين فيهما * صنيعك يا خير البرية ضائع
فان كان حقا من سلالة أحمد * فهذا وزير فى الخلافة طامع
وان كان فيما يدعى غير صادق * فأضيع ما كانت لديه الصنائع

فلما وقف الناصر عليها كانت سبب تغيره عليه وأمر فخرج اليه مملوكان مسرعين فهجما على الوزير فى داره وضرباه بدواته على رأسه وحملاه الى المطبق فكتب الى الخليفة

القنى فى لظى فان غيرتنى * فتيقن ان لست بالياقوت
عرف النسج كل من حاك لكن * ليس داود فيه كالعنكبوت

فكتب اليه الخليفة الجواب

نسج داود لم يفد صاحب الغا * ر وكان الفخار للعنكبوت
وبقاء السمند فى لهب النا * ر مزيل فضيلة الياقوت

اخترناك فصرفناك واختبرناك فصرفناك والسلام ومن هنا أخذ المعنى ناصر الدين حسن بن النقيب

ودود القز ان نسجت حريرا * يجمل لبسه فى كل شى
فان العنكبوت أجل منها * بما نسجت على رأس النبى

وعلى ذكر العنكبوت ودود القز ذكرت قول محمد بن أبى الحسن المعروف بالاردخل

أقول اذا قالوا تراك مقطبا * اذا ما ادعى دين الهوى غير أهله
يحق لدود القز يقتل نفسه * اذا جاء بيت العنكبوت بمثله

وقول الآخر وهو أبو محمد بن القاسم بن عمر بن منصور الواسطى شارح المقامات

حق دود القز يبنى * فوقه ثم يموت
بعد ماسدى وقدصا * ربسدى العنكبوت

قال صاحب الصحاح والسرفة دويبة تتخذ لنفسها بيتا مربعا من دقاق العيدان تضم بعضها الى بعض بلعابها على مثل الناووس ثم تدخل فيه فتموت يقال فى المثل أصنع من سرفة اه ماقاله صاحب الصحاح قلت هى بضم السين المهملة وبعدها راء ساكنة ثم فاء مفتوحة وآخرها هاء على وزن غرفة واختلفوا فى نعتها فقال اليزيدى هى دويبة صغيرة تثقب الشجر وتبنى فيه بيتا وقال أبو عمرو بن العلاء هى دويبة مثل نصف عدسة تثقب الشجر ثم تبنى فيه بيتا من عيدان تجمعها مثل غزل العنكبوت مخروطا من أسفله الى أعلاه كأن زوايا ياه قومت على مخطوله فى احدى صفائحه باب مربع قد التزمت أطراف عيدانه من كل صفيحة أطراف عيدان الصفيحة الاخرى كانها مغروزة وقال محمد بن حبيب هى دويبة تنسج على نفسها بيتا فهو ناووسها حقا والدليل على ذلك انه اذا نقض هذا البيت لم توجد الدودة فيه حية أصلا وزاد بعض رواة الاخبار على ابن حبيب زيادة فزعم ان الناس فى أول الدهر حين كانوا يتعلمون الحيل من أفعال البهائم تعلموا من السرفة احداث بناء الناووس على موتاهم وانه فى خرط وشكل بيت السرفة ويقال واد سرف وأرض مسرفة وسرفت الشجرة اذا أصابتها السرفة ومن هذه المادة قول القائل

اذا شوركت فى أمر بدون * فلا يلحقك عار أو نفور
ففى الحيوان يشترك اضطرارا * ارسطاليس والكلب العقور

قلت هذا معنى قول أرباب المنطق فى كل نوع حصة من جنسه يعنون بذلك

ان كل فرد فرد من أشخاص الجسم النامي المتحرك بالارادة من الناطق والصاهل والمفترس والسابح والنابح وغير ذلك فيه حصة من الحيوانية التي هي جنسه وهي الجسمية والنمو والتحرك بالارادة والنوعية هي التي امتاز بها كل نوع عن غيره وهي الفصل مثل الناطقية أو الافتراسية أو السابحية أو النابحية وقد رأيت الشيخ الامام الفاضل ركن الدين محمد ابن القريع غير مرة ينكر على من يضرب كلبا أو بهيمة ويقول له بحنق لأي شئ تفعل به هذا وهو شريكك في الحيوانية وما أحسن قول القائل

وللزنبور والبازي جميعا * لدى الطيران أجنحة وخفق

ولكن بين ما يصطاده باز * وما يصطاده الزنبور فرق

والياقوت هو سيد الاحجار التي لا تذوب ولا تتكلس بالنار زعموا انه يتكون في كهوف الجبال وخلال الرمال ويتم نضجه في عشر سنين وعلة تكوينه ان مياه الامطار التي ترسخ في المغارات والكهوف متى لم يخالطها شئ من الترابية والطينية وطال وقوفها هناك اذدادت صفاء وثقلا وغلظا بتسلط حرارة المعدن على تجفيفها وطبخها فانعقدت وصارت حجارة صلبة شفافة وتكون ألوانها وخفتها وثقلها بحسب أنوار الكواكب المستولية على ذلك الجنس من الجواهر وعلى تلك البقاع على مازعم أصحاب الكلام في أحكام النجوم فانهم يقولون السواد لزحل والحمرة للمريخ والخضرة للمشترى والصفرة للشمس والزرقة للزهرة والملون لعطارد والبياض للقمر وأصحاب الكلام في الطبائع يقولون سبب اختلاف الالوان اختلاف بقاع الارض التي يتكون فيها ذلك لان الماء اذا وقع عليها وغاص فيها ودام تغير بما انحل فيه من يبس الارض واسخان الشمس له فعلى قدر حرارته يتكون فان اشتدت حرارته وأفرطت واستولى عليها اليبس عرض له السواد وظهر على أعلاه وبطنت الحمرة التي هي عن الحرارة المعتدلة في باطنه وربما طرحت الحمرة نورها الى خارج مع ظهور السواد فقام بينهما اللون الاسمانجوني وان كانت الحرارة معتدلة انعقد أحمر وهو أجود

الياقوت وان قصرت الحرارة بغالبة الرطوبة لما انعقد أصفر وان أفرطت الرطوبة واستولت على الحرارة انعقد أبيض صافيا والاسمانجونى والاصفر اذا وضعا على النار ابيضا ولا يتغيران عن البياض فهذه الالوان الاربعة يشملها جنس الياقوت والاحمر منها ينقسم الى أربعة أصناف البهرمانى وهو أشدها حمرة وأكثرها صفاء ويوجد منه ما وزنه اثنا عشر مثقالا ثم الوردى وهو اردأ أنواع الاحمر ويوجد منه ما وزنه ثلاثون مثقالا ثم الخمرى وأردأه ماقرب الى البياض ثم الاحمر العصفرى وأردأه ماقرب من لون الورس وأما الاصفر فمنه الرقيق الكثير الماء ثم الخلوقى وهو أشبع صفرة من الاول ثم الجلنارى وهو أشبع صفرة من الثانى وأشد شعاعا وأكثر ماء وهو أكثر أنواع الاصفر ويوجد من هذه الاصناف ما وزنه أربعون مثقالا وأما الاسمانجونى فمنه الازرق واللازوردى والنيلى والكحلى ويسمى الزيتى وهو أردأها ويوجد منه ما وزنه أربعون مثقالا وأما الابيض فمنه المهاوى وهو أشدها بياضا وأكثرها ماء وأقواها شعاعا ومنه الذكر وهو أردأ أصناف الياقوت قرأت على العلامة شمس الدين محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصارى كتابه الذى وضعه ووسمه بنخب الذخائر فى أحوال الجواهر قال فى ذكر الياقوت فالرمانى أعلاها وهو الشبيه بحب الرمان الغض الخالص الحمرة الشديد الصبغ الكثير الماء ويختبرونه بأن يقطر على صفيحة فضة مجلوة قطرة دم قرمزى أعنى من عرق ضارب فلون تلك القطرة على تلك الصفيحة هو الرمانى ثم قال فيما بعد وذكر القدماء ان قيمة المثقال الفائق من الياقوت الاحمر ثلاثة آلاف دينار وأما فى الدولة العباسية فان الغالب من قيمته أن الجيد منه اذا كان وزن طسوج يساوى خمسة دنانير وضعفه عشرين دينارا وسدس مثقال ثلاثين دينارا وثلث مثقال مائة وعشرين دينارا ونصف مثقال أربعمائة دينار والمثقال بألف دينار والمثقال ونصف بألفى دينار هذا ما تقرر فى زمن المأمون مع كثرة الجواهر فى ذلك الزمان والمثقال من البهرمانى بثمانى مائة دينار ومن الارجوانى بخمسمائة دينار

طسوج هو كسدوس ربع دانق اهـ

ومن الجلناري بمائتي دينار ومن المحمي بمائة دينار والبنفسجي يقاربه والوردي دون ذلك وكان في خزانة الامير يمين الدولة محمود ياقوتة شكلها شكل حبة العنب وزنها اثنا عشر مثقالا قومت بعشرين ألف دينار وكان للمعتصم فص يسمي ورقة الآس لانه كان على شكلها وزنه مثقالان الا شعيرتين اشتراه بستين ألف درهم ثم قال قال ابن سينا ان خاصية الياقوت التفريح وتقوية القلب ومقاومة السموم وقال ابن زهر شرب سحيقه ينفع الجذام والتختم به يدفع حدوث الصرع انتهى قلت ومن خواص الياقوت انه يقطع جميع الحجارة الا الالماس فانه يقطعه لصلابته وقلة مائه وشدة الشعاع والثقل والملاسة والصبر على النار وهو لا يجلى الا على صفيحة نحاس بشكاس الجزع اليماني وهو ان يحرق حتى يصير كالنورة ثم يسحق بالماء حتى يعود كالغراء ثم يصلب به الياقوت لانه يخرج من معدنه وظاهره مظلم فيحتاج الى الجلاء وربما وجد في باطن الحجر بعد جلائه طين أو ماء قصرت عنه حرارة المعدن في الطبخ فيطين ويجفف بعد ان يثقب بالالماس ثم يلقى في النار ويوقد عليه بالحطب الجزل بقدر معلوم فانه ينقى فان كان لونه اسمانجونيا أو أصفر لم يدخل النار الا ان كان في الاسمانجوني صفرة فيدخل قليلا بقدر ما تغسل عنه فان زيد في حميه انسلخت لونيته وابيض وصار كالبلور وما أحسن قول البلخي رحمه الله تعالى

أهدت لي قيمة مذ صرت تلحظني * شمس الكفاءة تغنيني عن النظر
كذا اليواقيت فيما قد سمعت به * من حسن تأثير عين الشمس في الحجر

قال بعضهم في مليح اسمه ياقوت

ياقوت ياقوت قلب المستهام به * من المروءة ان لا يمنع القوت
سكنت قلبي وما تخشى تلهبه * وكيف يخشى لهيب النار ياقوت

وأما السمند فأخبرني العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصاري قال أخبرني عز الدين ابن عبد العزيز الحلبي المعروف بالكويري ان السمند شيء يشبه غبار القطن ونسج العنكبوت يتكون

فى شقوق من سقفان ثم تعلوأنهارا عذبة بأرض الهند وانه قليل جدًا لا يظفر منه الا باليسيرانتهى وأخبرنى الشيخ الامام العلامة صلاح الدين محمد بن البرهان من لفظه ان السادرزهر يوجد فى بعضه تجويف وفيه شئ يشبه الصوف اذا وضع فى النار لم يحترق منه شئ البتة وأخبرنى الشيخ شمس الدين أيضا انه عاين عند الامير علاء الدين على بن البزواناه بالديار المصرية منشفة طولها قدر أربعة أشبار وعرضها دون ذلك يمسح بها الوجه واليدان فاذا تدنست تلقى فى النار فتنقى وذكروا انها من السمندولم يذكرأهو حيوان أوغيره وحكى لى وله انسان يظن به الصدق انه رأى عند شخص يعمل النشاب بين القصرين بالقاهرة ريشة بيضاء شككت انا فى طولها هل قال ذراع أوأقل وانها يوضع عليها الزيت وتلقى فى النار الى ان تفنى مادة الزيت ثم يخرج بها وهى سليمة بيضاء نقية وأخبرنى الشيخ شمس الدين أيضا انه رأى عند شرف الدين بن زنبور شخصا مغربيا يعرف بزيد الصائغ دهن لحيته بدهن كان معه ووضع السراج فيها فاشتعلت ذقنه الى ان نفدت مادة الدهن فضرب بيده ذقنه فطفئت ولم يحترق منها شئ قلت أنا ولعل الريشة التى ذكرها الناذلك الرجل تدهن بذلك الدهن وهو معروف عند أصحاب الملح فالخصوصية للدهن لا للريشة والله أعلم بالصواب وان كانت هذه الريشة من طائر وله هذه الخصوصية فأقول هذا يؤيد حجة الاشاعرة فى دعواهم ان الله يخلق الاحراق فى النار عند قربها من الاجسام وليس الاحراق لنفس النار ويخلق الشبع عند تناول الخبز وليس الشبع بالخبز ويخلق الرى عقيب شرب الماء وليس الرى لنفس الماء فقد رأينا من يفرط فى أكل الخبز ولم يشبع وفى شرب الماء ولم يرو وما ورد فى الاخبار الصحيحة من بقاء الحيات والعقارب وعظم مقاديرهن فى نار جهنم وهى حيوانات وليس هذا بممتنع على الفاعل المختار سبحانه وتعالى وهذا الطائر يمكن ان يتولد فى النار كما يتولد فى كور الزجاجين الحيوان المسمى بالسرفوت وهو أشبه شئ بسام أبرص لا يزال حيا مادام فى النار وهى مضطرمة فاذا طفئت وبرد المكان مات وقال أرسطو

لا يبعد أن يكون في كل عنصر حيوان يتولد فيه كما يحكى ان في بلاد الترك بزاة بيض اذا حصل لها مرض معروف عندهم حلقت في الهوى ونزلت ومعها حية بيضاء قدر شبر فتنا كلها اقتبرا مما تشكوه ثم ذكر أرسطو أيضا السرفوت المذكور تأييدا لما ادعاه أخبرني العالم مفتي المسلمين شرف الدين أبو عبد الله محمد بن الشيخ فتح الدين بن أبي الحسن علي بن ابراهيم الانصاري القمي من لفظه بثغر الاسكندرية قال أخبرني الشيخ نجيب الدين عبد اللطيف بن عبد المنعم بن علي الحرّاني أخبرنا أبو حامد وعبد الله بن مسلم بن جوالق قراءة عليه وأنا أسمع أخبرنا منصور بن أبي غالب القزاز أخبرنا الحافظ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب أخبرنا الحسن بن أبي بكر بن شاذان حدثنا أبو الحسين عبد الرحمن بن نصر المصري الشاعر املاء من حفظه حدثنا أبو عمر الانسي بمصر قال حدثنا دينار مولى أنس بن مالك قال صنع أنس لاصحابه طعاما فلما طعموا قال ياجارية هاتي المنديل فجاءت بمنديل درم فقال اسجري التنور واطرحيه فيه ففعلت فابيض فسألناه عنه فقال ان هذا كان للنبي صلى الله عليه وسلم وان النار لاتحرق شيئا كان للنبي صلى الله عليه وسلم أومسته يد الانبياء دينار بن عبد الله ضعيف واه قاله أبو أحمد بن عدي (رجع القول الى بيت الطغراءي) وللمتعنت ان يقول ليس كون الشمس في أول النهار مثل كونها في آخره لان حالة الاقبال حالة ابتداء وتمكن وحالة الادبار حالة انتهاء وزوال ولهذا قال المنجمون ان السعي في الحوائج قبل الزوال أنجح منه فيما بعد الزوال ويكرهون الحركة آخر النهار قال الشاعر

بكرا صاحبي قبل الهجير * ان ذاك النجاح في التبكير

وأول النهار شباب وقوة وآخره مشيب وهرم فجواب المتعنت انه ما أراد الاذات الشمس من حيث هي من غير نظر الى ما يطرأ عليها من حركة فلكها لان هذه الحالة في الابكار والعشي انما هي خير وشر بالنسبة الينا لان فلك الشمس لايزال دائرا وحركة الفلك واحدة لاتتغير أبدا اذ الكرة لافوق

حلقت بتشديد اللام ارتفعت اه

لها ولانقصت فالشمس في جرمها واحدة لم تتغير أبدا وهي هي أبدا مازالت
ولا طرأ عليها شيء نعم كان هذا يرد ان لو كان كل يوم له شمس تخصه كما ذهب
اليه بعضهم وليس بشيء ولهذا قال المعري رحمه الله تعالى

وما البدر الا واحد غير أنه * يغيب ويأتي بالضياء المجدد
فلا تحسب الاقمار خلقا كثيرة * فجملتها من نير متردد

اذا ثبت ذلك فالشمس من حيث هي هي واحدة في ذاتها لا تتغير في نورها
وعظمها وعلوها وهبوطها لم يزدها ولم ينقصها شيئا قال ابراهيم الغزي

أما ترى البدر يكسونا ظلام سنا * فيستوي فيه اقبال وادبار

وقد بالغ الطغراءى وضرب لفخره ومجده مثلا حسنا بالشمس فانه مثل بما
لا يخفى على ذي عقل فضله ولا يسعه انكاره

وليس يصح في الاذهان شيء * اذا احتاج النهار الى دليل

ومن أحسن ما حضرني في الافتخار قول بشار بن برد رحمه الله

اذا ما غضبنا غضبة مضرية * هتكنا حجاب الشمس أو تقطر الدما
اذا ما أعرنا سيدا من قبيلة * ذرى منبر صلى علينا وسلما

وقول عبد المطلب

لنا نفوس لنيل المجد عاشقة * ولو تسلت أسلناها على الاسل
لا ينزل المجد الا في منازلنا * كالنوم ليس له مأوى سوى المقل

(وقول الآخر)

حلت بروج المجد مني كوكبا * لا يهتدي لسوى سناه الساري
وعلى الرياح أزمتي وأعنتي * ومن النجوم أسنتي وشفاري

وقول الشريف أبي الحسن العقيلي

نحن الذين غدت رحى أحسابهم * ولها على قطب الفخار مدار
قوم لغصن نداهم من رفدهم * ورق ومن معروفهم أثمار
من كل وضاح الجبين كأنه * روض خلائقه له أزهار

وقول الشريف الرضي يخاطب الطائع

مهلا أمير المؤمنين فاننا * فى دوحة العلياء لانتفرق
ما بيننا يوم الفخار تفاوت * أبدا كلانا فى السيادة معرق
الا الخلافة ميزتك فاننى * أنا عاطل منها وانت مطوّق

قيل ان الخليفة لما بلغه ذلك قال على رغم أنف الرضى وقيل انه كان يوما عنده وهو يعبث بلحيته ويرفعها الى أنفه فقال له الطائع أظنك تشم منها رائحة الخلافة قال بل رائحة النبوّة وقول الرضى أيضا

ومن المعالى فامتنعن ولم يزل * أبدا يمانع عاشقا معشوق
وصبرت حتى نلتهن ولم أقل * ضجرا دواء الفارك التطليق

الفارك المبغض اه

وقول اسحاق بن ابراهيم الموصلى

اذا مضر الحمراء كانت أرومتى * وقام بنصرى حازم وابن حازم
عطست بانف شامخ وتناولت * يداى الثريا قاعدا غير قائم

أرومتى أى أصلى اه

انما ذكر حازما لانه مولى خزيمة بن حازم التميمى وانما نزل أبوه الموصل فنسب اليه وخزيمة هو الذى يقول فيه أبو نواس

خزيمة خير بنى حازم * وحازم خير بنى دارم
ودارم خير تميم وما * مثل تميم فى بنى آدم

(وقال الآخر)

قريش خيار بنى آدم * وخير قريش بنو هاشم
وخير بنى هاشم أحمد * رسول الاله الى العالم

ومن رسالة ابن عرسية

لله مما قد برى صفوة * وصفوة الخلق بنو هاشم
وصفوة الصفوة من بينهم * محمد النور أبو القاسم

أنشدنى من لفظه لنفسه الشيخ الحافظ فتح الدين أبو الفتح محمد بن محمد ابن سيد الناس اليعمرى

محمد خير بنى هاشم * فمن تميم وبنو دارم
وهاشم خير قريش وما * مثل قريش فى بنى آدم

ومن

ومن الاوّل أخذ مسلم بن الوليد قوله

فانفرغا لك في شيبان من مثل * كذاك ما لبني شيبان من مثل

وذكر صاحب الاغاني انّ مروان بن أبي حفصة دخل يوما على ابراهيم الموصلي فجعلا يتحادثان الى أن أنشد اسحاق بن ابراهيم قوله اذا مضر الحمراء البيتين قال وجعل ابراهيم يحدث مروان وهو ساه عنه مشغول فقال مالك لا تجيبني قال انك لا تدري ما أفرغ ابنك في أذني ومن الافتخار قول أبي تمام الطائي رحمه الله تعالى

أنا ابن الذين استرضع الجد فيهم * وسمي منهم وهو كهل ويافع

مضوا وكأنّ المكرمات لديهم * لكثرة ما وصوا بهنّ شرائع

فأي يد في الجد مدت ولم يكن * لها راحة من مجدهم وأصابع

هم استودعوا المعروف محفوظا لنا * فضاع وما ضاعت لدينا الودائع

وقوله أيضا رحمه الله

جرى حاتم في حلبة منه لو جرى * بها القطر قال الناس أيهما القطر

فتى ذخر الدنيا أناس ولم يزل * لها باذلا فانظر لمن بقي الذكر

فمن شاء فليفخر بما شاء من ندى * فليس لحي غيرنا ذلك الفخر

جمعنا العلا بالجود بعد افتراقها * الينا كما الايام يجمعها الشهر

وعند أكثر الناس ان أبا تمام كان أبوه نصرانيا يقال له تدوس العطار من جاسم قرية من قرى حوران بالشام فغير اسم أبيه واندس في بني طي (وذكر) صاحب الاغاني ان رجلا قال لجرير من أشعر الناس قال قم حتى أعرفك الجواب فأخذ بيده وجاء الى أبيه عطية وقد أخذ عنزا له فاعتقلها وجعل يمتص ضرعها فصاح به اخرج يا أبت فخرج شيخ دميم رث الهيئة وقد سال لبن العنز على لحيته فقال ترى هذا قال نعم قال أو تعرفه قال لا قال هذا أبي أفندري لم كان يشرب من ضرع العنز قال لا قال مخافة ان يسمع صوت الحلب فيطلب منه ثم قال أشعر الناس من فاخر بهذا الاب ثمانين شاعرا وقارعهم فغلبهم جميعا (قلت) ما هذه الا وقاحة عظيمة من جرير

قوله وعند أكثر الناس الى آخره هكذا فيما بأيدينا من النسخ وفي معاهد التنصيص والذي عند أكثر الناس في نسب أبي تمام ان أباه كان نصرانيا من أهل جاسم قرية من قرى الجيدور من أعمال دمشق يقال له تدوس العطار فجعلوه أوسا اهـ

فى مفاخرته أولئك الشعراء وهذا أبوه لكنه تغتفر له هذه الوقاحة باعترافه لذلك الرجل واظهاره بخل أبيه (وعكس) هذه القضية هجاء دعبل الخزاعى للمأمون حيث يقول فيه

انى من القوم الذين سيوفهم * قتلت أخاك وشرفتك بمقعد
شادوا الذكرك بعد طول خموله * واستنقذوك من الحضيض الأوهد

يشير دعبل الى واقعة طاهر بن الحسين الخزاعى مع الأمين يقال ان المأمون كان اذا أنشد هذين البيتين قال قبح الله دعبلا ما أوقحه كيف يقول عنى هذا وقد ولدت فى حجر الخلافة ورضعت ثديها وربيت فى مهدها (سمع) المأمون يوما بعض المكافين يقول وهو مار فى موكبه لقد سقط هذا من عينى من حين غدر بأخيه فقال من يشفع لى الى هذا الرئيس لأرتفع الى عينه بعد سقوطى (نقلت) من بعض مجاميع القاضى شمس الدين أحمد بن خلكان قال أنشدنى بعض الادباء بيتا فى الجمال أبى الحسين الجزار وما عرفت قائله ولا بقية الابيات المضافة اليه فقلت لابى الحسين ذلك وقلت ان كنت تعرف ذلك فانشدنى اياه وعرفنى قائله فقال وما البيت فانشدته

فليس يرجوه غير كلب * وليس يخشاه غير تيس

فاستحسن ذلك وجاءنى ثانى يوم فقال قد عملت فى ذلك المعنى أبياتا وأنشد

ألا قل للذى يسأ * ل عن قومى وعن أهلى
لقد تسأل عن قوم * كرام الفرع والاصل
يريقون دم الانعا * م فى حزن وفى سهل
وما زالوا المايدو * ن من بأس ومن بذل
يرجيهم بنو كلب * ويخشاهم بنو عجل

انتهى ما نقلت قلت وهذه الابيات تنظر الى قول الآخر فى الحكاية المشهورة قال بعضهم كنت ليلة جالسا عند بعض ولاة الطوف وقد جاءه غلمانه برجلين فقال لاحدهما من أبوك فقال

أنا ابن الذى لا ينزل الدهر قدره * وان نزلت يوما فسوف تعود

ترى الناس أفواجا على باب داره * فمنهم قيام حولها وقعود

فقال الوالى ما كان أبو هذا الا كريما ثم قال للآخر من أبوك فقال

أنا ابن من ذلت الرقاب له * ما بين مخزومها وهاشمها

خاضعة أذعنت لطاعته * يأخذ من مالها ومن دمها

فقال الوالى ما كان أبو هذا الا شجاعا وأطلقهما فلما انصرفا قلت للوالى أما الاول فكان أبوه يبيع الباقلاء المصلوقة وأما الثانى فكان أبوه حجاما فقال الوالى عند ذلك

كن ابن من شئت واكتسب أدبا * يغنيك مضمونه عن النسب

ان الفتى من يقول ها أناذا * ليس الفتى من يقول كان أبى

انتهى (والاصل فى هذا) قول عتبة الاعور يهجو أبا اسحاق بن ابراهيم بن شبابة الثقفى مولاهم الكوفى كاتب المهدى وكان أبوه حجاما

أبوك أوهى النجاد عاتقه * كم من كمى أودى ومن بطل

يأخذ من ماله ومن دمه * لم يمس من ثاره على وجل

له رقاب الملوك خاضعة * من بين حاف وبين منتعل

وهذا من التهكم فى غاية الحسن (وقال) بعضهم وجدت على قبر مكتوبا انا ابن من كانت الريح طوع أمره يحبسها اذا شاء ويطلقها اذا شاء قال فعظم فى عينى مصرعه ثم التفت الى قبر آخر قبالته وعليه مكتوب لا يغتر أحد بقوله فما كان أبوه الا من بعض الحدادين يحبس الريح فى كيره ويتصرف فيها قال فعجبت منهما يتسابان ميتين (قلت) وقبل البيت الذى أورده ابن خلكان فى أبى الحسين الجزار

أن ناه جزاركم عليكم * بفطنة فى الورى وكيس

وهما للمجاهد الخياط وله فيه عدة مقاطيع يهجوه بها وقد عبث الناس بأبى الحسين الجزار وهجاه من أهل عصره خلق كثير بالشعر والازجال وما كان فيمن هجاه من يقاربه فى رتبة النظم ولابى الحسين الجزار وهو فى غاية الحسن

انى لمن معشر سفك الدماء لهم * دأب وسل عنهم ان رمت تصديق
تضيء بالدم اشراقا عراصهم * فكل أيامهم أيام تشريق

عاد الكلام الى الفخر بالجد دون الهزل فأقول أبيات الحماسة التى للسموءل ابن عاديا اليهودى فى غاية الحسن وهى مشهورة فلهذا لم أثبتها (جرى) بين عبد الله بن الزبير وبين معاوية كلام فيه طول لكن فى آخره فقال ابن الزبير ما مثلى يهارش به ولكن عندك من قريش والانصار ومن ساكنى الحجون والآطام من اذا سألته جالك على محجة أبين من ظهر الخفين قال ومن ذلك قال هذا يعنى أبا الجهم بن حذيفة فقال معاوية تكلم يا أبا الجهم فقال اعفنى فقال عزمت عليك لتقولن قال نعم قال قل قال أمك هند وأمه اسماء بنت أبى بكر الصديق واسماء خير من هند وأبوك أبو سفيان وأبوه الزبير ومعاذ الله ان يكون أبو سفيان مثل الزبير وأما الدنيا فلك وأما الآخرة فله ان شاء الله تعالى (ومثل) هذا ما حكى ان معاوية كان عنده عمرو بن العاص وجماعة من الاشراف فقال معاوية من أكرم الناس أبا وأما وجدا وجدة وعما وعمة وخالا وخالة فقال النعمان بن عجلان الزرقى بعد ما أخذ بيد الحسن هذا أبوه على بن أبى طالب وأمه فاطمة وجده رسول الله صلى الله عليه وسلم وجدته خديجة وعمه جعفر وعمته أم هانئ ابنة أبى طالب وخاله القاسم وخالته زينب (وكان) لخالد بن يزيد بن معاوية أخ فجاءه يوما فقال ان الوليد بن عبد الملك يعبث بى ويحتقرنى فدخل خالد على عبد الملك والوليد عنده فقال يا أمير المؤمنين ان الوليد قد احتقر ابن عمه عبد الله واستصغره وعبد الملك مطرق فرفع رأسه وقال ان الملوك اذا دخلوا قرية الآية فقال خالد واذا أردنا ان نهلك قرية أمرنا الآية فقال عبد الملك أفى عبد الله تكلمنى وقد دخل على فما أقام لسانه لحنا فقال خالد أفعلى الوليد تعول فقال عبد الملك ان كان الوليد يلحن فان أخاه سليمان فقال خالد وان كان عبد الله يلحن فان أخاه خالد فقال له الوليد اسكت يا خالد فوالله ما تعد فى العير ولا فى النفير فقال خالد اسمع يا أمير المؤمنين والتفت الى الوليد

وقال

وقال ويحك ومن يعد في العير والنفير غيري جدي أبو سفيان صاحب العير وجدي عتبة بن ربيعة صاحب النفير فهذا المثل نحن أصله ولكن لو قلت غنيمات وجبيلات والطائف ورحم الله عثمان لقلنا صدقت (قلت) يريد بالعير عير قريش التي أقبل بها أبو سفيان من الشام وخرج اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليغنمها فبلغ الخبر أهل مكة فنفر عتبة بن ربيعة بأهل مكة وكان مقدم القوم فلما وصلوا الى المسلمين كانت وقعة بدر وأما الغنيمات والجبيلات والطائف فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نفى الحكم بن أبي العاص الى الطائف وهو جد عبد الملك لم يزل هناك يرعى أغنامالة حتى ولي الخلافة عثمان فرده وكان الحكم عمه واحتج عثمان في رده بأنه كان قد أذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم في رده متى ولي الامر (وحكى) أبو حاتم عن العتبي عن أبيه قال ابتنى معاوية بالابطح مجلسا فجلس فيه وابنه قرظة معه فاذا هو بجماعة على رحال لهم واذا شاب منهم قد رفع عقيرته يتغنى

من يساجلني يساجل ماجدا * أخضر الجلدة في بيت العرب

قال من هذا قالوا عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال خلوا له الطريق فليذهب فاذا هو بجماعة فيهم غلام يتغنى

بينما يذكرنني أبصرنني * دون قيد الميل يسعى بي الاغر
قلن تعرفن الفتى قلن نعم * قد عرفناه وهل يخفى القمر

قال من هذا قالوا عمر و بن ابي ربيعة قال خلوا له الطريق فليذهب فاذا هو بجماعة وفيهم رجل يسئل يقال له رميت قبل ان أحلق وحلقت قبل ان أرمي لاشياء أشكلت عليهم من مناسك الحج فقال من هذا قالوا عبد الله بن عمر فالتفت الى ابنه قرظة وقال هذا وأبيك الشرف في الدنيا والآخرة (وروى) انه قال هذا الشرف لاما نحن فيه وروى انه قال كاد العلماء أن يكونوا أربابا (ويعجبني) قول الشيخ أبي نصر محمد بن محمد بن طرخان بن أولغ الفارابي رحمه الله تعالى

أخي خل حيز ذي باطل * وكن للحقائق في حيز

فما الدار دار مقام لنا * ولا المرء في الارض بالمعجز
ينافس هذا لهذا على * أقل من الكلم الموجز
وهل نحن الا خطوط وقعـ * ـن على نقطة وقع مستوفز
محيط العوالم أولى بنا * فماذا التزاحم في المركز

هكذا فلتكن الهمة والى هذه الغاية فليجر من أمسك لواء الفخر وبهذه الحلل فليتقمص من ارتدى المجد ولكن كيف وأنى بظفر بالحقيقة من أفنى الليالي سهرا ولم يحصل له الطيف أنشدني العالم الحافظ أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن سيد الناس اجازة وفي غالب الظن سماعا قال أنشدني لنفسه الشيخ الامام العلامة القدوة تقي الدين أبو الفتح محمد بن الامام مجد الدين أبي الحسن علي بن وهب بن مطيع بن أبي الطاعة القشيري المعروف بابن دقيق العيد رحمه الله تعالى

أتعبت نفسك بين ذلة كادح * طلب الحياة وبين حرص مؤمل
وأضعت عمرك لا خلاعة ماجن * حصلت فيه ولا وقار مبجل
وتركت حظ النفس في الدنيا وفي الـ * أخرى ورحت عن الجميع بمعزل

وأنشدني بالسند المذكور اجازة له دو بيت

الجسم تذيبه حقوق الخدمة * والنفس هلاكها علو الهمة
والعمر بذاك ينقضي في تعب * والراحة ماتت فعليها الرحمة

واذا كان مثل الشيخ تقي الدين يقول هذا فما ظنك بغيره من اهل اللعب (أخبرني) مولانا قاضي القضاة تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي السبكي الشافعي عن الشيخ تقي الدين السنباطي قال ان الشيخ تقي الدين قال لي عشرون سنة ما أعرف ان كاتب الشمال كتب علي شيئا قال فسألته عن هذا فقال أظن ذلك أو كما قال (قال) الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن أحمد بن عثمان الذهبي في تاريخه الكبير وقد رويته عنه بقراءتي له عليه جميع المغازي ومن أول الترجمة النبوية الى آخر أيام الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه متواليا وجميع الحوادث الى آخر سنة سبعمائة

فى ترجمة ابن شريح فى سنة ست وثلثمائة قال الحاكم سمعت حسان بن محمد الفقيه يقول كنا فى مجلس ابن شريح فى سنة ثلاث وثلثمائة فقام شيخ من أهل العلم فقال ابشر أيها القاضى فان الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد للامة دينها وان الله بعث على رأس المائة عمر بن عبد العزيز وعلى رأس المائتين الشافعى ثم قال

اثنان قد مضيا فبورك فيهما * عمر الخليفة ثم حلف السودد

الشافعى الالمعى محمد * ارث النبوة وابن عم محمد

ابشر أبا العباس انك ثالث * من بعدهم سقيا لتربة أحمد

فصاح ابن شريح وبكى وقال لقد نعى الى نفسى قال الشيخ شمس الدين الذهبى وكان على رأس الاربعمائة أبو حامد الاسفراينى وعلى رأس الخمسمائة الغزالى وعلى رأس الستمائة الحافظ عبد الغنى وعلى رأس السبعمائة شيخنا ابن دقيق العيد نسأل الله التوفيق للرشاد والاستعداد ليوم المعاد (رجع) واذا رجعت الى الصحيح فبم يفخر الانسان ولم يطلق فى التفاضل عنان اللسان وعلام يمرح فى الكبر مرح الجياد فى الميدان والكميت فى الارسان وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن الله عز وجل الكبرياء ردائى والعظمة ازارى فمن نازعنيهما ادخلته النار وقال صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله يوم القيامة الى من جر ثوبه خيلاء قال الفقيه منصور المصرى

قلت للعجب لما * قال مثلى لا يراجع

يا قريب العهد بالمخرج لم لا تتواضع

وقال أيضا

تتيه وجسمك من نطفة * وأنت وعاء لما تعلم

أخذه ذا من الكلام المنسوب الى الامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه ابن آدم أوله نطفة مذرة وآخره جيفة قذرة وهو فيما بينهما يحمل العذرة (نظر) مطرف بن عبد الله بن الشخير الى يزيد بن المهلب وهو يمشى

فى حلة يسحبها فقال له ماهذه المشية التى يبغضها الله ورسوله فقال يزيد أما تعرفنى فقال بلى أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وأنت بين ذلك حامل العذرة وقد نظمه الشاعر فقال

عجبت من معجب بصورته * وكان من قبل نطفة مذرة
وفى غد بعد حسن صورته * يصير فى الارض جيفة قذرة
وهو على عجبه ونخوته * مابين جنبيه يحمل العذرة

(وقال) آخر أظنه ابراهيم الحصرى

أرى أولاد آدم أبطرتهم * حظوظهم من الدنيا الدنية
فلم بطروا وأولهم منى * اذا افتخروا وآخرهم منية

(وقال) الارجانى رحمه الله تعالى

ملأت لنا الاسماع داعية الردى * وكأنما نا صخرة صماء
ومساحب الاذيال اجداث لنا * فسلوا اذا ماهذه الخيلاء

(وقال) بعض الحكماء كيف يستقر الكبر فيمن خلق من تراب وطوى على القذر وجرى مجرى البول (وقال) أبو مسلم ما تاه الا وضيع ولا فاخر الا سقيط ولا تعصب الا دخيل (قال) مدنى لرجل من أنت فقال من قريش والحمد لله فقال يابى ان التحميد ههنا ريبة

*(فيم الاقامة بالزوراء لا سكنى * بها ولا ناقتى فيها ولا جملى)*

(اللغة) فيم أصله فيما وسيأتى الكلام عليه فى الاعراب (الاقامة) مصدر أقام اقامة اذا لازم مكانا لا يفارقه (الزوراء) بغداد سميت بذلك لانحراف قبلتها وفى بغداد لغات بغداذ بذال معجمة أخيرة وبذالين معجمتين وبدالين مهملتين وبغدان بنون بدل الدال الاخيرة ومن أسمائها دار السلام وفى تسميتها بذلك قولان أحدهما ان السلام اسم لدجلة والآخر انه يسلم فيها على الخلفاء ويقال ان اسمها بك دار ومعنى بك بالتركية الرب ودار العادل فكأنهم قالوا الله العادل ويقال غير ذلك وهى بلدة أحدثها المنصور من بنى العباس سنة أربعين ومائة ونزلها فى سنة ست وأربعين وفى سنه

تسع وأربعين تم جميع بنائها وهي بغداد القديمة التي بالجانب الغربي على دجلة وهي بين الفرات ودجلة كما جاء في الحديث وبغداد الثانية هي الجديدة التي في الجانب الشرقي وفيها دور الخلفاء وبغداد عبارة عن سبع محلات لا تفتقر محلة منها الى غيرها على شاطئ دجلة من الجانب الشرقي فالاولى الرصافه بناها المهدي بن المنصور حين ضاقت بالرعية والجند سنة احدى وخمسين وهي مدينة مسوّرة والثانية مشهد أبي حنيفة مسوّرة والثالثة جامع السلطان غير مسورة والرابعة مدينة المنصور في الجانب الغربي وتسمى باب البصرة وكان بها ثلاثون ألف مسجد وخمسة آلاف حمام والخامسة مشهد موسى بن جعفر مسوّرة والسادسة الكرخ مسوّرة والسابعة دار القز مسوّرة يقال ان المنصور سأل راهبا كان في صومعة في مكان بغداد عندما أراد أن يختطها أريد ان أبني ههنا مدينة فقال انما يبنيها ملك يقال له أبو الدوانيق فضحك وقال أنا هو وقيل انما قال له يبنيها ملك يقال له مقلاص فقال له انا كنت أدعى بذلك فاختطها وكان المنصور على جلالته يحاسب على الدوانق فسمى الدوانيق (قرأت) على الشيخ الامام الحافظ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي بدمشق في ترجمة سنة ست وأربعين ومائة من تاريخه الكبير قال قال المدائني حدثني الفضل بن الربيع أن المنصور لما فرغ من بناء قصره بالمدينة طاف به فاعجبه لكنه استكثر النفقة فقال لي أحضر لنا بناء فارها فأحضرت فقال كيف عملت لنا في هذا القصر وكم أخذت لكل ألف آجرة فبقي البناء لا يقدر أن يرد عليه مخافة من الذي كان على العمل فقال مالك ساكت قال لا علم لي قال ويحك قل وأنت آمن فقال والله لا أقف عليه ولا أدريه فأخذ بيده وقال تعال لا علمك الله خيرا وأدخله الحجرة التي استحسنها وقال ابن لي طاقا يكون شبيها بالبيت لا يدخل فيه الخشب قال نعم فأقبل على البناء وأخذ يحصي جميع ما يدخل في الطاق من الآجر والجص ففرغ له في يومين ودعا المستعمر الذي كان على العمل وقال ادفع له الاجرة على

حساب ما عمل معك فدفع له خمسة دراهم فاستكثر ذلك المنصور وقال لا أرضى بذلك ولم يزل حتى نقصه درهما ثم انه آخذ الوكلاء والمستعمر بحساب ما أنفقوا على نسبة ذلك حتى فضل ستة آلاف درهم (السكن) ما يسكن اليه الانسان من زوج وغيره وبقية البيت مثل من أمثال العرب والاصل فيه ان الصدوف العدوية كانت تحت زيد بن الاخنس العدوي وله بنت من غيرها تسمى الفارغة كانت تسكن بمعزل عنها في خباء آخر فغاب زيد عنها غيبة فلهج بالفارغة رجل عذري يسمى شبيبا وطاوعته فكانت تركب كل عشية جملا لابيها وتنطلق معه الى ثنية بيتان فيها ورجع زيد من وجهته فعرج على كاهنة اسمها طريفة فأخبرته بريبة في أهله فأقبل سائرا لا يلوي على أحد واغا تخوف على امرأته حتى دخل عليها فلما رأته عرفت الشر في وجهه فقالت لا تعجل واقف الاثر لا ناقة لي في هذا ولا جمل فصار ذلك مثلا يضرب في التبري عن الشيء قال الراعي

وما هجرتك حتى قلت معلنة * لا ناقة لي في هذا ولا جمل

(الاعراب) فيم أصله فيما حذفوا الألف منها لوجوه الاول قال الجرجاني اذا وصلوا ما في الاستفهام حذفوا ألفها تفرقة بينها وبين أن تكون حرفا الثاني انهم حذفوا الالف لاتصالها بحرف الجر حتى صارت كانها جزء منه لتنبئ عن شدة الاتصال الثالث طلبا للتخفيف في هذا الحرف أعني ما لانه يقع كثيرا في الكلام وأبقوا الفتحة لتدل على أن المحذوف من جنسها كما فعلوا في علام والام وحتام وعم وبم والاصل على ماذا والى متى وحتى متى وعماذا تسأل وبماذا تعتذر وهذه اللغة الفصحى أعني الحذف هي لغة القرآن قال الله تعالى عم يتساءلون وقرأ عكرمة في الشاذ عما يتساءلون باثبات الالف رجوعا الى الاصل قال ابن جني في المحتسب روينا عن قطرب لحسان رضي الله عنه

على ما قام يشتمنا لئيم * كخنزير تمرغ في دمان

(قيل) ان بعض العوام سأل بعض الفضلاء فقال له بما توصيني فقال بتقوى

الله ولسقاط الالف من ما فأصل فيم فيما في حرف جر وما استفهام وموضعه رفع على انه خبر مقدم والمبتدا هو وقوله الاقامة وانما تقدم الخبر لان الاستفهام له صدر الكلام تقول أين زيد وكيف هو ومتى نصر الله كأنه قال الاقامة بالزوراء فيماذا (بالزوراء) الباء تكون للظرفية في الزمان كقوله تعالى وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل وللظرفية في المكان كهذه ومجيئها للمكان أكثر منها في الزمان وتكون للسببية كقوله تعالى فبظلم من الذين هادوا وللاستعانة نحو كتبت بالقلم وذبحت بالسكين وللتعدية كقوله تعالى ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم وللالصاق نحو مررت بزيد وللصاحبة نحو بعتك الدار بأثاثها ومنه قوله تعالى ونحن نسبح بحمدك وبمعنى من التي للتبعيض كقول الشاعر

فلثمت فاها آخذا بقرونها * شرب النزيف ببرد ماء الحشرج

ذكر ذلك الفارسي في تذكرته وحكى مثله عن الاصمعي في قول الشاعر

شربن بماء البحر ثم ترفعت * متى لجج خضر لهن نئيج

هذا كلام الشيخ بدر الدين محمد بن جمال الدين بن مالك وفيه تأييد لمذهب الشافعي في مسح بعض الرأس وخالفه مالك رحمه الله تعالى وجماعة من أهل العربية وأنكروا ذلك منهم محب الدين أبو البقاء العكبري فانه قال في قوله تعالى برؤسكم الباء زائدة وقال من لا خبرة له بالعربية ان الباء في مثل هذا للتبعيض وليس بشئ يعرفه أهل العلم ووجه دخولها انها تدل على الصاق المسح بالرأس ذكر ذلك في اعرابه قلت قال الشيخ شهاب الدين القرافي اذا قلت مسحت بالمنديل وكتبت بالقلم وطفت بالبيت فمن المعلوم انك ما مسحت بكل المنديل ولا كتبت بكل القلم ولا طفت بكل البيت علوا وسفلا وباطنا وظاهرا وانما مسحت ببعض ذا وكتبت ببعض ذا وطفت بظاهر ذا وقال الامام فخر الدين الرازي في تفسيره قال الشافعي في مسح الرأس الواجب فيه أقل شئ يسمى مسحا للرأس وقال مالك يجب مسح الكل وقال أبو حنيفة يجب مسح قدر ربع الرأس وحجة الشافعي انه لو قال مسحت بالمنديل فهذا لا يصدق الا عند

مسحه بكله اما لو قال مسحت يدي بالمنديل فهذا يكفي في مسح اليد بجزء من أجزاء ذلك المنديل اذا ثبت هذا فنقول قوله تعالى وامسحوا برؤسكم يكفي في العمل به مسح اليد بجزء من أجزاء الرأس ثم ذلك الجزء غير مقدر في الآية فان أوجبنا تقديره بمقدار معين لم يكن ذلك القدر الا بدليل مغاير لهذه الآية فيلزمكم ضرورة أن تقولوا ان الآية مجملة وهو خلاف الاصل فان قلنا انه يكفي في ايقاع المسح على أي جزء كان من أجزاء الرأس كانت الآية مبينة مقيدة ومعلوم أن حمل الآية على محمل تبقى الآية معه مقيدة أولى من حمله على محمل تبقى الآية معه غير مقيدة فكان المصير الى ما قلناه أولى وهذا استنباط حسن من الآية انتهى (قلت) هذا بحث مع مالك رضي الله عنه في ايجابه مسح كل الرأس ومع أبي حنيفة رضي الله عنه في تقدير الربع وأما منع من قال بزيادتها فقد قال الشيخ بهاء الدين بن النحاس رحمه الله تعالى لا تزاد الباء بالقياس الا في الخبر المنصوب مع ما وليس وكان اذا وليت النفي وفي فاعل كفى وفي فاعل التعجب نحو احسن بزيد على رأي البصريين وما عدا ذلك فليس بقياس بل هو مسموع كزيادتها في المبتدا نحو بحسبك أن تفعل لا غير ومع الفاعل نحو قول امرئ القيس

ألا هل أتاها والحوادث جمة * بأن امرأ القيس بن تملك بيقرا

أي أقام بالحضر وترك البادية وما كان مثله ومع المفعول نحو قرأت بالسورة وألقى بيده ونحو ذلك ومع خبر المبتدا في الاثبات عند الاخفش وأعرب عليه قوله تعالى جزاء سيئة بمثلها وانما قال ابن عصفور في قوله تعالى أليس ذلك بقادر انه نادر وان كان في خبر ليس لأن ليس هناك بدخول الهمزة عليها لم يبق معناها النفي وصار الكلام تقريرا ويعني بقوله نادر أي في صحة القياس لا في الاستعمال وعلى هذا يخرج كل ما جاء في الكتاب العزيز (رجع القول الى تقسيم الباء) وتأتي بمعنى عن كقوله تعالى سأل سائل بعذاب واقع وقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام (بالزوراء) موضعه نصب على انه ظرف للاقامة (لا سكنى) هذه لا التي لنفي الجنس وسيأتي الكلام عليها

عنده

عند قوله فلا صديق اليه مشتكى حزنى وسكنى منصوب والاصل سكنالى وانما نصب لانه اسم لا وأضيف الى ياء المتكلم والفتحة مقدرة على النون (بها) الباء للظرفية وهاضمير يرجع الى الزوراء وعلامة الجر لا تظهر لان المضمرات مبنيات (ولا) الواو عاطفة ولا هى التى لنفى الجنس (ناقتى) اسم لا وقد أضيف الى ياء المتكلم والفتحة مقدرة على التاء (فيها) فى هنا ظرفية والضمير راجع الى الزوراء (ولا جملى) اعرابه كما تقدم (المعنى) اقامتى فى بغداد لاى شئ ولا سكن لى بها ولا علاقة لى فيها بدليل ما ضربه من المثل فى قوله ولا ناقتى فيها ولا جملى فقد تبرم من المقام فيها كل التبرم لما استفهم استفهام منكر على نفسه وموبخ لها على المقام فيها واذا كان كذلك فرحيله عنها متعين

وان صريح الحزم والرأى لامرئ * اذا بلغته الشمس ان يتحولا

وقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة شرفها الله تعالى وهى أحب البقاع اليه وهاجر الى طيبة لما نبا المقام به وكان من أمره ما كان وعاد اليها بعد مدة وفتحها الله عليه وهو فى عشرة آلاف بعد ما خرج منها هو وأبو بكر منفردين ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم منها قال اللهم انك أخرجتنى من أحب البقاع الى فأسكنى فى أحب البقاع اليك وبهذا تمسك من فضل المدينة على مكة شرفها الله تعالى وأما البقعة التى احتوت على جسده الكريم ولمت أجزاء جسمه الجسيم فلا خلاف فى انها أشرف بقاع الارض وقد قال صلى الله عليه وسلم ان المدينة لتنفى خبثها كما ينفى الكير خبث الحديد وبه تمسك مالك فى تقديم اجماع فقهاء المدينة على الحديث ولم يركب مالك فى المدينة ظهر دابة قط وكان يقول أستحى ان أطأ بحافر دابة أرضا فيها قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما أشرف أبو الفضل الجوهرى على المدينة نزل عن راحلته وأنشد قول ابى الطيب

ولما رأينا رسم من لم يدع لنا * فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا
نزلنا عن الاكوار نمشى كرامة * لمن بان فيه أن نلم به ركبا

هدم فيه موضعين الاول وكيف عرفنا والثانى لمن بان عنه لانه لو تركهما

مالاقا بالمقام و ينهدم معنا بان أيضا لانه فى الاصل من البين وهو الفراق وفى حالة الاستشهاد يكون من البيان وهو الظهور وهذا يجرى أيضا فى قول أبى الطيب

روح تردد فى مثل الخلال اذا * أطارت الريح عنه الثوب لم يبن

فيحتمل المعنيين لم يبن من الظهور أى لم يظهر ولم يبن من الفراق أى لم يتخلف عن الطيران من السقم بل يلزم الثوب ولم يبن عنه وهذا الثانى أدق معنى وألطف من الاول قال ابن خفاجة الاندلسى لو قال أبو الطيب

نزلنا عن الاكوار نمشى كرامة * لاهليه ان نمشى رسومهم ركبا

لجاء البيت أتم جزالة لكن أبا الطيب انما كان يحتفل بالمعانى ولا يبالى بالالفاظ وربما قال قائل لفظة بان عنه تعطى معنى الرسوم لان المنزل اذا بان عنه سا كنه أقوى فاللفظان متساويان فيقال له هذا أصرح من ذاك وأنت تجد قولك لقيت من ضرب زيدا قد تنزل عن قولك الذى ضرب زيدا وكان ذلك انما ينزل فى النفس عن مرتبة الجلالة فى اللفظ لا فى المعنى وقال ابن خفاجة عقب ذلك

وتلذذت نحو الحمى بى نظرة * عذرية ثنت العنان الى الحمى

فلويت أعناق المطى معرجا * ونزلت أعتنق الاراك مسلما

فى منزل ما أوطأته حافرا * عرب الجياد ولا المطايا منسما

قلت الذى أورده ابن خفاجة حسن ولكنه أتى بمعنى أبى الطيب فى ثلاثة أبيات وقد لمحت أنا الى قول ابن خفاجة فنظمته وزدت فيه مع الاستعارة حسن التعليل وهو

أضحى نسيم دمشق حياها الحيا * يمشى الهوينا فى ظلال حماها

فكأنه من مائها وهضابها * ماداس الا أعينا وجباها

وقال ابن بسام فى الذخيرة أول من بكى الربع واستبكى ووقف واستوقف الملك الضليل حيث يقول * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * ثم جاء أبو الطيب فنزل وترجل ومشى فى آثار الديار حيث يقول * نزلنا عن

الا كوار تغشى كرامة * البيت وماقبله ثم جاء المعرى أبو العلاء فلم يقنع بهذه الكرامة حتى خشع وسجد حيث يقول

تحية كسرى فى الثناء وتبع * لربعك لا أرضى تحية أربع

وما أحسن قول ابن الساعاتى بهاء الدين على من أبيات يصف المطر

سرى راكبا ظهر الغمام كرامة * فلما تراءى هضب نجد ترجلا

انظر الى هذا المعنى فانه رحمه الله من كلام أبى الطيب ولكن نقله نقلا حسنا قرأت على الشيخ الامام الاديب الكاتب القاضى شهاب الدين أبى الثناء محمود بن زين الدين سليمان بن فهد الحلبى بدمشق مجلدة من نظمه فى مدح سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمها بأسنى المنائح فى أسنى المدائح من ذلك فى أثناء قصيدة

ألا حبذا مسرى الركاب وقد رأت * لها معلما عنه الثنية معلما

وقد نزل الركبان عنها وعفروا * سعيرا على الارض الوجوه لتكرما

ولاح الحمى والصبح فى طرة الدجا * فلم يدر ماشق الحنادس منهما

وقد أشرفت تلك القباب وأشرقت * وجوه زهاها الحسن ان تتلثما

ومن شعره أيضا فى الكتاب المذكور

كأنى بكم والبيد تطوى لديكم * وقد فزتم دون المتيم باللقا

ولاحت لكم بين النخيل أشعة * أضاءت لها الاكوان غربا ومشرقا

وقد عفتم الاكوار لما علمتم * بها أن تلك الارض أشرف مرتقى

وسابقتم أقدامكم بوجوهكم * لتشرف خد ظل بالترب ملصقا

وما أحسن قوله سابقتم أقدامكم بوجوهكم وأما عجز البيت الرابع من القطعة الاولى فهو مضمن من قول عمر و بن أبى ربيعة المخزومى

فلما توافينا وسلمت أشرقت * وجوه زهاها الحسن ان تتقنعا

كانت عائشة بنت طلحة بن عبيد الله لا تستر وجهها بشئ فلما دخل بها مصعب بن الزبير كلمها فى ذلك فقالت ان الله عز وجل وسمنى بوسم جمال فأحببت ان يراه الناس والله مافى وصمة استترلها (ذكرت) بخروج

رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة قول جمال الدين بن مطروح

لا تنكرن لاهل مكة قسوة * والبيت فيهم والحطيم وزمزم
آذوا رسول الله وهو نبيهم * حتى جنته أهل طيبة منهم
رأف الاله على الذى قد جاءه * سلبا فلا يأتيه الا محرم

رجع القول الى طلب خروج الطغرائى من بغداد وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم العباد عباد الله والبلاد بلاد الله فأينما وجدت الخير فاقم واتق الله قال المتنبى

وكل أمرء يولى الجميل محبب * وكل مكان ينبت العز طيب

والمقادير عجائب وفوائد قوم عند قوم مصائب هذا يقول فى بغداد هذه المقالة والعكوك يقول لما كره عنها ارتحاله

لهفى على بغداد من بلدة * كانت من الأسقام لى جنة
كأننى عند فراقى لها * آدم لما فارق الجنة

وأبو العلاء المعرى يقول

بت الزمان حبالى من حبالكم * أعزز على بكون الوصل مبتوتا
ذم الوليد ولم أذمم جواركم * فقال ما انصفت بغداد حوشيتا

يشير الى قول البحترى رحمه الله

ما أنصفت بغداد حين توحشت * لنزيلها وهى المحل الآنس

وابن الرومى قال يتشوق الى بغداد

بلد صحبت بها الشبيبة والصبا * ولبست ثوب العيش وهو جديد
فاذا تمثل فى الضمير رأيته * وعليه أغصان الشباب تميد

وأما الشريف الرضى فانه قال فيها

مالى لا أرغب عن بلدة * يكثر فيها الدهر حسادى
ما الرزق فى الكرخ مقيما ولا * طوق العلا فى جيد بغداد

(وقال)

أبغداد مالى فيك نهلة شارب * من العيش الا والخطوب مزاجها

لما نبت بغداد بالقاضي عبد الوهاب المالكي خرج منها طالبا مصر فشيعه من أكابر أهلها وفضلائها جماعة موفورة فقال لهم لما ودعهم لو وجدت بين ظهرانيكم كل غداة وعشية رغيفين ما فارقتها ومن شعره فيها

بغداد دار لاهل المال طيبة * وللمفاليس دار الضنك والضيق
أظلت فيها مضاعا بين ساكنها * كأنني مصحف في بيت زنديق

وواقعة القاضي عبد الوهاب تشبه واقعة النضر بن شميل النحوي فانه لما ضاقت معيشته بالبصرة خرج يريد خراسان فشيعه من أهلها نحو ثلاثة آلاف رجل ما فيهم الا محدث أو نحوي أو عروضي أو اخباري أو لغوي فلما صار بالمربد قال يا أهل البصرة يعز علي فراقكم والله لو وجدت كل يوم كيلجة باقلاء ما فارقتكم فلم يكن فيهم من يتكلف له ذلك ذكر ذلك أبو عبيدة في مثالب أهل البصرة وقال ابراهيم الغزي

مالي وللمكث في الزوراء يجحف بي * من أنفع الحزم لم يفرح بما نجبا
قلبي أظن هو المعدي مساكنها * بنار لوعته لما ارتقى درجا
فالدور محترقات والمجير بها * يساعد الهجر فيما يسبب المهجا

وقال التهامي

بعض التفرق أدنى للقاء وكم * رأيت شملا بشمل غير ملتئم
كيف المقام بأرض لا يخاف بها * ولا يرجى شبا رمحي ولا قلمي

وقال شرف الدين القيرواني

وصير الارض دارا والورى رجلا * حتى ترى مقبلا في الناس مقبولا

وهو مأخوذ من قوله

شرق وغرب تجد من غادر بدلا * فالارض من تربة والناس من رجل

وقال أبو العرب مصعب الصقلي

اذا كان أصلي من تراب فكلها * بلادي وكل العالمين أقاربي

وقال أبو فراس

من كان مثلي فالدنيا له وطن * وكل قوم غدا فيهم عشائره

الكيلجة بكسر الكاف وفتح اللام كيل معروف لاهل العراق وهي منا وسبعة اثمان منا والمنا رطلان والجمع على لفظه كيلجات اه

وما تعدله الاطناب فى بلد * الا تضعضع باديه وحاضره

وقال مسلم بن الوليد

فان الفتى ما عاش رهن تقلب * مزال بصرف دهره المتحول

وقد عجمت منى الخطوب ابن حرة * متى ما تريه منزل السوء يرحل

وقال أبو الطيب

اذا صديق نكرت جانبه * لم تعينى فى فراقه الحيل

فى سعة الخافقين مضطرب * وفى بلاد من أختها بدل

(وقال أيضا)

ولم أر مثل جيرانى ومثلى * لمثلى عند مثلهم مقام

بأرض ما اشتهيت رأيت فيها * فليس يعودها الا الكرام

وقال أبو تمام

وما ربع القطيعة لى بربع * ولا نادى الاذى منى بنادى

وقال ابن سناء الملك

لم لا أهين صغارهم * وكبارهم تيها وكبرا

ما النيل من ماء الحيا * ة ولا جميع الارض مصرا

هذا يشبه قول الشريف الرضى ما الرزق فى الكرخ البيتين وقد تقدما والاصل فيه قول ابن أخى أبى دلف العجلى

دعينى أجوب الارض فى طلب الغنى * فما الكرخ الدنيا ولا الناس قاسم

يعنى عمه أبا دلف الذى قال فيه العكوك رحمة الله عليهما

انما الدنيا أبو دلف * بين باديه ومحتضره

فاذا ولى أبو دلف * ولت الدنيا على أثره

وقال الغزى

من ظن أن القوافى لا نشور لها * فليذكر القاسم العجلى والكرخا

وما أحسن قول الجزار يمدح موسى بن يغمور

لما توالى حكمه قلنا له * مما رأينا أنت موسى الكاظم

لئن وان كنت حبيبا عنده * فانه للرزق عندى قاسم

يريد بقوله حبيبا أبا تمام الطاءى وبقوله قاسم أبا دلف العجلى لان أبا تمام له فيه مدائح كثيرة مشهورة ويعجبنى أبيات ابن حمديس الصقلى وهى

ذكرت صقلية والاسى * يهيج للنفس تذكارها

فان كنت أخرجت من جنة * فانى أحدث أخبارها

ولولا ملوحة ماء البكا * حسبت دموعى انهارها

وقال ابن اللبانة فى صاحب المريد

جناب ابن معن تجنبته * فلم يرضنى بعده العالم

وكانت مدينته جنتى * فجئت بما جاءه آدم

ومما اتفق لى نظمه بالرحبة

وبلدة قد رمتنى * بكل داء عنادا

ولو رجعت لاهلى * كانت بلادى بلادا

وقلت فيها أيضا

بالرحبة انهد ركنى * وذاب عظمى وجلدى

أصيفها حرحر * وللشتا برد برد

وقلت فيها أيضا

عدمت بالرحبة اكتسابى * فلا قريض ولا فراضة

وكل طرفى بها وفكرى * فلا رياض ولا رياضة

وقلت

تبا لها من بلدة لا أرى * فيها مقامى واضح النهج

لانها فى وجه سكانها * وأهلها تبصق بالثلج

وما أعرف أحدا ضمن هذا المثل أعنى لا ناقة لى فى هذا ولا جمل أمكن ولا أحسن من قول الشهاب أبى الثناء محمود أنشدنى لنفسه اجازة من قصيدة

أستغفر الله أين الغيث منفصلا * من بره وهو طول الدهر متصل

من حاتم عدّ عنه واطرح فبه * فى الجود لا بسواه يضرب المثل

أين الذى بره الآلاف يتبعها * كرائم الخيل ممن بره الابل
لومثل الجود سرحا قال حاتمهم * لاناقة لى فى هذا ولا جمل

السرح المال الراعى اه

انظر الى قلقه فى بيت الطغرائى لانه عطف الناقة والجمل على السكن ولو عطف ما يناسب ذلك من أهل وولد لكان أحسن وأوقع فى النفس وانظر الى وروده فى أبيات الشهاب محمود فانه جاء فى مكانه منسجم التركيب ثابتا فى معناه حتى كأنه ما برز الى الوجود الا فى هذا المكان ولا ظهر الا فى هذا القالب ولست أنكر ان الناس قد ضمنوه كثيرا فى أغراض مختلفة طلبا للتبرى مما ينتفى الانسان عنه ولكن كلما كان الكلام أكثر ارتباطا وتعلقا فى أجزائه كان أحسن ألا ترى الى قول شمس الدين محمد بن العفيف التلمسانى ومن خطه نقلت

وعيون أمرضن جسمى وأضرمن بقلبى لواعج البلبال
وخدود مثل الرياض زواه * مالأيام حسنها من زوال
لم أكن من جناتها علم الله * وانى بجرمها اليوم صالى

ما أحلاه وأرشقه وكيف خدمته لفظة جناتها فصارت من الجنى لا من الجناية وقد ضمن المتأخرون والمتقدمون هذا البيت وما رأيت عقده الفريد على أحسن من هذا الجيد وقوله أيضا رحمه الله

هذا الذى أنا قد سمحت بحبه * كرما بلؤلؤ دمعى المتنظم
لا تحرمونى ضم أسمر قده * ليس الكريم على القنا بمحرم

كاه حسن الا قوله المتنظم فان لؤلؤ الدمع منثور على ما هو المشهور وانظر الى قوله رحمه الله تعالى

أسعدنى باطلعة البدر طالع * ومن شقوتى خط بخديك نازل
نعم قد تناهى فى الجفاء تطاولا * وعند التناهى يقصر المتطاول

والى قول الشهاب أحمد بن جلنك فى أقطع

وأقطع قد أضحى بجود بماله * ومن فضله فى الناس ما رد سائل
تناهت يداه فاستطال عطاؤها * وعند التناهى يقصر المتطاول

فأى هذين يروق لقلبك ويليق بلبك لقد جرّ ابن جلنك ذيل الفخار عليه وتناهى الى رتبة مشت فيها المحاسن بين يديه ولم أورد هذين التضمينين وأحدهما فى الحسن كالقمر والآخر قد خرب على الاول ماشاد وعمر الا ليبدو لك الفرق بين تمكين التضمين وقلقه وعلى ذكر الاقطع قال ابن دانيال رحمه الله

وأقطع قلت له * هل أنت لص أوحد
فقال هذى صنعة * لم يبق لى فيها يد

وما أحلا قول ابن قلاقس رحمه الله

كانت يدا لك عنده * شد أنت وحدك سيده
فقطعتها وبعز عند * دى قولهم قطعت يده

(رجع) قول الطغراءى فيم الاقامة البيت هذا النوع تسميه أرباب البديع عتاب المرء نفسه وهو من ايراد ابن المعتز ولم ينشد فيه سوى بيتين وهما

عصانى قومى والرشاد الذى به * أمرت ومن يعص المجرب يندم
فصبرا بنى بكر على الموت اننى * أرى عارضا ينهل بالموت والدم

والشاهد فى هذه التسمية قول القائل

فقد تك من نفس شعاعا واننى * نهيتك عن هذا وأنت جميع

ومن التضمين المليح قول زكى الدين بن أبى الاصبع لانه نقل الحماسة الى الغزل

له من ودادى ملء كفيه صافيا * ولى منه ماضمت عليه الانامل
ومن قده الزاهى ونبت عذاره * صدور رماح أشرعت وسلاسل

وممن أجاد فى التضمين وبلغ الغاية مجير الدين محمد بن تميم فانه قال

وطرف تخط الارض رجلاى فوقه * اذا ما مشى ضاقت على المنافس
وما أنا الا راجل فوق ظهره * ولكننى فيما ترى العين فارس

نقله من الفراسة الى الفروسية وقال

لو كنت فى الحمام والحنا على * أعطافه وبجسمه لألاء
لرأيت ما يسبيك منه بقامة * سال النضار بها وقام الماء

وكتب مع وردة أهداها

سبقت اليك من الحدائق وردة * وأتتك قبل أوانها تطفيلا
طمعت بلثمك اذ رأتك فجمعت * فمها اليك كطالب تقبيلا

وقال فى زهر اللوز

أزهر اللوز أنت لكل زهر * من الازهار يأتينا امام
لقد حسنت بك الأيام حتى * كأنك فى فم الدنيا ابتسام

رفع اماما على انه خبر لأنت وقال

اذا هجرتني الصهباء يوما * أرى للنار فى كبدى اشتعالا
كأن الهم مشغوف بقلبي * فساعة هجرها يجد الوصالا

وقال

وجيران ألفتهم زمانا * فأبعدهم نوى الحدثان عنى
أثاروا عيسهم فجرت دموعى * كأن العيس كانت فوق جفنى

وقال

قيان ملاهيها يلذ سماعها * ويطربنا منهن عود ومزهر
وأكثر ما يثنى لنا السكر بينها * أنابيب فى أجوافها الريح تصفر

وكتب مع قدح اهداه

أهديته قدحا فان أنصفته * أوسعته بجماله تقبيلا
نظمت به الصهباء درحبابها * حتى يصير لرأسها اكليلا

وقال يرثى قدحا

أيا قدحا قد صدع الدهر شمله * وأصبح بعد الراح قدحا ورا الترابا
سأبكيك فى وقت الصبوح واننى * سأكثر فى وقت الغبوق لك الندبا
وان قطبت شمس المدام حقها * لانك كنت الشرق للشمس والغربا

وقال فى مليح يشرب بفيه

أفدي الذي أهوى بفيه شاربا * من بركة طابت وراقت مشرعا
أبدت لعيني وجهه وخياله * فأرتني القمرين في وقت معا
وقال في مليح ينظر في مرآة
سقيا لمرآة الحبيب فانها * جليت بكف مثل غصن أينعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها * فأرتني القمرين في وقت معا
(وقال رحمه الله)
عاينت في الحمام أسود ثابتا * من فوق أبيض كالهلال المسفر
فكأنما هو زورق من فضة * قد أثقلته حمولة من عنبر
(وقال أيضا)
تعبت حتى جوادي لا حراك به * يكاد من همزه بالركض ينخذم
فلا يغرنك منه شبه غلطا * ان الجواد على علاته هرم
(وقال أيضا)
وأهيف مثل البدر غصن قوامه * عليه قلوب العاشقين تطير
يدور عذاراه لتقبيل وجنة * على مثلها كان الخصيب يدور
وعلى الجملة فمحاسنه في التضمين كثيرة الى الغاية وأكثرما أجاد في التشبيه والتورية والتضمين وقال في كثرة تضمينه وكل ما أوردته له نقلته من خطه
أطالع كل ديوان أراه * ولم أزجر عن التضمين طيري
أضمن كل بيت فيه معنى * فشعري نصفه من شعر غيري
ونقلت من خط سراج الدين عمر الوراق له
توارت من الواشي بليل ذوائب * له من جبين واضح تحته فجر
فدل عليها شعرها بظلامه * وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر
ونقلت له منه في بخيل صفع
وباخل يشنأ الأضياف حل به * ضيف من الصفع نزال على الغنم
سألته ما الذي تشكو فجاوبني * ضيف ألم برأسي غير محتشم
ونقلت منه له مما قاله في شخص غرابيلي

مالى ومالِلغرابيسلى يبسط فى * عرضى لسانا كثيرالغو والهذر
فهل توهم جهلاان سيجمعنا * بيت من الشعرأو بيت من الشعر
ونقلت منه له أيضا
اذاماجعلتم جفنة الصلح سكرا * فقدجئتم الامرالذى كان أصلحا
وأنتم أحق الناس أن تنشدوننا * لنا الجفنات الغريلمعن فى الضحى
ونقلت منه له فى العنة
نشطت لسريتى فانثنى * متاعى من بعدماقدعزم
فقلت تنام ولى مقلة * مسهدة من بهذا حكم
فقال أماقال بشاركم * فنبه لها عمرا ثم نم
وله ولم أره بخطه
وسقيم الجفون أودعه الله * بذاك السقام سرا خفيا
غلبت مقلتاه قلبى عشقا * وضعيفان يغلبان قويا
أنشدنى لنفسه المولى صفى الدين عبد العزيز بن سرايا الحلى اجازة
ياضعيف الجفون أضعفت قلبا * كان قبل الهوى قويا مليا
لاتحارب بناظريك فؤادى * فضعيفان يغلبان قويا
(وأنشدنى) من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة
ومليح قدأخجل الغصن والبد * رقوامارطيباووجها جليا
غلب الصبر فى لقاناظريه * وضعيفان يغلبان قويا
(وأنشدنى) من لفظه لنفسه الامير علاء الدين الطنبغا الجاولى
ردفه زادفى الثقالة حتى * أوعدالخصروالقوام السويا
نهض الخصروالقوام وقاما * وضعيفان يغلبان قويا
(وأنشدنى) لنفسه المرحوم القاضى شهاب الدين أبوالثناء محمود اجازة
قل لى عن الحمام كيف دخلتها * ياما لكى لتسر خلا مشفقا
أدخلتها وأولئك الاقوام قد * شدوا المآزر فوق كثبان النقا
(ومما اتفق) لى نظمه

فل

قل للرقيب ليستريح من رصدي * ما أصبح المعشوق عندي يشتهي
وارتد قلبي من سيوف جفونه * وكل شيء بلغ الحد انتهى

(وقلت) وقد عدت مليحا أرمد

أيقظته من كراه بعدما رمدت * عيناه لامسه من بعدها ألم
قد زرته وسيوف الهند مغمدة * وقد نظرت اليه والسيوف دم

(وقلت) أيضا في بكاء المحبوب

بمقلة محبوبي دموع تحدرت * دلالا على صب غدا وهو مغرم
فشبهت عينيه سيوفا وقد غدت * من التيه في اغمادها تتبسم

(وقلت) في الاتراك الذين يحلقون ذوائبهم

لقد زان أصداغ المماليك نبتها * وما شانهم في الحسن حلق الذوائب
فما بال من يهواهم عندما اتقى * عضاض الافاعي نام فوق العقارب

(وقلت) في مليح أحب أسود

أيا من تكلف حب العبيد * ذلك في العقل لا يحمل
فلو يتساعد قدر يكا * لبث وأعلا كما الاسفل

(وقلت) فيمن يتهم بحاله مع معشوقه

يقول له المعشوق وهو يلوطه * أمالك تحتي بعد ذاك تنام
فقال وهل في العيش للناس لذة * اذا لم يكن تحت الكرام كرام

(وقلت) في تفضيل بياض الشيب على سواد الشباب

أرى فضل المشيب على شبابي * يخالف فيه بعض الأغبياء
وهبني قلت هذا الصبح ليل * أيعمى العالمون عن الضياء

(وقلت أيضا)

قالوا حلا وصف العذار من الورى * في كل ما نلقاه من ابياته
فأجبتهم لم لا يرى حلوا وقد * قطف الرجال الفول عند نباته

(وقلت) في تفضيل مملوك على خادم

يا من يرجح وجها كالظلام على * وجه كصبح تبدى في بشائره

ان كان مملوك هذا مثل خادم ذا * فما انتفاع أخي الدنيا بناظره

(وقلت أيضا)

ظبي من الاتراك يحمي خده الشمس النقي من النبات المعتدي
قال الجمال لخده المبيض قد * خلت الديار فسدت غير مسود

(وقلت أيضا)

كلفت بوجه فيه بعض سماجة * رجاء بان يحلو اذا هو عذرا
وغير بعيد أن يزان بلحية * فقد ينبت المرعى على دمن الثرى

(وقلت) مضمنا قول المعري في فرند السيف

ما كنت أحسب لولا نبت عارضه * ان ينبت الآس وسط الجمر في النهر
ولا ظننت صغار النمل يمكنها * مشيا على اللج أو سعيا على السعر

(وقلت) في شيب عذار الحبيب

قال الحبيب وقد وصفت مشيبه * والناس قد وصفوه لما عذرا
قطف الرجال القول عند نباته * وقطفت أنت القول لما نورا

(وقلت) أيضا مضمنا قول المعري

وأشقر نبت عارضه تراه * كأن شعاع وجنته تلالا
ودبت فوقه حمر المنايا * ولكن بعد ما مسخت نمالا

(وقلت أيضا في مقياس نيل مصر)

يقول انا المقياس والنيل هابط * ليقطع أوصال المنى والمطامع
ومن يأمن الدنيا يكن مثل قابض * على الماء خانته فروج الاصابع

(وقلت أيضا)

ألا فاسقني من ريقة لذ طعمها * بفيك ولا تبخل وقل لي هي الخمر
وحط لثاما حجب اللثم عن فمي * فلا خير في اللذات من دونها ستر

(وقلت أيضا)

تقول دمشق اذ تفاخر غيرها * بجامعها الزاهي البديع المشيد
جرى ليباهي حسنه كل جامع * وما قصبات السبق الا لمعبدي

(وقلت) في مليح أعور

أفديه أعور طرفه الباقي يقول وما تعدى * قد غار من حسني أخي وبقيت مثل السيف فردا

(وكتبت) على مجلد قديم قد رث

ملكت كتابا أخلق الدهر جلده * وما أحد في دهره يتخلد
اذا عاينت كتبي الجديدة حاله * يقولون لا تهلك أسى وتجلد

ذكرت هنا ما أخبرني به الشيخ الامام الحافظ العلامة أثير الدين أبو حيان من لفظه وأنا أقرأ عليه الاشعار الستة عند قول طرفة وقوفا بها صحبي البيت قال ان بعض وزراء العرب ذكره لي ونسيته أنا أمر بضرب بعض العمال مائة سوط فقال اذا أهلك وكسر اللام فقال الوزير وأنت من أجل أهلك الحق بأهلك ومما يتعلق بهذا ما ذكره ابن وكيع في المنصف عن علي بن بسام انه دعاه صديق له مع نحوي متشدق فثقل على علي بن بسام ثم دعي معه في يوم آخر فتخلف عنه فلقيه النحوي فعاتبه على تخلفه فقال له ما يمنعك من زيارتنا فقال يمنعني ما يمنعك يريد ثقل الاعراب في يمنعك

*(ناء عن الاهل صفر الكف منفرد * كالسيف عري متناه عن الخلل)*

اللغة نأى ينأى نأيا فهو ناء اذا بعد (الاهل) أهل الرجل فهو اسم جمع لا واحد له من لفظه مثل رهط وقوم ولا بأس بمعرفة الجمع واسم الجمع واسم الجنس فانه من المهمات وقد خبط الناس في ذلك قال الشيخ بدر الدين محمد بن مالك الاسم الدال على أكثر من اثنين بشهادة التأمل اما ان يكون موضوعا للآحاد المجتمعة دالا عليها دلالة تكرار الواحد بالعطف واما ان يكون موضوعا لمجموع الآحاد دالا عليها دلالة المفرد على جملة أجزاء مسماه واما ان يكون موضوعا للحقيقة ملغى فيه اعتبار الفردية الا ان الواحد ينتفي بنفيه فالموضوع للآحاد المجتمعة هو الجمع سواء كان من لفظه واحد مستعمل كرجال وأسود أو لم يكن كأبابيل والموضوع لمجموع الآحاد هو اسم الجمع سواء كان له واحد من لفظه كركب وصحب أو لم يكن كرهط

وقوم والموضوع للحقيقة بالمعنى المذكور هو اسم الجنس وهو غالبا يفرق بينه وبين واحده بالتاء كتمرة وتمر وعكسه كماة وجباة ومما يعرف به الجمع كونه على وزن لم تبن عليه الآحاد كأبابيل وغلبة التأنيث عليه ولذلك حكم على نحو تخم انه جمع تخمة مع أن نظيره من نحو رطب ورطبة محكوم عليه انه اسم جنس لان تخما غلب عليه التأنيث يقال هذه تخم ولا يقال هذا تخم فعلم انه فى معنى جماعة وليس مثلوكابه طريق رطب ونحوه ومما يعرف به اسم الجمع كونه على وزن الآحاد وليس له واحد من لفظه كقوم ورهط وكونه مساويا للواحد فى تذكيره والنسب اليه ولذلك حكم على نحو غزى انه اسم جمع لغاز وان كان نحو كليب جمعا لكلب لان غزيا مذكر وكليبا مؤنث وحكم أيضا على نحو ركاب انه اسم جمع ركوبة لانهم نسبوا اليه زيت ركابى والجموع لا ينسب اليها الا اذا غلبت كانصارى اه (صفر) الصفر الخالى يقال بيت صفر من المتاع ورجل صفر اليدين وفى الحديث ان اصفر البيوت من الخير البيت الصفر من كتاب الله عز وجل وقد صفر الرجل بالكسر واصفر فهو مصفر أى افتقر والصفاريت الفقراء والواحد صفريت قال ذو الرمة ولا خور صفاريت (الكف) معروف وفى الانسان من أعضائه عشرة أول كل عضو منها كاف وهى الكف والكوع والكرسوع والكتف والكاهل والكبد والكتد والكلية والكمرة والكعب (يحكى) ان بعض أشياخ اللغة طلب منه عدها فعد تسعة أعضاء ونسى الكمرة فلما قام الى بيت الخلاء ذكرها وقد كان قبل قد ذكر الكرش فقيل له ليس للانسان كرش انما هى الاعفاج ويقال ان ابن خالويه وضع مسئلة سماها الانطاكية اشتملت على ثلثمائة عضو من أعضاء الانسان أول كل كلمة منها كاف وقد رأيت أنا مجلدا ولم أعرف اسم مصنفه قد جمع فيه اسماء أعضاء الرجال والنساء على حروف المعجم وهذا اطلاع كبير فرأيت فيه زيادة فى حرف الكاف على ماذكرته هنا الكذوب النفس والكعبرة عقدة مكبلة حائدة عن الرأس والكشفة بفتح الكاف والشين دائرة من شعر تكون عند

* الكتد بفتح التاء مجتمع الكتفين من الانسان والفرس كالكتد بكسرها أوهما الكاهل أوما بين الكاهل الى الظهر الجمع اكتاد وكتود اه

الاعفاج جمع العفج بفتح العين وسكون الفاء ما ينتقل الطعام اليه بعد المعدة اه

الناصية تنبت صعدا والكرسعة الوجه ولكن لا يقال الا فى الشتم والكرد أصل العنق والكراديس ماشخص من عظام البدن كالمنكبين والمرفقين والكعاش عظام السلامى والكاثبة من الانسان والبهيمة ما بين الكتفين الى أصل العنق والكاكل الصدر والكشح الجنب وهو من لدن الورك الى الخصر والكفل العجز والكاذه لحم مؤخر الفخذ والكراع من الانسان مادون الركبة والكوشلة الذكر والكظر ركب المرأة والكثوم الكعثب وهو الفرج والكين لحم باطن الفرج والكراض حلق الرحم وأما الكس فليس بعربى على الصحيح واذ كرانى وقفت على فصل فيه تسمية أعضاء الانسان بأسماء حروف المعجم من أولها الى آخرها وأما تشبيه أعضاء الانسان بالحروف فقد أكثر الشعراء من ذلك فشبهوا الحاجب بالنون والعين بالعين والصدغ بالواو والفم بالميم والصاد والثنايا بالسين والقامة بالالف والطرة بالشين فمن ذلك قول بعضهم

لا تقولى لاهكتوب على * وجهك المشرق نورا نعم
بحروف خلقت من قدرة * ماجرى قط عليها قلم
نونها الحاجب والعين بها * طرفك الفتان والميم الفم

وقلت أنا من أبيات

علقتها من بنات الترك قد غنيت * بدمع عاشقها عن منة الشنف
بالله هوى عينها عين وحاجبها * نون وتم العنا من قدها الالف

وقال محاسن الشوا

أرسل فرعا ولوى هاجرى * صدغا فاعيى بهما واصفه
فخلت ذا من خلفه حية * تسعى وهذا عقربا واقفة
ذى ألف ليست لوصل وذى * واو ولكن ليست العاطفة

وقال جمال الدين يحيى بن مطروح

قالت لنا ألف العذار بخده * فى ميم مبسمه شفاء الصادى

وقال الآخر

كأن عذاره المسكي لام * ومبسم ثغره الدري صاد
ومسبل شعره ليل بهيم * فلا عجب اذا سرق الرقاد

وقال ابن نقادة

صنم الجمال فصاده من عينها * والنون حاجبها بخال تنقط
والميم فوها فالحروف تألفت * مكتوبة والصبر عنها يكشط

وما أحسن قول القائل

ياسين طرتها وصاد عيونها * انى أعوذها بسورة طه

(وقلت)

سين الثنايا حوتها ميم مبسمه * طوبى لمن ذاق منها كاس تسنيم
ومن عجائب وجدى ان بى سقما * ما برؤه غير تلك السين والميم

(وقال آخر)

تالله ما المعذبى فى حسنه * شبه فأى حشا عليه لم تهم
لام العذار وميم مبسمه على * ما أدعى من حسنه برهان لم

قلت البرهان اللمى عند أرباب المعقول أشرف من البرهان الانى لان اللمى يعطى العلة المستلزمة للوجود والانى يعطى الوجود فقط لانك اذا قلت الخشبة ممسوسة النار وكل ممسوس النار محترق فالخشبة محترقة لزم من هذا الاستدلال بالمؤثر على الاثر لان الحد الاوسط علة لثبوت الحد الاكبر للاصغر فعلة الاحتراق من مماسة النار فهذا هو البرهان اللمى وأما البرهان الانى فان الحد الاوسط فيه معلول الاكبر كقولك الخشبة محترقة وكل محترق ممسوس النار فالخشبة ممسوس النار فلزم من ذلك الاستدلال بالاثر الذى هو محترق على المؤثر الذى هو ممسوس النار وتنزيل ما قاله هذا الشاعر على هذه القاعدة وترتيبه ان يقال معذبى له عذار يشبه اللام وفم يشبه الميم وكل ذى عذار لامى وفم ميمى فهو حسن فمعذبى حسن فالبرهان على حسنه لمى والقضية الصغرى ثابتة بالمشاهدة والكبرى مشهورة فالنتيجة صادقة (كالسيف عرى) أى جرد (متناه) المتن الظهر مكتنفا الصلب عن يمين

وشمالى

وشمال وهما هنا جانبا السيف (الخلل) جمع واحده خلة بالخاء المعجمة والخلل بطائن كانت تغشى بها أجفان السيوف منقوشة بالذهب وغيره (الاعراب) ناء اسم فاعل من نأى وأصله ناءى مثل جاء فلما اجتمع همزتان فى الكلمة الواحدة قلبوا الثانية ياء لانكسار ما قبلها فصار من باب قاض وأما قول الشاعر * يشجيج رأسه بالفهر واجى * أصله واجئ * مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف تقديره أنا ناء ولم يظهر فيه الرفع لانه منقوص مثل قاض فلا يظهر فيه الا النصب فقط تقول هذا ناء ورأيت نائيا ومررت بناء فان قلت هلا رفعته على انه مبتدأ قلت لا لانه اسم فاعل واسم الفاعل لا يكون مبتدأ حتى يعتمد على الاستفهام أو النفى أو معنى النفى لانهما يقربانه مما له صدر الكلام كقول الشاعر

أقاطن قوم سلمى أم نووا ظعنا * ان يظعنوا فعجيب عيش من قطنا

(وكما) فى قول الآخر

خليلى ما واف بعهدى أنتما * اذا لم تكونا لى على من أقاطع

الا ترى أن قاطنا لما اعتمد على الاستفهام كان مبتدأ وأن وافيا لما اعتمد على النفى جاز الابتداء به وقولى أو معنى النفى ليدخل فيه قول الشاعر

غير مأسوف على زمن * ينقضى بالهم والحزن

قال الشيخ أثير الدين أبو حيان هذا البيت سأل أبا الفتح بن جنى ابنه عن اعرابه فارتبك فيه ولابى عمرو بن الحاجب فيه كلام طويل وخرجه ابن جنى وتبعه ابن الحاجب على حذف المبتدأ واقامة صفته مقامه وايقاع الظاهر موقع المضمر بحذف الظاهر المبتدأ والتقدير زمان ينقضى بالهم والحزن غير مأسوف عليه وقال الشيخ بهاء الدين بن النحاس قولهم حسبك بزيد مبتدأ لا خبر له على أحد الوجهين لكونه بمعنى اكتف وكذلك قول الشاعر غير مأسوف البيت ومثله قول الآخر

غير لاه عداك فاطرح اللهو ولا تغترر بعارض سلم

فغير فى البيتين مبتدأ لا خبر له على أحد الوجهين لانه محمول على ما كأنه قيل

الفهر بالكسر الحجر قدر ما يدق به الجوز أو ما يملأ الكف ويؤنث الجمع أفهار وفهور. اه

ما يؤسف على زمن كما فى قولهم ماقام أخواك اه (قلت) فغير مبتدأ وعلى زمن جار ومجرور فى موضع المفعول الذى لم يسم فاعله لمأسوف لانه صيغة اسم المفعول وقد سد الجار والمجرور مسد الخبر كقولك مامضر و ب الرجلان فتقرر بهذا ان ناثيا لايجوز أن يكون مبتدأ العدم اعتماده على شئ من المسوغات له (من الاهل) عن تقدم الكلام على تقسيم مجيئها فى الكلام وهى هنا للتجاوز والجار والمجرور فى موضع النصب باسم الفاعل (صفر الكف منفرد) خبران أيضا مثل ناء فهى ثلاثة أخبار لمبتدأ واحد قال الشيخ بدر الدين محمد بن مالك قد يتعدد الخبر فيكون للمبتدأ الواحد خبران فصاعدا وذلك فى الكلام على ثلاثة أضرب قسم يجب فيه العطف وقسم يجب فيه ترك العطف وقسم يستوى فيه الامران فالاول ماتعدد لتعدد ماهو له اما حقيقة نحو بنوك كاتب وشاعر وفقيه قال الشاعر

يداك يد خيرها يرتجى * وأخرى لاعدائها غائظة

واما حكما كقوله تعالى انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد والثانى ماتعدد فى اللفظ دون المعنى وضابطه ان لا يصدق الاخبار ببعضه عن المبتدأ كقولك الرمان حلو حامض بمعنى مز وزيد اعسر يسر أى ضابط وقد أجاز أبو على فيه العطف وجعل منه

لقيم بن لقمان من أخته * فكان ابن أخت له وابنا

وهو سهو والثالث ماتعدد لفظا ومعنى دون تعدد ماهو له فهذا يجوز فيه الوجهان نحو قوله تعالى وهو الغفور الودود الآية وقال الشاعر

ينام باحدى مقلتيه ويتقى * باخرى الاعادى فهو يقظان هاجع

ونحو قوله تعالى صم وبكم فى الظلمات اه قلت قوله وهو سهو لان أبا على توهم انه تعدد فى اللفظ دون المعنى وليس كذلك لانه فى اللفظ والمعنى متعدد وذلك ان لقمان بن عاد كانت له أخت محمقة فقالت لاحدى نساء أخيها هذه الليلة طهرى وهى ليلتك فدعينى أنام فى مضجعك فان لقمان رجل منجب فعسى أن يقع على فانجب فوقع على اخته فحملت منه بلقيم فلذلك قال النمر بن تولب

لقيم بن لقمان من أخته * فكان ابن أخت له وابنما
ليالى حمق فاستحصنت * اليه فغر بها مظلما
فأحبلها رجل محكم * فجاءت به رجلا محكما

فعلى هذا اذا كان الانسان ابن أخت أبيه كان له معنيان هما ان أباه خاله وأن خاله أبوه فهو ابن أبيه وابن خاله واذا صح هذا فهو متعدد فى اللفظ والمعنى وحينئذ يستوى فيه العطف وعدمه فلك أن تقول فكان ابن أخته وابنه وان تقول فكان ابن أخته ابنه وأما قول حميد الهلالى ينام باحدى مقلتيه البيت فالعرب تزعم ان الذئب اذا نام زاوج بين عينيه فيفتح احداهما لتكون حارسة له قال العسكرى وهذا محال لان النوم يأخذ جملة الحى قال ابن الجوزى والذى أرادوا بذلك انه يغمض عينا عند بداية النوم ويفتح عينا الى ان يغلبه النوم فيكون فى صورة الهاجع ويكون الكلام صحيحا قلت ما خلص ابن الجوزى من كلام العسكرى لان الشاعر قال فهو يقظان هاجع والحيوان لا يكون فى حاله النوم يقظان ويزعمون أن الأرنب ينام وعيناه مفتوحتان قال أبو الطيب

أرانب غير أنهم ملوك * مفتحة عيونهم نيام

اه فعلى ما قرره الشيخ بدر الدين محمد بن مالك يكون ناه عن الاهل صفر الكف منفردا أخبارا تعددت فى اللفظ والمعنى دون المبتدا لانه واحد متصف بهذه الصفات فيجوز ان تسرد الاخبار هنا معطوفة وغير معطوفة كقوله تعالى وهو الغفور الودود (كالسيف) تقدم الكلام على تقسيم الكاف وهى هنا اسم بمعنى مثل وموضعها الرفع ان قدرت فأنا منفرد مثل السيف أو النصب على الحال أو على أنها صفة لمصدر محذوف تقديره منفردا انفرادا مثل انفراد السيف (عرى متناه) عرى فعل مغير لما لم يسم فاعله قالوا فى ضم أول الفعل المغير انه دلالة على ان المحذوف مرفوع ولا يرد هنا قيل وبيع وبابه فان الاصل قول وبيع بضم الاول فلما كان ثقيلا كسر لانه لا يكون قبل الياء الا ما هو من جنسها وكسر ما قبل آخره اعتناء بأمره ليصوغوا له

هيئة لا يشاركه فيها غيره من المفاعيل الخمسة وهذا تعليل عليل (ذكرت) هنا نادرة وهي ان أبا الصقر قبل وزارته دخل على صاعد بن مخلد وهو وزير وفي المجلس أبو العباس بن ثوابة فسأل الوزير عن رجل فقال أبو الصقر انفي فقال ابن ثوابة في الخرا فتضاحك به أهل المجلس فقال أبو الصقر مثلك يحتاج ان يشد و يحد فقال وهذا من جهلك من يحد لا يشد فخرج أبو الصقر مغضبا قلت قد غلط أبو الصقر وابن ثوابة أيضا لان نفي لا يقال فيه انفي لانه ثلاثي تقول نفيت الشئ والانف لا يكون الا بفتح الهمزة وانما الكامل في مثل هذا التندير ما أنشدنيه الشيخ الامام الحافظ فتح الدين أبو الفتح محمد بن سيد الناس بالقاهرة سنة سبعمائة وثمان وعشرين قال أنشدني ابن المتيتي نائب دار العدل بمصر لنفسه يخاطب زين الدين خالد الاشعري

قلت للزين كيف لا تثبت البعث * وتنفي انكارهم للحشر
قال اثبت فقلت ذقنك في استي * قال أنفي فقلت في وسط جري

قلت الصحيح انهما للنور الاسعردي وهو مأخوذ من قول الآخر

جا فلان الدين في وجهه * أنف له كاد يواريه
قلت له ماذا القضا قال لي * ذا منخري قلت أنا فيه

ومثل هذا ما نقلته من خط علاء الدين علي بن مظفر الكندي المعروف بالوداعي لنفسه

وذي دلال أهيف أحور * أصبح في عقد الهوى شرطي
طاف على القوم بكاساته * وقال ساقي قلت في وسطي

(رجع القول الى الاعراب) متناه مرفوع لانه مفعول ما لم يسم فاعله وهو عرى وعلامة رفعه الالف لانه مثنى تثنية متن وحذفت نون التثنية لاضافته الى الضمير والموجب لحذف الفاعل أمور منها الجهل به أو عكسه أو الحقارة أو عكسها أو ايثار غرض السامع لذلك أو للابهام عليه أو للاختصار أو للتفعيل كما في قول الشاعر

ان التي زعمت فؤادك ملها * خلقت هواك كما خلقت هوى لها

فلو

فلو قال خلقها الله لم يصح التفعيل فى تقطيع البيت أو للتوافق كقوله

وما المال والاهلون الا ودائع * ولا بد يوما ان ترد الودائع

فلو ذكر الفاعل لنصب الودائع والقصيدة مرفوعة أو للتقارب فى السجع كقوله كثر النضال وقتل الرجال فلو ذكر الفاعل طالت القرينة ولأرباب المعانى فى التسعة الموجبة المذكورة كلام طويل على كل منها اضربت عنه خوفا من التطويل فحذف الفاعل هنا يحتمل ان يكون طلبا للتفعيل لانه لو ذكره لم يصح التفعيل فى تقطيع البيت ويحتمل ان يكون طلبا للابهام على السامع ويحتمل ان يكون للجهل به لان الذى عرى السيف لا يعلم ويحتمل غير ذلك وانما أعطى المفعول فى مثل هذا الرفع اهتماما بأمره لان الرفع هو العمدة فى الكلام فأخذ منه النصب وهو دونه وأعطى الرفع وهو خير منه ولان الفاعل الذى عدم لم يعرف ووجد المفعول قد قام به الفعل فكأنه الذى أوجده كما تقول مات زيد وانهدم الحائط وهما لم يفعلا ذلك من ذاتيهما ولما قام بهما الفعل فنسبا الى الفاعلية والفعل لا يوجد الا بوجود الفاعل وهو فى غنية عن المفعول فى أكثر المواطن ويحتمل ان يذكر للمناسبة وجوه أخر غير هذه (من الخلل) سوف يأتى الكلام على من وتقسيمها وهى هنا لبيان الجنس لانه يحتمل ان يعرى من الخلل التى تغشى بها الجفون وان يعرى من الجفون وان يعرى من الصقل والرونق والمضاء وغير ذلك فنص على ان السيف عرى من الخلل لا من غيرها وهذه الجملة أعنى عرى وما بعدها فى موضع الجر على الصفة للسيف ومن الخلل متعلق بعرى (المعنى) هذا البيت متعلق بما قبله كانه قال لاى شئ أقيم فى بغداد وأنا لا سكن لى بها ولا ناقة لى فيها ولا جمل وأنا ناء عن الاهل فقير لا أملك شيئا من المال فى كفى منفرد عن الناس كالسيف الذى جرد من حليته فانتظره العيون وهو المطلوب فى نفسه عند الحاجة لا الاجفان ولا الحمائل ولا الحلية والسيف عند الشجاع غير مراد منه هذه الاشياء وانما المراد مضاؤه وفريه ونفوذه فى الضرب اذ الغاية المطلوبة منه هى هذه وأما الجفن

والحلية والحمائل فلا اعتبار بوجودها ولا بعدمها وما الحلى الا حيلة من نقيصة وما أحسن ما كشف المعرى هذا المعنى بقوله

وان كان فى لبس الفتى شرف له * فما السيف الا غمده والحمائل

وقال البحترى يعزى بولد

تعز فان السيف يمضى وان وهت * حمائله عنه وخلاه قائمه

وقال النمر بن تولب

فان تك أثوابى تمزقن عن فتى * فانى كنصل السيف فى خلق الغمد

وقال لبيد بن ربيعة

فأصبحت مثل السيف أخلق غمده * تقادم عهد القين والنصل قاطع

فلهذا قال الطغرائى ماقاله يعنى اننى فى بغداد بهذه الحالة من الفقر واجتناب الناس لخلو ذات يدى وأنا من الفضل والعلم والادوات بمحل أسنى ومع ذلك لا بعبأ بى ولا ينظر الى ذاتى من حيث هى كالسيف المعرى من الحلية وانما المرء بأصغريه قلبه ولسانه اذ هما ذات والمال عرض زائل قال الشاعر

تسل عن كل شئ بالحياة فقد * يهون عند بقاء الجوهر العرض

وقال أبو الطيب فى معنى عدم الالتفات الى غير الانسانية

وما الحسن فى وجه الفتى شرف له * اذا لم يكن فى فعله والخلائق

وقال الشريف الرضى

لا تجعلن دليل المرء صورته * كم مخبر سمج فى منظر حسن

ولغيره

ان الصفائح لا يغررك باطنها * نقش الطوابع موسوم على الطين

وقال التهامى

حسن الرجال بحسناهم وفخرهم * بطولهم فى المعالى لا بطولهم

وقال الغزى

لا يحطن رتبتى سوء حالى * آية الحسن فى الجفون السقام

انا كالنار أطفأ القطر منها * ولما بعدان نفخت احتدام

وما أحسن قول ابن حمديس

أصبحت مثل السيف أبلى غمده * طول اعتلاق نجاده بالمنكب
ان يعله صدأ فكم من صفحة * مصقولة بالماء تحت الطحلب

وقال ابن قلاقس الاسكندري

ولئن ارادتني الخطوب بمرها * فالرمح يزلق عن ثنايا منعج
أورحت في سمل الثياب فانني * كالعضب يفري و هو رث المنسج

وقال أيضا في عكس المعنى

قالوا الثواب عن الاثواب قلت لهم * خذوا ثوابي وردوني لاثوابي
واضيعة العضب لاجفن يصان به * وأي جفن لماضي الحد قرطاب

وقال أبو الطيب في عكس هذا المعنى

لا يعجبن مضيما حسن بزته * وهل يروق دفينا جودة الكفن

ومن قول أبي العلاء المعري في معنى قول الطغرائي

وأنت السيف ان يعدم حليا * فلم يعدم فرندك والغرار
وليس يزيد في جري المذاكي * ركاب فوقه ذهب معار
ورب مطوق بالتبر يكبو * بفارسه وللرهج اعتبار
و زند عاطل يزهي بقدح * ومعصمه الذي فيه السوار

و يعجبني قول القائل

ليس الخمول بعار * على امرء ذي جلال
فليلة القدر تخفى * وتلك خير الليالي

قلت الحكمة في اخفاء ليلة القدر لها موجبات منها ان يحصل الاجتهاد في الظفر بها فكل شخص يجتهد في أمرها فيحصل له الاجر في اجتهاده لان من اجتهد وأصاب فله اجران ومن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد تفضلا من الله ورحمة لئلا يحرم العامل أجرا (مسئلة) كل مجتهد مصيب في الفروع لا في الاصول هذا هو الصحيح ومن قال ان كل مجتهد مصيب مطلقا فلا حجة معه

بدليل قوله كل مجتهد مصيب وهذا البحث فيه دقة لانه يأخذ حجة خصمه فيجعلها دليلا على مطلوبه فيقول بعين ماقلت يلزمك ما أقول اذا انت أثبت ان كل من اجتهد أصاب وأنا قد اجتهدت فأدى اجتهادى الى ان كل مجتهد لم يصب اللهم الا فى الفروع وما أحلا قول شمس الدين محمد بن التلمسانى ومن خطه نقلت

قضاة الحسن ماصنى بطرف * غنى مثله الرشأ الربيب
رمى فأصاب قلبي باجتهاد * صدقتم كل مجتهد مصيب

(رجع ما انقطع) وقد تعبدنا الله عز وجل بأشياء لاندرى معناها وأخفاها علينا لمضاعفة الاجور لنا فى الايمان بها والاجتهاد فى معرفتها ومثل ليلة القدر والساعة التى فى يوم الجمعة التى يجاب فيها الدعاء قال بن حزم فى مراتب الاجماع واجمعوا على ان ليلة القدر حق وهى فى السنة ليلة واحدة اه ومنهم من قال هى فى مجموع رمضان ومنهم من قال هى فى أفراد العشر الاواخر ومنهم من قال فى السابع والعشرين وهو قول بن عباس لان قوله تعالى ليلة القدر هى تمام سبع وعشرين لفظة من السورة وليلة القدر تسعة أحرف وهى مذكورة ثلاث مرات فتكون سبعة وعشرين حرفا ومنهم من قال هى فى مجموع السنة لايختص بها رمضان ولا غيره روى ذلك عن ابن مسعود رضى الله عنه قال من يقم الحول يصبها ومنهم من قال رفعت بعد النبى صلى الله عليه وسلم اذ كان فضلها لنزول القرآن فالذين قالوا انها فى مجموع رمضان اختلفوا فى تعيينها على ثمانية أقوال قال ابن رزين هى الليلة الاولى وقال الحسن البصرى هى السابعة عشر وعن أنس مرفوعا انها التاسعة عشر وقال محمد بن اسحاق هى الحادية والعشرون وقال ابن عباس الثالثة والعشرون وقال ابن مسعود الرابعة والعشرون وقال أبو ذر الغفارى الخامسة والعشرون وقال أبي بن كعب وجماعة من الصحابة السابعة والعشرون ومن قال انها لاتخص رمضان يلزمه اذا قال لزوجته أنت طالق ليلة القدر انها لا تطلق حتى يحول عليها الحول لانها تكون قد مرت بيقين لان النكاح أمر متيقن لا يزول

الا

الاجتماله وكونها فى رمضان أمر مظنون وفى هذا التفقه نظر لان الاحاديث الصحيحة دلت على انها فى العشر الاواخر من رمضان ووقوع الطلاق حكم شرعى والحكم الشرعى يثبت بخبر الآحاد لان خبر الآحاد يوجب العمل ولا يفيد العلم قال الرافعى لو قال لزوجته أنت طالق ليلة القدر قال أصحابنا ان قاله قبل رمضان أو فيه قبل مضى أول ليالى العشر طلقت بانقضاء ليالى العشر وان قاله بعد مضى لياليها لم تطلق الى مضى سنة كاملة قال الشيخ محيى الدين النووى قوله طلقت بانقضاء ليالى العشر فيه تجوز تابع فيه صاحب المهذب وغيره وحقيقته طلقت فى اول الليلة الاخيرة من العشر وكذا قوله ان قال بعد مضى لياليها لم تطلق الى مضى سنة فيه تجوز وذلك انه قد يقول لها فى آخر اليوم الحادى والعشرين فلا يقف وقوع الطلاق على مضى سنة كاملة بل يقع فى أول ليلة الحادى والعشرين قلت وهذا تحقيق من الشيخ محيى الدين ويجب من الرافعى كيف غفل عن هذا وقيل فى تسميتها بليلة القدر وجوه أحدها انها ليلة تقدير الامور والاحكام قال عطاء عن ابن عباس ان الله تعالى قدر ما يكون فى تلك السنة فيها من رزق واحياء واماتة الى مثل هذه الليلة وقيل القدر الضيق لان الارض تضيق على الملائكة فيها وقيل القدر للفاعل متى أتى فيها بالطاعة كان ذا قدر وشرف وقيل نزل فيها كتاب ذو قدر وشرف عظيم وقيل غير ذلك واعلم ان الله لا يحدث تقديره فى هذه الليلة لانه تعالى قدر المقادير قبل خلق السموات والارض فى الازل ولكن المراد اظهار تلك المقادير للملائكة فى تلك الليلة اتكتبها فى اللوح المحفوظ وهذا الذى ينبغى ان يعتقد فى قول ابن عباس رضى الله عنهما (رجع القول الى معنى قول الشاعر وتلك خير الليالى) يعجبنى قول القائل

وليس قبح المكان مما * يقدح فى منصبى ودينى
فالشمس علوية ومع ذا * تغرب فى حمأة وطين

(قلت) يشير الى قوله تعالى وجدها تغرب فى عين حمئة الآية وهذه

الآية الكريمة ظاهرها مشكل وهو مغمز للزنادقة لانهم يقولون ان
البرهان قد ثبت فى المجسطى ان الشمس قدر الارض مائة وستين مرة وكسورا
فكيف تدخل مع هذا القدر العظيم فى عين من عيونها والجواب ان فى هنا
ليست ظرفية وانها على ماذهب اليه ابن قتيبة بمعنى عند لانها قد ترد بمعنى
عند وبمعنى مع قال الشاعر * حتى اذا ألقت يدا فى كافر *
معناه عند كافر (وقال الشاعر)
وفى الشر نجاة حين لا ينجيك احسان
معناه ومع الشر وقد تكون فى الآية بمعنى على كقوله تعالى ولأصلبنكم
فى جذوع النخل أى على جذوع النخل وقال عنترة
* بطل كأن ثيابه فى سرحه *
أى على سرحه وكما ان فى تقع موقع على كذلك تعكس القضية كقول
الشاعر * ولقد سريت على الظلام بمغشر *
أى فى الظلام هذا اذا لم نفتح باب تأويل المعنى ونقول ان الخطاب جاء على حكم
الحس فى رأى العين لان من وقف على شاطئ البحر المحيط أو قريبا من جبل
عال رأى الشمس عند الغروب كأنها تدلت فى نفس البحر أو خلف الجبل
قال الله تعالى حتى توارت بالحجاب أى وراء الجبل ولولا ان اللفظ جاء على
حكم الحس فى الظاهر لما قال الله تعالى وجد عندها قوما ومن المعلوم عقلا
ان القوم لا يجلسون فى قرن الشمس ولا هم عندها ولكن لما كان
ذو القرنين قد توغل فى جوب الارض حتى انتهى الى البحر المحيط من جهة
الغرب كان الناظر يخيل اليه ان الشمس تغرب هناك فان قلت مامعنى
قوله تعالى تغرب فى عين حمئة قلت قد قرئ حامئة بثبوت الالف وهى قراءة
ابن عامر وحمزة والكسائى وأبى بكر بن عاصم فعلى هذا أقصى البحر الغربى
يكون كثير السخونة حاميا ومن قرأ حمئة أرادبها كثيرة السواد من الحمأة
وهو الطين فعلى هذا الخطاب ورد على حكم الحس فى الظاهر والحس قد
يكذب فيرى الصغير كبيرا وعكسه ويرى النقطة خطا ودائرة كما فى القطرة

الممتدة من السماء الى الارض والنقطة على الرحى التى تدور بسرعة وكما اذا
غمز الانسان عينيه ونظر الى القمر فيراه اثنين ولا بأس بتعليل هذا فاقول
زعموا انه اذا حدث التواء الحدقة بسبب ارتخاء عضلها أو تحويل الرطوبة
الجلدية عن وضعها فى احدى الجهتين دون الاخرى تبقى الجهة التى
قد تحول وضعها تنطبع الصورة المنتقلة من رطوبتها الجلدية لا فى
الفصل المشترك بل فى موضع آخر بسبب الغمز الذى حدث منه التحويل كما
اذا أشرقت الشمس على ماء فى البيت فانه يشرق منه نور فى السقف فلو تغير
موضع الماء تغير موضع انطباعه فى السقف كذلك تغير وضع الحدقة يوجب
انتقال موضع انطباع ما فى الجلدية فتبقى الصورة صورتين فيرى الواحد
اثنين (حكى) ان بعضهم ادعى هذه الدعوى وقال ان كل أحول يرى
الشئ شيئين وكان له ابن أحول فقال يا أبت ليس هذا بصحيح لانه يلزم من
هذا انى كنت أرى القمرين أربعة قال الامام فخر الدين الرازى فى المباحث
المشرقية واعلم ان أصحاب الاشباح يذكرون أسبابا أخر منها حركة الروح
الباصر وتوجهه عنة ويسرة فيرتسم الشبح فى بعض الاجزاء قبل تقاطع
المخروطين فيرى شبحين وهو مثل الشبح المرتسم فى الماء الساكن مرة واحدة
والمرتسم فى الماء المتحرك المتموج مرارا كثيرة ومنها حركة الروح الذى وراء
تقاطع العصبتين الى قدام وحده حتى يكون لها حركتان متضادتان واحدة
الى الحس المشترك والاخرى الى ملتقى العصبتين فيتأدى اليهما صورة
المحسوس قبل ان ينمحى ما تأدى الى الحس المشترك مثلا لو ارتسمت فى الروح
المؤدى صورة نقلها الى الحس المشترك ولكل مرتسم زمان ثابت قبل ان
ينمحى فلما زال القابل الاول عن موضعه خلفه جزء آخر فقبل تلك الصورة
بعينها قبل انمحائها فحينئذ يحصل فى كل واحدة صورة مرئية وذكر قبل ذلك
تعاليل أخر قال الشيخ الامام العلامة شمس الدين محمد بن ابراهيم بن ساعد
الانصارى قولهم ان الاحول يرى الشئ شيئين ليس على اطلاقه بل انما يرى
الشئ شيئين اذا كان حوله انما هو اختلاف احدى الحدقتين بالارتفاع

والانخفاض ولم يستقر زمانا يألف به المرئيات اما ان كان الحول بسبب اختلاف المقلتين يمنة و يسرة أو بسبب الارتفاع والانخفاض ودام وألف فلا ومما يؤيد ذلك ان الانسان اذا غمز احدى حدقتيه حتى تخالف الاخرى يمنة أو يسرة فانه يرى الشئ شيئين ويوجد فى الناس غير واحد ممن حوله بالارتفاع والانخفاض قد ألف تلك الحالة فلا يرى الشئ شيئين والحق ان الذى يغمز احدى عينيه حتى ترتفع أو تنخفض عن أختها انما يرى الشئ شيئين لانه يرى الشئ المرئى باحدى العينين قبل الاخرى فيصل الى التقاطع الصليبى شبح تلو هذا الشبح فيرى الواحد اثنين فقط ولولا ذلك لرأى هذا الرائى الشئ الواحد كثيرا الى غير نهاية على نسبة زوج الزوج كما فى تضعيف رقعة الشطرنج اه كلامه املاء على من فمه وقد لهج الشعراء بذكر الحول فقال ابن الحلاوى فى مشرف مطبخ وهو أحول

يجئ الينا بالقليل يظنه * كثيرا وليس الذنب الا لعينيه
ومن سوء حظى ان رزقى مقدر * براحة شخص يبصر الشئ مثليه

وقال النور الاسعردى فى أحول لائط

يا ظريفا بكادية طرمن عطـ * ـفيه ماء اللواط فى كل واد
عش هنيئا فان عينيك يغنى * حول فيهما عن القواد

أنشدنى الشيخ الامام العلامة أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بمصر سنة سبعمائة وثمانية وعشرين قال أنشدنى لنفسه محمد بن أحمد بن حسن بن عامر التجيبى فى مليح له رقيب أحول

بابى رشا يحوى مع الاحسان * ملكية موضوعها انسانى
أحوى الجفون له رقيب أحول * الشئ فى ادراكه شيئان
ياليته ترك الذى أنا مبصر * وهو المخير فى الغزال الثانى

(وما أحلا) قول نجم الدين بن اسرائيل دوبيت

قد بالغ فى حديثه بالمين * من قال رأيت مثله بالعين
ما يبصر مثله سوى ذى حول * من حيث يرى الواحد كالاثنين

وقال

(وقال) بعض الشعراء

وأحول العين تعشقته * مافيه من عيب ولا شين
يشكر ما أوليه من فاقتي * حتى يرى لي الشيء شيئين

(وقال الآخر) وهو مشهور

نظرت اليها والرقيب يخالني * نظرت اليه فاسترحت من العذر
شكرت الهي اذ بلاني بحبها * على حول أغنى عن النظر الشزر

(وقال الآخر) في مليح أحول

قالوا شغفت بأحول فأجبتهم * قد زدتم والله في أوصافه
لا تحسبوا حولا به لكنه * من زهوه يرنو الى أعطافه

(وقال الشيخ) صدر الدين محمد بن الوكيل

يقولون لي لم ذا كلفت بأحول * يقلب بالزوجين قلت لهم عذرا
رأت كل عين حسن أوصاف أختها * فعادت طوال الدهر تنظرها شزرا

(وقال) العلوي البصري فأحسن

ونظرة عين تعللتها * خلاسا كما نظر الأحول
تقسمتها بين وجه الحبيب * وبين الرقيب متى يغفل

(وتبعه الآخر فقال)

أرى مستقيم الطرف مادمت عندكم * فان زال ما رفي عنكم فهو أحول

رجع القول الى كذب الحس وغلطه وقد يرى القمر السائر تحت السحاب متحركا الى غير جهته التي يتحرك اليها بالذات ويرى النار البعيدة كبيرة وهي صغيرة والجبال وغيرها في السراب طوالا ويرى الخاتم اذا وضعه على عينه وحلقته كالسوار ويرى الشمس عند الشروق والغروب أكبر مما هي عند الزوال ويرى العنبة في الماء كالاجاصة وأما رؤية القمر متحركا الى غير جهته فعلى رأي القائلين بالشعاع ان المتحرك انما هو الشعاع وفيه كلام طويل فعلى رأي القائلين بالانطباع والشعاع اما أن المنطبع تكيف بكيفية المنطبع فيه واما لان الشعاع حين خالط الاجسام الرطبة غلط

فانعكس من ذلك المرئى غليظا فرأى ذلك المرئى غليظا وأما الشمس فسببها ان ناحيتى المشرق والمغرب فيهما رطوبات كثيرة تصاعد من الارض فينعقد شفقا على ماه ومشاهد بالحس فلهذا ترى الشمس كبيرة بسبب الرطوبات وغلط الحس كثيرا ثبت منه بهذا القدر (وما أحسن) قول أبى العلاء المعرى

والنجم تستصغر الابصار رؤيته * والذنب للطرف لا للنجم فى الصغر

(وقال) الخفاجى الحلبى

ولا ينال كسوف الشمس طلعتها * وانما هو فيما يزعم البصر

وعلم المناظر علم ظريف الى الغاية ولابن الهيثم فيه كتاب جليل رأيته فى سبع مجلدات ولشهاب الدين العراقى كراريس أودعها خمسين مسئلة من المناظر سماها الاستبصار فيما تدركه الابصار قرأتها بعد ما كتبتها على الشيخ شمس الدين أبى عبد الله محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصارى (ومما) ينخرط فى غلط الحس ما قرأته على الشيخ الامام الحافظ شمس الدين أبى عبد الله الذهبى فى المغازى التى له قال ابن وهب حدثنى أسامة بن زيد الليثى قال حدثنى نافع قال كانت لابن رواحة امرأة وكان يتقيها وكانت له جارية فوقع عليها فقالت له أظنك قد فعلت وفرقت أن يكون قد فعل فقال سبحان الله فقالت اقرأ على اذا شيئا من القرآن فقال

شهدت باذن الله أن محمدا * رسول الذى فوق السموات من عل

وان أبا يحيى ويحيى كلاهما * له عمل من ربه متقبل

وقال ابن وهب عن عبد الرحمن بن سليمان بن الهادى ان امرأة عبد الله ابن رواحة رأته مع جارية له فجحدها فقالت له اقرأ فقال

شهدت بأن وعد الله حق * وأن النار مثوى الكافرينا

وأن العرش فوق الماء طاف * وفوق العرش رب العالمينا

وتحمله ملائكة كرام * ملائكة الاله مقربينا

فقالت آمنت بالله وكذبت البصر فحدث ابن رواحة رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فضحك جاء بعضهم الى قاض فاشتكى ابنه وقال أيها القاضى

ان ابنى لا يصلى فقال له القاضى ماتقول فيما يقول والدك فقال كذب فانى أصلى فقال أبوه أيها القاضى ان كان صادقا فمره ان يقرأ شيئا من القرآن فقال له القاضى اقرأ فقال

علق القلب الربابا * بعد ماشابت وشابا
ان دين الله حق * لا أرى فيه ارتيابا

فنهرهما القاضى وقال ويحكما تقرآن القرآن ولا تعملان به (ومما يتعلق بكذب الحس) أن بعض النساء الفواجر كان لها ميل الى رجل تحبه غير زوجها فاقترح عليها يوما أن يكون فعله أمام زوجها فقالت له اذا كان الغد فامض الى البستان الفلانى وكن بين الشجر فلما أصبحا أخذت زوجها وتوجهت به الى ذلك المنتزه الذى عينته ودخلا اليه فلما اطمأن بهما الجلوس صعدت الى شجرة هناك على أنها تلتقط من ثمرها فلما صارت بأعلاها جعلت تصيح بأعلى صوتها ويلك ألك تعمل مثل هذا بحضرتى وتأتى بهذه القحبة الى هنا وتجامعها وأنا أنظر وأخذت فى مثل هذا زمانا ثم انها نزلت بناء على أنها تمضى الى الحاكم فتشكوه فأخذ يتبرم من هذا الفعل ويتبرأ وهى لا تنفك ولا تبرح فقال لها عسى أن يكون هذا من خاصية هذه الشجرة حتى ارتك عيناك مالا حقيقة له دعينى أطلع أنا اليها وأبصر حقيقة ذلك فلما صعد الشجرة دعت عشيقها وأخذ فى العمل فلما رآها الزوج قال لها لو أننى قليل العقل مثلك لكنت أقول ان رجلا قد علاك وهو يفعل كيت وكيت (رجع القول الى قول الشاعر وليس قبح المكان البيتين) قال أبو بكر الخالدى

يا هذه ان رحت فى * ثمل فا فى ذاك عار
هذى المدام هى الحيا * ة قميصها خزف وقار

وعلى ذكر اللباس فما فى ذكر أبيات أبى الحسين الجزار من باس وهى

لى نصفية تعد من العمر * سنينا غسلها ألف غسلة
لا تسانى عن مشتراها فهيها * مذ فصلتها نشأ بجملة

نسف الريح صدرها بالاراز ب فباتت تشكو هواه ونزلة
كل يوم تكابد العصر والد ق مرارا وما تقر بمهلة
قال لى الناس حين اطنبت فيها * بس أكثرت حملها وهى بغلة
فى هذه الابيات عدة توريات لايخفى حسن موقعها من السمع وقال أيضا
أشكر مولانا ونصفيتى * تشكره أكثر من شكرى
أراحها جدواه من كل ما * تشكوه من دق ومن عصر
كم مرة كادت مع الماء اذ * يغسلها غسالها تجرى
تموت فى الماجور لولا النشا * يبعثها فى ساعة النشر
ونقلت من خط السراج الوراق له
هذا وجوختى الزرقاء تحسبها * من نسج داود فى سرد واتقان
قلبتها فغدت اذ ذاك قائلة * سبحان ربى بلا قلبى وأبلانى
ان النفاق لشئ لست أعرفه * فكيف يطلبه منى اليوم وجهان
لو ان صاحبنا الجزار أبصرها * على أبصر لبدا فوق جربان
وهذه من أبيات فى الجوخة طويلة عدتها ستة وعشرون بيتا كلها بديعة
ولكن اقتصرت منها على هذا القدر خوف التطويل وعلى ذكر التعرى
فما ألطف قول شمس الدين محمد بن دانيال
ماعاينت عيناى فى عطلتى * أقل من حظى ومن بختى
قد بعت عبدى وحمارى وقد * أصبحت لافوقى ولاتحتى
وان كان قد أخذه من قول مجير الدين محمد بن تميم حيث قال
أتتنى الحجرة الشهباء تزهو * بحسن جل عن وصفى ونعتى
وأرجو ان رسم الصوم يأتى * ليسعد منهما حظى وبختى
فألبسه واركبها جميعا * فيصبح جودكم فوقى وتحتى
(وقال آخر) ولعله السابق
قالوا غلام القوصى وبغلته * راحا جميعا منه على بغتة
قلت لقد برح الزمان به * لم يبق لافوقه ولاتحته

ونقلت

(ونقلت) من خط السراج الوراق له

بعثت خفى فى أرضكم من حواف * حف بى أو أصارنى للتحفى
ثم أتبعته ندامة نفس * أحوجتنى لا كل خفى وكفى

وقال أبو الحسين الجزار

بت وأثوابى ككتب * مزقتها الارضه
فعورتى مكشوفة * وسترتى مقرضه

وأما معنى الفقر ففيه لابى العلاء المعرى

وان الغنى والفقر فى مذهب الفتى * لسيان بل أغنى من الثروة العدم
وما نلت مالا قط الا ومال بى * ولا درهما الا ودرّ به الهم

أنشدنى الامام الحافظ أبو حيان قال أنشدنى لنفسه ناصر الدين حسن بن النقيب الفقيسى

ومابين كفى والدراهم عامر * ولست لها دون الورى بخليل
وما استوطنتها قط يوما وانما * تمر عليها عابرات سبيل

وأنشدنى الشيخ الامام الحافظ فتح الدين أبو الفتح محمد بن سيد الناس قال أنشدنى لنفسه الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد

أهل المراتب فى الدنيا ورفعتها * أهل الفضائل مرذولون عندهم
فما لهم من توقى ضرنا نظر * ولا لهم فى ترقى قدرنا همم
قد أنزلونا لانا غير جنسهم * منازل الوحش فى الاهمال بينهم
فليتنا لو قدرنا ان نعرفهم * مقدارهم عندنا أولو دروهم
لهم مريحان من جهل وفرط غنى * وعندنا المتعبان العلم والعدم

قلت هذه القطعة ساقطة النظم عن طبقة الشيخ تقى الدين وانما أثبتها طلبا لبركته وأنشدنى لنفسه اجازة الشيخ زين الدين عمر بن مظفر بن عمر الوردى رحمه الله

ما الاغنياء الاغبياء اجبة * يكفيك أن القوم جهال
رضيت مايقسمه ربنا * لنا علوم ولهم مال

وأنشدني جمال الدين أبو بكر محمد نباتة قال أنشدني لنفسه اجازة الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد

لعمري لقد قاسيت بالفقر شدة * وقعت بها في حيرة وشتات
فان بحت بالشكوى هتكت مروءتي * وان لم أبح بالضر خفت مماتي
فأعظم به من نازل بملمة * يزيل حيائي أو يزيل حياتي

وقول الطغرائي رحمه الله مأخوذ من قول مسلم بن الوليد

وباينت حتى صرت للبين راكبا * قوى العزم فردا مثل ما انفرد النصل

(وما أحسن) قول ابن الساعاتي

اهتز في هذا الخمول الى العلا * مثل اهتزاز المشرفي القاضب

(وقال) أبو بكر بن اللبانة من قصيدة

حليف نوى لا يستقر وان نوى * اقامة رد الطرف أزعجه الخطب
نحيل معرى أشعث الفرع صارم * مضى حليه مع غمده وبقي الغرب

(وقال ابن سناء الملك) يرثي جماعة من أبيات

ثلاث قبور بنيت بهدمي * لم تبن الا بدمي ولحمي
مناظر كما رأيت تعمي * وعشت من بعدهم برغمي
كالسيف في الوحدة لا كاسمهم * في فقر صوفي وذل ذمي

*(فلا صديق اليه مشتكى حزني * ولا أنيس اليه منتهى جذلي)*

(اللغة) الصديق هو الصادق في المودة والمخالة فالرجل صديق والمرأة صديقة والجمع أصدقاء وقد يقال للواحد والجمع والمؤنث صديق قال الشاعر

نصبن الهوى ثم ارتمين قلوبنا * بأعين أعداء وهن صديق

ومن هنا اختلس أبو نواس معناه في قوله

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو في ثياب صديق

قال هارون الرشيد لو وصفت الدنيا نفسها بشئ لما عدت عن قول أبي نواس اذا امتحن الدنيا لبيب البيت وأخذه أبو الوليد أحمد بن زيدون فقال من قصيدته البائية

أضنينة دعوى البراءة شأنها * أنت العدوّ فلم دعيت حبيبا

وأخذه الآخر (فقال)

أحبابه لم تفعلون بقلبه * ماليس يفعله به أعداؤه

(وقال الآخر)

يطالبني قلبي بكم كل ساعة * اذا أفلس المديون لج المطالب

ويشتاقكم شوق الذي مسه الظما * وقد منعت ظلما عليه المشارب

اذا رمتم قتلي وأنتم أحبة * اذا فالأعادي واحد والحبائب

(وقال الأرجاني)

أأحبابنا كم تجرحون بهجركم * فؤادا يبيت الدهر بالهم مكمدا

اذا رمتم قتلي وأنتم أحبة * فماذا الذي أخشى اذا كنتم عدى

ولفظة عدوّ وحبيب وصديق كلها يخبر بها عن الواحد والجمع والمؤنث تقول هم عدوّ وقال الله تعالى يحسبون كل صيحة عليهم هم العدوّ وقال تعالى فانهم عدوّ لي وهم صديق وحبيب (مشتكى) مصدر اشتكى (حزني) الحزن بالتحريك والسكون خلاف السرور وحزن الرجل بالكسر فهو حزن وحزين (أنيس) فعيل من الأنس وهو المجالس الذي يوجد منه الأنس ويركن اليه ولا يستوحش منه (منتهى) مصدر انتهى الشئ اذا بلغ الغاية قال الله تعالى وأنّ الى ربك المنتهى وقال ابن دريد وكل شئ بلغ الحدّ انتهى (جذلي) الجذل بالجيم والذال المعجمة ضد الحزن ورأيت بعض الناس كتب ذلك بالدال وصححه وهو خطأ وانما هو بالذال المعجمة ليقابل الحزن بضدّه وهو الفرح (الاعراب) فلا صديق الفاء للمصاحبة ولا هذه هي التي لنفي الجنس قال الشيخ جمال الدين محمد بن مالك الاصل في لا النافية أن لا تعمل لانها غير مختصة بالاسماء (قلت انا) القاعدة عند أهل العربية ان الحرف اذا كان مختصا عمل كحروف الجرّ لما اختصت بالاسماء ومثل كان واخواتها وان واخواتها وظن واخواتها ومثل لم وعوامل الجزم وعوامل النصب في الافعال مثل أن وبابها لما اختصت بالافعال عملت فيها واذا كان الحرف

غير مختص كحروف الاستفهام والنفي والعطف لم يعمل شيئاً الا شرا كهما في الدخول على الاسماء والافعال وفي قول الشيخ جمال الدين بن مالك في الخلاصة سواهما الحرف كهل وفي ولم نكتة لطيفة وهي انه قدم هل لا شترا كهما في الدخول على الاسم والفعل ثم ذكر في لانها تدخل على الاسم ثم ذكر لم لانها تدخل على الفعل اه قال الشيخ بدر الدين وقد أخرجوا من هنا لا فاعملوها في النكرات عمل ليس تارة وعمل ان أخرى فاذا قصد بالنكرة بعدها استغراق الجنس صح فيها ان تحمل على ان في العمل لانها لتوكيد النفي وان لتوكيد الايجاب فهي ضدها والشيء يحمل على ضده كما يحمل على نظيره لان الوهم ينزل الضدين منزلة النظيرين ولذلك تجد الضد أقرب حضورا في البال مع الضد قال الشيخ شهاب الدين بن النحاس هذا الذي تقوله النحاة هنا وعندي ان أحسن من هذه العبارة ما قاله شيخنا ابن عمرون وابن الخشاب وهو أن ان للاثبات كما قيل ولا للنفي والنفي والاثبات طرفان فاشتركا في الطرفية فحملت لا على ان لاشترا كهما فيما ذكرناه اه (قلت) هذا تعليل حسن لانهما يعودان من باب واحد وهناك يكونان متضادين والحمل على الاشتراك أولى وبعد ففيه نظر يبطله من رأس قال الشيخ بدر الدين فأما اعمالها عمل ان فشروط بأن تكون نافية للجنس واسمها نكرة متصلة سواء كانت موحدة نحو لا غلام رجل ظريف أو مكررة نحو لا حول ولا قوة الا بالله فلو كانت منفصلة وجب الالغاء كقوله تعالى لا فيها غول ويجوز الغاؤها مع الاتصال وذلك اذا كررت شبهوها اذ ذاك بما لها مع المعرفة نحو لا حول ولا قوة ثم اسم لا اما أن يكون مضافا أو شبيها به أو مفردا وهو ما عداهما فان كان مضافا فانصب نحو لا صاحب بر ممقوت وكذلك ان كان شبيها بالمضاف وهو ما بعده شيء هو من تمام معناه نحو لا قبيحا فعله محبوب ولا خيرا من زيد فيها ولا ثلاثة وثلاثين لك وأما المفرد فيبنى لتركيبه مع لا تركيب خمسة عشر ولتضمنه معنى من الجنسية بدليل ظهورها في قول الشاعر

فقام يذود الناس عنها بسيفه * وقال ألا لا من سبيل الى هند

فيلزم الفتح بلا تنوين ان لم يكن مثنى أو جمع تصحيح وذلك نحو قوله لا بخيل محمود ولا حول ولا قوة الا بالله اه (قلت) ولهم في اعراب لا حول ولا قوة الا بالله واعراب اشباه ذلك خمسة أوجه (الاول) فتحهما تقول لا حول ولا قوة مثل لا لغو فيها ولا تأثيم (الثاني) نصب الثاني تقول لا حول ولا قوة مثل لا نسب اليوم ولا خلة (الثالث) رفع الثاني تقول لا حول ولا قوة مثل لا أم لي ان كان ذاك ولا أب (الرابع) رفعهما تقول لا حول ولا قوة مثل لا بيع ولا خلة (الخامس) رفع الاول وفتح الثاني تقول لا حول ولا قوة مثل فلا لغو ولا تأثيم فيها وقد اضربت عن التعليل لهذه الاوجه خوفا من التطويل (ذكرت) بلا حول ولا قوة قول السراج الوراق ومن خطه نقلت

أرى القوة قد حالت * فلا حول ولا قوة

اذا وقع الفتى في الشيب فهو بذاك في هوة

(وحكى) لي من لفظه المولى جمال الدين محمد بن نباتة بدمشق المحروسة سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة قال أنشدت فلانا سماه لي وهو بعض مشايخ أهل عصرنا ولم أذكره أنا فانه من العلم بمحل لم يشركه فيه غيره قولي في مرثية في ابن له توفي وعمره دون سنة وهو

يا راحلا عني وكانت به * مخايل للفضل مرجوه

لم تكتمل حولا وأورثتني * ضعفا فلا حول ولا قوه

فأعجباه وكتبهما بخطه وكتب الثاني فلا حول ولا قوة الا بالله فقلت يا مولانا ان كنت أردت بقولك الا بالله البركة فكنت أتممت ذلك بالعلي العظيم وان كان غير ذلك فقد فسد المعنى والوزن على (قلت) وهذان البيتان في غاية الحسن (رجع القول الى لا التي لنفي الجنس) تقرر ان عملها في اسمها وانه يبنى معها على الفتح وهنا سؤال وهو ان العامل في اسمها هو لا وقلتم انه تركب معها وهما بمنزلة الكلمة الواحدة فحينئذ لا جزء منها والجزء لا يعمل في الجزء الآخر شيئا والجواب نعم الجزء يعمل في جزئه ألا ترى قولك أعجبني ان تقوم فان تقوم جملة وقعت موقع المفرد تقديره

اقيامك وقد علمت أن فى تقوم النصب وأن جزء على هذا التقدير اه وترفع الخبر تقول لارجل ظريف قال الشيخ جمال الدين محمد بن مالك يجب ذكر خبرلا اذا لم يعلم كقول حاتم

وردجازرهم حرفا مصرمة * ولا كريم من الولدان مصبوح

وان علم التزم حذفه عند بنى تميم والطائيين وأجاز حذفه واثباته الحجازيون ومما جاء محذوفا قوله تعالى قالوا لاضير ولوترى اذفزعوا فلافوت وندر حذف الاسم وابقاء الخبر كقولهم لاعليك أى لاجناح عليك أولاباس اه (قلت) ومن حذف الخبر قولك لا اله الا الله فاله اسمها والخبر محذوف قدره النحاه فى الوجود أولنا هكذا أعربوه وأورد الامام فخر الدين الرازى فى المحرر اشكالا على هذا الاعراب فقال هذا النفى عام مستغرق وتقييده بالوجود تخصيص له ولنا أكثر تخصيصا واذا كان كذلك لم يبق النفى عاما وحينئذ لا يكون هذا القول اقرارا بالوحدانية على الاطلاق والجواب انا لانسلم أن تقييده بالوجود اذا كان تخصيصا لا يبقى على العموم المراد من النفى لان المراد نفى الآلهة فى الخارج الا الله تعالى على معنى ان نفى وجودها مستلزم لنفى ذاتها حتى كانه قال لا اله يوجد الا الله وعلى هذا يبقى النفى عاما بالمعنى المراد منه (رجع الى اعراب البيت) قوله لاهى هنا لنفى الجنس وصديق اسمها وهو مبنى على الفتح معها والخبر محذوف تقديره فيها أى فى بغداد أو نقدره لى وانا أختار أن يكون صديق ههنا مبنيا على الفتح ورأيت جماعة من الفضلاء كتبوا القصيدة بخطهم ورفعوا صديقا ونونوه وعلى هذا تكون لا بمعنى ليس والفرق بين لا وبين ليس أن ليس تنفى الواحد ولا تنفى الجنس لانك اذا قلت لا رجل فى الدار بالفتح فمعناه ليس فى هذه الدار هذا الجنس فلا يكون فيها واحد ولا اثنان ولا أكثر واذا قلت لا رجل بالضم والتنوين كان معناه نفى الرجل الواحد وقد يكون فيها اثنان وثلاثة وأكثر واذا تقرر هذا فمن رفع كان المعنى أن الطغرائى ما كان له صديق واحد وقد يكون له أكثر وهذا يناقض قوله لانه فى مقام تهويل وتعظيم من انه منفرد عن الاهل والوطن

والاصحاب

والاصحاب وكلما كان أبلغ فى الشدة والانفراد كان الكلام أبلغ وأشعر وأكثر أخذا بمجامع القلوب فى التوجع له والتعطف عليه اه (اليه) جار ومجرور وسيأتى الكلام على الى وتقسيمها والجار والمجرور فى موضع الخبر المقدم (مشتكى) هذه الصيغة يشترك فيها أربعة أشياء المصدر واسم المفعول واسم الزمان واسم المكان لان الاربع صيغ لا تختلف فى مثل هذا وهذه الصيغة هنا للمصدر خاصة وهو فى موضع رفع على الابتدا ولم يظهر الاعراب فيه لانه مقصور (حزنى) الحزن مضاف الى الياء وهو ضمير المتكلم فى موضع جر ومشتكى مضاف الى الحزن والجملة من المبتدأ والخبر فى موضع نصب على أنها صفة لاسم لا كأن التقدير فلا صديق سامعا شكوى حزنى اليه موجود والنصف الثانى اعرابه كاعراب الاول (المعنى) ما أجد صديقا يلون اليه مشتكى حزنى ولا أرى أنيسا يكون اليه منتهى فرحى وهذه حالة تشق على من تلبس بها ألا ترى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر من مكة ما خرج الا وأبو بكر رضى الله عنه معه ليكون له أنيسا فى الوحدة ورفيقا فى الغربة يركن اليه فى المشورة ويأنس به اذا خلا وقد علمت ما كان عليه معه فى الغار من الذب عنه وحراسته من الأذى وتلقى الأذى عنه وموسى صلوات الله عليه لما أمره الله تعالى بالرسالة الى فرعون ليدعوه الى الايمان سأل الله تعالى أن يكون أخوه هارون معه قال الله تعالى واجعل لى وزيرا من أهلى هارون أخى اشدد به أزرى وأشركه فى أمرى وقال النبى صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بملك خيرا قيض له وزيرا صالحا ان نسى ذكره وان نوى خيرا أعانه وان أراد شرا كفه عنه وكان أنوشروان يقول لا يستغنى أجود السيوف عن الصقل ولا أكرم الدواب عن السوط ولا أعلم الملوك عن الوزير قلت ولو لم يكن فى الوزير والصاحب الا المشورة لكان كافيا قال تعالى فيما أدب به رسوله صلى الله عليه وسلم وشاورهم فى الامر وما أحسن قول الشاعر

اذا عن أمر فاستشر لك صاحبا * وان كنت ذا رأى تشير على الصحب

فانى رأيت العين تجهل نفسها * وتدرك ما قد حل فى موضع الشهب

وقلت أنا فى المشورة

لا تسرع فى أمر ولا تعمل به * ما لم يزنه لديك عقل ثانى
فالشعر معتدل بوزن عروضه * وكذا اعتدال الشمس بالميزان

(وقال الأرجانى)

شاور سواك اذا نابتك نائبة * يوما وان كنت من أهل المشورات
فالعين تلقى كفاحا مادنا ونأى * ولا ترى نفسها الا بمرآة

(وقال أيضا)

اقرن برأيك رأى غيرك واستشر * فالحق لا يخفى على اثنين
فالمرء مرآة تريه وجهه * ويرى قفاه بجمع مرآتين

قال أصحاب علم المناظر يمكن أن الانسان يرى قفاه بطريق وهو ان يجعل مرآة بين يديه ومرآة خلفه تقابلها بحيث أن تكون احداهما كبرى لو كان فيها انسان رأى الصغيرة وأما الصغيرتان اللتان تحجب كل منهما الاخرى فلا يتأتى معهما مطلوب فاذا نظر الى التى بين يديه اتصل شعاع بصره بها ثم انعكس طالبا الجهة التى جاء منها لان المرآة فى القبالة فتتصل بالوجه وبما وراءه فيجد وراءه مرآة أخرى فينطبع فيها ما انطبع فى الاولى لان الصورة تجرى فى الشعاع كما تقدم فينطبع فيها وجهه فيكون له وجهان أحدهما فى التى هى امام والآخر فى التى هى وراء يجد شعاع هذه المرآة التى فى وجهه خلف لانها صقيلة لا يمكنه الثبوت عليها فيرجع الى الجهة التى تقابله فيجد القفا فيتعلق به كما يتعلق بالوجه من التى هى امامه فيؤول الامر الى ان طرف الشعاع متصل بقفاه فتجرى صورته فى الشعاع حتى ينطبع فى المرآة التى هى وراءه وتؤدى المرآة التى فيها الى التى تقابلها فينطبع القفا فى التى هى امامه فيرى لنفسه وجهين ويرى قفاه (رجع القول) الى طلب الصاحب وهذا أمر مقصود عند العقلاء لانه لا بد من خل تسكن اليه فتشكو اليه حزنك وتنتصر به على من ظلمك وتتخذه عونا على ما رابك وتتوصل به الى ما شق عليك بلوغه بمفردك كان الكندى يقول الصديق

اسان

انسان هو أنت الا أنه غيرك وكان يقول الاخوان على ثلاث طبقات طبقة كالغذاء لا يستغنى عنه أبدا وطبقة كالدواء يحتاج اليه حينا دون حين وطبقة كالداء لا يحتاج اليه أبدا قيل لعبد الحميد الكاتب أيما أحب اليك أخوك أم صديقك قال انما أحب أخي اذا كان صديقي وفي المثل رب أخ لم تلده أمك (وقال) أكثم بن صيفي القرابة تحتاج الى مودة والمودة لا تحتاج الى قرابة (ومما) أنشده الوزير عون الدين بن هبيرة من شعر أمير المؤمنين المستنجد بالله

كن عدوا مبرزا صفحته * أو فسالمني اذا لم تك قرني
في اشتباه الناس وديتهم * ومساواة الهاسو ضغن
كم عدو لي من ظهر أبي * وصديق أمه ما ولدتني

(قلت) الاول من قول القائل

فاما أن تكون أخي بصدق * فاعرف منك غثي من سميني
والا فاطرحني واتخذني * عدوا أتقيك وتتقيني

(وقال بعضهم)

أخ لا يذقني الله فقدان مثله * وأين له مثل وأين المقارب
تجاوزت القربى المودة بيننا * فأصبح أدنى ما تعد المناسب

(وما أحسن) قول من قال

كانت مودة سلمان له رحما * ولم يكن بين نوح وابنه رحم

(وقال) بعض الحكماء ينبغي للعاقل أن يتخذ صديقا ينبهه على عيوبه فان الانسان لا يرى عيب نفسه (رأيت) في بعض المجاميع الأدبية ان السلطان صلاح الدين قال يوما للقاضي الفاضل لنا مدة لم نر فيها العماد الكاتب فلعله ضعيف امض اليه وتفقد أحواله فلما دخل القاضي الفاضل الى دار العماد وجد أشياء أنكرها في نفسه مثل آثار مجلس أنس وطيبه ورائحة خمر وآلات طرب (فأنشده)

ما ناصحتك خبايا الود من رجل * ما لم ينلك بمكروه من العذل
محبتي فيك تأبى أن تسامحني * بأن أراك على شيء من الزلل

فلما قام من عنده خرج العماد عن كل ما كان فيه ولم يعد الى ذلك البتة (قلت) وأقل الاصدقاء حالة من تشكو اليه ولم يكن عنده غير سماع الشكوى والاصغاء اليها لان سماع الشكوى وبثها فيه تخفيف عن المكروب والنفس تستروح اليه ولهذا قال الشاعر

ولا بد من شكوى الى ذى مروءة * يواسيك أو يسليك أو يتوجع

لان المشكو اليه اما أن يواسيك فى همك وهذه الرتبة العليا وهو الصديق الكريم ذو المروءة واما أن يسليك وهى الرتبة الوسطى وهو الصديق الحكيم المهذب ذو التجارب الذى حلب أشطر الدهر واما أن يتوجع وهذه الرتبة السفلى وهو الصديق العاجز فان خلا الصديق من احدى هذه الرتب كان وجوده وعدمه سواء بل عدمه خير من وجوده (قال الشاعر)

اذا كنت لا علم لديك تفيدنا * ولا أنت ذو دين فنرجوك للدين

ولا أنت ممن يرتجى لكريهة * جعلناك مثالا لمثل شخصك من طين

(قلت) لو كان لى فى هذين البيتين حكم لهدمت القافية وقلت

اذا كنت لا علم لديك تفيدنا * ولا أنت ذو جود فنرجوك للقرى

ولا أنت ممن يرتجى لكريهة * جعلنا مثالا لمثل شخصك من خرا

فانى لا أرى أن أضيع الطين فى تمثاله وما أحلا قول الغزى يهجو رجلا اسمه أبو طالب

ابليس قام عمل من الخرا قالب * ثم انفسد جا منو أبو طالب

(قلت) ما ألطف هذا وأظرفه اذ جعل ابليس الصانع أخزاه الله تعالى والمادة والصورة مع ما فى قوله ثم انفسد من التكميل * ثلاثة كلها تجرى على نسق * ومن شواهد العربية قول الشاعر

اذا كنت لم تنفع فضر فانما * يرجى الفتى كيما يضر وينفع

كفت ما كى عن عمل النصب ومن هنا اختلس المعنى محمد بن شرف القيروانى فقال

أعنى بامماع كذوب على النوى * اذا لم تقاتل يا جبان فشجع

(رجع القول) الى قوله ولا بد من شكوى البيت رأيت بخط السراج

الوراق

الوراق رحمه الله تعالى بيتا قد زاده على هذا البيت وجعله ثانياله حيث قال

وان كان من وصف المروءة خاليا * يراثيك أو يبكيك أو ليس يسمع

(قلت) ليس فى هذا زيادة لانه اذا رآه فقد واساه فى الظاهر واذا بكاه فقد توجع واذا لم يسمع فلا حاجة اليه وقد توهم انه أتى بزيادة على الاول وما زاد شيئا نعم أكد ما قاله الاول وأتى بذلك المعنى من غير زيادة ولكن غير الالفاظ فان الرياء من المواساة والبكاء من التوجع وعدم السماع من عدم المروءة فهو هو مع نقص فيه وما أحلا قول القائل

كأننا والماء من حولنا * قوم جلوس حولهم ماء

(وقال ابن خاقان فى الحمام)

لله قوم بحمام نعمت بها * والماء من حوضها ما بيننا جارى
كانه فوق شفات الرخام ضحى * أوائل الماء فى أثواب قصار

(وقال ابن الرومى)

وشاعر أوقد الطبع الذكاء له * فكاد يحرقه من فرط اذكاء
أقام يجهد أياما قريحته * وفسر الماء بعد الجهد بالماء

ذكرت هنا ما أنشدنيه لنفسه شهاب الدين الحاجبى بالقاهرة من أهل العصر

أقول شبه لنا جسم الرشا ترفا * يامدعى الفضل فى وصف وانشاء
فراح يفكر فيما قلته زمنا * وشبه الماء بعد الجهد بالماء

وقول الشاعر ولابد من شكوى هذا البيت وأمثاله يسميه أرباب البديع صحة التقسيم وأوردوا فيه قول البحترى

قف مشوقا أو مسعدا أو حزينا * أو معينا أو عاذرا أو عذولا

قال ابن الاثير الجزرى فى المثل السائر هذا من فساد التقسيم فان المشوق قد يكون حزينا والمسعد قد يكون معينا وكذلك قد يكون المسعد عاذرا قلت فيما ادعاه ابن الاثير نظر اذ ليس كل مشوق حزينا لان المحزون قد يكون غير مشتاق لانه قد يكون الحبيب عنده غير غائب عن عيانه ولكنه معرض عنه غير ملتفت اليه فهنا الحزن موجود من غير شوق ولا يرد هنا قول

القائل

وكدت وهو ضجيعي ان أقول له * من شدة الشوق قد أبعدت فاقترب

فان هذا من المبالغة في الحب الذي لا يشفيه قرب ولا يبل غليله دنو وأبلغ من هذا قول الآخر وهو في غاية الرقة

سريت اليه والظلام كأنه * صريع كرى والنجم في الافق شاهد
فلو أن روحي مازجت ثم روحه * لقلت أدن مني أيها المتباعد

ومن هذه المادة قول ابن سناء الملك

لو جدت لي بالنفس منك لقلت من * شره المحبة انه لبخيل

والكل من ابن الرومي أخذوا ومن أغراضه نفذوا فانه قال فأطاب وان أطال

أعانقه والنفس بعد مشوقة * اليه وهل بعد العناق تداني
وألثم فاه كي تزول حرارتي * فيشتد ما ألقى من الهيمان
ولم يك مقدار الذي بي من الجوى * ليشفيه ما ترشف الشفتان
كأن فؤادي ليس يشفي غليله * سوى أن يرى الروحين يمتزجان

(رجع) ولا كل مسعد عاذرا فان الانسان قد يساعد صاحب البلية وهو غير عاذر له وانما يفعل ذلك رحمة وشفقة ورقة فبطل ما اعترض به ابن الاثير على البحتري الفحل واما صحة التقسيم فيحكى عن ابن عمر رضي الله عنهما لما سمع قول زهير

فان الحق مقطعه ثلاث * يمين أو نفار أو جلاء

قال لو أدركت زهيرا لوليته القضاء ومن أبيات هذا النوع المسمى بصحة التقسيم قول أبي الطيب

للسبي ما نكحوا والقتل ما ولدوا * والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا

(وما أحسن) قول أبي الحسين الجزار

وزير ما تقلد قط وزرا * ولا داناه في مثوى أثام
وجل فعاله صادات بر * صلات أو صلاة أو صيام

(وقال) شيخ الشيوخ بحماة شرف الدين عبد العزيز رحمه الله

لنا ملك واجد ما اشتهى * ولكنه لم يجد مثله
ملاذي به ومثولي لديـ * ـه ميلي اليه ومدحي له

(وقال الآخر)

كتبت وشينات حالي غلبـ * ـن الى سيد جل عن مشبه
فشوقي اليه وشكري له * وشعري فيه وشغلي به

(وكتبت أنا) الى بعض الاصحاب

كتبت لمولى نأت داره * وسينات حالي وقف لديه
فسعيي اليه سهوي به * سؤالي عنه سلامي عليه

(وقلت أيضا)

كتبت ودالات حالي كما * تراها الى سيد لم أخنه
دعائي ودمعي ودأبي دوائي * له وعليه وفيه ومنه

(وقلت في المجون)

ملكت غلاما جميعي له * وخذ خبري فيه أخبرك عنه
فـدبي عليه ودأبي له * ودخلي فيه وخرجي منه

(رجع) الى قوله ولا بد من شكوى البيت والعاقل من كتم أمره ولم يشك الى أحد عملا بقول القائل

لا تظهرن لعاذر أو عاذل * حاليك في السراء والضراء
فلرحمة المتوجعين حرارة * في القلب مثل شماتة الأعداء

فقد يكون بعض الاصحاب مثل ما قال الارجاني

أعيا لك اسعافي فصرت معنفي * ليت الذي عدم الجميل تجملا
مالي شكوت اليك نار جوانحي * لتكون مطفئها فكنت المشعلا

(وقال) أبو بكر عبادة بن ماء السماء الأندلسي

لا تشكون اذا عثر * ت الى خليط سوء حالك
فيريك ألوانا من الأ * ذلال لم تخطر ببالك

والعلم المشهور فى هذا قول أبى الطيب

لاتشكون الى خلق فتشمتهم * شكوى الجريح الى العقبان والرخم

وأما الانفراد فنقلت من خط السراج الوراق له

أفردتنى الايام عن كل خل * وأنيس وصاحب وصديق

فلوانى مشيت فى شهر آب * لأبى الظل ان يكون رفيقى

(ونقلت) من خطه له أيضا

أفردتنى الايام عن كل خدن * وأنيس وصاحب وخليل

فتراني فى شمس آب ولاظل * لشخصى مع الضحى والأصيل

(وقلت) أنا فى الوحدة

لزمت بيتى كلزوم البنا * فى الفعل والحرف على الاصل

واستوحشت نفسى حتى لقد * نفرت لو أمكن من ظلى

(وقلت أيضا)

وجدت فى عشرة صحبى أذى * لما لزمت البيت فى الوقت زال

ياعجبا من أشعرى غدا * يحمد رأى الناس فى الاعتزال

(وقلت أيضا)

كففت عن الانام فمى وكفى * كأنى بت فى خرس ورعشه

وكنت متيما فى كل شخص * فعندى من خيالى اليوم وحشه

(رجع القول) الى بيت الطغرائى لعمرى اذا كان الانسان فى بلد بهذه المثابة لاالمثوبة فحقه أن يفارقها ولهذا قال أبو الطيب

شر البلاد بلاد لا أنيس بها * وشر مايكسب الانسان مايصم

وأين هذه البلدة التى وصفها الطغرائى من البلدة التى وصفها الحريرى فى قوله

وجدت بها مايملأ العين قرة * ويسلى عن الاوطان كل غريب

وأين هؤلاء القوم الذين عاصرهم الطغرائى وعاشرهم من آل المهلب الذين وصفهم الشاعر (فقال)

نزلت على آل المهلب شاتيا * غريبا عن الأوطان فى زمن المحل
فازال بى احسانهم وجميلهم * وبرهم حتى حسبتهم أهلى
وزاد عليه القاضى الرشيد بن الزبير فقال
ولما نزلنا فى ظلال بيوتهم * أمنا ونالنا الخصب فى زمن المحل
ولو لم يزد احسانهم وجميلهم * على البر من أهلى حسبتهم أهلى

*(طال اغترابى حتى حن راحلتى * ورحلها وقرى العسالة الذبل)*

(اللغة) الاغتراب افتعال من الغربة تغرب واغترب بمعنى فهو غريب ومغترب وغرب بضم الغين والراء أيضا والجمع غرباء والغرباء الاباعد واغترب اذا تزوج غير أقاربه وفى الحديث اغتربوا لا تضووا معناه تزوجوا الاباعد دون الاقارب لئلا يحصل الحياء من القرابة فيجئ الولد ضئيلا نحيفا لعدم التمكن من الزوجة (حن) حنين الناقة صوتها فى نزاعها الى ولدها والحنين من الآدمى الشوق (راحلتى) الراحلة الناقة التى تصلح لان ترحل أى يوضع عليها الرحل (ورحلها) الرحل رحل البعير وهو أصغر من القتب والجمع رحال وثلاثة ارحل (وقرى) القارية من السنان أعلاه (العسالة) الرماح واحدها عسال وعسل الرمح اهتز واضطرب وعسل الذئب يعسل عسلا وعسلانا اذا أعنق وأسرع وكذلك الانسان وفى الحديث عليك بالعسل أى عليك بسرعة المشى (وما أحلا) قول القائل فى رمح
عجبت منه الى المران نسبته * جنسا ونعت فى الهيجا بعسال
(الذبل) جمع ذابل وهو من صفات الرمح كانه يصف الرماح بالخفة والدقة وقد عيب على أبى الطيب فى قوله
ان ترينى أدمت بعد بياض * فحميد من القناة الذبول
قالوا ما الآخر منطبق على الاول وكان ينبغى أن يقول فحميد من القناة السمرة لان الادمة هى الحمرة بسواد وهو يقول ان ترينى حصل لى أدمة من الاسفار لمقابلة الشمس بعد بياض فن الواجب أن يقول فحميد من القناة السمرة وهو ايراد متوجه وقد أجاب ابن جنى عنه بأشياء طول فيها وليست

بطائلة (قلت) ويمكن أن يجاب عنه بأن الذبول يعطى السمرة لان الانسان
اذا هزل اسمر واذا سمن ابيض (الاعراب) طال فعل ماض اعترابى فاعله ولم
يظهر الرفع لانه مضاف الى الياء التى هى ضمير المتكلم فالرفع بضمة مقدرة
على الباء الموحدة (حتى) أما حتى فقال الشيخ بدر الدين بن مالك دلالة حتى
والى على انتهاء الغاية كثير بخلاف اللام الا ان الى أمكن فى ذلك وما أطال
الكلام فى حتى فعدلت الى كلام غيره قال الشيخ بهاء الدين ابن النحاس اعلم
ان حتى فى الكلام على أربعة اضرب تكون لانتهاء الغاية فتجر الاسماء على
معنى الى وتكون عاطفة كالواو ويبتدأ بعدها الكلام وتضمر بعدها
أن فتنصب اما ان كانت عاطفة فشرطها أن يكون ما بعدها آخر جزء مما
قبلها نحو أكلت السمكة حتى رأسها أو يكون فيه معنى التعظيم كقولك مات
الناس حتى الانبياء أو التحقير كاجترأ على السفلة حتى الزبالون (قلت) ينبغى
ان يزاد هنا أو التعجب ليدخل فيه مثل قول أبى الطيب * ويا قلب حتى أنت
ممن أفارق * (رجع) الى كلام بهاء الدين قال وان كانت جارة فلابد
أيضا أن يكون ما بعدها آخر جزء مما قبلها نحو أكلت السمكة حتى
رأسها أو ملاقى آخر جزء كنمت البارحة حتى الصباح وان كانت حرف ابتداء
بمعنى انه تقع بعدها الجمل الاسمية أو الفعلية كما تقع فى ابتداء الكلام نحو
قول الشاعر

سريت بهم حتى تكل مطيهم * وحتى الجياد ما يقدن بأرسان

فلابد أن يكون ما بعدها داخلا فى حكم ما قبلها فى جميع الاحوال الا ان دلت
قرينة على خروجه نحو صمت الايام حتى يوم الفطر (قلت) حملت حتى على الواو
لان الاصل فى حتى ان تكون غائية واذا كانت غائية كان ما بعدها
داخلا فيما قبلها تقول جاء القوم حتى زيد فزيد داخل فى الذين جاؤا وهذا
معنى الواو تقول جاء القوم وزيد لكنها تفارق الواو فى أن الواو لا يجب أن
يكون ما بعدها من جنس ما قبلها لان حتى للغاية والدلالة على آخر طرفى
الشئ فلا يتصور فى طرف الشئ أن يكون من غيره فلو قلت جاء الرجال

حتى النساء لكان النساء غاية للرجال وهو محال (مسئلة) تقول أكلت السمكة حتى رأسها برفع السين ونصبها وجرها فالرفع على ان تجعل حتى حرف ابتداء والخبر محذوف دل عليه أكلت تقديره ورأسها مأكول والنصب على أن تكون حتى عاطفة فالرأس مأكول أيضا وذكر لحقارته والجر على ان حتى جارة فالرأس غير مأكول ومثله قول الشاعر

ألقى الصحيفة كي يخفف رحله * والزاد حتى نعله ألقاها

كان الفراء يقول أموت وفي قلبي من حتى لانها ترفع وتنصب وتجر (رجع) الى اعراب البيت حتى هنا بمعنى الى فهي هنا دخلت على جملة فعلية (حن) فعل ماض أصله حنن فاجتمع مثلان سكن أحدهما وادغم في الآخر وحذف تاء التأنيث ضرورة كما قال الشاعر

فلا مزنة ودقت ودقها * ولا أرض أبقل ابقالها

كان ينبغي أن يقول ابقلت لان الارض مؤنثة ولكن اضطره الوزن الى ذلك فعني بالارض المكان وهو مذكر وكذلك الطغرائي عني بالراحلة الجمل وهو مذكر (راحلتي) فاعل حن والضمة مقدرة على التاء لاتصالها بضمير المتكلم والياء في موضع جر على الاضافة (ورحلها) الواو حرف عطف وقد تقدم الكلام على الواو وتقسيمها في أول القصيدة رحلها معطوف على راحلتي ولهذا ضمت اللام والهاء والالف ضمير يعود على الراحلة وهو في موضع جر بالاضافة (وقرى) الواو عاطفة قرى معطوف على ما قبله فهو مرفوع ولكن لم يظهر الرفع لانه مقصور وسمي مقصورا لانه محبوس عن الحركات الثلاث (العسالة) مجرور على اضافته الى قرى (الذبل) مجرور على أنه صفة للمجرور وهو العسالة والصفة لها شروط وهي أن يكون فيها أربعة من عشرة وهي الافراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث والتعريف والتنكير والرفع والنصب والجر فالذبل فيها أربعة من هذه العشرة وهي الجمع لانه جمع ذابل والتعريف والتأنيث والجر وانما قلنا التأنيث لانه جمع وكل جمع مؤنث وما أحلا قول القائل

قلت لما تجمعوا * وبقتلى تحدثوا
لا أبالى بجمعهم * كل جمع مؤنث

وحن فعل يتعدى الى المفعول بحرف الجر تقول حنت الى كذا وانما حذف هذا النوع من البلاغة يعرفه أرباب المعانى لانه لو قال حن راحلتى الى الفها وذكر المفعول وقفت نفس السامع عند الغاية المذكورة ولما حذف ذلك تشعبت الظنون وتفرقت فى كل وجهة وظن بكل ما يوجد الحنين اليه وهذا مما يعطف عليه القلوب ويزيد فى توجعها له (المعنى) طال اغترابى وامتد سفرى الى ان حنت راحلتى وحن رحلها وحنت أعالى رماحى الى الدعة والسكون والاستقرار بدلا من الاضطراب والحركة والتنقل وقد حثت السنة على العود الى الوطن ووصفت الاسفار بالمشقة قال صلى الله عليه وسلم السفر قطعة من العذاب فاذا قضى أحدكم نهمته فليعجل الرجوع الى أهله قال الحافظ أبو عمر بن عبد البر زاد بعضهم فى هذا الحديث السفر قطعة من العذاب فاقطعوه بالدلجة ومن حديث ابن عباس رضى الله عنهما موت الغريب شهادة أقول هذا مما يؤكد مشقة الغربة لان النبى صلى الله عليه وسلم أدخله فى مشقة الشهداء كالقتيل فى سبيل الله عز وجل والمبطون والمطعون والغريق والميت عشقا والميتة فى الطلق والمراد بتسمية هؤلاء المذكورين شهداء المقتول فى سبيل الله ان لكل منهم أجر شهيد وليس يجرى عليه أحكام الشهيد فى أنه لا يغسل ولا يصلى عليه وانما هذا فى حق من مات بقتال من الكفار قبل انقضاء الحرب سواء قتله كافر أم أصابه سلاح مسلم خطأ أو عاد اليه سلاحه أو سقط عن فرسه متقطرا أو رمحته دابة فمات أو وجد قتيلا عند انكشاف الحرب ولم يعلم سبب موته سواء كان عليه أثر دم أم لا وسواء كان جنبا أم لا أما اذا مات حتف أنفه أو باغتيال أو بقتال الكفرة بعده أو البغاة فقولان فى مذهب الشافعى فان جرح فى الحرب وبقيت فيه بعد انقضاء الحرب حياة مستقرة فقولان أظهرهما أنه ليس بشهيد وقيل ان مات عن قريب فقولان وان بقى أياما فليس بشهيد قطعا

أما اذا انقضت الحرب وليس فيه الا حركة مذبوح فشهيد بلا خلاف وان انقضت وهو متوقع البقاء فليس بشهيد وحكمه أن لا يغسل لقوله صلى الله عليه وسلم زملوهم فى ثيابهم الحديث ولا يصلى عليه لانه مقطوع له بالجنة والصلاة انما هى شفاعة بالدعاء من المؤمنين له بالمغفرة ودخول الجنة ولقوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا الآية وفيه نظر لان الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم مقطوع لهم بالجنة وقد صلى على النبى صلى الله عليه وسلم وصلى هو صلى الله عليه وسلم على حمزة عمه رضى الله عنه يوم أحد سبعين مرة كلما قدموا ميتا صلى عليه معه (وما أحسن) قول ابن عنين فى موسوس

وبارد النية عاينته * يكرر الرعدة والهزة
مكبرا سبعين فى مرة * كأنما صلى على حمزة

وبه قالت الحنفية مستشهدين بالصلاة على حمزة وخالفوا الشافعية فى الصغير الذى يقتل فى المعركة فقالوا يغسل لانه لم يجب عليه فرض القتال وخالفوهم أيضا فى الصلاة على الباغى المقتول فقالوا يمنع الصلاة عليه لان عليا رضى الله عنه أوجب محاربتهم والصحيح الذى قاله الاشاعرة ان القاتل والمقتول فى حرب على كرم الله وجهه ومعاوية من أهل الجنة لان كلا منهم اجتهد ولكن أصحاب على رضى الله عنه أصابوا وأصحاب معاوية أخطأوا وخالفوهم أيضا فى غسل الجنب الشهيد قائلين ان القتال لا يزيل الجنابة وقال الشافعية انما الغسل لاداء الفرائض ولا فرض فالشهيد بالشروط المذكورة هو أعلى رتب الشهادة وبعض الفقهاء اشترط فى الميت عشقا الكتمان والعفاف لقوله صلى الله عليه وسلم من عشق فعف فكتم فمات فهو شهيد ورأيت الشيخ النووى فى الروضة قد أطلق ولم يشترط شيئا بل قال والميت عشقا والميتة طلقا وهذا عجيب منه كيف تساهل فى هذا الموضع وما هى طريقته وقد جزم بتحريم النظر الى الأمرد بشهوة وغير شهوة وما أظن للفقهاء دليلا فى أن الميت عشقا شهيد غير حديث من عشق فعف وقد رواه الدارمى فى جزئه وفى طريقه سويد بن سعيد الحدثانى وهو من شيوخ

مسلم الا أن يحيى ابن معين ضعفه وقال فيه كلاما معناه لو ملكت فرسا ورمحا لقاتلته بسبب هذا الحديث قال شيخنا شمس الدين الذهبي هذا الرجل ممن لم يتورع ابن معين في تضعيفه اه (قلت) جاء أنه قال فيه حلال الدم وقد روى عن سويد المذكور مسلم وابن ماجه وتوفى في حدود الاربعين والمائتين وقد روى هذا الحديث أيضا الدارقطني عن المنجنيقي فتابع سويدا ورأيت بعضهم يقول انما سمى نور الدين الشهيد شهيدا لانه أحب مملوكا وعف عنه فأكده الحب فقتله وهذا ليس بشئ في سبب موته فانه مات بعلة الخوانيق وأشار عليه الاطباء بالفصد فامتنع وكان مهيبا فما روجع فمات بقلعة دمشق فان كان مقصده بتركه الفصد العمل بقول النبي صلى الله عليه وسلم سبعون ألفا من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب وهم الذين لا يستطبون ولا يسترقون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون فقد تصدق عليه هذه التسمية وما أظنها الا غلبت عليه كقول الناس في سلاطينهم فلان الشهيد وان كان قد مات على فراشه تفاؤلا في حقهم فان قلت فكيف بقي هذا الاسم عليه ولم يبق على غيره قلت لانه ليس كغيره من الملوك لفتوحاته وغزواته وأوفافه وورعه وزهده وسائر أوصافه المحمودة وما تسمى غازان ملك التتار بمحمود لا تشبها به زاعما انه يسلك طريقه في العدل قال الشاعر

خليلي هل أبصرتما أو سمعتما * بأن قتيل الغانيات شهيد

(وما أحلا) قول ابن رواحة الحموي

لاموا عليك وما دروا * ان الهوى سبب السعادة
ان كان وصل فالمنى * أوكان هجر فالشهادة

وعكسه أيضا فقال

يا قلب دع عنك الهوى قسرا * ما أنت منه بحامد أمرا
ضيعت دنياك بهجرانه * ان نلت وصلا ضاعت الاخرى

ومن هذه المادة قول ابن التعاويذي

أفنيت شطر العمر في مدحكم * ظنا بكم أنكم أهله

وعدت أفنيه هجاء لكم * فضاع عمري فيكم كله

(وقال أيضا)

ولقد مدحتكم على جهل بكم * فظننت فيكم للصنيعة موضعا
ورجعت بعد الاختبار أذمكم * فأضعت في الحالين عمري أجمعا

نرجع الى الغربة نقل عن أبي اسحاق ابراهيم الغزي الشاعر أنه لما مرض ببلاد خراسان وأشرف على الموت قال أرجو أن الله يغفر لي لثلاثة أشياء لكوني من بلاد الامام الشافعي وكوني شيخا كبيرا وكوني غريبا وقد استعار الطغرائي الحنين للرحل كما استعاره لصدور الأسنة من الرماح طلبا للمبالغة لانه اذا كانت الاشياء التي لا تعقل ولا تدرك حصل لها الحنين فالعاقل الدارك بطريق الأولى وهذه فائدة الاستعارة وقال الشاعر في التغرب

تتقاذف الاهوال بي فكأنني * ولدت أم مساحة الآفاق

(وقال أبو الطيب)

يخيل لي أن البلاد مسامع * وأني فيها ما تقول العواذل

معناه ان العاذل ماله كلمة مستقرة في الأذن عند الحب والكلمة اذا صادفت موقعا من الخاطر قبلها السامع وثبتت في الذهن فالسامع لها دائما يتذكرها ويستحضرها كأنها رسخت واستقرت في سمعه وهذا من تشبيهاته الحسنة وقال الآخر

ولي سنة لم أدر ما سنة الكرى * كأن جفوني مسمعي والكرى العذل

يعني ان الكرى ما دخل عينيه كالعذل الذي لم يجر في سمعه وهذا أبلغ من قول أبي الطيب أولا وما أحسن قول ابن سهل المغربي فيما أظن

كأنما القلب والسلوان ذهن * يحوم عليه معنى مستحيل

وهو مأخوذ من قول أبي تمام الطائي

وكنت أعز عزا من قنوع * تعوضه صفوح من جهول
فصرت أذل من معنى دقيق * به فقر الى فهم جليل

وقال أبو الطيب في الغربة

غنى عن الأوطان لا يستفزنى * الى بلد سافرت عنه اياب

(وقال أيضا)

اخوهمم رحالة لا تزال فى * نوى تقطع البيداء أو تقطع البحرا
ومن كان عزمى بين جنبيه حثه * وخيل طول الارض فى عينه شبرا

(قلت) مازال أبو الطيب يقطع البيد حتى انقطع منه الوريد فان فاتك بن أبى جهل الأسدى تبعه الى دير عاقول وقتله هناك وقتل ابنه محسدا وغلامه مفلحا وقال فى كثرة الاسفار

كريشة بمهب الريح ساقطة * لا تستقر على حال من القلق

(وقال) القاضى عبد الوهاب

أما لى بين الديار ترحالى * قصور مالى وطول آمالى
ان بت فى بلدة مشيت الى * أخرى فما نستقر أجمالى
كأننى فكرة الموسوس ما * تبقى مدى ساعة على حال

(وقال أبو تمام)

بالشأم قومى وبغداد الهوى وأنا * بالرقتين وبالفسطاط جيرانى
وما أظن النوى تلقى مراسيها * حتى تبلغ بى أقصى خراسان

(وقال) النور الاسعردى

أقول لقلبى حين جد به الأسى * لك الله من قلب صبور على الوجد
أفى حلب جسمى وقلبى بجلق * وصحبى ببغداد وأهلى باسعرد

يقال انه ما رأى أحد قبور اخوة أكثر تباعدا من قبور بنى العباس رضى الله عنهم قبر عبد الله بالطائف وقبر عبيد الله بالمدينة وقبر قثم بسمرقند وقبر عبد الرحمن بالشأم وقبر معبد بافريقية (اتفاق عجيب لا بأس بذكره) كان يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبى صفرة واليا على افريقية وأخوه روح واليا على السند فلما توفى يزيد بافريقية قال الناس ما أبعد ما يكون ما بين قبرى هذين الاخوين فاتفق ان الرشيد عزل روحا عن السند وجهزه واليا مكان أخيه فدخل افريقية ولم يزل واليا الى أن مات بها ودفن مع أخيه فى قبر

واحد

محسدا هكذا فى النسخ وفى معاهد التنصيص انه محسد اهـ

واحد رحمهما الله تعالى وقال الارجانى

وأخو الليالى مابزال مراوحا * مابين أدهم خيلها والاشهب

فالارض لى كرة أواصل ضربها * وصوالجى أيدى المطايا اللغب

(وقال الآخر)

ومشتت العزمات لا يأوى الى * سكن ولا أهل ولا جيران

ألف النوى حتى كأن رحيله * للبين رحلته الى الأوطان

(وقال) ابن عنين

فالى متى أنا بالسفار مضيع الأيام بين الشد والايضاع

بينا أصبح بالسلام محلة * حتى أمسى أهلها بوداع

(وما أحسن قوله)

وحتام لا أنفك فى ظهر سبسب * أهجرا وفى بطن دوية قفر

أشقق قلب الشرق حتى كأننى * افتش فى سودائه عن سنا الفجر

(وقال) ابن القيسرانى ومن خطه نقلت

أشتاق قومى بدمشق وفى * بغداد حظ القلب والعين

ففى لقائى ذا فراقى لذا * قل لى متى أخلو من البين

(وقال) أبو الحسين الجزار

والأرض قد نقلت عليها وطأتى * اذ همها الأدبار والأقبال

حتام أمسحها فلولا أن لى * عينين قال الناس ذا الدجال

(وقال ابن اللبانة)

كأنما الأرض عنى غير راضية * فليس لى وطن فيها ولا وطر

وبالغ شهاب الدين أحمد المناوى فى قوله

ان عشت عشت بلا أهل ولا وطن * وان قضيت فلا قبر ولا كفن

أظن قبرى بطون الوحش ترحل بى * بعد الممات ففى الحالين لى ظعن

(أنشدنى) من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة بدمشق سنة تسع وعشرين وسبعمائة

السبسب بفتح السين المهملة المكررة الفلاة وأهجر بتشديد الجيم من التهجير وهو التبكير والدويه بتشديد الواو والياء الفلاة وهى أيضا القفر اهـ

ليت شعرى الى متى أتشكى * سفرا ماله ولوت آخر
بطن سارى الوحوش قبرى فما أبرح فى الموت والحياة مسافر

والمناوى أخذ المعنى من قول أبى بكر بن العطار اليابسى حيث قال فى القتلى

وقد عوضتهم من قبور حواصلا * فيا من رأى ميتا يطير به القبر

ومن هذا المعنى قول أبى العلاء المعرى

لعل اناء منه يعمل مرة * فيأكل فيه من يشاء و يشرب
و ينقل من أرض لأخرى ومادرى * فيا عجبا بعد البلا يتغرب

وهما من لزومياته وقوله

رب لحد قد صار لحدا مرارا * ضاحكا من تزاحم الأضداد

(وقال) أبو الحسين بن الامام الغرناطى

ياليت شعرى والأمانى كلها * برق يغرك أوسراب يلمع
هل ترتعن ركائبى فى بلدة * أم هكذا خلقت تخب وتوضع
فى كل يوم منزل وأحبة * كالظل يلبس للقيل ويخلع

(وقال) سيف الدين على ابن قزل المشد

ان الذين عهدتهم سكنوا الحمى * رحلوا وما عطفوا عليك وودعوا
جدوا المسير فلا الحداة لظعنهم * تجفو السهاد ولا المطايا تهجع
لا تستقر بهم عراص خيامهم * ما قيل تضرب أوتراها تقلع
أقوت ربوعهم فشأن بيوتهم * بيتان ينصب ذا وهذا يرفع

(وقال) أبو الحسن على بن زريق البغدادى من قصيدته المشهورة

يكفيك من روعة التفنيد أن له * من النوى كل يوم مايروعه
ما آب من سفر الاوأزعجه * رأى الى سفر بالرغم يزمعه
تأبى المطالب الا أن تجشمه * للرزق كدحا وكم ممن يودعه
كأنما هو من حل ومرتحل * موكل بفضاء الارض يذرعه
اذا الزماع أراه فى الرحيل غنى * ولوالى السند أضحى وهو يزمعه
وما مجاهدة الانسان موصلة * رزقا ولادعة الانسان تقطعه

فقد

قد وزع الله بين الناس رزقهم * لم يخلق الله من خلق يضيعه
لكنهم كلفوا رزقا فلست ترى * مسترزقا وسوى الغايات تقنعه
والحرص فى الرزق والارزاق قد قسمت * بغى ألا ان بغى المرء يصرعه
والدهر يعطى الفتى من حيث يمنعه * اربا ويمنعه من حيث يطمعه

قال الحافظ أبو عبد الله الحميدى من تختم بالعقيق وقرأ لابى عمرو وتفقه للشافعى وحفظ قصيدة ابن زريق فقد استكمل الظرف قاله أبو محمد على ابن أحمد بن حزم قلت وبعضهم قال والبس البياض وروى قصيدة ابن زيدون بدلا من قصيدة ابن زريق وما أرق قول العباس بن الاحنف

كان رحيلي من ارضكم عجبا * أوحادثا من حوادث الزمن
من قبل ان أعرض الفراق على * قلبي وأن أستعد للحزن

(وأحسن) ماقيل فى بغتة الرحيل قول محمد بن وهيب وقيل مالك بن أسماء ابن خارجة

بيناهم سكن لجارهم * ذكروا الفراق فأصبحوا سفرا
فظللت ذا وله يعاتبنى * من لايرى امرى له امرا

يقال ان أبا السائب لما سمع الاول قال ما أسرع هذا وأبغته أما قدموا ركابا أما ودعوا أما ودعوا أماودعوا واصديقاه وقال الزبير بن بكار رحم الله أبا السائب فكيف به لو سمع قول العباس بن الاحنف

سألونا عن حالنا كيف أنتم * فقرنا وداعهم بالسؤال
ماحللنا حتى ارتحلنا فما يفـ * ـرق بين النزول والارتحال

ومن هنا أخذ ابن الساعاتى قوله

ماضحكنا للقرب حتى بكينا * للبعاد الرسوم والآثار

(وقال) ابن عنين فى مرثية على لسان الناصر فى أخ له وقد [illegible] فى صغر من أبيات

خانتنى الايام فيك [illegible] * يوم ازدهى [illegible]

وأحسن مافى هذا الباب قول شهاب الدين الحزازى

عجبا المولود قضى من قبل أن * يقضى لايام الصبا ميقاتا
هجر الحياة وطلق الدنيا وقد * وافت بزخرفها اليه بتاتا
فكأنه من نسكه وصلاحه * وهب الحياة لوالديه وماتا

وقريب منه قول ابن النبيه

الناس للموت كخيل الطراد * فالسابق السابق منها الجواد
والموت نقاد على كفه * جواهر يختار منها الجياد
والله لا يدعو الى داره * الا الذى استصلح من ذى العباد

(وما أحسن) قول التهامى فى ولده

يا كوكبا ما كان أقصر عمره * وكذاك عمر كواكب الأسحار

والمشهور فى البغتة قول العكوك

رصد الخلوة حتى امكنت * ورعى السامر حتى هجعا
كابد الأهوال فى زورته * ثم ما سلم حتى ودعا

(وقال) الحسين بن الضحاك

بأبى زور تلفت له * فتنفست عليه الصعدا
بينما أضحك مسرورا به * اذ تقطعت عليه كمدا

الزور هو الزائر اه

وقريب من هذه المعانى ماروى أن اعرابيا القيه رجل لم يكن يعرفه قبل ذلك فقال له كيف كنت بعدى فقال له الاعرابى ما بعد ما لا قبل له وأما قول شرف الدين بن الفارض

حديثى قديم فى هواها وماله * كما علمت بعد وليس له قبل

فأمر خارج عن العقل لأن العقل لا يمكن أن يتصور شيئا لا قبل له ولا بعد الا واجب الوجود ولكن الصوفية يحيلون مثل هذه الاشياء على الذوق ويقولون فى مثل هذه الامور انها من وراء العقل أخبرنى الشيخ الامام العالم العلامة شمس الدين محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصارى قال حضر يوما الشيخ كريم الدين عبد الكريم الايكى شيخ خانقاه سعيد السعداء عند الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد رحمه الله وأخذ يتكلم فى طريقهم وأحوالهم ويتحدث

على العرفان زمانا والشيخ تقي الدين ساكت لا يفوه بكلمة فلما قام من عندهم قال الشيخ تقي الدين للحاضرين هل فيكم من فهم تراكيب كلامه فاني ما فهمت غير مفرداته اه قلت وهؤلاء القوم يسلم لهم حالهم فانهم قد جاء منهم علماء كبار مثل الشيخ محيي الدين بن عربي وقطب الدين بن سبعين وفي كلامهم من هذا النوع كثير وأما قول شرف الدين بن الفارض

شربنا على ذكر الحبيب مدامة * سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم

فيمكن فهم معناه بالتأويل (أنشدني) من لفظه الشيخ الامام العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصاري قال أنشدني من لفظه لنفسه خالي فخر الدين حسن بن علي بن مكزون السنجاري قصيدة تائية طويلة في وزن تائية ابن الفارض حط فيها عليه منها

ولست كمن أمسى على الحب كاذبا * مضلا لارباب العقول السخيفة
يمن على الجهال من عصبة الهوى * بنسبته في الحب من غير نسبة
فيزعم طورا انه عين عينها * ويزعم طورا انها فيه حلت
ويجمع ما بين النقيضين قوله * وذاك محال في العقول السليمة

وما أحسن قول أمين الدين الحوباني في تهتكه

مت في عشقي ومعشوقي أنا * ففؤادي من فراقي في عنا
غبت عني فمتى أجمعني * أنا من وجدي مني في فنا
أيها السامع تدري ما الذي * قلته والله لا أدري أنا

وقد بالغ الشعراء في وصف الخمرة بالقدم من ذلك قول ابن سناء الملك

عموها طينا وآدم طين * سبخة في حشا الزمان جنين
قبل أن تغرس الكروم وتلتف * عليها الاوراق والزرجون
وثريا السماء ما هي عنقو * د ولا آية الدجا عرجون

ومثل هذه المعاني من الشعراء تحمل على المبالغة مجازا في القدم لانهم يزعمون ان الخمرة كلما قدم زمانها كان تأثيرها في الأسكار أكثر فأما كلام الصوفية فأمر آخر وراء هذا كله ومبالغات الشعراء والكتاب لا مدخل لها في هذا

الباب وما ألطف ما أنشدنيه الشيخ فتح الدين محمد بن سيد الناس من جملة قصيدة مدح بها النبي صلى الله عليه وسلم

محبة ما عرفت الدهر سلوتها * تسري الى النفس او تجري مع النفس

وما لها آخر لكن أولها * تعارف سابق في حضرة القدس

في عالم الذر تاجاني البشير بها * أهلا بعتها طاهرا من الدنس

أشهى الى القلب من أمن على وجل * ومن مجال الكرى في أعين النعس

وعلى ذكر الصوفية حضرت يوما في صفد سنة ست وعشرين وسبعمائة مجلس الشيخ الامام أبي الحسن علي بن الصياد الفاسي وقد عمل درسا ما تكلم فيه على سورة والضحى واستطرد الكلام الى قوله صلى الله عليه وسلم الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك فقال ذهب بعض الصوفية الى أن معنى فان لم تكن تراه ان غبت عن وجودك ولم تكن رأيته وحسن ذلك واستحسنه من حضر فقلت انا هذا حسن لو ساعد الاعراب عليه فان هذا شرط وجوابه وهما مجزومان ويكون اللفظ الصحيح فان لم تكن تره حتى يصح المعنى فاعترف بذلك ووقفت على كلام ابن أبي جمرة في شرح الاحاديث التي انتقاها من البخاري وقد تكلم على الاستواء فقال ذهب بعض الصوفية في معنى هذا اللفظ الى شيء وهو حسن لولا ما فيه من جهة العربية فقال الرحمن علا ووقف هنا ثم قال العرش استوى اه (قلت) هذا حسن ولكن لا يوافقه رسم المصحف على ذلك فانه اذا وقف على علا ينبغي أن يكون من علا يعلو ولا يكتب علا من العلو الا بالالف لانه من علوت ولم يكتب على هنا في المصحف الا بالياء لانها حرف جر ومما يكاد يلحق بكلام الصوفية وليس منه ما ذكره الشيخ شهاب الدين أحمد بن ادريس القرافي رحمه الله في أنوار البروق قال أنشدني بعض الفضلاء

ما يقول الفقيه أيده الله * ولا زال عنده الاحسان

في فتى علق الطلاق بشهر * قبل ما بعد قبله رمضان

ثم انه بعد ذلك ذكر قريبا من كراسة من كلام شيخنا جمال الدين بن الحاجب

ومن كلام نفسه وقال ان البيت الثاني ينشد على ثمانية أوجه بالتقديم والتأخير والتغيير مع استعمال اللفظ فى الحقائق دون المجاز وصحة الوزن وكل بيت منها يشتمل على مسئلة من الفقه فى التعاليق الشرعية والالفاظ اللغوية وتلك المسئلة تشتمل على سبعمائة وعشرين مسئلة من المسائل الفقهية والتعاليق اللغوية بشرط التزام المجاز فى الالفاظ وطرح الحقائق وعدم الوزن ثم ذكر من كلام ابن الحاجب كيفية انشاد البيت الثانى على ثمانية أوجه بأن مابعد ماقد يكون قبلين أو بعدين أو مختلفين فهذه أربعة أوجه كل منها قد يكون قبله قبل وقد يكون قبله بعد فصارت ثمانية أوجه وذكر قاعدة يبنى عليها تفسير الجميع وهى انه كلما كان قبل وبعد فألغهما لأن كل شهر حاصل قبل ماهو بعده وحاصل بعد ماهو قبله فلا يبقى حينئذ الا بعده رمضان فيكون شعبان أو قبله رمضان فيكون شوّالا فلم يبق الاما جميعه قبل أو جميعه بعد والاول هو الشهر الرابع من رمضان وهو ذو الحجة والثانى هو الرابع ولكن على العكس وذلك جمادى الآخرة اه ماالخصته من أنوار البروق (قلت) وقد أطال الكلام فى تقسيم ذلك وتقريره فاذا نظر الواقف عليه فى ذلك تشعب ذهنه من كثرة التقسيم وتردده وقد وضعت أنا لذلك شجرة لان الاشياء اذا برزت الى الخارج زاد وضوحها وزال غموضها وصورة تلك الشجرة فى الصحيفة التى تلى هذه فتدبرها مع مراعاة القاعدة التى ذكرها الشيخ جمال الدين بن الحاجب رحمه الله تعالى يظهر لك صحة ذلك ومثل البيتين المتقدمين فيما ذكر قول بعضهم

وعدت فى الخميس وصلا ولكن * شاهدت حولنا العدا كالخميس
أخلفت وعدها وجاءت البنا * قبل مابعد قبل يوم الخميس

ما يقول الفقيه أيده الله * ولا زال عنده الاحسان   في فتى علق الطلاق بشهر

قبل ما قبل قبله رمضان (ذوالحجه)

قبل ما قبل بعده رمضان (شوّال)

قبل ما بعد بعده رمضان (شعبان)

قبل ما بعد قبله رمضان (شوّال)

بعد ما قبل بعده رمضان (شعبان)

بعد ما قبل قبله رمضان (شوّال)

بعد ما بعد قبله رمضان (شعبان)

بعد ما بعد بعده رمضان (جمادى الآخره)

ومن المسائل العجيبة فى بيت يتفرع الى ألوف من الصور فى تقديم ألفاظه وتأخيرها ما حكاه الشيخ الامام العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصاري انه سئل أول قدومه الى القاهرة عن نهاية ما يمكن فى البيت الواحد من وجوه العدد بتقديم الاجزاء وتأخيرها بعضها عن بعض فأجاب بأن هذا انما يتأتى فى بحرين من العروض خاصة وهما المتقارب والمتدارك لان ما عدا هذين البحرين اما أن تكون تفاعيله متفقة فتكون سباعية كالكامل والرجز ونحوهما وهذا لا يتأتى نظمه من كلمات سباعية وأما ان تكون تفاعيله مختلفة من سباعية وخماسية كالطويل والبسيط ونحوهما فلا يحفظ نظامه فى تبديل الأجزاء لاختلاف مقاديرها فتعين أحد البحرين المذكورين لان كل واحد منهما مركب من أجزاء خماسية يمكن أن تكون كلمات لا يختلف وزن البيت بتقديمها وتأخيرها ولاجل هذا المعنى يمكن أن تكون من الصفات الواردة فى الغزل والمديح ونحوهما ولما كان البيت من الشعر العربى لا يتجاوز ثمانية أجزاء فنهاية ما يمكن التعدد فى صورة البيت الواحد على شريطة أن لا يزاد فيه ولا ينقص منه ولا يختلف عروضه ولا ضربه أربعون ألفا وثلاثمائة وعشرون بيان ذلك ان البيت المفروض انما يفرض على صورة ما فاذا جعل الجزء الاول ثانيا والثانى أولا حدثت صورة ثانية فاذا أبدلنا الجزء الثالث تارة بأول وتارة بثان على الصورة الاولى حدث فى كل من الصورتين ثلاث صور فيكون المجموع الحاصل بتبديل الجزء الثالث وما قبله ست صور وعلى هذا القياس تضرب هذه الست صور فى أربعة فيحصل أربعة وعشرون أخرى بتبديل الجزء الرابع ثم تضرب هذا العدد فى خمسة فيبلغ مائة وعشرين عدد الصورة الحاصلة عن تبديل الجزء الخامس وما قبله ثم تضرب هذا العدد فى ستة فيبلغ سبعمائة وعشرين وهو عدد الصورة الحاصلة عن تبديل الجزء السادس وما قبله ثم تضرب هذا العدد فى سبعة فيبلغ خمسة آلاف وأربعين وهو عدد الصور الحاصلة عن تبديل الجزء السابع وما قبله ثم تضرب

هذا العدد فى ثمانية فيبلغ أربعين ألفا وثلاثمائة وعشرين وهو عدد الصورة الحاصلة عن تبديل الجزء الثامن وماقبله أعنى جميع أجزاء البيت فأخبره السائل ان الشيخ شهاب الدين القرافى رحمه الله ذكر بيتامن بحر المتقارب من العروض وهو

حبيب بقلبى مليح جميل * بديع ظريف رشيق عزيز

وذكر انه يتفرع منه هذا العدد ولم يذكر كيفية تفريعه ولا ذكر المتدارك اه

*(وضج من لغب نضوى وعج لما * لقى ركابى وبح الركب فى عذلى)*

(اللغة) (وضج) صاح والضجيج الصياح والضجوج من النوق هى التى تضج اذا حلبت (لغب) اللغب بالغين المعجمة هو اللغوب وهو الاعياء والتعب وفى القرآن الكريم ولقد خلقنا السموات والارض ومابينهما فى ستة أيام ومامسنا من لغوب قال بعض المفسرين هذا رد على اليهود لانهم قالوا بدأ الله خلق العالم يوم الاحد وفرغ منه فى ستة أيام آخرها يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على عرشه فقال تعالى ومامسنا من لغوب ردا عليهم فى انه استراح من التعب والاعياء اه وهذا من اليهود تحريف فى المعنى وذلك أن الاحد والاثنين أزمنة متميز بعضها عن بعض وهى أعراض لمقادير حركات الافلاك فلو كان خلق السموات والارض ومابينهما ابتدئ يوم الاحد لكان الزمان قبل الفلك والزمان لا ينفك عن الاجسام فيكون قبل خلق الاجسام أجسام أخر فلزم القول بقدم العالم قال الامام فخر الدين الرازى ومن العجب ان بين الفلاسفة والمشبهة غاية الخلاف لان الفلسفى لا يثبت لله تعالى صفة أصلا ويقول انه تعالى لا يقبل صفة بل واحد من جميع الوجوه بعلمه وقدرته وصفاته بأسرها هى حقيقته وذاته والمشبهى يثبت لله تعالى صفات الاجسام من الحركة والسكون والاستواء والجلوس والهبوط والصعود وهذا غاية المنافاة ثم ان اليهودى فى هذا الكلام جمع بين المتنافيين وأخذ بمذهب الفيلسوفى فى المسئلة التى هى أخص المسائل بهم وهى القدم لانهم أثبتوا قبل خلق الاجسام أجساما

معدودة وأزمنة معدودة وأخذ بمذهب المشبهة فى المسئلة التى هى أخص المسائل بهم وهى الاستواء على العرش فأخطأوا وضلوا فى الزمان والمكان جميعا اه (قلت) وتفسير هذه الآية ان ذلك اشارة الى ستة أطوار لا المفهوم من اليوم اللغوى لانه عبارة عن بقاء الشمس على وجه الارض من الشروق الى الغروب ولا شمس هناك ولا قمر ولكن اليوم يطلق ويراد به الوقت تقول أصوم يوم قدومك وأسر يوم يأتيك ولدك وقد يقدم ليلا ويأتيه ولده ليلا فلا يخرج هذا عن مرادك لانك أردت مجرد الوقت والحين فنزه الله تعالى ذاته المقدسة عن لواحق الاجسام اه (نضوى) النضو البعير المهزول والناقة نضوة (وعج) العجيج رفع الصوت وفى الحديث أفضل الحج العج والثج أى رفع الصوت بالتلبية والنحر (ركابى) الركاب الابل التى يسار عليها وقد تقدم الكلام على الفرق بين الجمع واسم الجمع واسم الجنس (ولج) اللجاج واللجاجة مصدر لججت بالكسر تلج بالفتح وهو لجوج ولججت بالفتح تلج بالكسر لغة وهو الحث (الركب) أصحاب الابل فى السفر دون الدواب وهم العشرة فما فوقها واحده راكب وليس بتكسير لانه يصغر فيقال ركيب والجمع أركب (عذلى) العذل بالتحريك هو الاسم وبالسكون هو المصدر وهو الملامة ورجل معذل أى يعذل لافراطه (الاعراب) (ضج) فعل ماض أصله ضجج فاجتمع المثلان فسكن الاول وأدغم فى الثانى (من لغب) جار ومجرور فى موضع النصب على انه مفعول لاجله قال الشيخ جمال الدين بن الحاجب فى مقدمته المفعول له هو مافعل لاجله فعل مذكور ثم قال وشرط نصبه تقدير اللام وانما يجوز حذفها اذا كان فعلا لفاعل الفعل المعلل اه قلت وقد نقضوه بمثل قعدت عن الحركة جبنا فان الجبن ليس فعلا لفاعل الفعل والجواب ان المراد بالفعل هنا أعم من ان يكون بالحواس الباطنة أو الظاهرة والجبن من فعل الحواس الباطنة ونقضوه أيضا بقوله تعالى هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا أجمعوا على انه منصوب بكونه مفعولا لاجله وليس فعلا لفاعل الفعل اذ الخوف والطمع مستحيلان فى حق الله عز وجل والجواب انه محمول على

باب حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه كانه قال تعالى هو الذى يريكم البرق لارادة خوفكم وطمعكم والمفعول لاجله الاصل فيه أن يقدر بلام العلة كقولك ارتحلت طلب العلم أصله لطلب العلم وجئتك رغبة فيك وأسلمت طمعا فى الجنة وقد يقوم مقام اللام من وفى كقوله تعالى كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم وقوله تعالى الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف وقوله صلى الله عليه وسلم ان امرأة دخلت النار فى هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الارض والمفعول لاجله هو الباعث على ايجاد الفعل والغالب هنا هو الباعث على الضجيج (نضوى) فاعل ضج وقد تقدم المفعول له عليه وهو جائز ولم يظهر الرفع فى الفاعل لاضافته الى ضمير المتكلم (وعج) فعل ماض مثل ضج (لما) جار ومجرور الجار اللام ومامجرور وهو اسم ناقص بمعنى الذى لا يتم الا بصلة وعائد ولم يظهر الجر فيه لانه مبنى لشبهه بالحرف فى الافتقار لان الحرف لا يدل على معنى فى نفسه لكن فى غيره وكذا الاسماء الموصولة لا تستقل بالدلالة على معنى بنفسها حتى يؤتى بالصلة والعائد فأشبهت الحروف من حيث الافتقار وسموا الموصول بأنه مفتقر الى الوصل بجملة معهودة مشتملة على ضمير لائق بالمعنى فلا يقال جاءنى الذى أكرمته الا والاكرام معهود عند المخاطب والا فالجملة التى وصل بها غير معهودة ولا يقال جاءنى الذى أكرمتهم الا ان العائد غير لائق بالمعنى فان التثنية لا تطابق الافراد وقد أورد بعضهم على هذا قوله تعالى فأوحى الى عبده ما أوحى وغشيهم من اليم ماغشيهم واقض ما أنت قاض وهو كثير لانه لا عهد للمخاطب بهذه الصلة قلت الجواب عن هذا أن الاتيان بالصلات فى هذه المواطن غير معهودة من أعلا طبقات البلاغة لانها اذا أوردت هكذا أخذ الذهن يسلك فى كل مسلك ويسرى فى كل مسرى فلو قال تعالى فغشيهم من اليم ما أغرقهم لكان الذهن قد وقف على ذلك من أول وهلة ولم يهبط واديا من الهول ولم يرتفع رابية من الجزع وكذا فأوحى الى عبده ما أوحى لو قال تعالى فأوحى الى عبده ما أقر به عينه أو أفرح به قلبه أو ما يسره به من

الشعر الى القافية المتصلة (رجع) الى اعراب البيت تقرر أن ما اسم ناقص في موضع جر (ألقى) فعل مضارع مرفوع لأنه عار عن الناصب والجازم ولم يظهر الرفع فيه لانه معتل الطرف بالالف فالضمة مقدرة في آخره وهو الصلة للاسم الناقص وهو ما والعائد محذوف تقديره ألقاه وهو في موضع النصب لانه مفعول وهذه الجملة من الجار والمجرور والصلة والعائد في موضع نصب على انها مفعول لاجله (وجّ) فعل ماض كما تقدم في نظيره و (الركب) فاعله و (في عذلي) جار ومجرور في موضع النصب لتعلقه بلجّ كأنه قال أسرع الركب في عذلي أي أعجلوا (المعنى) هذا البيت كالذي تقدم قبله أخذ يعدد مشاقه ويكرر أصناف نكده حتى ان النوق تضج من تحته والابل ترفع أصواتها والرفاق يلومونه ويعذلونه على مواصلة الاسفار ومحاولة الاخطار وفي قوله وضج من لغب نضوى غنية عن أن يقول فيما بعده وعج لما ألقى ركابي لان المعنى واحد فكل منهما يغني عن ذكر الآخر فان ضجيج النوق هو عج الركاب وقد عيب على أبي الطيب المتنبي في قوله

وانت بالامس كنت محتلما * شيخ معد وأنت أمردها

قال ابن وكيع في اخباره انه كان محتلما ما يغني عن قوله وأنت أمردها أو يكتفي بقوله وأنت أمردها عن ذكر محتلم وليس هذا من الحشو الحسن بل هو كقول أبي الغراب الهذلي

ذكرت أخي فعاودني * صداع الرأس والوصب

فذكر الرأس بعد الصداع حشو يستغنى عنه وكذلك قول ديك الجن

فتنفست في البيت اذ مزجت * بالماء واستلت سنا اللهب

كتنفس الريحان خالطه * من ورد جور ناضر الشعب

فذكر الماء بعد المزج فضل يستغنى عنه والبيتان يكفي عنهما قول أبي نواس بلا حشو

فتنفست في البيت اذ مزجت * كتنفس الريحان في الأنف

(تنبيه) ومن تكرار الالفاظ الثقيلة قول أبي الطيب أيضا

ولم أر مثل جيراني ومثلي * لمثلي عند مثلهم مقام

وكذا

وكذا قوله

فقلقلت بالهم الذى قلقل الحشا * قلاقل هم كلهن قلاقل

وكذا قوله

عظمت فلما لم تكلم مهابة * تواضعت وهو العظم عظما على عظم

ولو سمى هذا البيت جبانة لكان لائقا به كما قال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر
وقد ذكرت عنده قصيدة ابن الرومى التى أولها

أجنت لك الوجد أغصان وكثبان * فيهن نوعان تفاح ورمان

فقال هذه دار البطيخ فاقرؤا نسيبها تعلموا ذلك (قلت) وقد بالغ ابن الرومى
فى غزلها وأكثر من ذكر العناب والبان والنرجس وما شاكل ذلك
وكذا قول أبى الطيب أيضا

أسد فرائسها الاسود يقودها * أسد تصير له الاسود ثعالبا

قال ابن رشيق ما أدرى كيف تخلص من هذه الغابة المملوءة أسدا وقال
الاصمعى لمن أنشده

فما للنوى جذ النوى قطع النوى * كذاك النوى قطاعة لوصال

لو سلط الله على هذا البيت شاة لاكلت هذا النوى كله وأما قول أبى نواس

أقمنا بها يوما ويوما وثالثا * ويوما له يوم الترحل خامس

فقال ابن الاثير فى المثل السائر مراده من ذلك انهم أقاموا أربعة أيام
ويا عجباه يأتى بمثل هذا البيت السخيف على العى الفاحش (قلت) أبو نواس
أجل قدرا من ان يأتى بهذه العبارة لغير معنى طائل وقوله فى مثل هذا
مقاصد جليلة وغرائب ومذاهب يسلكها الا ترى الى ما حكى عنه من انه
ذكر عند الرشيد قوله

فاسقنى البكر التى اعتجرت * بخمار الشيب فى الرحم

فقال الرشيد لمن حضر ما معناه فقال أحدهم ان الخمر اذا كانت فى دنها كان
عليها شىء مثل الزبد فهو الشيب الذى أراده وكان الاصمعى حاضرا فقال يا أمير
المؤمنين ان أبا على أجل خطرا وان معانيه لخفية فاسألوه عن ذلك فأحضر

وسئل فقال ان الكرم أول ما خرج العنقود فى الزرجون يكون عليه شئ يشبه القطن فقال الاصمعى ألم أقل لكم ان أبا نواس أدق نظرا مما قلتم اه وأما معنى البيت الاول فان المفهوم منه ان المقام سبعة أيام لانه قال وثالثا ويوما أى آخره اليوم الذى رحلنا فيه خامس وابن الاثير لو امعن الفكر فى هذا ربما كان يظهر له وأما قول أبى الطيب

العارض الهتن ابن العارض الهتن ابـ * ـن العارض الهتن ابن العارض الهتن

فقد عده بعضهم من التكرار الذى لا فائدة فيه وليس كذلك بل هو من باب قوله صلى الله عليه وسلم ذاك الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم صلوات الله وسلامه عليهم وأما ابن الاثير فانه عاب ألفاظ البيت من حيث هى واستثقل لفظ العارض والهتن قال ولو قال بدل العارض السحاب أو ما يجرى مجراها لكان أرشق (قلت) ليس ذلك بشئ ولفظ العارض والهتن فصيح عذب فى السمع وأما ابن وكيع فانه قال لولا انتهاء القافية لمضى فى العارض الهتن الى آدم عليه السلام وبانتهاء القافية أعلمنا ان نهاية عدد آبائه المستحقين للمدح ثلاثة ثم يقف هذا الامر قال وأحسن من هذا قول البحترى

العاعلون اذا الدنا بجودهم * ما يفعل الغيث فى شؤبوبه الهتن

فجاء بالمعنى عاما بغير عدد متردد ولا لفظ مستبرد فهو أبدع كلاما وأحسن نظاما فان وما أشبه برديت أبى الطيب ببيت قاله امرؤ القيس

ألا اننى بال على جمل بالى * يقود بنا بال ويتبعنا بالى

اه كلام ابن وكيع (قلت) كذا ذكره فى التنصف وقد أخطأ فى هذا الكلام من عدة وجوه أولها انه قال لولا انتهاء القافية لمضى الى آدم ولو قال لولا انتهاء الوزن لكان أكثر تحقيقا لان القافية حصلت فى ربع البيت من أول ذكر الهتن وهذا كلام سبقه اليه عبد الملك بن مروان وقد أنشد قول دريد بن الصمة

قتلنا بعبد الله خير لداته * ذئاب بن أسماء بن زيد بن قارب

فقال

فقال لولا القافية لوصل به الى آدم وثانيهما أنه قال أعلمنا ان عدد آبائه
الممدوحين ثلاثة كذا قال والبيت يشتمل على أربعة اعداد ضرورة
الوزن وأيضا فلا يلزم فى المديح أن يؤتى بجميع الآباء فى الذكر ويكفى
من مدح أصيلا ان يقول أنت كريم ووالدك ووالده وقد مدح الشعراء
بالنسب القصير قال أبو العلاء المعرى يرثى الشريف الطاهر الموسوى أبا
الشريف الرضى

أنتم ذووا النسب القصير فطولكم * باد على الكبراء والاشراف
والراح ان قيل ابنة العنب اكتفت * بأب عن الاسماء والاوصاف

أراد بهذا ما حكاه الفرزدق قال خرجت من البصرة أريد العمرة فرأيت عسكرا
فى البرية فقلت عسكر من هذا قالوا عسكر الحسين بن على قال فقلت لأقضين
حق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فأتيته فسلمت عليه فقال من الرجل
فقلت الفرزدق بن غالب فقال هذا نسب قصير فقلت أنت أقصر منى نسبا
أنت ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أحسن قول الامير خطير
الدولة أبى المناقب عبد الباقى

لا تعدمنه بآبائه كرموا * وأحرزوا الأمد الاقصى أبا فأبا
فالراح قد أكثر المداح وصفهم * لها ولم يذكروا مع وصفها العنبا

وثالثها أنه مثل بيت البحترى وليس من الباب الذى حاوله ولفظة
الفاعلون وشؤبوبه ثقيلتان على السمع ورابعها أنه شبهه ببرد بيت امرئ القيس
وليس منه وانما الجامع بينهما التكرار ولم يكن بيت أبى الطيب فى برد ذلك
وقد تبع ابن النبيه أبا الطيب فقال

الطاهر النسب ابن الطاهر النسب ابن الطاهر النسب ابن الطاهر النسب

ومما يتعلق ببيت أبى الطيب ان الالف تثبت فى ابن فى سائر البيت لانه
لم يقع بين علمين وقد تعنت الناس على الشعراء وشاحوهم كثيرا فى الالفاظ
والمعانى ألا ترى الى قول الحاجرى

وما الخضر ذاك الخذ نبتا وانما * لكثرة ما شقت عليه المرائر

لسانه عمه الناصر بن العزيز قال عسى أن هذا الخد كان مسلحا وقال على بن ظافر فى قول أبى عامر بن شهيد فى قصيدته

طاردتهن بفتية * صبر على حرب المسالم
فكأننى فيهم لقيــط قادمن آساد دارم

غفل عن نفسه اذ شبهها بولد زنا قواد وان كان قصد لقيط بن زرارة الدارمى وقود الفرسان وقال فى قول ابن شهيد أيضا من هذه القصيدة

ذكرعلى ذكر يصو * ل وصارم يسطو بصارم

قد غفل أبو عامر عن نفسه غفلة شديدة فى قوله على ذكر وأساء من حيث ظن انه أحسن ولا زلنا نستحسن الحكاية المروية عن المخنث الذى أنشد أبو بكر الخالدى بحضرته قصيدته فى سيف الدولة وقد تأنق فى معانيها وروق ألفاظها ومكنها بقوافيها فكان من جملتها قوله

وأنكرت شيبة فى الرأس واحدة * فعاد يخفظها ما كان يرضيها

فقال له المخنث أما تستحى تخاطب الامير بأن تقول له فى الرأس واحدة فجن الخالدى والحاضرون تعجبا فقال له الخالدى فما أقول قال قل لائحة أو واضحة وكذا لم أزل أعجب من قول مهيار الديلمى على جلالة قدره واتقاد خاطره وحسن تخيله

وانك مذخور لاحياء دولة * اذا هى ماتت كان فى يدك النشر

وكيف تفاءل لممدوحه بان تنشر يده وكذلك قوله يتغزل

فى صدرها حجر وتحت صدارها * ماء يشف وبانة تتعطف

فقوله فى صدرها حجر من أبشع لفظ لما فيه من ايهام الدعاء وقد لحنه أبو القاسم الصيرفى فى قوله النشر وقال انه استعمله مكان الانشار الذى هو الاحياء وهو خطأ من أبى القاسم فقد ورد النشر بمعنى الانشار وورد الفعل ثلاثيا ورباعيا نشر الميت وأنشره وقد قرئ فى السبع أيضا وانظر الى العظام كيف ننشرها وكذلك أعجب من أبى الفتوح بن قلاقس على أنه فى الفضل شمس علاء وعطارد ذكاء فى قوله

بطلاقة أبدت بصفحة وجهه * وضح الصباح لمن له عينان

فقال له كيف تجعل في وجه ممدوحك وضحا وهذا الباب انما يقع فيه كثيرا من وثق بذهنه وكبر مقداره عند نفسه واعتمد على ما ينتجه خاطره من بنات فكره ويقرب من هذا وان كان دونه ما جرى لجرير لما أنشد عبد الملك بن مروان قوله * أتصحو أم فؤادك غير صاح *

فقال عبد الملك بل فؤادك يا ابن الفاعلة كأنه استثقل هذه المواجهة وكذلك لما أنشده ذو الرمة * ما بال عينك منها الماء ينسكب *

وكان بعين عبد الملك مرض لا تزال عينه تدمع منه فقال له وما سؤالك عن هذا يا جاهل وأمر باخراجه وكذلك فعل ابنه هشام بأبي النجم لما أنشده

صفراء قد كادت ولما تفعل * كأنها في الافق عين الاحول

وكان هشام يعرف بالاحول فظن أنه انما عرض به فأمر باخراجه وطرده وكذلك ما وقع لابي نواس لما هنى جعفر بن يحيى بانتقاله الى قصر جديد بناه بقصيدة أولها

أربع البلى ان الخشوع لبادي * عليك واني لم أخنك ودادي

وختمها بقوله

سلام على الدنيا اذا ما فقدتم * بني برمك من رائحين وغادي

فتطير يحيى واشمأز وقال نعيت الينا نفوسنا وبعد أيام أوقع بهم الرشيد وقد قيل ان أبا نواس قصد التشاؤم لهم وكان في نفسه من جعفر وأنشد أبو تمام أبا دلف قصيدته التي أولها * على مثلها من أربع وملاعب *

وفي المجلس رجل يشنؤه فقال لعنة الله والملائكة والناس أجمعين وكانت في أبي تمام حبسة شديدة فانقطع خجلا وأنشد ابن مقاتل أحد شعراء الجبال الداعي الى الحق العلوي السائر بطبرستان أبياتا في يوم المهرجان أولها

لا تقل بشرى ولكن بشريان * غرة الداعي ويوم المهرجان

فنفر منه وتطير به وقال غيره وأبدله بقولك

* ان تقل بشرى فهذي بشريان *

ولما أنشد الصاحب أبو القاسم بن عباد عضد الدولة قصيدته الملقبة بالاكنية لكثرة ما كرر فيها لكن وأولها

أشبب لكن بالمعالى أشبب * وأنسب لكن بالمفاخر أنسب
ولى صبوة لكن الى حضرة العلا * وبى ظما لكن من العز أشرب

فلما بلغ الى قوله منها

ضمنت على ابنة تغلب ناءها * فتغلب ما كر الجديدان تغلب

قال عضد الدولة يكفى بالله تطيرا من قوله تغلب وروى أن شاعرا أنشد الشريف فخر الدولة بن أبى الحسن نقيب الطالبين قصيدة يهنيه فيها بشهر رمضان وكان الشريف يتأذى بالصوم لمرض يجده فكان أولها

أيا منابك كلها رمضان * فقال الشريف طوال والله مشومة مكروهة عندى منغصة على وحرمه ولم يعطه شيئا وروى أبو على حسن بن سعيد الكاتب المعروف بالمكربل قال أنشدنى أبو المناقب عبدية فى الملك الافضل وأولها * نهنيك كلا بل نهنى بك الدهرا * فقلت له الابتدا هكذا مما يتطير به وذكرت له خبرا بن مقاتل فوافقنى على ما قلته وغير الابتدا فقال * نهنيك والاولى نهنى بك الدهرا * ثم قال ابن ظافر أما أنا فانى صنعت بالشام سنة سبعة وثمانين وخمسمائة قصيدة فى الملك الافضل أبى الحسن على بن الملك الناصر نور الله ضريحه أولها

دعها ولا تحبس زمام المقود * تطوى بايديها بساط الفدفد

وأنشدتها لمن كان بالعسكر من أصحابنا المنتسبين الى الادب فما منهم الا من بذل جهده فى نقدها ورمى بفلاذ كبده فيها فكرته ثم حملتها الى حضرته فصادفت قبولا واتفق بعد ذلك ان أنشدتها الابن الاجل التكريتى فلما أنشدته البيت الاول قال لى ما كان يؤمنك اذا أخذ مدرجها فى يده وفقه فوجد قول ما سمعها أن لقيها ويقول قد فعلت ألست كنت تفتضح قلت لى والله ولكن فد وقى الله وهذا من غريب الانتقاد (قلت) قد نقلت كلام ابن ظافر من أوله الى آخره من خطه ولا تستطل أيها الواقف على هذا

الفصل ماذكرته فانه من فقه الادب وبمثل هذه الاشياء يتنبه طرف المتأدب ويلتفت الى ماتجاوزه فى حالة غفلته اه (رجع القول الى بيت الطغرائى)
أقول قد أخذ بيت الشريف الرضى برمته من قوله

ولقد مررت على منازلهم * وديارهم بيد البلى نهب
ووقفت حتى ضج من لغب * نضوى ولج بعذلى الركب
وتلفتت عينى فذ خفيت * عنى الطلول تلفت القلب

وما لأحد أحسن من هذه الاستعارة فى تلفت القلب ولا أرشق ولا أعذب
وما أحسن قول أبى العلاء المعرى

الى كم تشتكانى الى ركائبى * وتكثر عتبى خفية وجهارا
أسير بها تحت المنايا وفوقها * فتسقط فى شخص الحمام عثارا

وقول أبى تمام الطائى

يقول فى قومس قومى وقد أخذت * منا السرى وخطا المهرية القود
أمطلع الشمس تبغى أن تؤم بنا * فقلت كلا ولكن مطلع الجود

والناس يستحسنون هذا ويعدونه من النادر الجيد لابى تمام وقد أخذه بلفظه من مسلم بن الوليد واجترأ عليه اجتراء السادة على العبيد لان مسلما هو البادى وأبا تمام هو العادى قال مسلم بن الوليد

يقول صحبى وقد جدّوا على عجل * والخيل تستن بالركبان فى اللجم
أمطلع الشمس تبغى ان تؤم بنا * فقلت كلا ولكن مطلع الكرم

وهذا فى غاية الحسن التى تكبو الفحول دون بلوغها ويعجز الشعراء عن الظفر بعصونها والتحلى بمصوغها فان عين السهى تطيل النظر الى رفعتها وتتأمل ومطايا التخيل تكل عن النهوض بعبثها فتحمل وقد أخذه أبو اسحاق الغزى وسبكه فلكه لما قال

قولى اذا احتثها وظلت * تناجينا بألسنة الكلال
لى أفق الفلاة مسير ركبى * فقلت بل الى أفق النوال

(قلت) فأين معانى الشمس ممن يحاول وأين الثريا من يد المتناول

ولكن هذه الاشياء تتفق فما تعارض ولاتقارض (أخبرني) الشيخ الامام الاديب الكامل القاضي شهاب الدين أبو الثناء محمود قال قلت للشيخ نجم الدين بن اسرائيل لأي شيء قصر قولك

لكدت تشبه برقا من ثغورهم * يادر دمعي لولا الظلم والشنب

عن قول شهاب الدين بن الخيمي

يابارقا بأعالي الرقتين بدا * لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

فقال لأنه شاعر جيد تناول المعنى بكرا فأجاد فيه ولم يدع فضلة لغيره ثم قال شهاب الدين محمود مامن شاعر في الغالب الا وقد عارض الشريف الرضي في قصيدته التي أولها

ياظبية البان ترعى في خمائله * ليهنك اليوم أن القلب مرعاك

ومامنهم من رزق سعادته اه (قلت) والذين رزقوا السعادة في أشياء لم يأت بعدهم من نالها جماعة كثيرة لا بأس بسردهم هنا وهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه في النسب فانه كان فرد زمانه علي بن أبي طالب رضي الله عنه في القضاء أبو عبيدة رضي الله عنه في الامانة أبو ذر رضي الله عنه في صدق اللهجة أبي بن كعب رضي الله عنه في القرآن زيد بن ثابت رضي الله عنه في الفرائض ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير القرآن الحسن البصري في التذكير وهب بن منبه في القصص ابن سيرين في التعبير نافع في القراءة أبو حنيفة في الفقه قياسا ابن اسحاق في المغازي مقاتل في التأويل الكلبي في قصص القرآن ابن الكلبي الصغير في النسب أبو الحسن المدائني في الاخبار أبو عبيدة في الشعوبية محمد ابن جرير الطبري في علوم الاثر الخليل في العروض فضيل بن عياض في العبادة مالك بن أنس في العلم الشافعي في فقه الحديث أبو عبيد في الغريب علي بن المديني في علل الحديث يحيى بن معين في الرجال أحمد بن حنبل في السنة البخاري في نقد الصحيح الجنيد في التصوف محمد بن نصر المروزي في الاختلاف الجبائي في الاعتزال

الاشعرى فى الكلام أبو القاسم الطبرانى فى العوالى عبد الرزاق
فى ارتحال الناس اليه ابن منده فى سعة الرحلة أبو بكر الخطيب فى سرعة
القراءة ابن حزم فى الظاهرية سيبويه فى النحو أبو الحسن البكرى
فى الصدق اياس فى التفرس عبد الحميد فى الكتابة والرقا أبو مسلم
الخراسانى فى علو الهمة والحزم الموصلى النديم فى الغناء أبو الفرج
الاصبهانى فى حسن المحاضرة أبو معشر فى النجوم محمد بن زكريا الرازى فى الطب
عمارة بن حمزة فى التيه الفضل بن يحيى فى الجود جعفر بن يحيى فى التوقيع
ابن زيدون فى سعة العبارة ابن القربة فى البلاغة الجاحظ فى الأدب
والبيان الحريرى فى المقامات البديع الهمدانى فى الحفظ أبو نواس
فى المجون والخلاعة ابن حجاج فى سخف الالفاظ المتنبى فى الحكم والامثال
الزمخشرى فى تعاطى العربية النسفى فى الجدل جرير فى الهجا الخبيث
حماد الراوية فى شعر العرب معاوية فى الحلم المأمون فى حب العفو عمرو
ابن العاص فى الدهاء عطاء السلمى فى الخوف من الله تعالى الوليد فى شرب
الخمر أبو موسى الاشعرى فى سلامة الباطن ابن البوّاب فى الكتابة والخط
القاضى الفاضل فى الترسل العماد الكاتب فى الجناس ابن الجوزى
فى الوعظ أشعب فى الطمع أبو نصر الفارابى فى نقل كلام القدماء
ومعرفته وتفسيره حنين بن اسحاق فى ترجمة اليونانى الى العربى ثابت بن
قرة الصابى فى تهذيب ما نقل من الرياضى الى العربى ابن سينا فى الفلسفة
وعلوم الأوائل الفخر الرازى فى الاطلاع على العلوم السيف الامدى
فى التحقيق والاصول النصير الطوسى فى المجسطى ابن الهيثم فى العلم الرياضى
نجم الدين الكاتب فى المنطق أبو العلاء المعرى فى الاطلاع على اللغة
أبو العيناء فى الاجوبة المسكتة مزيد فى البخل القاضى أحمد بن أبى داود
فى المروءة وحسن القاضى ابن المعتز فى التشبيه ابن الرومى فى التطير
الصولى فى الشطرنج أبو حامد الغزالى فى الجمع بين المعقول والمنقول
ابن رشد فى تلخيص كتب الاقدمين الفلسفية والطبية محيى

الدين ابن عربي في التصوف اهـ أقول وقصيدة ابن الخيمي البائية التي أولها * يا مطلبا ليس لي في غيره ارب *
رويتها بقراءتي على الشيخ فتح الدين محمد بن سيد الناس عن شهاب الدين محمد بن عبد المنعم بن الخيمي قال اجازة وفي غالب الظن سماعا منه (قلت) وقصته مع نجم الدين بن اسرائيل مشهورة وأنشدني لنفسه الشيخ شهاب الدين أبو الثناء محمود قصيدة بائية عارض بها ابن الخيمي وهي في غاية الحسن جاء منها [illegible] قوله

يا [illegible] * وشت بارقها ما فاتك الشنب

وقد جمعت [illegible] بن لابن الخيمي وابن اسرائيل والشهاب محمود والعفيف التلمساني وصدر الدين بن الوكيل ولي أنا في معارضة هذه القصيدة وأودعته الجزء الاول من التذكرة التي جمعتها وجاء لي في معنى البيت المذكور قولي

يا برق لا تبتسم من ثغره عجبا * قد فات معناك منه الظلم والشنب

ولقائل أن يقول لما أجمعني لقد حكيت ولكن فاتك الشنب ونقلت من خط [illegible] الدين [illegible] له

[illegible] * [illegible] واستولى به الطرب
[illegible] * لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

[illegible] الطغرائي وقد أحسن أبو العلاء المعري [illegible]

[illegible] * من الدنيا أريد بها انفصالا
[illegible] * فكان اسم الامير لهن فالا

[illegible] فاحمل الجواد قوائمه ويسمي له من كل حسن كرائمه [illegible] والقلوب كمائمه ويجلي الاسماع من الدر [illegible] وقد استعمل المعري المال في شعره أيضا فقال

[illegible] تلت لصاحبي * حياة وسر [illegible] العالي

انما قال ذلك لان الحية موصوفة بالشر وطول العمر ولهذا سميت حية وقيل انها لا تموت حتف انفها ما لم يعرض لها ما شدخ رأسها أو قطعه وقال الآخر

فهو كالصل من بنات الأفاعي * كلما طال عمره زاد شرا

ويعجبني قول ابن خفاجة الاندلسي من قصيدة يصف فيها الحية

وأزب يبرد من حشاه مكرع * خصر يسح وتلعة مخضال
ما بين خطي جدولين كأنما * بسطت يمين منهما وشمال
مثل الحباب بجنباه ذؤابة * خفاقة حيث الرياح كفال
يتسايب ثاني معطفيه كأنه * هيمان نشوان هناك مذال
أو طل أسمر بالوى متأطر * عطفت جنوب متنه وشمال
لم أدر هل يزهو فيخطر نخوة * أم لاعبت اعطافه الجريال
فاذا استطار به النجاء فنيزك * واذا تهادى فالهلال هلال
زرت عليه حبيرة موشية * بقيت له أخت لها أسمال
مزق كما ينقد في يوم الوغى * عن لبتي مستلئم سربال
ألقى به منها هنالك درعه * بطل وجرد وشيه مختال
بيد الهجيرة منه سوط خافق * وبساق ليلة صرصر خلخال

وما أحسن قول القاضي محيي الدين بن عبد الله بن عبد الظاهر من جملة كتاب تروغ للراغي والمراعي وتسمع منها السهام المنية قعاقع بتراكيش الافاعي من كل صل يفترس افتراس الضيغم ويلس انغلاس الجدول المفعم تنقض انقضاض السهام وتروع رائيها في المنام ومن حتها يحم الحمام واذا انقبضت كانت للمنية عروة واذا انبسطت فهي للرزية حزام مانابها بنوائبه ناب ولا العابها في جده بالاتيان على النفوس بلعاب ذوات ألوان كالدنيا تروق وتروع وذات معاطف كالليالي والايام منذرة كالفخ للوقوع قد غدت للخيام أطنابا عوضا عن الاطناب ونابت عن العمد فيها شر مناب فلو شاهدها بقراط لم ير أن غيرها للموت من العلل الخبائث والاسباب كم تصبحت الاعين منها بأسود سالخ وكم غداه هرى بنهما

مهر يا من الحريق فهو فى كور على لغة العوام نافخ ومن عجب أنها تمشى على بطنها ولا تأكل من نمشته بنابها النائب عن سنها تفترس وتفترس وترى لعينها فى الظلام نارالا يجد عليها هدى طرف المقتبس كم غدت لبعير عقالا وكم اعتقل الموت منها الطاعنة رماحا طوالا وأرسل نبالا وفى كلام العوام مما يتحاجون به قولهم حية ميتة وقاعدة قائمة وجارية واقفة وبيضاء جراء ومسلم شماس وكثيرة قليلة ونقلت من خط السراج الوراق له فى استعمال الفال

ومسائل عنى يقو * ل وقد كفاه سوء حالى

كيف الزمان عليك قلـ * ـت على هذا منك فالى

ونقلت من خطه له أيضا يتقاضى عسلا من ابن العسال

قبل يد الشرف التى هى قبلة * أبدا لها تتوجه الآمال

واذكرله شوقا اليه يهزنى * فكأننى متأود عسال

ولعل ذا فال جرى نطقى به * وأبوك يصدق فى نداه الفال

وعلى ذكر الفال فقد حكى أن طاهر بن الحسين خرج لقتال عيسى بن ماهان وفى كمه دراهم يفرقها على الضعفاء ثم انه سهى وأسبل كمه فتبددت فتطير من ذلك فقام اليه شاعر وقال

هذا تبدد جمعهم لا غيره * وذهابه منا ذهاب الهم

شئ يكون الهم نصف حروفه * لا خير فى امساكه فى الكم

يقال ان ملوك مصر العبيديين قالوا فى أول دولتهم لبعض العلماء بمصر اكتب ما فى ورقة ألقابا تصلح للخلفاء حتى اذا تولى منا أحد لقبناه بلقب منها فكتب لهم ألقابا كثيرة آخرها العاضد فاتفق ان آخر من ملك منهم العاضد وزالت فى أيامه دولتهم على يد السلطان صلاح الدين قال بعضهم حضرت مجلس كافور الاخشيدى وقد دخل رجل فدعا له وقال فى دعائه أدام الله أيام مولانا وكسر الميم من أيام فتحدث جماعة من الحاضرين فى ذلك وعابوه فقام رجل من وسط الناس وأنشد مرتجلا

لاغرو ان لحن الداعي لسيدنا * أوغص من دهش بالريق أوبهر
فتلك هيبته حالت جلالتها * بين الأديب وبين الفتح بالحصر
وان يكن خفض الايام من غلط * في موضع النصب لاعن قلة النظر
فقد تفاءلت من هذا لسيدنا * والفال نؤثره عن سيد البشر
بان أيامه خفض بلا نصب * وان أوقاته صفو بلا كدر

يقال انه أقبل رجل على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال ما اسمك قال شهاب بن حرقة قال ممن قال من أهل حرة النار قال وأين مسكنك قال بذات لظى فقال أدرك أهلك فقد احترقوا رواه مالك في الموطأ فكان كما قال عمر رضي الله عنه ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نزل برجل من الانصار فنادى الرجل بغلمانه ياسالم يايسار فقال صلى الله عليه وسلم سلمت لنا الدار في يسر (وحكي) ان بعض العرب مر على قوم فقال لاحدهم ما اسمك قال منيع وسأل آخر فقال شديد وسأل آخر فقال وثيق وسأل آخر فقال ثابت فقال ما أظن الاقفال وضعت الامن أسمائكم (وسأل) بعض العرب رجلا عن اسمه فقال بحر فقال ابن من قال ابن فياض قال فكنيتك قال أبو الندا فقال لا ينبغي لاحد أن يلقاك الا في فلك أو شختور جاء اثنان الى بعض الشهود ليكتب لهما حجة بدين على أحدهما فقال له ما اسمك قال رحال قال ابن من قال ابن سابق قال ابن من قال ابن مسافر فقال له ياأخي بالله لا تعامل هذا في شئ فما أظنه الا يطير اذا فارقك ولا تظفر به وقال أبو العلاء المعري

وقد سماه سيده عليا * وذلك من علو القدر فال

وهو مأخوذ من قول أبي الطيب

في رتبة حجب الورى عن نيلها * وعلا فسموه على الحاجبا

(وقال) ابن الرومي

كأن أباه حين سماه صاعدا * رأى كيف يرقى للمعالي ويصعد

لما سمع البحتري هذا قال أخذه من قولي

سماه أسرته العلاء راغما * قصدوا بذلك أن يتم علاه

(وقال آخر)

شم الأنوف ... سموا بها * ومن المعنى تؤخذ الاسماء

وقال ابن سوا ... ابن حمدان

من ... وأحمد ... * ولذلك قد سموا بني حمدان

وقال ... [illegible]

[illegible]

كان ... [illegible]

المين ... وكانت ... وحشة ... يقول يا شهاب الدين

في سعد الدين فقال يا خونا اذ كان عندك فهرست السعود وعلى

السماط سعد بلع وفي الحمام من الصيوف سعد الأخبية وعند المرضى

سعد ... حدثني الشيخ المولى القاضي علاء الدين علي بن غانم قال عتبني

يوما القاضي شهاب الدين محمود وقال قد بلغني أن جماعة ديوان الانشاء

يذمون ... تردعني فكتبت اليه

[illegible] ... لا اتصل بحمد محمود

[illegible] ... محمود

[illegible]

[illegible] ... وجود

ولست ... دعي * ... محمود

و ... كرامة ... كان الدهود

فلم يبق ... رحمه الله ... (رجع القول)

الى بيتي المعري الذين ... أخذه من المحاسن

من قول ابي تمام اصافي

اذا بعثت على أول ... * فقد قربت من ...

... كريم * ...

ومن حسن التخلص قول أبي الطيب

نودعهم والبين فينا كأنه * قنا ابن أبي الهيجاء في قلب فيلق

وقال علي بن الجهم

وليلة كحلت بالنقس مقلتها * ألقت قناع الدجى في كل اخدود

قد كاد يغرقني أمواج ظلمتها * لولا اقتباسي سنا من وجه داود

وقال يذكر سحابة

أتتنا بها ريح الصبا فكأنها * فتاة تزجيها عجوز تقودها

فما برحت بغداد حتى تفجرت * بأودية ما تستفيق مدودها

فلما قضت حق العراق وأهله * أتاها من الريح الشمال بريدها

فمرت تفوت الطرف سعيا كأنها * جنود عبيد الله ولت بنودها

يريد انصراف عبيد الله بن خاقان عن الجعفري الى سر من رأى عند قتل المتوكل وقال ديك الجن

وعزيز يقضي بحكمين في الرا * ح بجور وفي الهوى بمحال

للقار دفه وللعود ما حمـ * ل لينا وجيده للغزال

فعلت مقلتاه بالصب ما تفـ * عل جدوى يديك بالأموال

وقال البحتري

كأن سناها بالعشي وصبحها * تبسم عيسى حين يلفظ بالوعد

وقال محمد بن هاني المغربي

كأن لواء الشمس غرة جعفر * رأى القرن فازدادت طلاقته ضعفا

وقال ابن الساعاتي

كم وقفنا فيها مع الغيث مستنـ * ين جفونا وكافه وغماما

نحسبه ظبا بروق جراحا * منهرات سالت عليه ركاما

فكأن الغمام نقع وقد جر * د فيه الملك المعز حساما

وقال أيضا

منعت ظباء المنحنى بأسوده * وأشد ما أشكوه فتك ظبائه

فعلت بنا وهى الصديق لحاظها * كظبي صلاح الدين فى أعدائه

وقال أيضا

أبكي العقيق بمثله وتهب أنفاس الغضا بضرامه المتسعر
وجدى وان كنت الذليل ببعضه * وجد العزيز بكل لدن أسمر

وقال ابن سناء الملك

لا يرجع الكاف الذليل عن الهوى * أو يرجع الملك العزيز عن الندا

والاول أكمل وأحسن وقال أيضا

فالوجد لى وحدى دون الورى * والملك لله وللظاهر

وما أحسن قول أبي الحسين الجزار يمدح فخر القضاة نصر الله بن بطاقة

وكم ليلة قد بتها معسرا ولى * بزخرف آمالى كنوز من اليسر
أقول لقلبي كلما اشتقت للغنى * اذا جاء نصر الله تبت يدا الفقر

قلت انظر الى هذا الشاعر كيف تخلص ووثب الى المديح وما تربص وصدق نظمه فى الحسن وما تخرص فاحذ على مثاله ان كنت تحذو واغذ بلبان بيانه ان كنت تغذو (وقال) أيضا يمدح جمال الدين موسى بن يغمور

جسرت على لثم الشقيق بخدها * ورشف رضاب لم أزل منه فى سكر
ولست أخاف السحر من لحظاتها * لانى بموسى قد أمنت من السحر

(وقال) النفيس القطرسي يمدح شجاع الدين جلدك

يا قلب من لانت معا * طفه علينا ما أشدك
أتضنني جلد الهوى * أو أن لى عزمات جلدك

وقال شرف الدين شيخ الشيوخ بحماة يمدح سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

غصن نقا حل عقد صبرى * بابن خصر يكاد يعقد
فمن رأى ذلك الوشاح الصائم صلى على محمد

قلت انظر الى حسن هذا المخلص ولطفه وجنى البيان وقطفه مع ما فيه من التورية الحسنة والبلاغة التى تهيت لها الجفون وسنة أنشدنى من لفظه

لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة رحمه الله يمدح الملك المؤيد صاحب حماة

كيف الخلاص لمطوى على شجن * وقد تمالت عليه أعين سحرة
تغزو لواحظه فى المسلمين كما * تغزو سيوف عماد الدين فى الكفرة

وأنشدنى الشيخ الامام الحافظ أبو الفتح محمد بن سيد الناس قال أنشدنى لنفسه الشيخ العلامة تقى الدين بن دقيق العيد رحمه الله تعالى

كم ليلة فيك وصلنا السرى * لا نعرف الغمض ولا نستريح
واختلف الاصحاب ماذا الذى * يزيل من شكواهم أو يريح
فقيل لى تعريسهم ساعة * وقلت بل ذكراك وهو الصحيح

قلت انظر الى هذا النظم ما ألطف تركيب ألفاظه وأحلاه وكونه استعمل طريق الفقهاء فى البحث فى ذكر اختلاف الاصحاب وأنه قيل كذا وقيل كذا وقلت كذا وهو الصحيح كأنه امام الحرمين وقد ألقى درسا فى مسئلة فيها خلاف بين الاصحاب وقد رجح ما رآه هو وعنده من الدليل وما رأيت أحسن من هذا بينما هو يصف أحوالهم فى السرى ومشاقهم فى التعب وتشاورهم فيما بينهم وما أشار به كل منهم فى ازالة ما حصل لهم من العناء اذا به قد برز من بينهم برأى أدخل فيه ذكر الممدوح ونص على تصحيحه فكأنه فى حلقة الدرس وقد شرع فى مسئلة خلافية ويحرم هذا النظم على غير الشيخ تقى الدين

فلم تك تصلح الا له * ولم يك يصلح الا لها

وما أحقه لو أنشد قول الارجانى

أنا أشعر الفقهاء غير مدافع * فى العصر لا بل أفقه الشعراء

وليس هو كما قال الآخر فى بعض الناس

هو فى الفقه شاعر لا يبارى * وهو فى الشعر أوحد الفقهاء
لا الى هؤلاء ان طلبوه * وجدوه ولا الى هؤلاء

والارجانى فيما تقدم أخذ قوله من قولهم كلام الملوك ملوك الكلام
وأنشدنى لنفسه الشيخ الامام العلامة شهاب الدين أبو الثناء محمود اجازة

ما كتبته لصاحب اليمن جوابا عن هدية وردت منه قرين كتاب

أتانى كتابك والمكرمات * تسير لديه مسير السحب
لئن جاء فى موكب من نداك * فكتب الملوك ملوك الكتب

ونقلت من خط مجير الدين محمد بن تميم له

وليلة بتها من ثغر حبى * ومن كاسى الى فلق الصباح
أقبل أقحوانا من شقيق * وأشربها شقيقا من أقاح

ومن كلام الناس كتب الاحباب أحباب الكتب والعلم المشهور فى هذا الباب قوله صلى الله عليه وسلم جار الدار أحق بدار الجار ولما قصد أبو تمام عبد الله بن طاهر بن الحسين بخراسان وامتدحه بقصيدة أولها

* أهن عوادى يوسف أم صواحبه *

أنكر عليه أبو سعيد الضرير وأبو العميثل هذا الابتداء وقالا له لم لا تقول ما يفهم فقال لهما لم لا تفهمان ما يقال فاستحسن منه هذا الجواب على الفور (يقال) انه عرض على القاضى الفاضل رقعة باسم مؤذنين يستخدمان اسم أحدهما مرتضى والآخر زيادة فوقع على رأسها أما زيادة فمرتضى وأما مرتضى فزيادة فاستخدم زيادة وصرف مرتضى وهذا فى غاية الحسن وهو من لطف القاضى الفاضل وما أحسن قول شمس الدين محمد بن التلمسانى ومن خطه نقلت

يا بأبى معاطف وأعين * يصول منها رامح ونابل
فهذه ذوابل نواضر * وهذه نواظر ذوابل

هذا من أعلى طبقات هذا النوع لانه رد العجز على الصدر بالفاظه مع اختلاف المعنى وقلت أنا فى مثل هذا النوع

أضاع نسكى عذار مسكى * فكيف تركى لحاظ تركى
قد شك قلبى برمح قد * قد فؤادى بغير شك

وقلت فى النوع الاول أيضا

قد فاق غصن النقا حبيبى * وأخجل البدر فى التمام
ذاك قوام بلا محيا * وذا محيا بلا قوام

وكان نجم الدين بن اسرائيل يقول أنا شاعر الفقراء بل وفقير الشعراء (وقال) بعضهم فى صاحب الشذور هوا ماشاعر الحكماء أو حكيم الشعراء (وقال آخر) من ردّ الأعجاز على الصدور قبور الأحياء أحياء القبور (رجع القول) الى أبيات الشيخ تقى الدين رحمه الله وقد أخذ الشيخ كلامه من قول ذى الرمة

ونشوان من طول النعاس كأنه * بحبلين من مشطونة يترجح
اذا مات فوق الرحل أحييت روحه * بذكراك والعيس المراسيل جنح

ولكنه أخذه جسدا فارغا فزاده روحا وأوحى الى الاسماع أطيب ما يوحى ولابى نواس شئ من هذا المذهب فى الشعر يذكر البحث والجدل فى قوله

فاخرت كل شراب فسمت * رتبة ليس يضاهيها شراب
لا تمار يك على تحريمها * ان نقل ما حرمت طال الخطاب
حرمت ما حرمت بل حرمت * جاء فى التنزيل نهى واجتناب
قال هل أنتم فقلنا نحن لا * وسكتنا كانا واستذباب

كان يقال أبو نواس فقيه غلب عليه الشعر والشافعى شاعر غلب عليه الفقه والشافعى والخليل بن أحمد وأبو بكر بن دريد معدودون من العلماء الشعراء ومن شعر الشيخ تقى الدين ما أنشدنيه الشيخ الامام الحافظ فتح الدين بن سيد الناس قال أنشدنى شيخنا تقى الدين لنفسه

قالوا فلان عالم فاضل * فأكرموه مثل ما يرتضى
فقلت لما لم يكن ذا تقى * تعارض المانع والمقتضى

وكل من عانى النظم وغلب عليه فن من الفنون مال به الى ذلك الفن وغلبت عليه قواعده واستعملها فى مقاصده الشعرية وتخيلات معانيه وظهر على ما يرومه اصطلاح ذلك الفن وأحكامه ألا ترى الى أبى الفتح البستى ومقاطيعه المشهورة فى الآداب والحكم كيف يغلب عليه ألفاظ المنجمين (حكى) ان بعض الاطباء كان فى خدمة بعض الملوك فى غزوة لم يكن معه وقت النصرة كاتب ترسل فأمر الطبيب أن يكتب للوزير يعلمه بذلك فكتب أما بعد فانا قد كنا مع العدو فى حلقة كدائرة البيمارستان حتى لو رميت مبضعا

الموقع الاعلى فيقال فلم يكن الا كنبضة أو نبضتين حتى لحق العدو بحران عظيم فهلك الجميع بسعادتك يامعتدل المزاج (قلت) مارأيت أحسن من هذا ولا أوجز ولا أبلغ ولا أحسن ضرب مثل ولا أحسن تشبيها وهو فى غاية الفصاحة ولما أنكر على القرش النقاش بسبب لوح البريد الذى نقشه لعز الدولة وطلب طلبا مزعجا اختفى مدة ثم كتب الى القاضى علاء الدين بن عبد الظاهر رقعة فيها يقبل الارض وينهى ان له ثلث سنة محقق وهو مختف فى حواشى البيت خوفا من الاشعار فان المملوك يخشى الرقاع من صاحب الطومار والمملوك يسأل نسخ هذه القضية بحيث لا يقع عليه غبار فانه والله ما عمل عود ريحان فاعجبه ذلك ولم يزل يتلطف له عند سلار والجاشنكير الى ان تمهدت قضيته وسكنت (قلت) الكل مناسب الا قوله الاشعار فانه فى الاصل بفتح الهمزة لانه الذى يكتب الاشعار والقرش رحمه الله استعمله مكسور الهمزة مصدر أشعر به اشعارا ولكنه لحن خفى خفيف على القلب والسمع وقريب من هذا قول من كان يعرف الرياضى حين احتضر اللهم يامن يعلم قطر الدائرة ونهاية العدد والجذر الاصم اقبضنى اليك على زاوية قائمة واحشرنى على خط مستقيم (قلت) لا بأس بالكلام على ما يتعلق بهذا (قطر الدائرة) هو الخط الذى يمر بالمركز ويقطع الدائرة بنصفين وقيل هو أطول خط فى الدائرة والخط قال اوقليدس فى رسمه الخط طول لا عرض له قالوا فى هذه العبارة تجوز لان الطول انما هو صفة الخط والخط هو المقدار المتصف بالطول فقط والعبارة السديدة فى ذلك أن يقال الخط هو ماله طول فقط لان الجسم من مقولة الكم والطول من مقولة الكيف ويتصور وجود الخط فى الحس اذا كان فصلا مشتركا بين لونين كالفصل المشترك بين الماء والزيت فانك ترى طولا بلا عرض وهذا أحرى الامثلة له فى الخارج والدائرة رسمها اوقليدس فقال كل شكل مسطح يحيط به خط واحد فى داخله نقطة كل الخطوط المستقيمة الخارجة منها الى الخط المحيط متساوية وتسمى تلك النقطة مركز الدائرة قالوا أشار الى معنى ليس بموجود لانه ليس يوجد

فى الحس شكل على هذه الصفة أى على غاية الاستدارة وفى وسطه نقطة كل الخطوط الخارجة منها كما قال متساوية على غاية التساوى فالصفة مفهومة والمنفاة غير موجودة لان الحس كثير الغلط فما وجدنا بالحس لا يوثق به ولأن الاشياء المحسوسة مستحيلة كائنة فاسدة ليست ثابتة على صفة واحدة ولا آن واحد والجواب أنها متحققة فى الذهن فهى معقولة فهى ثابتة الوجود هذا كلام الكركرى وكأنه حاول اثبات الدائرة فى الخارج فعجز عن ذلك فوقف عند اثباتها فى الذهن وذهل عن الفلك أنه موجود فى الخارج وهو كرة صحيح الاستدارة بالاجماع من الرياضيين والطبيعيين حسبما تقتضيه البراهين من الفريقين ومتى وجدت الكرة وجدت الدائرة أقل ذلك منقطة الكرة فانها محيط دائرة بلا شك فعلى هذا قطر الدائرة خط مستقيم ومحيطها خط مستدير وهما متباينان بالنوع فلا نسبة بينهما فتى كان محيط الدائرة معلوما كان القطر مجهولا ضرورة وانما قربه ارشميدوش بأن جعل القطر سبعة من اثنين وعشرين بأقرب تقريب فعلى هذا لا يعلم نسبة قطر الدائرة من محيطها تحقيقا الا الله تعالى وكذلك نهاية العدد لا يعلمها الا الله تعالى لان كل عدد نفرضه تمكن الزيادة عليه دائما فلا نقدر على تحصيل النهاية وكذلك الجذر الاصم لا يعلمه الا الله تعالى لان الجذر مقدار اذا ضرب فى نفسه قام منه العدد وجذر الواحد مساو له لانه واحد وجذر العدد الصحيح أقل منه كالتسعة جذرها ثلاثة وجذر الكسر أكثر منه لان الربع جذره نصف والاعداد منها ماله جذر ويسمى المفتوح كالواحد والاربعة والتسعة والستة عشر وغير ذلك ومنها مالا جذر له معلوم وان كان لا بدله من جذر فى نفس الامر كالعشرة ويسمى الاصم فانه أى كسر أضفناه الى الثلاثة وضربنا المجموع فى نفسه لا بد أن يزيد عن العشرة أو ينقص عنها فلا نعلمه على التحقيق بوجه ولهذا يحكى عن فلاسفة الهند انهم يقولون سبحان العالم بمخارج الجذور الصم وأما الزاوية القائمة فكل خط يقوم على خط قياما معتدلا لا ميل فيه الى احدى الجهتين يسمى عمودا فان الزاويتين

اللتين عن جنبتى العمود متساويتان فهما قائمتان وهذه صورته
لانك اذا اقمت على خط اب عمود جد فالزاويتان اللتان
عن جنبتى العمود متساويتان فهما قائمتان فلو كان العمود القائم
على خط اب مائلا كانت زاوية اجد منفرجة وكانت زاوية دجب
حادة فقوله اقضى على زاوية قائمة أراد بذلك أنها أعدل الزوايا وانه لاميل
لواحد من خطيها على الآخر ولا عنه ولذلك ينسب اليها سائر الزوايا الحادة
والمنفرجة كما نقول زاوية المثلث ثلثا زاوية قائمة وزاوية المسدس قائمة
وثلث وكذلك الجميع وأما الخط المستقيم فقد رسمه أوقليدس بأن قال انه
الموضوع على مقابلة أى النقط كانت عليه بعضها البعض ومراده بذلك أن
تكون النقط كلها متقابلة فى سمت واحد أعنى أن لا يكون بعضها أرفع
وبعضها أخفض كالقوس مثلا فانا اذا اعتبرناها من جهة الحدودب كانت
النقط المتوسطة أرفع من المتطرفات وان اعتبرناها من جهة المقعر كان الامر
بالعكس بخلاف الخط المستقيم ورسمه ارشميدوش بأنه أقصر خط يصل بين
نقطتين وهذا يرد عليه أنه غير شامل لانه انما حد من الخط المستقيم ما هو متناه
بين نقطتين والمستقيم أعم من ذلك ورسمه بوعلى ابن الهيثم بأنه الذى اذا ثبت
طرفاه وأديرد ورة تامة لم يحدث من دورانه سطح ويرد عليه مايرد على
ارشميدوش وانه استعمل فى رسمه الحركة وليست من موضوعات الهندسة
وكان القائل لمح من هذا الصراط المستقيم (رجع) الى قوله كل من قال الشعر
غلب على معانيه ما يعانيه من الفنون هذا الشيخ صدر الدين بن الوكيل لما
كان الفقه يغلب على فنونه تجد كلامه فى الغالب اذا خلا من القواعد الفقهية
ينحط عن رتبة الحسن الا ترى ما أحسن قوله فى القصيدة البائية

ما الكاس عندى بأطراف الانامل بل * بالخمس تقبض لا يحلو لها الهرب
شججت بالماء منها الرأس موضحة * فمن أدلتها بالخمس لا يجب

لا يخفى ما فى هذا الثانى من المحاسن التى تقف الافهام دون غايتها وتؤمن
لا سماع بآياتها وتمتد كف الثريا الى رفع راياتها ولولا خوف الاطالة

لأعطيت هذا المقام مايستحقه ونبهت على ماتضمنه من أنواع البديع الذى يتملك القلب الغليظ ويسترقه وان كان قد أخذه من قول عكاشة الصوفى فى أصل المعنى

حمراء مثل دم الغزال وتارة * بعد المزاج تخالها زريابا
واذا المزاج علا فشج جبينها * نفثت بألسنة المزاج حبابا

الزرياب الذهب أوماؤه اه

ولكنه أخذه ذهبا فجعله يتوقد لهبا وتناوله قبسا فاطلعه فى أفق البلاغة شهبا وزاده من الفقه زيادة رقصت بها الاعطاف طربا وهزت الرؤس عجبا ومن تأمله وجد التورية قد مدت فيه على المجرة طنبا وأخذت محاسن النيرين سلبا (قال صاحب الاغانى) ان المهدى لما سمع الابيات قال لعكاشة لقد وصفت الخمر فاحسنت فى وصفها احسان من شربها وقد استحققت الحد فقال أيؤمننى أمير المؤمنين حتى أتكلم بحجتى قال قد أمنتك فقال ومايدريك ياأمير المؤمنين أنى قد أجدت وصفها ان كنت لاتعرفها فقال له المهدى اعزب قبحك الله وما أحسن قول الشيخ صدر الدين أيضا

لم يصلب الراووق الاعندما * قطع الطريق على الهموم وعاقها

وقوله أيضا

ارقت دم الراووق حلا لانى * رأيت صليبا فوقه فهو مشرك
وزوجت بنت الكرم بابن غمامة * فصح على التعليق والشرط أملك

هذا الآخر من نمط الاول فى استعماله قواعد الفقهاء والتورية بالتعليق مع تضمين المثل والاول أخذه من قول سيف الدين بن المشد فى مليح نصرانى

يصبو الحباب الى تقبيل مبسمه * وتكتسى الراح من خديه أنوارا
من أجل ذا أصبح الراووق منعكفا * على الصليب وشد الكاس زنارا

واستعمله صدر الدين أيضا فقال

ياغاية منيتى ويامعشوقى * من بعدك لاأصبو الى مخلوق
ياخير نديم كان لى يؤنسنى * من بعدك صلبت على الراووق

وما أحسن قول شمس الدين محمد بن دانيال فيما ينقش على مشراط حجام

وضمنه المثل الذى أتى به صدر الدين

أنا لا آكلم واصبا * الا باذن منه عملك
شرطى شفاء الهالكين من الاذى والشرط أملك

لا يخفى حسن التورية فى أكلم والشرط أملك (رجع الى حسن التخلص) ومن أحسن ما فيه قول القائد أبى عبد الله السنبسى يمدح سيف الدين صدقة ابن منصور بن دبيس

ونرجس خضل تحكى أزاهره * أحداق تبر على أجفان كافور
كانما نشره فى كل باكرة * مسك تضوع أو ذكر ابن منصور

وأما ابن حجاج فما شق غباره فى حسن التخلص الى المديح ولا سابقه برق فضلا عن الريح بينما هو يهدر سخفا اذا به قد رفع الى المديح سجفا يتصل مديحه بمجونه اتصال الزهر بغصونه والحديث بشجونه ويتحد منه الجد بالهزل اتحاد الذل بالعزل والجدب بالأزل فمن ذلك قوله من قصيدة

الأزل الضيق والشدة اهـ

النيك من قدّام فى * هذا الزمان قد ترك
فد وّرت لى فقحة * مثل اللجين المنسبك
فقلت يا سيدتى * أحسنت لا لجعت بك
أحسنت يا أوسع من * تنوخ مولانا الملك

وقال أيضا من أبيات

وقد دنتها فما نالى * بعشوره استها ولها اوذ الى
كما الابن العميد جميع مدحى * ودين ابن العميد جميع مالى

ومن حسن التخلص قول ابن المعتز

والله لا كلمتها ولوانها * كالبدر أو كالشمس أو كالمكتفى

وقد أشار ابن سناء الملك الى هذا فى قوله

ومليحة بالحسن يسخر وجهها * بالبدر يهزأ ريقها بالعرقف
لا ارتضى بالشمس تشبيها لها * والبدر بل لا أكتفى بالمكتفى

وتعنت عليه ابن جبارة فى تعليقته التى أملاها على شعر ابن سناء الملك وقال

عند هذا البيت هذا نوع من الجنون والاختلاط وذلك ان هذا الشاعر كثيرا ما يسمع الشعر ويختلط فيه ذهنه فيأتي به على غير ما يقتضيه فان ابن المعتز أنشد البيت وأراد كونها في الحسن كالشمس التي هي آية النهار أو كالبدر الذي هو آية الليل أو كالمكتفي الذي هو خليفة الارض في عظم الشان وكبر السلطان فنقله هذا الشاعر الى الحسن ومن أين للمكتفي صفة الحسن والذي دلت عليه التواريخ انه كان أسمر أعين قصيرا وليست هذه من صفات الحسن وانما ظن أن ابن المعتز وصفه بالحسن فمشى على ظنه وأخذ في مهيع فنه وليس كما ظنه واعتقد ولا قصد ما قصد وأحسن ابن أبي السعلاء في قوله

الشعر كالروض ذا ظام وذا خضل * أو كالصوارم ذا ناب وذا خذم

مثل العرانين هذا حظه خنس * يزري عليه وهذا حظه شمم

(قلت) ليس ابن سناء الملك ممن يخفى عليه هذا الذي ذكره وانما ذكر ابن المعتز المكتفي خروجا الى المديح بعلاقة الحسن وما زال الشعراء يصفون الممدوح بالحسن والصباحة والطلاقة ويشبهونه بالشمس والبدر والصبح وذلك مشهور ولا يحتاج الى شاهد يؤيده وانما قول ابن المعتز قد شاع وذاع وملأ الاسماع وسار وطار في الاقطار بالاشتهار فلما ذكر ابن سناء الملك حسن محبوبته وذكر الشمس والقمر والقافية فائية كان المكتفي جالسا في طريقها وكان في ذكره اشارة الى قول ابن المعتز مع زيادة الجناس فقال بل لا اكتفي بالمكتفي الذي جعله ابن المعتز غاية في الحسن عنده لانه انتقل من أدنى الى أعلا الاترى ان قول ابن سناء الملك فيه بل التي هي للاضراب وهذا من الادب غاية في حسن النظم والتلعب بالكلام وما ينكر هذا الا من ليس له ذوق بالادب فانه قد جاء من هذا النوع كثير في كلام المتأخرين أنشدني لنفسه بالباب وبزاعة سنة احدى وثلاثين وسبعمائة المولى صفي الدين الحلي

يقبل الارض عبد سن عبدكمو * عليكمو بعد فضل الله يعتمد

مادارمية من أسنى مطالبه * يوما وأنتم له العلياء فالسند

وقال ابن سناء الملك أيضا

ودمية من أهواه فى الحسن دمية * وصدّق قولى انها لم تكلم

(وقال أيضا)

اذا قيل لا تهلك أسى بجهالة * لقائل هذا قوله وتجمل

(وما أحسن) ما أشار ابن حجاج الى قول ابن نباتة السعدى فى فرس أغر محجل

غضبت صباح وقد رأتنى قابضا * ابرى فقلت لها مقالة فاجر

بالله الا ما لطمت جبينه * حتى يحقق فيك قول الشاعر

اشارة الى قوله

فكانما لطم الصباح جبينه * واقتص منه نخاض فى أحشائه

وهذا من المرقص وليس بعده مزيد ولا غاية فى الحسن وراءه وما أحسن ماقال ابن سناء الملك رحمه الله فى موضع آخر من شعره

بأبى وأمى من يكون المكتفى * بجماله كالمقتدى

هنا لم يرد بالمكتفى الخليفة ولكنه هنا اسم فاعل من اكتفى ولما وصل الى المقتدى ترشح المكتفى للتورية لان المكتفى والمقتدى خليفتان من بنى العباس وقولى كان المكتفى جالسا فى طريق القافية ذكرت به ما اتفق لبشار بن برد مع تسنيم فان بشارا عرض له يوما نظم بيت فقال

ما ان تحرك ايرفا متلا شبقا * الا تحرك عرق فى است

ثم قيل له فى است من قربه تسنيم بن الحوارى فسلم عليه فقال بشار فى است تسنيم فقال له ايش والك قال له لا تسل قال سمعت ما أكره فاذكر لى سببه فأنشده البيت فقال ما حملك على هذا قال ويلك لا ملك على قال لا سلم الله عليك ولا على ان سلمت بعدها عليك (رجع) وقد ذم بعض المتأخرين التخلص فى بيت واحد ولكنه حسن ما قبح فقال

بينا ذوائب من يحب بكفه * حتى تعلق لحية الممدوح

وقد جاء التخلص فى القرآن الكريم فى قوله تعالى واتل عليهم نبأ ابراهيم اذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون الآيات الى قوله تعالى فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين فهذا تخلص من قصة ابراهيم وقومه الى قولهم وتمنى الكفار فى الدار الآخرة الرجوع الى الدنيا ليؤمنوا بالرسل وهذا تخلص خلافا لأبى العلاء محمد بن غانم المعروف بالغانمى فانه أنكر وقوع التخلص فى الكلام وفى القرآن كثير منه والله تعالى أعلم

أريد بسطة كف أستعين بها * على قضاء حقوق للعلى قبلى

(اللغة) الارادة المشيئة وأصله الواو لقولك راودة الا أن الواو سكنت فنقلت حركتها الى ما قبلها فانقلبت فى الماضى ألفا وفى المستقبل ياء وسقطت فى المصدر لمجاورتها الالف الساكنة وعوض منها الهاء فى الآخر تقول راودته على كذا مراودة وروادا أى أردته (البسطة) السعة وانبسط الشئ على الارض ومنه قوله تعالى وزاده بسطة فى العلم (الكف) تقدم الكلام عليه فى قوله ناء عن الأهل (أستعين) أصله أستعون ويأتى الكلام على ذلك فى الاعراب ومعناه أطلب الاعانة (القضاء) الحكم قال الله تعالى وقضى ربك أى حكم وقد يكون بمعنى الفراغ من قضيت حاجتى وقد يكون بمعنى الأداء والانهاء تقول قضيت دينى وهذا المعنى هو المراد هنا (الحقوق) جمع حق وهو خلاف الباطل والمراد به هنا ما يلزم ذمة الانسان من المروءة فى الجود وما أشبهه (العلى) هو الرفعة والشان والشرف والجمع المعالى فاذا فتحت العين مددت فقلت العلاء واذا ضممت قلت العلى بالقصر (القبل) الطاقة تقول مالى به قبل أى طاقة فهو كأنه احتمال الذى يلتزم بالقيام بما فى ذمته (الاعراب) أريد فعل مضارع ماضيه أراد والقاعدة فى حرف المضارعة أنه اذا دخل على رباعى كان مضموما تقول تريد تحسن تقيم لأن الماضى أراد أحسن أقام وان كان الفعل ثلاثيا مثل ضرب وذهب أو خماسيا مثل انطلق واقتتل أو سداسيا مثل استخرج واحرنجم فان حرف المضارعة يكون مفتوحا فى ذلك كله تقول

قوله القبل الطاقة الخ المناسب فى بيت المصنف بدون تكلف أن يكون القبل بمعنى عند قال الجوهرى يقال لى قبل فلان حق أى عنده اهـ

يضرب ويذهب وينطلق ويقتتل ويستخرج ويصرنجم وانما اعرب الفعل المضارع دون الامر والماضي لأن المضارع شابه الاسم بجواز شبه ماوجب له قال الشيخ جمال الدين محمد بن مالك في شرح التسهيل لذلك ينبغي أن يعلم أن المعاني التي تعرض للكلام على ضربين أحدهما ما يعرض قبل التركيب كالتصغير والجمع والمبالغة والمفاعلة والمطاوعة والطلب فهذا الضرب بازاء كل معنى من معانيه صيغة تخصه فلا حاجة الى الاعراب بالنسبة اليه والثاني من الضربين ما يعرض مع التركيب كالفاعلية والمفعولية والاضافة وكون الفعل المضارع مأمورا به أو علة أو معطوفا أو مستأنفا فهذا الضرب تتعاقب معانيه على صيغة واحدة فيفتقر الى اعراب يميز بعضها عن بعض والاسم والفعل المضارع شريكان في قبول ذلك مع التركيب فاشتركا في الاعراب لكن الاسم عند التباس بعض ما يعرض له ببعض ليس له ما يغنيه عن الاعراب لان معانيه مقصورة عليه بخلاف قبوله لها واجبا الا ان الوجب لامحيص عنه والفعل وان كان قابلا بالتركيب لمعان يخاف التباس بعضها ببعض فقد يغنيه عن الاعراب تقدير اسم مكانه مثل لا تعن بالجفا وتمدح عمرا فانه يحتمل أن يكون نهيا عن الفعلين مطلقا وعن الجمع بينهما وعن الجفا وحده مع استئناف الثاني فالجزم دليل على الاول والنصب دليل على الثاني والرفع دليل على الثالث ويغني عن ذلك وضع اسم موضع كل واحد من المجزوم والمنصوب والمرفوع تقول لا تعن بالجفا ومدح عمرو ولا تعن بالجفا مادحا عمرا ولا تعن بالجفا ولك مدح عمرو فقد ظهر بهذا تفاوت ما بين سببي اعراب الاسم واعراب الفعل في القوة والضعف فلذلك جعل الاسم أصلا والفعل فرعا والجمع بينهما بما ذكرته أولى من الجمع بينهما بالابهام والتخصيص ولام الابتداء ومجاراة الفعل المضارع لاسم الفاعل في الحركة والسكون لان المشابهة بهذه الامور بمعزل عما جيء بالاعراب لاجله بخلاف المشابهة التي اعتبرتها الان في الفعل الماضي من مشابهة الاسم ما يقابل المشابهة المعزوة للمضارع ولعله أكمل فمن ذلك

ان الماضي اذا ورد مجردا من قد كان مبهما في بعد المضي وقربه واذا اقترن بقد تخلص للقرب فهذا شبيه بابهام المضارع عند تجرده من القرائن وتخلصه للاستقبال بحرف التنفيس وأما لام الابتداء وان كان للمضارع بها مزيد شبه بالاسم لكونها لا تدخل الا عليهما فتقاومها اللام الواقعة بعد لو فانها تصحب الاسم والفعل الماضي خاصة كقوله تعالى ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة ولو أنهم لتولوا وليس اعتبار تلك أولى من اعتبار هذه ولو لم نظفر بهذه لقاوم تلك تاء التأنيث فانها تتصل بآخر الفعل الماضي كما تتصل بآخر الاسم فحصل للماضي بذلك من مشابهة الاسم مثل ما حصل للمضارع بلام الابتدا ويقاوم لام الابتداء مباشرة مذ ومنذ فان الماضي يشاركه الاسم فيها دون المضارع وأما مجاراة المضارع اسم الفاعل في الحركة والسكون فالماضي غير الثلاثي شريكه فيها وانما يختص بها المضارع اذا كان الماضي على فعل مطلقا أو على فعل متعديا وللماضي ما يقاوم الغائب من اتحاد وزنه ووزن الصفة والمصدر وتقاربهما فالاتحاد نحو طلب طلبا وجلب جلبا وغلب غلبا وفرح وأشر وبطر فهو فرح وأشر وبطر والمقاربة نحو تعب تعبا وحسب حسبا وكذب كذبا ولا ريب ان هذا التوازن في هذا الضرب أكمل منه في يضرب فهو ضارب فبان بما ذكرناه تفصيل ما اعتبرناه (قلت) انما أثبت هذا الفصل بطوله من كلام الشيخ جمال الدين لما فيه من الفوائد وقد خالف الاقدمين في تعليل اعراب المضارع ومال الى هذا الرأي الذي استنبطه وقد خالفه ولده الشيخ بدر الدين ومال الى مذهب المتقدمين ولكن جمال الدين اجتهد في الاستقراء ولطف القياس ومثل لا تعن بالجفا وتمدح عمرا مثال النحاة في قولهم لا تأكل السمك وتشرب اللبن يجوز في تشرب الرفع والنصب والجزم أما اذا نصبت فيكون النهي عن السمك في حال شرب اللبن كانك قلت لا تأكل السمك شاربا اللبن واذا رفعت يكون النهي عن السمك والاباحة في شرب اللبن كانك قلت لا تأكل السمك ولك شرب اللبن وأما اذا جزمت فيكون النهي عن الجمع بينهما

قيل ان الجاحظ ناظر يوحنا بن ماسويه فى هذه المسئلة فقال الجاحظ لا تخلو
الجمع بين السمك واللبن اما أن يكونا جميعا متساويين أو متضادين فان تساويا
كان الجمع بينهما بمثابة استعمال الكثير من أحدهما وان تضادا كان كل
واحد منهما يقوم بدفع ضرر الآخر فلا فائدة فى منع الجمع بينهما فقال ابن
ماسويه هذا البحث ما أعرفه ولكن متى جمعت بينهما انفلجت   قلت فات
تقسيم الجاحظ قسم آخر وهو أن يكونا متخالفين كالحموضة والبياض
فانها ليست ضد البياض ولا مشابهة له بل مخالفته وأما العلة فى الفالج وغيره
من الآفات اللاحقة للجمع بين السمك واللبن دون انفرادهما وان تضاعف
مقدار كل واحد منهما على الانفراد فهو أن المزاج يحدث للممتزج صورة
لم تكن لكل واحد من البسائط كما أن السكنجبين اليسير منه يقمع الصفراء
و يكسر حاديتها على الفور ولا يفعل ذلك السكر ولا الخل عند انفرادهما
واعتبر ذلك بالحبر فان كل واحد من العفص والزاج ليس بأسود والماء
المستخرج فيه قوة كل واحد منهما يقرب من الصفرة فاذا امتزجا حدث
السواد الحالك وعجائب المركبات انما تتبع الصور اللاحقة للزاج ألا ترى
أن الماء المعبر عنه بلبن العذراء كيف تختلف ألوانه بحسب السبق فى الاختلاط
وصورته ان يدق المرتك ويجعل عليه أربعة أمثاله خل ويغلى ويصفى
بالمعقة ويعزل ماؤه فى اناء ويدق القلى ويجعل عليه أربعة أمثاله ماء قراح
ويغلى ويصفى بالملعقة ويعزل ماؤه فى اناء ثان فهذان الماآن اذا جمع بينهما
فى اناء ثالث ظهر بلون غير لونيهما اسود أو أبيض فاذا جمع بينهما فى اناء رابع
وخولف بين الصب من أحدهما على الآخر على ما تقدم جاء لون آخر ضد
اللون الأول وهلم جرا تبارك الله الذى أوجد عجائب هذا العالم فى مخلوقاته
لا اله الا هو الفعال لما يريد (رجع الى اعراب البيت) أو يد فعل مضارع
مرفوع لخلوه من الناصب والجازم فان قلت هذه علة عدمية والعدم
لا يكون علة لوجود   قلت معنى خلوه عن الناصب والجازم وجوده على أول
حالاته قبل طريان الجازم والناصب واستعمال الكلمة على أول حالاتها

لدس

ليس بأمر عدمي وانما اخترت هذه العبارة وان كانت رأى الكوفيين لانها أقوى حجة من مذهب البصريين فانهم قالوا أعرب بالرفع لوقوعه موقع الاسم وهو باطل لانهم اما أن يريدوا موقعا هو للاسم بالاصالة سواء جاز وقوع الاسم فيه كما في نحو يقوم زيد أو امتنع منه كما في نحو جعل زيد يفعل واما موقعا هو للاسم مطلقا فان أرادوا الاول فهو باطل برفع المضارع بعد لو وحرف التحضيض لانه ليس للاسم بالاصالة وان أرادوا الثاني فهو باطل أيضا لعدم رفع المضارع بعد ان الشرطية لانه موضع صالح للاسم في الجملة كقوله تعالى وان أحد من المشركين استجارك فأجره (بسطة) مفعول به فلهذا انصبه وفي المفعول به كلام طويل وبحث حسن اذكرتهما لغير هذا المكان (كف) مضاف اليه فلهذا جر (أستعين) فعل مضارع مرفوع لخلوه من الناصب والجازم كما تقدم وأصله أستعون من العون فاستثقلت الكسرة على الواو فنقلت الى العين ثم قلبت ياء لسكونها وانكسار ما قبلها وموضعه النصب على ثلاثة أوجه اما على انه مفعول لاجله أي أريد بسطة كف للاعانة على قضاء الحقوق أو على أنه حال أي أريد بسطة كف مستعينا على كذا أو على الصفة لبسطة أي بسطة كف معينة لي (بها) جار ومجرور ولم يظهر الجر لان الضمائر كلها مبنية لشبهها بالحروف في الوضع وسيأتي الكلام على الضمائر (على قضاء) على حرف جر وسيأتي الكلام على تقسيمها قضاء مجرور بعلى (حقوق) مجرور بالاضافة الى قضاء (للعلى) جار ومجرور ولم يظهر الجر فيه لانه مقصور واللام تكون للملك نحو المال لزيد ولشبه الملك نحو الباب للدار وللتعدية نحو قوله تعالى فهب لي من لدنك وليا وللتعليل نحو جئتك لاكرامك وزائدة لتقوية عامل ضعف بالتأخر أو بكونه فرعا عن غيره فالاول نحو قوله تعالى ان كنتم للرؤيا تعبرون وقوله تعالى هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون والثاني نحو قوله تعالى مصدقا لما معهم وقوله تعالى فعال لما يريد فاللام في بيت الشعر اذى معناها شبه الملك وقد رأيت مصنفا لابي القاسم الزجاجي قد

قسم اللام فيه الى أحد وثلاثين قسما وفصلها وذكر على كل قسم شواهده ولا بأس بسردها هنا من غير تمثيل وهى لام التعريف ولام الملك ولام الاستحقاق ولام كى ولام الجحود ولام انّ ولام الابتداء ولام التعجب ولام تدخل على المقسم به ولام جواب القسم ولام المستغاث به ولام المستغاث من أجله ولام الامر ولام المضمر ولام تدخل فى النفى بين المضاف والمضاف اليه ولام تدخل فى النداء بين المضاف والمضاف اليه ولام تدخل فى الفعل المستقبل لازمة فى القسم لا يجوز حذفها ولام تلزم ان المكسورة اذا خففت من الثقيلة ولام العاقبة وسماها الكوفيون لام الصيرورة ولام التبيين ولام لو ولام لولا ولام التكثير ولام تكون بمعنى عند ولام تزاد فى لعل ولام ايضاح المفعول من أجله ولام تعاقب حروفا وتعاقبها ولام البين ولام تكون بمعنى الى ولام الشرط ولام توصل الافعال الى مفعولين (قبلى) منصوب بنزع الخافض على انه ظرف مكان معنى كأنه قال على قضاء حقوق للعلى فى طوقى ووسعى وما أقدر على الاتيان به والعامل فيه متعلق الجار والمجرور فى العلى تقديره حقوق استقرت للعلى فى قبلى (المعنى) أحاول من الزمان بسطة كف من المال المتسع لاجل الاعانة على وفاء حقوق استقرت فى ذمتى للعلى وكنى عن الغنى ببسطة الكف لان الغنى يبسط كفه بالنفقة وكل غنى منفق باسط كفه ومن لا ينفق يسمى بسطا ولا مساك قبضا قال الله تعالى وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وقال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وفى الآية الاولى اشكالان فى الظاهر تمسك بهما الملاحدة أحدهما أن اليهود مطبقون على أنهم لم يقولوا هذا الكلام فى حق الله تعالى فكيف يخبر الله تعالى عنهم بالاية ولا يقولونه ولا يعتقدونه والجواب من وجوه الاول وهو مذهب الحسن رضى الله عنه أن المراد بهذا الكلام قولهم ان الله لا يعذبنا الا على قدر الايام التى عبدنا فيها العجل الا أنهم عبروا عن هذا المعنى بهذه العبارة الفاسدة الثانى قال

المفسرون ان اليهود كانوا أكثر الناس أموالا وثروة ولما بعث صلى الله عليه وسلم ضاقت عليهم معائشهم ومنعوا من التكسب لاشتغالهم بأمره ومحاربته والجاهل اذا وقع فى البلاء والشدة يقول مثل هذه المقالة الثالث أنهم لما رأوا أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فى غاية الفقر والحاجة قالوا على وجه السخرية والاستهزاء ان اله محمد فقير مغلول اليد لا ينفق عليهم شيئا الرابع لعله كان فيهم من يرى رأى الفلاسفة ويقول انه يوجب بالذات لا يحدث الحوادث الا على نهج واحد وسنن واحد ولا يتعدى ذلك والفاعل المختار يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فهو كما قال تعالى كل يوم هو فى شان أى لا يزال فى ابداع شؤون فعبر الفلسفى من اليهود عن هذا المعنى بهذه العبارة الخامس لعل هذا الكلام صدر منهم على هذا النظام فى ذلك العصر وان لم يكن الآن فيهم من يعتقده كما نسبوا الى عبادة العجل وقولهم عزير بن الله وان لم يكن الآن فيهم من يعتقده والاشكال الثانى فى قوله تعالى بل يداه مبسوطتان ذلوا تقرر بالدليل القطعى والبرهان العقلى أن الله تعالى ليس بجسم وهذه الآية تشعر بالجسمية والجواب أن اليد فى اللغة تطلق على معان منها الجارحة ومنها النعمة تقول له على يد أى نعمة ومنها القوة تقول مالى بهذا الامر يد أى قوة تدفع قال الله تعالى أولى الأيدى والابصار فسروه بذوى القوى والعقول ومنها الملك تقول هذه الضيعة فى يدى قال الله تعالى الذى بيده عقدة النكاح أى يملك ذلك فالأولى يمتنع اثباتها فى حق الله تعالى ولا يمتنع فى حقه تعالى اثبات البواقى بقى سؤال آخر ما الفائده فى تثنية اليد ههنا الجواب ان فسرنا اليد بالنعمة فالمراد نعمة الدنيا ونعمة الدين أو الباطنة والظاهرة أو ما يتعلق بالدنيا والآخرة وان أردنا القوة فالمراد لا قدرة على الثواب والعقاب أو الخذلان والنصر أو الغنى والفقر وما أشبه ذلك وان أردنا الملك فالمراد ملك الدنيا والآخرة أو الايمان والكفر أو السعادة والشقاوة وما أشبه ذلك فعلى كل تقدير من التفسير يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء أى متمكن من اعطاء الدنيا والدين

أو الاماتة والاحياء أو الاسعاد والاشقاء ردّا عليهم فيما زعموه (حكى) أن بعضهم كان من المسرفين على نفسه فلما توفى رآه بعض من كان يعلم حال باطنه فقال له ما فعل الله بك قال غفر لى قال بماذا قال كنت اذا تلوت هذه الآية قلت غلت أيديهم وأطلت التشديد فى اللام كالمتشفى بهم اه ولم أطل الكلام هنا الالأن لفظ اليد يقع فى القرآن والحديث كثيرا وفى هذا مايزيل تلك الشكوك وكتاب تأسيس التقديس للامام فخر الدين فى هذا الباب جيد نافع للغاية ولقد رأيت بعضهم بالغ فى اثبات اليد واستشهد على ذلك بقوله تعالى والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون فسقطت من كلام مقهقها وتقهقرت متهددها وقلت له الأيد هنا القوة كالآد والتأييد ومنه المؤيد ولو كان المراد به جمع يد لأثبت الياء فى آخره فقال بأيدى لان هذه أصلية لايجوز حذفها لان أصل يد يدى والجمع يردّ الاشياء الى أصولها فلم يحروا جوابا (رجع) الى معنى البيت وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اعط كل منفق خلفا وكل ممسك تلفا وماأنظم الطغرائى فى طلب المال لانفاقه فيما يكتسب به المحامد ويغنم به الاجور وقال صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح مع الرجل الصالح وقال الحسن رضى الله عنه اذا أردت أن تعرف من أين أصاب الرجل ماله فانظر فيم ينفقه فان الخبيث ينفق فى السرف وقال أبو ذر أموال الناس تشبه الناس وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يأمر الاغنياء باتخاذ الغنم ويأمر الفقراء باتخاذ الدجاج وفى المثل مال المرء مؤثله وقوته قوته وقال بعضهم انى لاأدرى أيهما أمر موت الغنى أم حياة الفقير قال بعض الشعراء

وما رفع النفس الدنية كالغنى * ولا وضع النفس الشريفة كالفقر

وقال ابن المعتز

اذا كنت ذا ثروة فى الورى * فأنت المسود فى العالم

وحسبك من نسب صورة * تخبر أنك من آدم

(ولما) توجه المعز أبو تميم معد بن منصور العبيدى الى الديار المصرية بعد

قوله لان هذه أصلية الخ الذى ذكره العلماء أن نحو أيد منقوص تحذف ياؤه فى حالتى الرفع والجر ان خلا من حرف التعريف ومن الاضافة اه

ما وصل غلامه القائد جوهر وملك مصر واختط له القاهرة وكان العبيديون ينتسبون الى فاطمة رضي الله عنها فخرج الناس الى لقائه ولما قرب من مصر واجتمع به الاشراف قال له من بينهم أبو محمد عبد الله بن طباطبا العلوى الى من ينتسب مولانا فقال له المعز سنعقد لكم مجلسا ونجمعكم ونسرد عليكم نسبنا فلما استقر المعز بالقصر جمع الناس فى مجلس عام وجلس لهم وقال هل بقى من رؤسائكم أحد فقالوا لم يبق معتبر فسل عند ذلك سيفه وقال هذا نسبى ونثر عليهم ذهبا كثيرا وقال هذا حسبى فقالوا جميعا سمعنا وأطعنا ومازال هؤلاء الخلفاء بمصر يدعون الشرف ويقولون نحن من ولد فاطمة يريدون بذلك التبجح على بنى العباس خلفاء بغداد فيقولون أبونا على بن أبى طالب وأمنا فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم الحاكم وكان فى كل جمعة يقول مثل هذا على المنبر وكانت الرقاع ترفع اليه وهو على المنبر فى أشغال الناس فرفعت اليه رقعة فيها

ان سمعنا نسبا منكرا	*	يتلى على المنبر فى الجامع
ان كنت فيما قلته صادقا	*	فانسب لنا نفسك كالطائع
أو كان حقا كل ماتدعى	*	فاعدد لنا بعد الأب السابع
أو فدع الأنساب مستورة	*	وادخل بنا فى النسب الواسع

فرماها من يده ولم ينتسب فيما بعد والقيمون بعلم الانساب والتواريخ لا يثبتون لهم هذه النسبة قلت كذا رأيت جماعة من الفضلاء يروون هذه الواقعة للحاكم وليس بشئ لان الحاكم توفى سنة احدى عشرة وأربعمائة وكان الخليفة ببغداد اذ ذاك القادر بالله لانه توفى سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة والطائع لله تقلد الامر سنة ثلاث وستين وثلثمائة وخلع من الخلافة سنة احدى وثمانين وثلثمائة وتوفى مخلوعا سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة الذى كان سابقه بمصر فى أيامه انما هو العزيز أبو منصور نزار بن المعز لانه ولى الامر سنة خمس وستين وثلثمائة ومات سنة ست وثمانين وثلثمائة واذا كان كذلك فصاحب الواقعه انما هو العزيز وهو

والد الحاكم بل الذى اتفق للحاكم أنه كان يدّعى علم الغيب فيقول فلان
قال فى بيته كذا وكذا وفعل كذا وكذا وكان ذلك باتفاق اعتمده مع العجائز
اللاتى يدخلن بيوت الناس ويتجسسن أخبارهم فرفعت اليه رقعة
مكتوب فيها

بالظلم والجور قد رضينا * وليس بالكذب والحماقة
ان كنت أوتيت علم غيب * بين لنا كاتب البطاقة

فسكت بعد ذلك عن الكلام فى المغيبات وقيل ان ذلك اتفق للعزيز أيضا
(رجع) ومايبعد أن الطغرائى كان ذا نفس شريفة سخية وهمة عالية
يؤثر المال لينفقه فى مصارفه ومن شعره رحمه الله وقد تقدم ذكره
فى المقدمة

سأحجب عنى أسرتى عند عسرتى * وأبرز فيهم ان أصبت ثراء
ولى أسوة بالبدر ينفق نوره * فيخفى الى أن يستجد ضياء

وهذه نفوس الأشراف تظهر عند الثروة طلبا للانفاق وتخفى عند الفقر
طلبا لكتمان حالها فلا تكلف الناس سؤالا وما أحسن قول القائل

اسقنى خمرة كرقة دينى * أو كعقلى ولا أقول كحالى
خيفة من توهم الناس أنى * قلت هذا فى معرض لسؤالى

ولقائل أن يقول على كل حال تعرّض للسؤال كما قالوا فى حق الغزالى لما
أنشد قوله

خلت الديار فسدت غير مسوّد * ومن العناء تفردى بالسودد

قالوا أراد بهذا التواضع وهو قد ترفع لانه ادّعى انفراده بالسودد ومن قول
الاوّل قول الآخر ولكنه زاد فى تعداد المتصف بالرقة حيث قال

ولم أدر اذ رق النسيم وعيشنا * وصوت مغنينا وصهباء قرقف
أعيشى أم صوت المغنى أم الصبا * أم الكاس أم دينى أرق وأضعف

وقد ظرف فى تأخير ذكر دينه لانه آخر ما فى السمع قبل ذكر الرقة
والضعف وأما الاوّل فان ذكر دينه اندمج وطال عهد السامع به وهذا من

أنواع البلاغة وقلت أنا

أقول لهم قد رق عيشي والصبا * وعقلي وكاساتي وصوت الذي غنى
فقال الذي أهوى وخصري نسيته * فقلت له والله قد جئت في المعنى

وقول الطغرائي وأبرز فيهم ان أصبت ثراء من قول الآخر

ان الكرام اذا ما أيسروا ذكروا * من كان يألفهم في المنزل الخشن

(حكي) ان الامير بدر الدين بيلبك الخازندار أحضره الى القاهرة تاجر كان يحسن اليه وهو في رقه فلما باعه تنقلت به الايام الى ما صار اليه وافتقر التاجر فيما بعد فحضر اليه بالديار المصرية وكتب له رقعة فيها هذان البيتان

كنا جميعين في بؤس نكابده * والقلب والطرف منا في أذى وقذى
والآن أقبلت الدنيا عليك بما * تهوى فلا تنسني ان الكرام اذا

اشارة الى البيت المتقدم فأعطاه عشرة آلاف درهم قلت وهذا عندي أشرف من التضمين الكامل وأطرب للفهم وأعذب للسمع وفيه من البلاغة حسن التضمين مع ما في ذلك من الاختصار الذي هو من أشرف أنواع البلاغة لانه يرفع عن المخاطب مؤنة الاصغاء وقرع السمع بما هو صحة وظاهر مقرر في الذهن (أنشدني) من لفظه لنفسه المولى صفي الدين عبد العزيز بن سرايا الحلي بالباب وبراغه سنة احدى وثلاثين وسبعمائة من أبيات

للترك مالي ترك * ما دين حبي شرك
حواجب وعيون * لها بقلبي فتك
كالقوس يصمي وهذي * تشكي المحب وتشكو

(وقال آخر)

يتبادلان فيصفا * ن وليس بينهما ارتياب
فيصيب هذا ماء ذ * كالبحر يمطره السحاب

(وقال) ابن سناء الملك

وظبي حكى ريم الفلا في نفاره * فما باله لم يحكه في التلفت

يدافعني عن وصله بتعسم * فياليته لو كان يدفع بالتي

(وقال أيضا)

والمجد مر طعمه * لاتحسبن المجد تمرا

(وقال) شرف الدين شيخ الشيوخ بحماة

راموا فطامي عن هوى * غذيته طفلا وكهلا

فوضعت في حبي يدي * وقلت خلوني والا

أنشدني من لفظه لنفسه المولى شهاب الدين الحسيني بن قاضي العسكر كاتب الدرج السلطاني بالقاهرة سنة سبع وعشرين وسبعمائة من جملة قصيدة طويلة

ولما وقفنا بالمطايا عشية * على الطلل البالي وقلنا له ألا

أذنا الاخلاف الدموع فاخلفت * وفاضت الى أن أنبت العشب والكلا

الاشارة في البيت الاول وقلت أنا

علقتها من بنات الترك قد غنيت * بدمع عاشقها عن منة الشنف

يلقى المتيم من تثقيف قامتها * مالا يلاقيه كوفي من الثقفي

انى لا عجب للعذال كيف رأوا * شخصي وقد رحت ذا روح تردد في

(وقلت أيضا)

رشفت ريقك حلوا * فلم يكن لي صبر

وسوف أحظى بوصل * وأول الغيث قطر

(وقلت أيضا)

نك من هجا لك شعرا * أو شانه بزحاف

وقل لمن لام فيه * على تحت القوافي

وقال ابن القيسراني ومن خطه نقلت

أهيم الى العذب من ريقه * اداهيم العاشقين العذيب

شهدت عليه وما ذقته * يقينا ولكن من الغيب غيب

قيل ان المبرد بعث غلامه الى غلام يحبه وقال له بحضرة الناس امض اليه فان

رأيته فلا تقل له وان لم تره فقل له فذهب الغلام ورجع فقال لم أره فقلت له
لجاء فلم يجئ فسئل الغلام عن معنى ذلك فقال أنفذنى الى غلام يهواه فقال
ان رأيت مولاه فلا تقل له شيئا وان لم تر مولاه فادعه فذهبت فلم أر مولاه
فقلت له لجاء مولاه فلم يجئ الغلام (رجع) الى ذكر الأمير بدر الدين
بيليك الخازندار حكى أن الملك الظاهر لما استعرضه ليشتريه قال له التاجر
يا خوند انه يحسن الكتابة والقراءة فأحضرت له دواة وقلم وقدما اليه
ليكتب شيئا يراه فكتب

لولا الضرورات ما فارقتكم أبدا * ولا تنقلت من ناس الى ناس

فأعجب الملك الاستشهاد بهذا البيت ورغبه ذلك فى مشتراه (وحكى) أن
انسانا رفع قصة الى الصاحب كمال الدين بن العديم فأعجبه خطها فأمسكها
وقال لرافعها هذا خطك قال لا ولكن حضرت الى باب مولانا فوجدت بعض
مماليكه فكتبها لى فقال على به فلما حضر وجده مملوكه الذى يحمل دواته
وكان عنده فى حال غير مرضية فقال هذا خطك قال نعم قال هذه طريقتى
من هو الذى أوقفك عليها فقال يا مولانا كنت اذا وقعت لاحد على قصة
أخذتها منه وسألته المهلة على حتى أكتب عليها سطرين أو ثلاثة فأمره ان
يكتب بين يديه ليراه فكتب

وما تنفع الآداب والعلم والحجى * وصاحبها عند الكمال يموت

فكان اعجاب الصاحب بالاستشهاد أكثر من الخط ورفع منزلته عنده
حينئذ وقد عرض بعض أهل العصر مذاكرا الشيخين صدر الدين وكمال الدين
فقال

مولاى صدر الدين ان زرته * أسعده الله على كل حال
رأيت حظى عنده وافرا * فصح أن النقص عند الكمال

(رجع الى قوله أو يد بسطة كف) أما صاحب المال وطالبه للانفاق فما زال
الشعراء يتداولون معناه قال أبو اسحاق الغزى

لو ملكت الدنيا يدى لأرحت من * يمسى ويصبح طالبا احسانا

وقسمتها بيني وبين أصادقي * وعداي غير مميز أثلاثا

وقال بعض أهل الاندلس وهو مشهور

محى الله دهراخصني بخصاصة * وأقعدني عما سعى فيه أمثالى

تنوب صديقي نائبات زمانه * فيقعدني عن رفده قلة المال

فوا أسفا من مكرمات أرومها * فينهضني عزمي ويقعدني حالى

وأشهر منه قول الآخر

والهف نفسي على مال أفرقه * على المقلين من أهل المروآت

ان اعتذاري الى من جاء يسألني * ماليس عندي من احدى المصيبات

(وقال آخر)

النفس ملأى من المعالى * والكيس صفر الجنان خالى

فليت مالى كمثل فضلى * وليت فضلى كمثل مالى

وقال أبو الحسين الجزار

لقد رضى الرحمن عن كل منفق * فما بالنا نلقى رضى الله بالسخط

معيب على الانسان يعطيه ربه * بغير حساب وهو يحسب ما يعطى

وقال صالح بن صالح الشنتريني

أحب ازى قربى بوصل ذا وسيلة * وهم بالحقوق الواجبات اللوازم

أما انني لو نلت أيسر يسرة * لكانت لكفي بسطة في المكارم

فآها العمر نال أهليه جاهل * ودهر لابناء المروءة ظالم

(وقال آخر)

يعز على أن أرى ذا مروءة * من الناس لا أستطيع تغيير حاله

ولو كان لي مال لصادف مالكا * يجود بذل المال قبل سؤاله

وقال مسلم بن الوليد

عند الحوادث من أخيك عزيمة * حصداء مبرمة وعقل فاضل

عرف الحقوق وقصرت أمواله * عنها وضاق بها الغني الباخل

(وقال آخر)

أرى نفسي تتوق الى أمور * يقصر دون مبلغهن مالى
فلا نفسي تطاوعني ببخل * ولا مالى يبلغني فعالى

(وقال آخر)

رزقت لبا ولم أرزق مروءته * وما المروءة الا كثرة المال
اذا أردت مساماة تقاعدني * عما أحاول منها رقة الحال

(وقال آخر)

الناس صنفان فى زمانك ذا * لو تبتغي غير ذين لم تجد
هذا بخيل وعنده سعة * وذا جواد بغير ذات يد

زعمت الرواة انها لم تجمع للاحنف بن قيس الا هذين البيتين وهما

فلو مد دهري بمال كثير * لجدت وكنت له باذلا
فان المروءة لا تستطاع * اذا لم يكن مالها فاضلا

وما احسن قول ابن نباتة السعدى

مثل خلعت على الزمان رداءه * عدم الدراهم آفة الاجواد

وقال الوزير سهل بن هارون

وانكما أبكي بعين سخينة * على حدث تبكى له عين أمثالى
وما الفضل الا أن تجود بنائل * والا القاء الخل ذي الخلق الغالى
فواحسرتي حتى متى أنا موجع * بفقد خليل أو تعذر افضالى
فراق خليل لا يقوم به الاسى * وخلة حر لا يقوم بها مالى

وقال ابن سناء الملك

ثقل الزمان على حتى خف بين الناس وزنى
ألفى الصديق بلا ثرا * والعدو بلا مجن

ومما انطهن نـ[illegible]

وقائلة فيم اجتهادك للغنى * وقد رقدت للحظ منك عيون
فقلت لها والله مالى حاجة * لتحصيل دنيا فالامور تهون
ولكن حقوق للعلى قد ترتبت * على ذمتي مفروضة وديون

فلو وجدت كفى لبرئت ساحتى * وكنت أريك الجود كيف يكون

وعما قلت أيضا

أنا ان لم أجد فى كسب مال * هات قل لى بالله كيف أجود

واذا لم أسد خلة حر * هات قل لى بالله كيف أسود

وما يطلب المال الا للانفاق وبلوغ المقاصد وابلاغ القاصد كما ان السيف للذب والردع والمدية للقط والقطع وما أحسن قول أبى العتاهية فى عبد الله بن معن من أبيات

فصغ ما كنت حليت * به سيفك خلخالا

فما تصنع بالسيف * اذا لم تك قتالا

يقال ان عبد الله قال ما لبست سيفى قط فرأيت انسانا يلحظنى الا ظننته يحفظ قول أبى العتاهية فى ومثل هذا ما قاله ابن نخيل فى عبد الملك بن عمير القاضى

اذا كلمته ذات دل لحاجة * فهم بأن يقضى تنحنح أوسعل

قال عبد الملك تركتنى والله وان السعلة لتعرض لى فى الخلاء فاذكر قوله فأهاب أن أسعل ومدح عبد الله بن الزبير الاسدى أسماء بن خارجة الفزارى فقال *تراه اذا ما جئته متهللا* البيتين فأثابه ثوابا لم يرضه فغضب عبد الله وقال يهجوه

فوالله لولا رهن هند ببطرها * لعد أبوها فى اللئام المفالس

بنت لكم هند بتلديغ بظرها * دكاكين جص عاليات المجالس

فركب اليه أسماء وأرضاه وكان يقول بعد ذلك والله ما رأيت جصا فى بناء ولا غيره الا ذكرت بظر أختكم هند يقال ان الهادى كان بنو العباس يسمونه موسى أطبق لانه كان يفتح فاه كثيرا فرتب المهدى فى خدمته خادما يلاحظه أبدا فتى سها عن نفسه وفتح فاه قال له موسى أطبق (رجع) عن أبى ذر رضى الله عنه انما مالك لك أو للعاجة أو للورائة فلا تكن أعجز الثلاثة وقال سعيد بن المسيب لا خير فيمن لا يكسب المال ليكف به وجهه ويؤدى به أمانته ويصل به رحمه وما أحسن ما عبر به ابن الجهم عن جمع المال طلبا

للانفاق فى قوله

وما تجمع الاموال الا لبذلها * كما لا يساق الهدى الا الى النحر

ومثله قول مسلم بن الوليد

اتى البدور فتفنيها صنائعه * وما تدنس منها كف منتقد

لا يعرف المال الا عند نائلة * ويوم يجمعه للنهب والبدد

وقال النضر بن جؤية

قالت طريفة ماتبقى دراهمنا * وما بنا سرف فيها ولا خرق

انا اذا اجتمعت يوما دراهمنا * ظلت الى طرق المعروف تستبق

لا يألف الدرهم المضروب صرتنا * لكن يمر عليها وهو منطلق

وبالغ أبو الطيب فى قوله

وكلما التقى الدينار صاحبه * فى ملكه افترقا من قبل يصطحبا

مال كأن غراب البين يرقبه * فكلما قيل هذا مجتد نعبا

هذا البيت الاول من معانى أبى الطيب التى يناقض آخرها أولها لانه قرر أولا أن الدينار يلقى صاحبه ثم قال يفترقان قبل اصطحابهما وهذا تناقض وكذا قوله

أعدى الزمان سخاؤه فسخا به * ولقد يكون به الزمان بخيلا

فقرر ان سخاءه أعدى الزمان فهذا دليل على وجوده ثم قال فسخا الزمان به أى أوجده والشئ لا يتقدم على وجود نفسه ولكن هذا النوع من المبالغات التى تخرج الى حد الاستحالة تفيد المعنى قوة لم تكن فى غيره وقال أبو الحسين الجزار فى الحث على الانفاق

اذا كان لى مال علام أصونه * وما ساد فى الدنيا من البخل دينه

ومن كان يوما ذا يسار فانه * خليق لعمرى ان تجود يمينه

وقلت أنا وفيه نكتة نحوية

لا تجمع الدينار واسمح به * ولا تقل كن فى يمى كفى

ما الدهر نحوى فيمحو الهدى * ويمنع الجمع من الصرف

لأن جمع دينار دنانير وهذا الوزن أحد الاوزان الثلاثة التي جاءت على صيغة منتهى الجموع وهي مساجد ومصابيح وشواب والكل ممنوع من الصرف وأردت بالصرف في الظاهر ما يريده النحاة وفي الباطن ما هو من حوادث الدهر وتقدم أيضا في مصارفة الدينار بالدراهم فتامله يظهر لك والمال قد يطلب لذاته وهذا مذموم نطق القرآن بالتوعد عليه فيمن يكنز الذهب والفضة ولا ينفقهما وأى أرب في جمع المال وعدم انفاقه وأى فرق بين أن يكون ما في الصندوق ذهبا وفضة وجواهر وبين أن يكون حجارة وترابا وبين أن يكون خاليا قال أبو الطيب

لمن تطلب الدنيا اذا لم ترد بها * سرور محب أو اساءة مجرم

وهذا البيت مضطرب الصنعة لانه كان ينبغي له أن يقول سرور محب أو حزن عدو وهذا مما يقع له كثيرا وسيأتي من كلامه نظائر لهذا البيت وقول الطغرائي في هذا البيت والذي بعده يشبه قول أبي الطيب

وأتعب خلق الله من زاد همه * وقصر عما تشتهي النفس وجده

فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله * ولا مال في الدنيا لمن قل مجده

وفي الناس من يرضى بميسور عيشه * ومركوبه رجلاه والثوب جلده

ولكن قلبا بين جنبي ماله * مدى ينتهي بي في مراد أحده

والدنيا كل أمورها غريبة وكلها عجائب وعلى الحقيقة ما فيها عجيبة هذا الطغرائي منشي السلطان محمد كما تقدم وصاحب ديوان الطغرى وله يد في الكيمياء وحل رموزها ومع هذا يقول أريد بسطة كف أستعين بها ولكن الزمان حرب الفضل وسلم الجهل والظاهر من أمره انه كان يعرف الكيميا علما لا عملا أو علما وعملا ولكن الايام ما ساعدته على التمكن من عملها حتى يبرزها من القوة الى الفعل لانه قال

ومن أعجب الاشياء أني واقف * على الكنز من يظفر به فهو مبخوت

ومن كنوز الارض شرقا ومغربا * مفاتيحها عندي ويعوزني القوت

فلولا ملوك الجور في الارض أصبحت * وحصباؤها دري لدي وياقوت

ذكرت بهذه الابيات قول المعتمد لما ترقت حال الموفق أحمد بن المتوكل الى غاية لم يبلغها الخليفة المعتمد وغلب الموفق على أمره

أليس من العجائب أن مثلى * يرى ما هان ممتنعا عليه
وتؤخذ باسمه الدنيا جميعا * وما من ذاك شئ فى يديه

*(والدهر يعكس آمالى ويقنعنى * من الغنيمة بعد الكد بالقفل)*

(اللغة) الدهر الزمان قال الشاعر

ان دهرا يلف شملى بليلى * لزمان يهم بالاحسان

ويجمع على دهور ويقال الدهر الابد وقولهم دهر داهر كقولهم أبد آبد وقولهم دهر دهارير أى شديد كقولهم ليلة ليلاء ونهار أنهر ويوم أيوم وساعة سوعاء وفى الحديث لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر لانهم كانوا يضيفون النوازل اليه فقيل لهم لا تسبوا فاعل ذلك بكم فان ذلك الفاعل هو الله تعالى والدهرى بفتح الدال هو الملحد وبضمها المسن وقال ثعلب هما جميعا منسوبان الى الدهر والدهرى هو الذى يعتقد عدم الصانع وينكر البعث والنشور والمجازاة (العكس) ردك آخر الشئ الى أوله ومنه عكس البلية عند القبر لانهم يربطونها معكوسة الرأس الى ما يلى كلكلها وبطنها ويقال الى مؤخرها مما يلى ظهرها ويتركونها على تلك الحال حتى تموت (الآمال) جمع أمل وهو الرجاء تقول أملت خيره آمله بالضم أملا وكذا التأميل وقولهم ما أطول املته بكسر الهمزة أى أمله فهو كالجلسة والركبة (القناعة) الرضى بما قسم وقد قنع بالكسر يقنع قناعة فهو قنع وقنوع واقنعه الشئ اذا أرضاه (الغنيمة) واحدة الغنائم وهى ما تظفر به من ملك غيرك ولم يكن لك (الكد) الشدة فى العمل وطلب الكسب والتعب (القفل) الرجوع من السفر وقد قفل يقفل بالضم ومنه القفل والقافلة الرفقة الراجعة من السفر فلا يقال لمن خرج من بلدة يريده كانا آخرفا ول الى أن يرجع وتسمى الرفاق قافلة قبل العود تفاؤلا لهم بالرجوع كما تسمى المهلكة مفازة والديغ سليما وأول من نطق بهذا المثل امرؤ القيس

فقال

وقد طوفت فى الآفاق حتى * رضيت من الغنيمة بالاياب

وقال عبيد بن الابرص

ولولاقيت غلابن عمرو * رضيت من الغنيمة بالاياب

(الاعراب) (والدهر) الواو للابتداء الدهر مرفوع على أنه مبتدأ (يعكس) فعل مضارع رفع لتجرده من الناصب والجازم وقد تقدم الكلام عليه وهو ثلاثى فلهذا فتح حرف المضارعة منه على ما تقدم (آمالى) جمع أمل وهو منصوب بيعكس ولم يظهر النصب فيه لانه مضاف الى ياء المتكلم والمفعول به قال الشيخ جمال الدين بن الحاجب هو ما وقع عليه فعل الفاعل قال النيلى فى الشرح يريد بالوقوع التعلق لا المباشرة والا لخرج مثل أردت الطلاق لعدم المباشرة واحترز بقوله عليه من الظرف لان الفعل يقع فيه لا عليه ومن المفعول له فان الفعل يقع لاجله ومن المفعول معه لانه يقع معه لا عليه ومن المفعول المطلق لانه نفس الفعل الواقع من الفاعل وقيل المفعول به هو المقول فى جواب من سأل عن تعلق هذا الفعل فيقول المجيب بزيد فلتقييده فى السؤال والجواب بالباء سمى المفعول به قلت كيفما حاول النحاة رسم المفعول به لا يخلصون من ايراد عبد القاهر الجرجانى فى اعراب خلق الله العالم لانه قال العالم هنا مصدر لا مفعول به لان المفعول به هو الذى كان موجودا وأثر فيه الفاعل شيئا آخر بفعله والمصدر هو الذى لم يكن موجودا بل كان عدما محضا والفاعل موجده ومخرجه من العدم الى الوجود بفعله والعالم فى قولنا خلق الله العالم كذلك فكان مصدرا واعترض عليه بأنه لو كان مصدرا لكان نفس الخلق ولا يجوز أن يكون ذلك لوجهين أحدهما أنا نعلم العالم مع الشك فى كونه مخلوقا لله تعالى الى ان نعلم ذلك بدليل منفصل فالعالم على هذا معلوم وكونه مخلوقا لله تعالى غير معلوم لتوقفه على الدليل والمعلوم مغاير لما ليس بمعلوم فكان الخلق غير العالم الثانى أن الله تعالى يوصف بالخلق فلو كان الخلق العالم لكان الله موصوفا

بالعالم

بالعالم وهو لا يجوز لانه يلزم من ذلك وصف القديم بالحادث أو قدم العالم (قلت) الجواب عن الايراد الذى أورده الامام عبد القاهر هو أن الكلام انما هو فى اصطلاح النحاة وهذا المصطلح انما هو فيما يعرض لاواخر الكلم من الرفع والنصب والجر لا تصاف الكلمة تارة بالفاعلية وتارة بالمفعولية وتارة بالاضافة الى غير ذلك فاذا قلنا خلق الله السموات والارض قلنا هذه الكلمات المركبة المسموعة نسميها فى اصطلاحنا فعلا وفاعلا ومفعولا فرفعنا اسم الله تعالى على أنه فاعل ونصبنا السموات والارض على المفعولية لوقوع فعل الفاعل عليهما ولا يلزمنا من هذه العبارة التى أوقعناها على هذه الالفاظ أن يكون المعنى فى الاصل قد وقع وتجدد لان الالفاظ أدلة على المعانى والدليل غير المدلول ولان الاسم غير المسمى والالزم احتراق فم من تلفظ بالنار ولزم اذا قلنا أعدم الله العالم وأقام القيامة وأمات زيدا أن يكون هذا كله قد وقع الآن وتجدد ونحن نجد هذا باطلا على أننى أعتقد أن الامام رحمه الله كان يعتقد بطلان هذا الايراد وانما أورده مغالطة واظهار صناعة فى البحث لاغير (رجع) واختلف فى ناصب المفعول به فمذهب سيبويه انه الفعل ولذلك تعددت المفاعيل بحسب اقتضاء الفعل لها لان الفعل ان اقتضى مفعولا نصبه أو اثنين نصبهما أو ثلاثة نصبها ومذهب ابن هشام أنه الفاعل لانه الذى أثر فيه فى المعنى فيؤثر فيه فى اللفظ (قلت) وهذا ليس بشئ لان الفاعل يضمر والمضمر لا يعمل فى المظهر ولانهم قسموا الفعل الى لازم ومتعد فدل على أن العمل له ومذهب الفراء انه الفعل والفاعل قياسا على الابتدا والمبتدا فى الخبر والشرط وحرف الشرط فى الجزاء على قول من يراه ومذهب الاخفش أن العامل فيه هو الفاعلية وليس بشئ والصحيح مذهب سيبويه وقد أشبعت القول على ما يتعلق بهذا فى التعليقة على الحاجبية (ويقنعنى) الواو عاطفة الفعل على يعل يقنعنى فعل مضارع مرفوع لانه معطوف على مرفوع ورفعه ضم العين والنون نون الوقاية والياء ضمير المتكلم وموضعها

النصب بالمفعولية ليقنع والفاعل ضمير مستتر فيه يرجع الى الدهر كما استتر في يعكس (من الغنيمة) جار ومجرور ومن هنا للتبعيض وهو أحد معانيها وسيأتي الكلام عليها في غير هذا الموضع ان شاء الله تعالى (بعد الكد) ظرف ومخفوض به فبعد ظرف زمان ولهذا نصب والعامل يقنع والكد جر باضافته الى الظرف (بالقفل) جار ومجرور والباء هنا للتعدية وتقدم الكلام على تقسيم الباء فالدهر في البيت مبتدأ وخبره يعكس كأنه قال والدهر عاكس آمالي ويقنعني موضعه الرفع عطفا على الخبر والياء فيه مفعول أول وبالقفل مفعول ثان له ومن الغنيمة متعلق بيقنع فالجملة كلها من يقنعني الى آخر البيت في موضع رفع على أنها خبر معطوف على خبر المبتدا والبيت كله من أوله الى آخره في موضع نصب على أنه حال من فاعل أريد بسطة كف كأنه قال أريد بسطة في حال أن الدهر عاكس آمالي وقال الجوهري في صحاحه أقنعه الشيء اذا أرضاه فعلى هذا لا يتعدى الى مفعول ثان الا أن يشدد تقول قنعته بالقليل من الرزق (المعنى) والدهر يعكس ما أؤمله وأرجوه من البسطة والرفعة حتى أقنع من الغنيمة بالرجوع بعد التعب والمشقة وهذا المثل يضرب لمن خفق مسعاه وطال سفره وتمنى العود الى بلده نعوذ بالله من هذا الحال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من طمع في غير مطمع ومن طمع يعود الى طبع وكان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد والدهر مازال يعكس المقاصد ويراقب الخيبة ويراصد ويكمن المنايا في الاماني ويثني غصون الأمل زاوية بعد أن كانت عذبة المجاني خلقا ألفه الناس في سجاياه وطبعا رمى الخلق به من سهام جناياه

فقد تدنو المقاصد والاماني * فتعترض الحوادث والمنون

والشعراء مازالوا يكثرون في هذه المعاني قال أبو الطيب

أريد من زمني ذا أن يبلغني * ما ليس يبلغه في نفسه الزمن

ما كل ما يتمنى المرء يدركه * تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

(وقال أيضا)

أهم بشئ والليالى كأنما * تطاردنى عن كونه وأطارد

وقال المعتمد بن عباد يرثى ولديه المأمون والراضى بأبيات منها

بكيت فتحا فاذ دانيت سلوته * أردى يزيد فزاد القلب أشجانا

فكنت كالمتقى ماء تخيله * حتى انتهى فرأى الغدران نيرانا

(وقال) ابن القيسرانى ومن خطه نقلت

الى كم أسوم الدهر غير طباعه * وأصدقه عن شيمتى وهو حانث

وأسمو بجدى فى العلى ويحطنى * خطوب كأن الدهر فيهن عابث

وقال مسلم بن الوليد

ما قصر السعى ولا علات * عن مطلب نفسى أمانيها

بل خانها الدهر وأزرى بها * عثرة جد لا تواتيها

ومن أصوات ابن جامع فى الأغانى

لئن فاتنى فى مصر ما كنت أرتجى * وأخلف لى منها الذى كنت آمل

فما كل ما يخشى الفتى نازل به * ولا كل ما يرجو الفتى هو نائل

ووالله ما فرطت فى وجه حيلة * ولكنه ما قدر الله نازل

وقد يسلم الانسان من حيث يتقى * ويؤتى الفتى من أمنه وهو غافل

(وقال) أبو فراس بن حارث الحمدانى

قد كنت عدتى التى أسطو بها * ويدى اذا اشتد الزمان وساعدى

فرميت منك بغير ما أملته * والمرء يشرق بالزلال البارد

(حكى) محمد بن الديان فى اختيار شعر مسلم بن الوليد انه كان فى بعض أطراف البصرة رجل يخيف السبيل فأعيا أمره السلطان ثم ظفر به فأمر بقتله وصلبه فلما قدم لذلك قال للموكل به ان رأيت ان تتوقف عنى قليلا وتدنينى الى الجذع وتأمر لى بدواة وقرطاس أكتب شيئا فى قلبى فاذا فرغت من ذلك فشأنك وما أمرت به فأجابه الى ما سأل وقربه من الجذع فكتب ثم قال للموكل بقتله افعل ما بدا لك فنظر الى ما كتب فاذا هو

قالت سليمى كم تمنينا * وعدك وعد ليس يأتينا
يا قانعا بالدون من عيشه * حتى متى تصبح محزونا
فحركت أشرس ذا مرة * من بعد ثنتين وخمسينا
ان كنت قصرت ولم أجتهد * فى طلب الرزق فلومينا
وأى باب يرتجى فتحه * وما قرعناه بأيدينا
ما قصر السعى ولكنها * مقادر جارية فينا

فرفع خبره الى من أمر بقتله فصفح عنه وأمر باطلاقه

(وقال آخر)

أسمو الى الأمل الاقصى فيلفتنى * جد عثور ودهر مهتز خوف
لا الحظ يسعدنى فيما أحاول له * من العلو ولا لى عنه منصرف

خرج الوزير نظام الملك أبو الحسن على الى الصلاة فجلس قليلا ثم التفت الى الحاضرين وقال هنا بيت شعر أريد له أولا وهو

فكأننى وكأنه وكأنها * أمل ونيل حال بينهما القضا

وكان فى الجماعة أبو القاسم مسعود بن محمد الخجندى الشافعى فقال

أفدى حبيبا زارنى متنكرا * فبدا الوشاة له فولى معرضا

ذكرت هنا ما أنشدنيه لنفسه من لفظه المولى جمال الدين يوسف الصوفى بدمشق سنة سبعمائة وعشرين

كأنما البدر وقد أشرقت * أنواره بين غصون الغصون
وجه حبيب زار عشاقه * فاعترضت من دونه الكاشحون

وقلت أنا فى هذا التشبيه

كأنما الاغصان لما انثنت * امام بدر التم فى غيهبه
بنت مليك خلف شباكها * تفرجت منه على موكبه

وقلت أيضا

كأنما الاشجار فى روضها * والبدر فى غيهبه مسفر
بنت مليك خلف شباكها * قامت الى موكبه تنظر

وقلت

وقلت أيضا

وكأنما الاغصان تثنيها الصبا * والبدر من خلل يلوح ويحجب
حسناء قد عامت وأرخت شعرها * في لجة والموج فيه يلعب

(رجع) أنشدني من لفظه الشيخ الامام الحافظ فتح الدين محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمري بالديار المصرية سنة ثمان وعشرين وسبعمائة قال أنشدني لنفسه الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد

الحمد لله كم أسمو بعزمي في * نيل العلى وقضاء الله ينكسه
كأنني البدر يبغي الشرق والفلك الا * على يعارض مسراه فيعكسه

قلت أخذه الشيخ تقي الدين من ناصح الدين الارجاني حيث قال

سعيي اليكم في الحقيقة والذي * تجدون عنكم فهو سعي الدهر بي
أنحوكم ويرد عزمي القهقرى * دهري فسيري مثل سير الكوكب
فالقصد نحو المشرق الاقصى له * والسير رأي العين نحو المغرب

لكن الشيخ تقي الدين أتى بالمعنى كاملا في بيت واحد والارجاني أتى بما يحتاج فيه الثالث الى الثاني فكان ذلك أكمل قلت لا بأس بايضاح هذا المعنى وذلك أن كل كوكب من الكواكب السيارة في فلك يخصه وهو مرصع في فلكه كالفص في الخاتم والافلاك السبعة دائرة من المغرب الى المشرق بدليل أن الهلال يرى في الليلة الاولى في مكان وفي الثانية ينتقل الى مكان آخر آخذا الى جهة الشرق وفي الثالثة والرابعة كذلك الى آخر الشهر حتى يستكمل لفلكه الدورة وهو أن يعود الى النقطة التي كان عليها أولا وهذه الحركة للفلك لا للكوكب وهي الحركة الذاتية المختصة بكل فلك وهذه الافلاك السبعة وفلك البروج وهو فلك الثوابت يحيط بها فلك تاسع يسمى الاطلس لانه لم يصح للعين فيه شيء من الكواكب ولعل فيه كواكب لا ترى للبعد المفرط وهذا الفلك الاطلس يدور ربما في باطنه من الافلاك الثمانية في كل يوم وليلة من المشرق الى المغرب دورة كاملة فحينئذ لكل فلك من الثمانية دورتان ذاتية وهي التي من المغرب الى

المشرق وقسرية وهي التي من المشرق الى المغرب وقربوا تفهيم ذلك بنملة ماشية الى اليسار على رحى دائرة الى اليمين فالنملة في هذه الحالة حركتان ذاتية وقسرية وانما سميت هذه الحركة العظمى قسرية لانها تقسر الافلاك وتدور بها الى غير جهة حركتها الذاتية فتعكس دورانها وهذه الحركة هي التي بها ترى الشمس كل يوم في شروق وغروب والافلاك الشمس لا يدور الدورة الكاملة الا بعد مضي سنة شمسية وذكر ابن أبي جمرة في مسئلة الرحمن على العرش استوى انه يقال علا القوم زيد أي ارتفع ومعلوم أنه لم يستقر عليهم قاعدا وكما يقال علت الشمس في كبد السماء أي ارتفعت وهي لم تستقر ويشهد لذلك قول جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم حين سأله هل زالت الشمس فقال جبريل عليه السلام لا نعم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم قلت لا ثم قلت نعم فقال بينما قلت لك لا ونعم جرت الشمس مسيرة خمسمائة عام وقد نص عز وجل على ذلك في كتابه فقال والشمس تجري لا مستقر لها على قراءة من قرأ بالنفي اه قلت الذي قرأ ذلك هو ابن عباس وابن مسعود وعكرمة وعطاء بن أبي رباح وأبو جعفر محمد بن علي وأبو عبد الله جعفر بن محمد وعلي بن حسين نص على ذلك ابن جني في المحتسب وهذه الحركة التي ذكرها جبريل عليه السلام هي حركة الشمس القسرية لا الذاتية وهي حركة الفلك الاعظم قال الامام فخر الدين رحمه الله انه بقدر ما يرفع الفرس سنبكه من الارض ويضعه وهو في أقوى جريه يتحرك الفلك الاطلس كذا كذا ألف ميل أو كما قال فسبحان الله العظيم ذي القدرة والجلال والعظمة لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون سبحان من أبدع هذا العالم وأوجده على غير مثال ودور حركات الافلاك يقال ان الامام فخر الدين كان يقول وهو على المنبر سبحان خالق تدوير فلك كرة المريخ قال العلامة شمس الدين محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصاري انما خص الامام تدوير فلك المريخ دون غيره من الافلاك لانه أعظم تداوير الافلاك حتى انه أعظم من

الفلك الممثل للشمس الذى محيط بالافلاك السفلية وفلك القمر والعناصر والمولدات ويتفرع على ذلك أنه يكون حين مقارنته للشمس أبعد عنها مما يكون عند المقابلة وذلك أن الكواكب العلوية انما تقارن الشمس فى درى تداويرها وانما تقابلها فى الحضيضات فعلى هذا اذا قارن المريخ الشمس كان بينها وبينه قطر تدويره واذا قابلها كان بينه وبينها قطر ممثلها وقطر تدوير المريخ أعظم من قطر ممثل الشمس اه أقول اذا كانت الكواكب العلوية النيرة تعاكس فى السير فما عسى أن يكون حال من هو فى هذا العالم الارضى وهو عالم الكون والفساد (رأيت) فى بعض المجاميع لبعض المغاربة

لست وجهها الذى افنى * هد اسدى دهرى اعتقادى
لو كنت وجهها مابرانى * فى عالم الكون والفساد

وقد خطر لى عند تعليق هذا الفصل ان أردّ على الطغرائى فى قوله والدهر يعكس آمالى البيت بحيث يكون ذلك نظما فى وزنه ورويه فقلت

تقول بعكس آمالى وأنت كما * علمت فى عالم فى الترب مستفل
أماترى الشمس تلقى عكس مقصدها * فى كل يوم ولولا ذاك لم تفل

وكنت نظمت قبل هذا

لا يعجب المرء لعكس المنى * مافكره فى مثل ذا نافع
فالانجم السبع العلى مانجت * من عكسها بالفلك التاسع

وليس عكس المقاصد عند الدهر مطردا بل هو مع الاذى جار وعلى نهج اردى سار وان تمنى الانسان شرا قربه وان تمنى خيرا قلبه قال أبو الطيب الذى جربه

أحب انى لو هويت فراقكم * لفارقنى والدهر أخبث صاحب
فيا ليت مابينى وبين أحبتى * من البعد مابينى وبين المصائب

يقال من نكد الوجود ان الانسان يرى فى منامه أنه وجد مالا أو أصاب جوهرا أو ظفر بخير فاذا انتبه لم ير من ذلك شيئا وربما يرى أنه قد أحدث فاذا

انتبه وجد ذلك يقينا قال الشاعر

أرى فى منامى كل شئ يسوءنى * ورؤياى بعد النوم أدهى وأقبح
فان كان خيرا فهو أضغاث حالم * وان كان شرا جاءنى قبل أصبح

وقال أبو العلاء المعرى

الى الله أشكو أننى كل ليلة * اذا نمت لم أعدم خواطر أوهام
فان كان شرا فهو لا بد واقع * وان كان خيرا فهو أضغاث أحلام

وقال الاحنف العكبرى

وأحلم فى المنام بكل خير * فأصبح لا أراه ولا يرانى
ولو أبصرت شرا فى منامى * لقيت الشر من قبل الأذان

وما أرق قول القائل

وزارنى طيف من أهوى على حذر * من الوشاة وداعى الصبح قد هتفا
فكدت أوقظ من حولى به فرحا * وكاد يهتك ستر الحب بى شغفا
ثم انتبهت وآمالى تخيل لى * نيل المنى فاستحالت غبطتى أسفا

وقال ابن المعتز

أبصرته فى المنام معتذرا * الى مما جناه يقظانا
ولان حتى اذا هممت به انتبهت عند الصباح لا كانا

وما ألطف قوله وان لم يكن من هذه المادة

ألم الخيال بلا جحده * وأبدانى الوصل من صدده
وكم نومة لى قوادة * أتت بالحبيب على بعده

وهذا يشبه قول الآخر

تركت هجاء ابليس ثم مدحته * وذاك لامر عز عندى سلوكه
يقرب من أهوى الى فان أبى * حكاه خيالا فى الكرى فأنيكه

وما أشبه هذا بقول أبى حفص الشطرنجى

قل لمن شذت انى بك مغرى * ثم دعه يروضه ابليس

أنشدنى انفسه بالديار المصرية من لا أوثر ذكره هنا

لوأن طيفك فى المنام أنيسى * مابت أشكو وحشتى بجليسى
قمر أداره على خمرة ريقه * ولحاظه وحديثه المأنوس
ماعمدتى فى قربه وحضوره * و وفاقه الا على ابليس

ومارمى ابليس بجرم من بنى آدم أدمغ له من قول أبى نواس

عجبت من ابليس فى تيهه * وخبث ماأضمر فى نيته
تاه على آدم فى سجدة * وصار قوادا لذريته

وهذا المعنى الذى تخيله فى غاية الحسن وهو الذى فتح على ابليس هذا الباب ودخله الناس أفواجا قال بعضهم

عـلام تتيه أبا مرة * وتزهى كثيرا على آدم
وانك فى الخزى من بعده * تقود على جلة العالم

وأما على ذكر الخيال فما ولع به أحد ولوع البحترى ولا أبدع فيه مثل ابداعه حتى صار لاشتهاره بذلك مثلا يقال خيال البحترى فن ذلك قوله

بلى وخيال من أثيلة كلما * تأوهت من وجد تعرض يطمع
ترى مقلتى مالا يرى من لقائه * وتسمع أذنى رجع ماليس يسمع
ويكفيك من حق تخيل باطل * تردّبه نفس اللهيف وترجع

(وقوله أيضا)

اذا ما الكرى أهدى الى خياله * شفى قربه التبريح أونقع الصدى
ولم أرمثلينا ولامثل شاننا * نعذب أيقاظا وننعم هجدا

(وقوله أيضا)

قد كان منى الوجد غب تذكر * اذ كان منك الصد غب تناسى
تجرى دموعى حين دمعك جامد * ويلين قلبى حين قلبك قاسى
ماقلت للطيف المسلم لاتعد * نفسى ولانهضت حامل كاسى

وما أحسن قول أمين الدولة ابن التلميذ

عاتبت اذلم يزر خيالك والنـوم بشوقى اليك مسلوب
فزارنى منعما وعاتبنى * كما يقال المنام مقلوب

دخل ابن القطان الشاعر البغدادي يوما على الوزير الزينبي وعنده الحيص بيص فقال قد عملت بيتين لا يمكن أن يعمل لهما ثالث لأني قد استوفيت المعنى فيهما فقال الوزير وما هما فأنشده

زار الخيال بخيلا مثل مرسله * فما شفاني منه الضم والقبل

ما زارني قط الا كي يوافقني * على الرقاد فينفيه ويرتحل

فقال الوزير للحيص بيص ما تقول في دعواه فقال ان أعادهما سمع لهما ثالثا فأعادهما فقال الحيص بيص

[illegible] نصبت * [illegible]

فقال [illegible] بن [illegible]

[illegible] * اليها فاني واصل حبل من وصل

وتبعه جرير فقال

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا * وقت الزيارة فارجعي بسلام

(وقلت أنا)

يا خجله لجرير من * قول كفاه الله عاره

طرقتك صائدة القلو * ب وليس ذا وقت الزيارة

هل كان يلقى ان أتا [illegible] * [illegible] بهوى خسارة

أركان [illegible] * [illegible] حديد [illegible]

[illegible] تقول [illegible] من عتب [illegible] على الخيال حيث قال

[illegible] * [illegible]

وفضل التهامي الخيال على الحقيقة فقال

وصل الخيال ووصل الخود ان بخلت * [illegible] ان ما أشبه الوجدان بالعدم

الطيف أحسن وصلا [illegible] * [illegible] الاثم [illegible]

[illegible] أحوال [illegible] على [illegible] فقال

[illegible] * [illegible]

أخاف على طيفي اذا جاء طارقا * وسادك أن يلقاه طيف رقيبي

نقلت من خط القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر له

ان يكن يضحك في الطيـ * ـف حديثي ومقالي

كيف لا يضحك مما * هو منه في الخيال

ومما قلته في الخيال

ثم يرى الطيف اذا ادنى * لذوب جسمي بك انتحالا

وعند ما دله أنيني * بات كلانا يرى خيالا

(وقلت أيضا)

ضممت خيالك لما أتى * وقبلته قبلة المعدم

وقت ومن فرحتي باللقا * حلاوة ذاك اللمى في فمي

ومن كلام القاضي الفاضل رحمه الله هذا على أن الطيف لا أتحدث عنه وان ركب الجبال وقطع المراحل وخطى الى أغصان القنا وخاض جداول الظبا ووطئ شوك النصال وعثر بحبال الحبال وحل وأعين الشهب اليه حول روان ودنا وأطراف الاسنة دون ن وكيف ... له عنه والعسكر يدنيه وأنا يقظان ويمثل ما لم يكن من قربه كم لمثلت العين منه ما كان ويخليني منه ورب أحباب خاون به دوني ويوجدنيه وأنا رهن شوق لو طلبوني عنده ما وجدوني ذكرت بقوله والفكر يدنيه وأنا يقظان ما أنشدنيه لنفسه شهاب الدين أبو الثناء محمود

سرى والدجى شوق اليه وتذكار * خيال أصابته من ضلوعي له نار

أموه بالتوهيم سر قدومه * اذا ما سرى ... وفكر

كتب شرف الدين بن عنين من اليمن لى أخيه

... كتبت في نقطة ... عاما * أن ... ورت ... ل ...

وحذرت طيفك في الكرى لانه * ... ر

الثاني لابي العلاء المعري ... في ... و ... الجرة ...

مسافة ومن المعلوم ان الخيال يجتاز ... ب ... س ...

بعض العلماء عن قوله صلى الله عليه وسلم من رآنى فى منامه فقد رآنى حقا فقال السائل فى الليلة الواحدة بل الساعة الواحدة يراه جماعة فى أماكن شتى من أطراف الارض فقال نعم هو

كالشمس فى كبد السماء وضوءها * يغشى البلاد مشارقا ومغاربا

البيت لابى الطيب وهو مأخوذ من قول ابن الرومى

كالشمس فى كبد السماء محلها * وشعاعها فى سائر الآفاق

وأخذ هذا من قول البحترى

عطاء كضوء الشمس عم فمغرب * يكون سواء فى سناها ومشرق

ومثل هذا السؤال ماسئل عنه أبو الفرج ابن الجوزى قيل له ياامام قتل الحسين رضى الله عنه بكربلاء ويزيد فى دمشق فكيف ينسب قتله اليه فقال

سهم أصاب وراميه بذى سلم * من بالعراق لقد أبعدت مرماك

البيت للشريف الرضى وقد أخذه ابن سناء الملك فقال

رميت من مصر قلبا بالشآم فما * أسراك سهما الى احشاء أسراك

وقد تكلم الفقهاء فيمن رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام وأمره بأمر هل يلزمه العمل به أولا قالوا ان أمره بأمر يوافق أمره يقظة ففيه خلاف وان أمره بما يخالف أمره يقظة فان قلنا ان من رآه صلى الله عليه وسلم على الوجه المنقول من صفته فرؤياه حق فهذا من قبيل تعارض الدليلين والعمل بأرجحهما وما ثبت باليقظة أرجح فلا يلزمه العمل بأمره فيما يخالف أمره يقظة اهـ أورد ابن الاثير فى المثل السائر قول بعضهم

وقد أشق الحجاب الصعب بادية * دونى وتأبى ولوجا فيه ان طرقا

كالطيف يأبى دخول الجفن منفتحا * وليس يدخله الا اذا انطبقا

ثم قال ورأيت ابن حمدون البغدادى صاحب التذكرة قد أورد هذين البيتين فى كتابه وقال قد اغرب هذا الشاعر ولكنه غلط وجرى على عادة الشعراء لان الطيف لايدخل الجفن وانما تخيله النفس قلت وهذا كلام

من

من لم يطعم من شجرة الفصاحة والبلاغة وليس عما له عندى الاما يحكى عن ملك الروم اذ أنشد عنده بيت المتنبي وهو

كأن العيس كانت فوق جفنى * مناخات فلما ثرن سالا

فسأل عن المعنى ففسر له فقال ما سمعت بأكذب من هذا الشاعر أرأيت من أناخ الجمل على عينه ألا يهلكه اه قلت القوّة المخيلة لا تختص فعلها باليقظة دون النوم بل تفعل فى النوم أقوى لانها لا تحتاج الى تحريك أعضاء البدن وانما تستعمل عين الروح النفسانى المتحكون فى البطن المقدم من الدماغ وهو لا يكل بالاستعمال فلهذا القوّة المخيلة قادرة على أفعالها فى جميع الاحوال الا انها لا تتصوّر الاشياء باختيارها لانها ليست قوة ارادية وانما فى اليقظة كانت القوّة الارادية تصرفها على حسب اختيارها فاذا أتى النوم أتى أمر آخر فاضطرّها الى أفعالها وذلك الامر لا يخلو من احد أمور أربعة الاوّل ارتسام صور المحسوسات التى أدركتها الحواس فى ذلك اليوم فى الخيال فاذا نام الانسان تصرفت القوّة المخيلة فى رسوم الصور لقرب عهدها بها ويسمى هذا اتصال الحس بالخيال وعكسه اتصال الخيال بالحس كالاحلام وكمن يرى انه يأكل شيئا فى النوم فيستيقظ وطعمه فى فمه والثانى ان تنظر القوّة الفكرية فى أمر من الامور مثل سفر أو ملاقاة صديق أو رجاء أو خوف واستخدم الخيال فى احضار صورها وبقيت تلك الصور فى النوم فتصرفت القوّة فيها وفى معانيها ويسمى حديث النفس وعده بعضهم ضربا من الوسواس والثالث ان يتغير المزاج من الروح الذى هو محل القوّة فتختلف أفعالها بحسب تغيره فان غلب على مزاجها الحرارة رأت الحمام والشمس والنيران وما أشبه ذلك وهى طبيعة الصفراء وان غلب على مزاجها البرودة رأت الامطار والسيول والبحار والثلوج وما أشبه ذلك وهى طبيعة البلغم وان غلب على مزاجها الحرارة المعتدلة رأت المطاعم الحلوة والالوان المصبغة والملاهى والحجامة والفصد وما أشبه ذلك وهى طبيعة الدم وان غلب على مزاجها البرودة اليابسة رأت المخاوف والظلمات

والسواد وما أشبه ذلك وهي طبيعة السوداء وان غلب على مزاجها الخفة رأت الطيران والطفرة والعدو وما أشبه ذلك وان غلب على مزاجها الثقل رأت الاحمال الثقيلة والانحصار والانضغاط وما أشبه ذلك وان غلب على مزاجها عفونة الاخلاط رأت الاماكن القذرة والرائحة المنتنة وما أشبه ذلك وان غلب على مزاجها الاعتدال في الاخلاط رأت الرياض والرائحة الطيبة وما أشبه ذلك (وعلى الجملة) فاذا خرج مزاج الروح الحامل للقوة المخيلة عن الاعتدال رأت المنامات المضطربة بغير نظام لان المزاج لا يثبت على حالة واحدة وهذه هي أضغاث الاحلام فما تعانى من الرؤيا بهذه الاضغاث لم يكن له تعبير وقل ان تصدق رؤيا الشعراء لانهم يستعملون قوتهم المخيلة في اليقظة كثيرا لما يحاولونه في معاني التشبيه والاستعارة والكناية وغير ذلك (والرابع) ما يفيضه واهب الصور على القوة المخيلة حال النوم بمثال تدركه النفس وعلم تعبير الرؤيا هو معرفة تطبيق ذلك المثل على ما قصد به وربما القاه صريحا بغير مثال فيستغني عن التأويل ويسمى رؤية المثل بالمثل (فمن ذلك) المرائي التي ذكرها جالينوس في كتاب حيلة البرء ومنامات الشيخ محيي الدين ابن عربي قدس سره التي ذكرها ضمن كتابه المسمى بالفتوحات المكية وناهيك به من كتاب وما أحسن قول القائل

نه آمر بالرشد في يقظاته * وفي النوم يهديه لخير الطرائق

وان قام لم يدأب بغير فضيلة * وان نام لم يحلم بغير الحقائق

ويأتي هذا جناب النبي صلى الله عليه وسلم فانه كان في مبدأ الامر قبل النبوة لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح واعلم ان القوة المخيلة لا تستقل بنفسها في رؤية المنام بل تفتقر الى قوة الروية المفكرة والحافظة وسائر القوى العقلية فمن رأى كأن أسدا تخطى اليه وتمطى ليفترسه فالقوة المفكرة تدرك ماهية سبع ضار والذاكرة تدرك افتراسه وبطشه والحافظة تدرك حركاته وحياته والمخيلة هي التي ارتسم فيها ذلك جميعه وتخيلته فاعلم ان المنامات التي تحتاج الى التعبير هي الرؤيا التي تكون من الله تعالى

اما بشارة أو نذارة لطفا من الله تعالى لينبه الانسان على ما يحدث له في المستقبل ولهذا ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لم يبق من الوحي الا الرؤيا الصادقة وقال صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة وفسر ذلك القاضي عياض بأن قال ما معناه ان مدة ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعبد بغار حراء قبل النبوة تكون قدر جزء من ستة وأربعين جزءا من مدة النبوة وهي احدى وعشرون أو ثلاث وعشرون أو خمس وعشرون سنة قلت قالوا أصح الاقوال أنه عاش صلى الله عليه وسلم ثلاثا وستين سنة وأنه نبئ على رأس الاربعين سنة فمدة النبوة ثلاث وعشرون سنة وثبت أنه كان يوحى اليه مناما قبل البعثة بستة أشهر وهي نصف سنة فاذا انسبنا ستة أشهر من ثلاث وعشرين سنة كان جزءا من ستة وأربعين وهو كما جاء في أشهر الاقوال واعلم ان السبب في تأخير تحقيق المنامات السارة وسرعة تحقيق المنامات الضارة هو ان القوة الالهية المظهرة لهذه المنامات تجعل البشارة بالخيرات الكائنة قبل أوانها بمدة طويلة لتكون مدة الفرح والسرور أطول فتكون النفس منبسطة بالبشارة مرتاحة بتوقع وصولها قبل حصولها وفي الجهة الاخرى تظهر الانذار بالشرور الكائنة في زمان يقرب من حصولها ليقصر زمان الهم والغم وكثيرا ما لا يشعر بالهم ولا ينذر به اذا لم يكن للانسان منه اشفاقا عليه لئلا ينضاف الى ذلك الشر الهم الحاصل من الشعور بحصوله وليس حصول الشر سريعا وحصول الخير بطيئا من القواعد المطردة قيل لجعفر الصادق رضي الله عنه كم تتأخر الرؤيا فقال رأى النبي صلى الله عليه وسلم كلبا أبقع يلغ في دمه فكان شمر بن ذي الجوشن قاتل الحسين وكان أبرص وكان تأخير الرؤيا خمسين سنة وقال بعضهم تتأخر الرؤيا الى عشرين سنة فان يوسف عليه السلام انما رأى تأويل رؤياه بعد عشرين سنة قال الرئيس أبو علي بن سينا في الشفاء في كتاب الحيوان والصبي لا يحلم حلما يعتد به الى أربع سنين ومن الناس من لم يحلم الى ان يسن ومنهم من لم يحلم البتة ثم قال في أثناء الكتاب ويضحك

الصبي بعد أربعين يوما وذلك أول ما تفعل النفس الناطقة في بدنه ويرى المنامات بعد شهرين فيما نظن به وينساها لانه في مثل ذلك الوقت بالتقريب تختلف عنده المحسوسات ويميزبينها وترتسم في خياله وقال أيضا كل حيوان دموي مشاء فانه ينام ويستيقظ وكل ذي جفن فانه يطبقه عند النوم وقد يعلم غير الانسان من ذوات الاربع يظهر ذلك من شمائلها وحركاتها وأصواتها اهـ ومن نوادر الخيال ما حكى أن بعضهم كتب الى امرأة كان يهواها مرى خيالك أن يلم بي فكتبت اليه ابعث الى بدينارين حتى أجيء اليك بنفسي في اليقظة ومثل هذا ما حكى ان بعض البخلاء كتب الى غلام يهواه وضعت على الثرى خدي لترضى فكتب اليه الغلام ابعث الى بدينار حتى أدعك تضع خدك على خدي وقيل ان بعض المغفلين تعب في تحصيل من كان يهواه مدة طويلة فلما حصل عنده وضع العاشق رأسه ونام فقال له لاي شئ تفعل هذا قال من عشقي فيك أنام لعلي أرى خيالك في المنام وما أحسن قول السراج الوراق ومن خطه نقلت

فسر لي عابر منا ما * فصل في قوله واجمل
وقال لابد من طلوع * فكان ذاك الطلوع دمل

أنشدني من لفظه الشيخ الامام الحافظ فتح الدين محمد ابن سيد الناس بالقاهرة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة قال أنشدني لنفسه الحكيم شمس الدين محمد بن دانيال الموصلي

كم قيل لي اذ دعيت شمسا * لابد للشمس من طلوع
فكان ذاك الطلوع داء * يرقى الى السطح من ضلوعي

وقال الشيخ تقي الدين السروجي

بي طلوع أنا به في نزول * وطلوع بلا ارتفاع نزول
قيل لابد أن يزول سريعا * قلت أخشى أزول قبل يزول

وذكرت بما أوردته مما نقله ابن الاثير من البيتين اللذين أولهما وقد أشق الحجاب الصعب ما نقلته من خط ناصر الدين حسن بن النقيب

نصبت جفونى للخيال حبائلا * لعل خيالا فى الكرى منه يسنح
وكيف اذا أغمضتهن أصيده * ومن عادة الاشراك للصيد تفتح
وهو مأخوذ من قول ابن سناء الملك
سرى طيفه لا بل سرى فى سرابه * وقد طار من وكر الظلام غرابه
وما كان يدرى الطيف قبل طروقه * بأن انفتاح الجفن منى حجابه
وأنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة
كفى حزنا أن لا أراقب لمحة * ولا أشهد اللذات الا تخيلا
ولا استزير الطيف خوف فراقه * لما ذقت من طعم التفرق أولا
وأقسم لو جاد الخيال بزورة * لصادف باب الجفن بالفتح مقفلا
(رجع) ذكرت بقول الطغرائى ويقنعنى من الغنيمة بعد الكد بالقفل
ما نظمته أنا وهو
قنعت بالعود الى منزلى * وذلك دأب المرء فى خيبته
كالحجر الملقى الى صاعد * ليس له هم سوى عودته
اختلف أهل النظر فى هذا الموضع فقال قوم ان السهم أو الحجر أو غيرهما اذا
رمى به صعدا وتناهى صعوده كانت له فى آخر صعوده لبثة ما ثم ينصوب
منحدرا وقال آخرون لا لبث هناك وانما أول وقت حدوره عقيب آخر
صعوده قال ابن جنى وهذا القول أشبه بسياق هذا الكلام على قول أبى
الطيب
وما أنا غير سهم فى هواء * يعود فلم يجد فيه امتساكا
(قلت) القول الاول ذهب اليه الرئيس أبو على بن سينا لانه يقول اما ان
يحصل بين الحركة الصاعدة والحركة الهابطة زمان أولا والثانى محال
والالزم تتالى الآنات فيلزم من ذلك تركب الحركة الصاعدة والحركة
الهابطة من أجزاء لا تتجزأ هذا خلف فتعين الاول فالجسم ساكن فى ذلك
الزمان هذا ملخص ما حكاه أثير الدين الابهرى فى كشف الحقائق ثم قال
وفيه نظر لان الآن لا وجود له فى الاعيان والا لكان فى الحركة جزء لا يتجزأ

فيكون فى الجسم جزء لا يتجزأ وهو محال (قلت) هذا مبنى على اثبات الجوهر الفرد وهو الجزء الذى لا يتجزأ وهى مسألة عظيمة تدور عليها قواعد كثيرة فى علم الكلام واثباته يشق على من ناظر الفيلسوف قال الذى منع ثبوته كل جزء تفرضه فان يمينه يتميز عن يساره ومتى كان كذلك قبل القسمة وقال المتكلمون لا بد ان ينتهى القول الى اثبات جزء فاصل بين كل يمين ويسار فرضا فى قسمة الاجزاء وهو المطلوب (مسألة فرضية فيها اثبات الجوهر الفرد) وهى أختان اشترتا أمهما ثم ان أمهما واجنبيا اشتريا أباهما يعنى أبا الاختين فماتت احدى الاختين ولم تخلف الا أختا والاجنبى فلها النصف بالاخوة والباقى لمعتق الاب وهما الام والاجنبى والام ميتة فنصيبها وهو الربع للاختين لانهما معتقتاها واحداهما ماتت فنصيبها وهو الثمن لمعتق الاب وهما الام والاجنبى والام ميتة فنصيبها وهو نصف الثمن للاختين وواحدة ميتة فنصيبها وهو ربع الثمن للام والاجنبى والام ميتة فنصيبها وهو ثمن الثمن للاختين وهكذا الى ما لا نهاية له ويبقى شئ لا ينقسم على هذا النمط فتأمله يثبت لك الجوهر الفرد والله أعلم واحتال الفرضيون على قسمة هذا الميراث فقالوا نحن رأينا هذا الثمن الدائر ثلثاه للاجنبى وثلثه للبنت الموجودة اذ لها نصف بالاخوة وثمن بالجروثات الثمن الدائر أيضا بما قررناه وللاجنبى ربع وثلث الدائر فيكون للبنت الثلثان فتجعل من ستة ثلاثة للبنت بالاخوة والباقى ثلاثة سهمان منها للاجنبى وسهم واحد للبنت بالولاء الذى انجر اليها من المعتق فيكون للبنت أربعة أسهم وللاجنبى سهمان والله أعلم وبالغ أبو اسحاق النظام من المعتزلة فى القول بعدم اثبات الجوهر الفرد وما أحلى قول ابن سناء الملك

ولو عاين النظام جوهر ثغرها * لما شك فيه انه الجوهر الفرد

وقوله أيضا

وقد حرر النظام جوهر ثغره * ألست تراه قد تقسم بالفلج

وما أحسن قول المعتضد بن عباد يضمن قول أبى الطيب

وما

وما كنت بعد البين الا موطنا * لنفسي على أن لا يكون اياب
ولكنك الدنيا الى حبيبة * فما عنك لى الا اليك ذهاب

ومثل الاول قول ولده المعتمد

ماسرت قط الى القتا * ل فكان من أملى الرجوع
شيم الاولى أنا منهم * والاصل تتبعه الفروع

والاصل فيه قول قيس بن الخطيم

فانى فى الحرب الضروس موكل * بتقديم نفس لا أريد بقاءها

قال أبو دلامة كنت فى عسكر مروان بن محمد أيام زحفه الى طبرستان فخرج رجل منهم ينادى البراز فما خرج اليه أحد الا أعجله فجعل مروان يندب الناس على خمسمائة درهم فقتل أصحاب الخمسمائة فندبهم على ألف ولم يزل الى خمسة آلاف فلما سمعت الخمسة آلاف اقتحمت الصف فلما نظر الخارجى الى برز وهو يقول

وخارج أخرجه حب الطمع * فر من الموت وفى الموت وقع
* من كان ينوى أهله فلا رجع *

قال فلما وقعت فى أذنى وليت هاربا ودخلت فى غمار الناس وكان أبو دلامة مع أبى مسلم فى بعض حروبه فدعا رجل الى البراز فقال أبو مسلم لابى دلامة اخرج اليه فقال

الا لا تلمنى ان هربت فاننى * أخاف على فخارتى ان تحطما
فلو اننى أبتاع فى السوق مثلها * وجدك ما باليت ان أتقدما

ولما خرج أبو دلامة مع روح المهلبى لقتال الشراة وأمره بالمبارزة قال

انى أعوذ بروح أن يقدمنى * الى القتال فتخزى بى بنو أسد
ان البراز الى الاقران أعلمه * مما يفرق بين الروح والجسد
قد حالفتك المنايا اذ صمدت لها * وأصبحت لجميع الخلق بالرصد
ان المهلب حب الموت أورثكم * ولم أرث أنا حب الموت عن أحد
لو ان لى مهجة أخرى لجدت بها * لكنها خلقت فردا فلم أجد

وقال بن أبي قيس

قامت تشجعني ضلا بتضليل * وللشجاعة قلب غير مجهول
هاني شجاعا بغير القتل ميتته * أريك ألف جبان غير مقتول
لما رأيت سيوف القتل مصلتة * مني تحيرت في عرضي وفي طولي
الله سلمني منهم وخلصني * مصفر الوجه مخضوب السراويل
والله لوأن جبريلا تضمن لي * نفسي لما وثقت نفسي بجبريل

(قيل) ان بعض الجبناولى هاربا عند التقاء الصفين فقيل له ان الامير يغضب عليك لفرارك فقال غضبه علي وأناحي خير لي من رضاه علي وأنا ميت

(وذي شطاط كصدر الرمح معتقل * بمثله غير هياب ولاوكل)

(اللغة) ذي بمعنى صاحب (الشطاط) بالفتح والكسر اعتدال القامة يقال جارية شاطة بينة الشطاط (الاعتقال) هوأن يضع الفارس رمحه بين ساقه وركابه واعتقلت الشاة اذاوضعت رجلها بين فخذيك (هياب) رجل هيوبة وهيابة وهياب وهيبان بتشديد الياء أي جبان وكذلك الهيوب وفي الحديث الايمان هيوب أي صاحبه يهاب المعاصي (الوكل) رجل وكل بالتحريك ووكلة مثل همزة أي عاجز يكل أمره الى غيره ويتكل عليه وموكل مثل موحد وهوشاذ (الاعراب) الواو واورب قال الشيخ بدرالدين محمد بن مالك رب حرف تقليل وتستعمل في التكثير كما قال الشاعر

رب رفد هرقته ذلك اليو * م وأسرى من معشر أقيال

وقال تعالى ربما يود الذين كفروا لوكانوا مسلمين فرب هنا معناها التكثير كما جاء في كلامهم وهو كثير مثل رب ساع لقاعد ورب غافل ينتظره الموت اه ثم قال بدرالدين وتختص بالنكرات نحو رب رجل لقيته قلت لان النكرة تدل على الشيوع فيجوز فيها التقليل لقبولها التقليل والتكثير وأما المعرفة فمعلومة المقدار فلا تحتمل تقليلا ولاتكثيرا اه ثم قال بدرالدين وقد تدخل في السعة على المضمر كما تدخل على المظهر مثل

دخول

دخول الكاف فى الضرورة كقول العجاج

خلى الزنابات شمالا كثبا * وأم أوعال كها أو أقربا

الا أن الضمير بعد رب يلزم الافراد والتذكير والتفسير بتمييز بعده نحو ربه رجلا عرفته وربه امرأة لقيتها أنشد أحمد بن يحيى وربه عطبا أنقذت من عطبه قلت قال الشيخ بهاء الدين بن النحاس اختلف فى الضمير العائد الى النكرة هل هو معرفة أو نكرة فان قلنا بأن ضمير النكرة نكرة وبه قال السيرافى والزمخشرى وجماعة فلا اشكال فى دخول رب على الضمير وان قلنا بأن ضمير النكرة معرفة وبه قال أكثر النحاة وهو الصحيح فانما جاز دخول رب على الضمير لانه لما أبهم من جهة تقدمه على المفسر ومن جهة وقوعه للفرد والمثنى والمجموع بلفظ واحد وشاع من جهة تفسيره بالنكرة صار فيه من الابهام والشيوع ما قارب به النكرة فجاز دخول رب عليه قال بدر الدين وتجرى رب مع افادتها التقليل مجرى اللام المقوية للتعدية فى دخولها على المفعول به وتختص بوجوب تصديرها ونعت مجرورها ومضى معداها وهو ما بعد النعت من فعل مفرغ ظاهرا أو مقدر مثال الظاهر رب رجل كريم عرفت ومثال المقدر رب رجل عرفته أى عرفت وكذلك قولك رب رجل رأيت ورب رجل كريم رأيته قلت قال الشيخ بهاء الدين بن النحاس لا بد للمخصوص بها أو بما ناب منابها من الصفة وفى هذه المسألة خلاف وهو هل المجرور برب لازم الصفة أولا فمن الناس من قال بعدم اللزوم ومنهم من قال باللزوم كأبى على والزمخشرى وابن عصفور ومن تبعهم واحتجوا لذلك بأن الصفة فى النكرة للتخصيص فهى تفيد الموصوف تقليلا فيوافق المعنى المقصود فى أن رب للتقليل وقال الشيخ بهاء الدين أيضا انما جاز رب رجل وأخيه ولم يجز رب أخيه لان الثوانى يجوز فيها ما لا يجوز فى الأوائل بدليل قولهم كل شاة وسخلتها بدرهم ومررت برجل قائم أبواه لا قاعدين ولو قلت كل سخلتها ومررت برجل لا قاعدين أبواه لم يجز وانما جاز فى الثوانى ما لم يجز فى الاوائل من قبل انه اذا كان ثانيا يكون ما قبله قد وفى الموضع حقه فيما

بمقتضيه بجواز التوسع فى ثانى الامر بخلاف ما لو أتينا بالتوسع فى أول الامر فانا حينئذ لا نعطى الموضع شيئا مما يستحقه هذا اذا لم نقل ان المضاف الى ضمير النكرة نكرة فان قلنا انه نكرة كان الجواز أسوغ قال ولا يكون العامل فيها الا بمعنى المضى كقولك رب رجل جواد لقيته أو أنا لاق أو هو ملق ولا تقول رب رجل جواد سألقى أو لألقين لان التقليل فى الماضى شائع ولا كذلك فى المستقبل لانه لم يعلم فيتحقق تقليله قال وتلزم أبدا الصدر لشبهها بحرف النفى من جهة مقاربة التقليل للنفى لان النفى اعدام الشئ وتقليله تقريب من اعدامه ولان العرب استعملوا التقليل فى موضع النفى قال الشاعر

قلما يبرح المطيع هواه * كلفا ذا صبابة وجنون

معناه ما يبرح المطيع هواه كلفا قال وتدخل عليها ما فتكون ما حينئذ كافة ويسميها بعضهم مهيئة لانها هيأت رب للدخول على الفعل الذى لم تكن تدخل عليه (قلت) وتحذف رب ويبقى عملها وهو بعد الفاء وبل وأبل وبعد الواو وكثير فمن حذفها بعد الفاء قول امرئ القيس فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع ومن حذفها بعد بل قول رؤبة بن العجاج بل بلد مثل الفجاج قتمه وحذفها بعد الواو كثير لا يحتاج الى شاهد وأما حذفها مع عدم الواو والفاء وبل فنادر كقول الشاعر

رسم دار وقفت فى طلله * كدت أقضى الحياة من جلله

وفى رب تسع لغات رب ورب ورب وربت وربت ورب ورب ورب ورب (رجع) ذى أصله ذو و وانما جر بالياء لانه أحد الاسماء الستة المعتلة المضافة التى تعرب بالواو رفعا وبالالف نصبا وبالياء جرا وذو وهذه اطلق المتقدمون لفظها فى هذه الاسماء الستة ولم يحترزوا من ذو التى بمعنى الذى فى لغة طى فانها مبنية لا دخول للاعراب فيها ولهذا أوردوا على الشيخ جمال الدين بن الحاجب فى قوله وذو مال فى مقدمته قالوا كان ينبغى ان يقول وذو التى بمعنى صاحب احترازا من ذو الطائية كقول الحماسى

فان الماء ماء أبى وجدى * وبئرى ذو حفرت وذو طويت

يريد

مريد الذى حفرت والذى طويت وكما قال أبو زيد الطائى فى صفة الاسد لعثمان رضى الله عنه فلاوذو بيته فى السماء ولذلك قال الشيخ بدر الدين محمد ابن مالك من ذاك ذوان صحبة أبانا وأجيب عن جمال الدين بن الحاجب بأنه قال وذومال فاستغنى بالمثال عن الاحتراز لانها فى المثال بمعنى صاحب فتعين ان لفظة ذى فى بيت الطغرائى بمعنى صاحب وهى مجرورة برب مضمرة وعلامة جرها الياء (شطاط) مضاف الى ذى وسيأتى الكلام على الاضافة فيما بعد (كصدر) الكاف بمعنى مثل وهى فى موضع جر لانها صفة لذى المجرورة برب وصدر مجرور بالاضافة (الرمح) مجرور بالاضافة الى صدر (معتقل) مجرور على أنه صفة بعد صفة لذى (بمثله) جار ومجرور والهاء فى موضع جر بالاضافة وهى ترجع الى الرمح والجار والمجرور فى موضع نصب مفعول لاسم الفاعل وهو معتقل كأنه قال معتقل مثله (غير هياب) غير مجرور على انها صفة لمعتقل فان قلت معتقل نكرة وغير هياب معرفة فكيف توصف النكرة بالمعرفة قلت غير لا تتعرف بالاضافة الا اذا وقعت بين متضادين وكانا معرفتين كما تقول عجبت من قيامك غير قعودك أو عجبت من الحركة غير السكون وهياب لم يضاد معتقلا فغير نكرة هنا مع وجود الاضافة ومن خواص غير أن لا تدخلها الالف واللام (ولا وكل) الواو عاطفة ولا حرف نفى وغير للنفى فعطفت النفى على النفى ووكل مجرور بالعطف على هياب (المعنى) وصاحب قامة معتدلة مثل صدر الرمح معتقل برمح غير جبان ولا عاجز أخذ يصف صاحبه ويعدد ما هو عليه من كمال الخلق والخلق والصفات التى تطلب من رفاق السفر فى الليل من الشجاعة والاقدام وغير ذلك فقد التفت الى هذا فاقتضب مما كان يشرحه ويوضحه من حاله ومقامه فى بغداد وغربته وفقره وعدم أصحابه وعكس مقاصده ووصف هذا الرفيق والالتفات عادة البلغاء فانهم ينتقلون من فن الى فن ومن أسلوب الى أسلوب على عادة العرب فى كلامهم وأرى الاقتضاب نوعا من الالتفات كقول أبى نواس فى قصيدته النونية يدنا هو يصف الخمر ويقول من ذلك

قوله فان قلت الخ الصواب اسقاطه مع جوابه اذ هما مبنيان على كون غير هنا مضافة الى معرفة وليس كذلك اه

ما استقرت فى فؤادفتى * فدرى ما لوعة الحزن

اذا اقتضب ذلك وقال بعده

تفهك الدنيا الى ملك * قام بالآثار والسنن

وكذلك الطغرائى بيناهو فى ذكر حاله وماهو عليه من شكوى الزمان اذا اقتضب ذلك وأخذ فى وصف الصاحب الذى ذكره فهذا التفات من نوع الى نوع وقول ابن الاثير فى المعانى المبتدعة وتغليطه الناس فى الالتفات ومشاحة من أدخل فى الالتفات ماليس من شرطه وهوان الالتفات الرجوع من الخطاب الى الغيبة أو بالعكس تحكم منه وانما الالتفات هو الخروج من نوع الى نوع وسلوك سبيل بعد سبيل حتى ان التخاصات هى نوع من الالتفات ولكن خروجها متصل بمناسبة بين الغزل والوصف أوغير ذلك وبين المدح وأرباب البلاغة يسمون الالتفات شجاعة العربية وهو ينقسم ثلاثة أقسام الاول الرجوع من الغيبة الى الخطاب وبالعكس فالاول كقوله تعالى الحمد لله رب العالمين الآيات ثم قال اياك نعبد واياك نستعين انتقل من الغيبة الى الخطاب والثانى كقوله اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم انتقل من الخطاب الى الغيبة وأقول انما عدل فى الاول من الغيبة الى الخطاب لان الحمد دون العبادة الاترالك تحمد نظيرك ولا تعبده فكأن القارى توسل الى الاعلى بالادنى والى الخطاب بالغيبة على سبيل التدريج الى الغاية ولم يخاطب الله من أول وهلة

قدم يدامن قبل أن تدنى يدا * ومبرة من قبل ان تدنى فما

فكأنه اثنى أولا ثم خاطبه ثانيا وفى الثانى انما عدل عن الخطاب الى الغيبة لان المقام مقام سؤال وتعطف وطلب هداية ورحمة من الله تعالى فلو قال غير الذين غضبت عليهم لكان قدنسب الغضب اليه تعالى وكان بمنزلة من يقول أنت تنعم وتنتقم وتعفو وتؤاخذ وفى هذا من المواجهة لمن يطلب احسانه ورحمته وهدايته مافيه لانك تذكره بماله عليك أما اذاقلت أنت المنعم الذى لا يغضب والعفو الذى لا يؤاخذ كنت قد أتيت بما زاده عطفا عليك

واغراه

وأغراه بالعفو عنك وما أحسن قول القائل

هجري عليك اذا خلوت كثيرة * واذا حضرت فانني مخصوم
لا أستطيع أقول أنت ظلمتني * والله يعـــلم انني مظلوم

والثاني من أقسام الالتفات الرجوع عن الفعل المستقبل الى الامر وعن الماضي الى الامر فالاول كقوله تعالى ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال اني أشهد الله واشهدوا أني بري مما تشركون من دونه فكيدوني انتقل من الاستقبال الى الامر والثاني كقوله تعالى قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين أقول انما عدل في الآية الاولى عن المستقبل الى الامر لئلا يساوي بين شهادة الله تعالى وشهادتهم فلم يقل أشهد الله وأشهدكم وانما عدل في الآية الثانية عن الماضي الى الامر لان لفظ الامر فيه العناية بأمر به فاذا قلت أمرتك بالقيام وصل لله تعالى كان أبلغ من قولك أمرتك بالقيام والصلاة والثالث الاخبار عن الفعل الماضي بالمستقبل وبالعكس فالاول كقوله تعالى الله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا الآية انتقل من المضي الى الاستقبال والثاني كقوله تعالى ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم وقوله تعالى ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات الآية انتقل من الاستقبال الى المضي وأقول انما عدل في الاول عن الماضي الى الاستقبال طلبا لاستحضار حال تلك الصورة البديعة كأن المستقبل في الانتظار والتوقع فيطلب بذلك التهيؤ والتطلع لوقوع الحال بخلاف الماضي فانه أمر فرغ منه وليس للنفوس اليه تطلع وفي الثاني انما عدل عن الاستقبال الى الماضي لان الماضي أمر وقع وصح وثبت وتحقق كونه ولما كان الحشر وفزع أهل السموات والارض أمرا مضروبا ونبه وتحققه أخبر عنه بالماضي الذي وقع وجزم العقل به بخلاف الاستقبال فيه أمر مظنون يحتمل وقوعه وعدمه فانظر الى ما أعطى الالتفات في هذا الموضع من المعاني وأوردها من الحكم فتبارك الله الذي أنزل القرآن وجعله معجزا بائنا عاليا عن البشر وبعدت

مرامى معانيه وحكمه عن المعارضة والاتيان بمثله أو بسورة منه تنزيل من حكيم حميد قال الزمخشرى والالتفات من أسلوب الى أسلوب تطرية لنشاط السامع وطلبا للاصغاء اليه قلت ألا ترى أن الطغرائى لما أخذ فى وصف حاله وما هو فيه من النكد وضيق الحال كأنه أطال على المخاطب فى ذلك وأحس منه بالملل فالتفت الى وصف هذا الصاحب الذى رافقه فأنشأ للسامع معنى غير الاول بعث له نشاطا جديدا واستأنف له اصغاء آخر وجدد له تطلعا وتشوفا منه الى الوقوف على هذا الخبر الثانى وهذا غير خاف وصدر البيت لصعر ابى هو بعينه صدر بيت الحريرى فى مقامته الرابعة والاربعين من قصيدته البائية لانه قال

ودى شطاط كصدر الرمح قامته * صادفته بنى يشكوا من الجدب

ومثل هذا لا يعد سرقة لان المعنى ليس ببديع ولا لفظه بفظيع ولا الطغرائى بعاجز عن الاتيان بمثله بل جرى على لسانه ونسى أن هذا الغيره لعدم الاحتفال بأمره اذ هو ليس بأمر كبير وهذا كثير الوقوع للناس لا يكاد يسلم الفحول منه ولهذا قال أشياخ الادب ما حفظ المقامات أحد ونسى الا نظم ونثره وقوله كصدر الرمح معقل بمثله من الايجاز والاختصار لانه استغنى بمثله عن ان يقول برمح طويل قويم معتدل وما أحسن المثل المشهور يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق وقال البحترى

والشعر لمح تكفى اشارته * وليس بالهذر طولت خطبه

وأحسن ما ورد فى الايجاز قوله تعالى وقيل يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء اقلعى وغيض الماء وقضى الامر واستوت على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين وقد تكلم أرباب البلاغة فى هذه الآية وأكثروا قال ابن أبى الاصبع وما رأيت فيما استقريت من الكلام كآية استخرجت منها احدا وعشرين ضربا من التجانس وذكرها ثم سرد ذلك وشرحه والكلام عليها يطول هاهنا وهذه الآية مشهورة بين أرباب البلاغة بالابداع وأعظم ما فيها شرح شأن نوح عليه السلام فى الطوفان من أوله الى آخره فى هذه الالفاظ

القلائل ومن جملة اعجاز القرآن اعجازه وهم مشغوفون بذلك ومثل قول الطغرائى بمثله فى كلام الشعراء كثير كقول أبى تمام الطائى

وركب كأطراف الاسنة عرسوا * على مثلها والليل تسطو غياهبه

واستغنى بقوله على مثلها عن ان يقول على نوق كأطراف الاسنة وما أحلى قول ابن الساعاتى

يالقومى وقد أقام فريق * ليلة النصف واستقل فريق

كل قد ومثله لكن الذا * بل قد والناضر الممشوق

وقلت أنا فى هذا النوع

يالقومى من سطوة الترك سلوا * بيض أجفانهم لجز النحور

كل لحظ ومثله لكن النصـ * ـر تراه فى الحروب للمكسور

وقلت أيضا

رب يوم تقابل الورد فيه * بين روض وبين خد تضرج

كل شئ ومثله لكن الأحـ * ـسن ما كان بالعذار مسيج

وقلت أيضا

يقابل بدرا لتم منه بطلعة * هى البدر لكن حسنها منه أشهر

وفى خده ورد وفى الروض مثله * ولكن ما تحت النواظر أنضر

وقريب من هذه المادة أعنى قول الطغرائى وغيره قول أبى العتاهية فيما أظن

حلقت لحية موسى باسمه * وبهرون اذا ما قلبا

قوله باسمه أوقع فى النفس من ان يقول حلقت لحيه موسى بموسى لان خفاء [illegible] أحسن من وضوحه وعلى ذكر موسى ما أحلى قول مجد الدين ابن الظهير الاربلى فى القاضى شمس الدين [illegible] بن [illegible] وولده موسى

وكيف يؤتى رشد حاكم * حكم فى [illegible] موسى

كتب الشيخ جمال الدين الموقى الى جمال الدين موسى بن يغمور وقد اهدى له موسى

وأهديته موسى نحو موسى وان يكن * قد اشتركا فى الاسم ما أخطأ العبد
فهذا له حد ولا فضل عنده * وهذا له فضل وليس له حد
وقد اختلس قول أبى العتاهية المتقدم أبو الحسن على بن عبد الغنى الضرير الحصرى وهو ابن أخت أبى اسحاق ابراهيم صاحب زهر الآداب فقال

يا حرفة الشعراء انك منهم * حيث ابتغوا رزقا لبالمرصاد
لوحل بالوادى المقدس ركبهم * لشفاء غلتهم لجف الوادى
ولوا بتغوا حلق الرؤس بمكة * حضر الرشيد بها وغاب الهادى

يريد اسم الرشيد وهو هرون واسم أخيه الهادى رحمه وهو موسى ومثل هذا قول أبى بكر محمد بن عمار وقد دخل حماما بحصن شقورة فالتمس نورة يطلى بها عورته فلم يجد فاستعمل الموسى بدلا منها فقال

شقورة شر دار * وشرها زاد بوسا
عدمت هرون فيها * فظلت أطلب موسى

وقول ابن عمار والحصرى فيه شئ يؤاخذان به وهو انما أراد بهرون قلب حروفه ليعود نورة وليس فى اللفظين ما يدل على القلب وان كان يمكن التأويل للحصرى بأنه ما أراد الاغيبة موسى الهادى وحضور الرشيد هرون لاغير ولكن المتبادر الى الذهن ذاك فعلى كل حال قول أبى العتاهية أكمل وقلت أنا ملغزا فى الموسى

وما شئ له حد وخد * يكلم من يلامسه بحقه
وكل حلقه من تحت رأس * وهذا الرأس يصبح تحت حلقه

أنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة بدمشق المحروسة سنة تسع وعشرين وسبعمائة

رأيت فى حلق غزالا * تحار فى حسنه العيون
فقلت ما الاسم قال موسى * قلت هنا تحلق الذقون

وهذا النوع يسميه أرباب البديع القول بالموجب وهو ان يقع فى كلام المتكلم شئ يعنى به نفسه فيثبته المتكلم لغيره من غير تصريح بثبوته له

ولا بنقيه وقد جاء فى القرآن العظيم منه قوله تعالى حكاية عن المنافقين يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل الآية فانهم كنوا بالأعز عن فريقهم وبالاذل عن المؤمنين فأثبت الله عز وجل صفة العزة لله ولرسوله وللمؤمنين من غير تعرض لثبوت حكم الاخراج بصفة العزة ولا لنفيه وهذا نوع عزيز الوقوع لا يطيع من يرومه لتوعر مسلكه ولا بأس بايراد ما حضرني منه قرأت على الشيخ الامام الكاتب أبي الثناء محمود كتابه الذى وسمه بحسن التوسل الى صناعة الترسل وأورد فيه لنفسه قوله

رأتنى وقد نال منى النحول * وفاضت دموعى على الخد فيضا
فقالت بعينى هذا السقام * فقلت صدقت وبالخصر أيضا

ثم قال ومن أحسن ما سمعت فيه قول محاسن الشواء

ولما أتانى العاذلون عدمتهم * وما فيهم الا للحمى قارض
وقد بهتوا لما رأونى شاحبا * وقالوا به عين فقلت وعارض

قلت ومن هنا أخذ ناصر الدين بن النقيب قوله

ومالى سوى عين نظرت لحسنها * وذاك لجهلى بالعيون وغرتى
وقالوا به فى الحب عين ونظرة * لقد صدقوا عين الحبيب ونظرتى

وأصل هذا المعنى قول الاول

وجاؤا اليه بالتعاويذ والرقى * وصبوا عليه الماء من ألم النكس
وقالوا به من أعين الجن نظرة * ولو صدقوا قالوا به نظرة الانس

وأورد فى حسن التوسل قول الارجانى

غالطتنى اذ كست جسمى الضنا * كسوة أعرت من اللحم العظاما
ثم قالت أنت عندى فى الهوى * مثل عينى صدقت لكن سقاما

قلت أخذه ابن نقادة أخذا قبيحا واستحق به اللوم صريحا لانه قال

غالطتنى حين حاكى خصرها * جسمى الممرض وجدا وغراما
ثم قالت أنت عندى ناظرى * ولعمرى صدقت لكن سقاما

وأخذه آخر فقال

شكوت صبابتي يوما اليها * وما قاسيت من ألم الغرام
فقالت أنت عندي مثل عيني * لقد صدقت ولكن في السقام

وأورد في حسن التوسل قول القائل

قلت ثقلت اذ أتيت مرارا * قال ثقلت كاهلي بالايادي
قلت طوّلت قال لا بل تطوّلـــــت وأبرمت قال حبل ودادي

انتهى ما أورده في الكتاب المذكور وما ألطف قول صدر الدين بن الوكيل

وبي من قسا قلبا ولان معاطفا * اذا قلت أدناني يضاعف تبعيدي
أقـــــربق اذ أقول أناله * وكم قالها أيضا ولكن لتهديدي

ونقلت من خط السراج الوراق له

قالوا وقد ضاعت جميع مصالحي * لهمــــــوم نفس ليت لا جاتها
قد كان عندك يا فلان صريعة * فأجبتهم بعت الحمار وبعتها

ونقلت منه له

وسائل يسأل مني وقد * أنشدت شعرا يشبه الشعرى
يقول لي اذ كنت لدى معشر * قد عددوا البيضاء والصفرا
ما حصلت دائرة بينهم * قلت نعم بطيخة خضرا

ونقلت منه له

يعارض جعل النغا * شي من خبائثه سبب
ويقول ما أنا عايب * صدق اللعين وما كذب

ونقلت منه له

لقنته العذر عن تر * ك حاجتي لو تصوّر
فقلت أنسيتها والنـــــسيان أمر مقدّر
فقال لست بناس * فقلت مولاي أخبر

ونقلت منه له

أطعموا العاقة تبجا * ذقنه كالثلج بيضا
ثم قالوا خذ دواء * يسنغيض الداء غيضا

يحلق السوداء حلقا * قلت والبيضاء أيضا

ونقلت منه له

قال صدق فيك مدحى * وثناء فاض فيضا
قال ما صدقت عمرى * لا ولا صليت أيضا

ونقلت منه له

لقنته الاعذار عن * وعد ثناه عنه افك
وصرفت للنسيان ذا * ك وقلت لم يك منك ترك
فأجاب بل أنا غيرنا * س قلت مافى ذاك شك

ونقلت منه له

كملت لابنى بنات أربع * والتى جاءت تمام الخامسه
قلت قد سميتها رابعة * قال اياك وأخرى طارمه

ونقلت منه له

وقائل قال لى لما رأى قلقى * لطول وعد وآمال تعنينا
عواقب الصبر فيما قال اكثرهم * محمودة قلت أخشى أن تخرينا

ونقلت منه له

قالت جعت لفاقة كسلا * فانهض وقم وادأب لهم العائله
فأجبت هل تدرين لى سببا * قالت ولا وتداوهذى الفاصله

وقال ابن سناء الملك

لهفى على عشاقك الطرش * العمى فى عشقك لا العمش
عاشقك القش ولاغروأن * تلتهب النيران فى القش
قالوا لقد أحدث من بعدنا * مالا يرى قلت على الفرش

ونقلت من خط الشيخ محمد التلمسانى

اسم حبيبى وما يعانى * قد شغلا خاطرى ولبى
قالوا على فقلت قدرا * قالوا كرانى فقلت قلبى

وقال النور الاسعردى

سألت الوزير أتهوى النسا * أم المرد جار واعلى مهجتك
فقال وأبدى الخلاعات لى * كذا وكذا قلت من زوجتك

وقال أيضا عندما عمى فى آخر عمره

سألت الله يختم لى بخير * فجعل لى ولكن فى عيونى

وقال أيضا فى مملوك باعه

سمعت ببيعا المملوك عيانعنى * ولو أراد رضاى ما تعدانى
قالوا أتنسب للعلان قلت لهم * ما كنت بائعه لو كان علانى

أنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة

مبقل الخد أدار الطلا * فقال لى فى حبها عاتبى
عن أحمر المشروب ما تنتهى * قلت ولا عن أخضر الشارب

وأنشدنى من لفظه لنفسه المولى شمس الدين محمد بن الصائغ

عارضنى العذال فى عارض * قالوا بلطف بعد ما أطنبوا
ما آن بالعارض أن تنتهى * قلت ولا بالشعب لا تتعبوا

وقلت أيضا

وصاحب لما أتاه الغنى * تاه ونفس المرء طماحه
وقيل هل أبصرت منه يدا * تشكرها قلت ولا راحه

وقلت أيضا

ولقد أتيت لصاحب وسألته * فى قرض دينار لأمر كانا
فأجابنى والله دارى ما حوت * عينا فقلت له ولا انسانا

وقلت أيضا

يقولون لما زرنا وانثنى * وقد أخجل الغصن والجوذرا
أتشتاق من طرفه أبيضا * فقلت ومن قده أسمرا

وقلت أيضا

يقولون لى العذال لما عشقته * وبعض جواب المعنى به لطائف
أيسبيك منه يا أخا الوجد ناظر * مهند من ذقنه بسالف

وقلت أيضا

قد سألت النسيم وهو خبير * بسؤالي اذ غاب وجهك عني
قلت قل لي هل ورد خديه غض * قال قد ضاع نشره قلت مني

وقلت أيضا

بدا في الخد عارضه فأضحى * عليه معنفي باللوم يغري
وحاول أن يرى مني سلوا * فقال لقد تعذر قلت صبري

وقلت أيضا

سألت نسيم أرضك حين وافى * فقلت صف القوام ولا تحاشي
فقال يا ابن قلت لكل صب * وقال يميل قلت لكل واشي

وقلت أيضا

صدق خلي نسمات الصبا * فيما روت عنك وما شكا
وقال لا أخبر منها بما * جاءت به قلت ولا أزكى

وقلت أيضا

يقول صحبي اذ أتى منكم * مشرف بالغت في شكره
هل يلتقي أكرم من طيه * قلت ولا أطيب من نشره

ولا بأس بقول من قال مواليا

عبر علي حبيبي قلت كلمني * فقال يحبك لحسني قلت تقبلني
فقال لي شمازا أو تجاوبني * ضحكت لو قال بارد قلت سبلني

وبعضهم أراد أن يشتري جارية عرضت عليه فقال لها كم دفعوا فيك فقالت وما يعلم جنود ربك الا هو وقيل ان رجلا رمى عصفورا فأخطأه فقال له آخر أحسنت فغضب وقال أتهزأ بي قال انما قلت أحسنت الى العصفور ذكر أبو الحسن المدايني ان رجلا من أهل الحجاز قال لابن شبرمة العلم من عندنا خرج فقال صدقت الا انه لم يرجع اليكم لقي شيخ شيخا آخر مثله فقال له ماذا يصنع الشيخ النحس اليوم فقال له يشتمني وقال بعضهم لولد له والله لا أفلحت فقال له والله يا أبي ولا أنا حكى ان الصاحب جمال الدين ابن مطروح قال يوما

لشهاب الدين القوصي يا شهاب الدين أنت عندنا مثل الوالد فقال لاجرم أني مطروح وقال له بعض الرؤساء أنت عندنا مثل الأب وشدد الباء فقال لاجرم انكم تأكلوني أقول لا يخفى ما في هذا التنديرمن اللطف لان الأب مشدد الباء هو المرعى وقال بعضهم هو للدواب بمنزلة الخبز للأناسي ومن يشدد الباء من الأب الذي هو الوالد لا يكون الا دابة وقيل ان أبا الفرج بن الجوزي كان له ولد يدعى عليا فدخل يوما الى البيت فرأى تحت سجادة الشيخ أربعة دنانير فأخذها فلما أحس بمجيء الشيخ نام فطلب الشيخ الدنانير فلم يجدها فعرف انه أخذها فحركه وقال ويلك أكانت الدنانير بنجا قال لا والله الا جيادا فضحك الشيخ وقال خذها الا جعل الله لك فيها بركة

(حلوا الفكاهة مرّ الجدّ قد مزجت * بشدّة البأس منه رقة الغزل)

(اللغة) الحلو نقيض المر يقال حلا يحلو حلاوة واحلولى افعوعل وقد عداه حميد بن ثور في قوله

فلما أتى عامان بعد انفصاله * عن الضرع واحلولى دمانا يرودها

ولم يجئ افعوعل متعديا الا هذا وحرف آخر وهو اعروريت الفرس والطعوم تسعة وهي الحلو والمر والحامض والمز والمالح والحريف والعفص والدسم والتفه لان الجسم اما ان يكون كثيفا أو لطيفا أو معتدلا والفاعل فيه اما الحرارة أو البرودة أو الاعتدال بينهما فيعمل الحار في الكثيف مرارة وفي اللطيف حرافة وفي المعتدل ملوحة وتعمل البرودة في الكثيف عفوصة وفي اللطيف حموضة وفي المعتدل قبضا ويعمل الاعتدال في الكثيف حلاوة وفي اللطيف دسومة وفي المعتدل تفاهة وقد يجتمع طعمان كالمرارة والقبض في الحضض ويسمى البشاعة والمرارة والملوحة في السبخة ويسمى الزعوقة وبعضهم زعم ان أصول الطعوم أربعة الحلاوة والمرارة والحموضة والملوحة وما عداها مركب منها أنشدني لنفسه المولى صفي الدين أبو المحاسن عبد العزيز بن سرايا الحلي اجازة

يا قابض المال الذي لم يزل * طرفي الى ...... طمع

ومن اذا جرّ حتى لحظه * غدا بالحظ خدّه يجرح
تالله لا أنفك مستهزأ * فيك باشعاري ولا أبرح
يعذب لى الاحماض فى قابض * حلو اذا ما مرّ يستملح

وما أرشق قول البدر يوسف بن لؤلؤ الذهبي أنشدنيه الحاج لاجين الذهبي قال أنشدنى البدر يوسف لنفسه

يا عاذلى فى هواه * اذا بدا كيف أسلو
يمرّ بى كل وقت * وكلما مرّ يحلو

(فائدة) قولهم فلان يحب الحموضة معناه انه يأتى الدبر لان الاحماض فى اللغة الانتقال من شئ الى شئ لان الابل اذا ملت الخلة اشتهت الحمض فتحوّل اليه وفى حديث الزهرى الاذن مجاجة وللنفس حمضة أى شهوة للانتقال فكأن اللائط انتقل من الامر الطبيعي المعتاد الى غيره الفكاهة بالضم المزاح وبالفتح مصدر فكه فهو فكه فكاهة اذا كان طيب النفس مزاحا الجد نقيض الهزل وهو الاجتهاد فى الامور تقول جدّ فى الامر يجدّ بالكسر والضم وأجد فى الامر مثله قال الاصمعى ان فلانا لجاد مجد باللغتين المزج الخلط يقال مزجت الشراب اذا خلطته بغيره ورسم المزاج عند الحكماء بأنه حصول كيفية متشابهة عن تفاعل كيفيات متضادة موجودة فى عناصر متصغرة الاجزاء متلاقية بأكثرها اذا وقف فعلها عند حد وقيل عليه ان هذا التفاعل ان كان فى آن واحد كيف يمكن ان يكون الكاسر مكسورا وان كان على التعاقب كيف يصير المنكسر كاسرا بعد انكساره ولا بدّ من انكسار سورة كل واحد منهما لتحصل الكيفية المتشابهة متوسطة بينهما والجواب ان الحكماء بينوا أن الجسم مركب من جزئين قابل ومقبول ويسمى القابل منهما الهيولى والمادّة ويسمى المقبول الصورة فالفاعل فى حال المزاج انما هو الصورة بواسطة الكيفيات والمنفعل انما هو المادة فيكون التفاعل فى آن واحد ويقع انكسار السورات ولا يلزم كون الفاعل منفعلا وتقريب ذلك ان النار تفعل بواسطة كيفيتها التى هى الحرارة فى مادّة الماء والماء

يفعل بواسطة كيفيته التى هى البرودة فى مادة النار (رجح) الشدة ضد اللين البأس الشجاعة الرقة ضدا لغلظ الغزل مغازلة النساء وهى محادثتهن ومراودتهن وتغزل اذا تكلف الغزل وزعم بعض الأدباء ان الغزل فى الذكور والتشبيب فى الاناث (الاعراب) حلو صفة لذى فى البيت الذى تقدم (الفكاهة) مجرور بالاضافة والاضافة تنقسم الى قسمين معنوية ولفظية فالمعنوية هى التى لا ينوى بها الانفصال وتحدث بين المضاف والمضاف اليه تعلقا لم يكن قبلها وتفيد الاول تعريفا كغلام زيد وتخصيصا كغلام رجل واللفظية هى التى فى تقدير الانفصال ويكون بين المضاف والمضاف اليه تعلق من غير جهة الاضافة ولا تفيد تخصيصا ولا تعريفا ولكن فائدتها التخفيف والذى عمل فى الثانى الجر تقدير حرف الجر وهو اما من التى لبيان الجنس مثل خاتم فضة واما اللام التى للملك أو الاختصاص بطريق الحقيقة أو المجاز فان كان المضاف بعض ما أضيف اليه وصالحا لحمله عليه كما فى خاتم فضة وثوب خز وباب ساج وخمسة دراهم فالاضافة بمعنى من وان لم يكن كذلك كما فى غلام زيد ولجام فرس وبعض القوم ورأس الشاة فالاضافة بمعنى اللام ومن النحاة من ذهب الى انها تكون بمعنى فى كقوله تعالى للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر وقوله تعالى ياصاحبى السجن وقوله تعالى بل مكر الليل والنهار وهذا اختيار الشيخ جمال الدين محمد بن مالك قال ولده بدر الدين فى شرح الخلاصة يعنى أن الاضافة على ثلاثة أنواع والضابط فيها ان تعين تقديرها بمن لكون المضاف اليه اسما للجنس الذى منه المضاف فهى بمعنى من أو تقديرها بفى لكون المضاف اليه ظرفا وقع فيه المضاف فهى بمعنى فى وان لم يتعين تقديرها بهما فهى بمعنى اللام ثم قال بدر الدين والذى عليه سيبويه وأكثر المحققين ان الاضافة لا تعدو أن تكون بمعنى اللام أو بمعنى من وموهم الاضافة بمعنى فى محمول على انها فيه بمعنى اللام على المجاز ثم أخذ يستدل على ذلك بأمور فيها طول اضربت عن اثباتها خوف الاطالة وعلى ذكر الاضافة أنشدنى من لفظه لنفسه المولى

جمال الدين محمد ابن نباتة بدمشق سنة تسع وعشرين وسبعمائة

يا ملكا مجبر قصاده * جبراله الله مكاف عليه
شكرا لهذا الجود من نعمة * يبسط ضيف الباب فيما يديه
اذا أتته وهو فى صحبة * صار مضافا ومضافا اليه

وقال ابن سناء الملك

تجئ الملوك لأبوابه * فيغمرهم جوده الشامل
ويخفضهم انه كالمضاف * ويرفعه انه الفاعل

وظارف الشهاب محاسن الشواء فى قوله

وكنا خمس عشرة فى التئام * على رغم الحسود بغير آفه
فقد أصبحت تنوينا وأضحى * حبيبى لاتفارقه الاضافه

قلت ويعجبنى قول ابن هانئ الاندلسى من أبيات

علمته باب المضاف تفاؤلا * ورقيبه يغريه بالتنوين

(رجع) الاضافة فى الفكاهة اضافة لفظية وليست بمعنى من لان من شرط ذلك أن يحسن وصف الاول بالثانى لكونه بعضا له ولا بمعنى اللام التى للملك لا بطريق الحقيقة ولا المجاز الا بتكلف أعنى تقدير اللام ويحسن أن تكون بمعنى فى ويكون التقدير حلو فى الفكاهة (مر الجد) صفة أخرى والجد مضاف اليه والكلام فيه كالكلام فيما تقدم ولك فى هذه الصفات التى تعددت كلها الرفع على أنها خبر مبتدأ محذوف تقديره هو حلو الفكاهة والنصب على أن العامل أعنى مضمرا والجر على الصفة لذى وهو أقواها وقد قرئ الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك برفعها ونصبها وجرها لان الصفات اذا تعددت جاز فيها ذلك وعليه اعرب قوله تعالى والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة وقول الخرنق

لا يبعدن قومى الذين هم * سم العداة وآفة الجزر
النازلين بكل معترك * والطيبون معاقد الأزر

فمن قوله معتقل فى البيت الاول الى قوله فى الثانى مر الجد يجوز فى الجميع

الاعرابات الثلاثة الاقوله وكل فانه معطوف على هياب وهو مجرور فلا يجوز فيه الا الجر (فارق بين الصفة والوصف) قالوا الوصف ما يجوز زواله كحمرة الخجل وصفرة الوجل والصفة ما لا تتغير كالطول والقصر والسواد للزنجي والبياض للصقلي (قد مزجت) قد حرف يصحب الافعال ويقرب الماضي من الحال وهي هنا لتحقيق الفعل وسيأتي الكلام عليها في قوله نؤم ناشئة بالجزع قد سقيت مزجت فعل مغير لما لم يسم فاعله والتاء علامة تأنيث الفاعل (بشدة البأس) الباء حرف جر وشدة مجرور بالباء والبأس مضاف اليه والاضافة هنا بمعنى اللام (منه) جار ومجرور (رقة) مرفوع على أنه مفعول ما لم يسم فاعله لمزجت وقد تقدم الكلام على مفعول ما لم يسم فاعله في قوله ناعن الاهل البيت (الغزل) مضاف اليه والاضافة بمعنى اللام وفيه تقديم وتأخير تقديره قد مزجت رقة الغزل فيه بشدة البأس والجملة كلها في موضع الجر على أنها صفة لذي والتقدير ممزوجة فيه رقة الغزل (المعنى) انه صاحب حلو المزاح طيب الاخلاق كريم الجد وهذه صفة مدح لان الشدة في الاجتهاد محمودة فهو قد مزجت فيه الحلاوة من رقة الغزل بالمرارة من شدة البأس وما أحق هذا الصاحب بقول القائل

وكالسيف أن لاينته لان متنه * وحداه ان خاشنته خشنان

وقد كان صلى الله عليه وسلم يباسط أصحابه وجلساءه ويمزح ويلين جانبه لمن حضره ويؤنسه فاذا كانت الحرب واشتد الجد وحمي الوطيس وخارت القوى وزهلت الابطال تقدم أصحابه والتقى بنفسه صلى الله عليه وسلم ومن خصائصه انه كان صلى الله عليه وسلم اذا جرد سيفا لا يغمده حتى ينال به من عدوه ومنها تحريم الهزيمة عليه من العدو في الحرب ولا شك في لطفه ورأفته ورقة قلبه وحنوه على قومه وهم به كافرون يؤذونه ويكذبونه ويصدون عنه ويحاربونه وهو يعلم عليهم ويشق عليه عنادهم قال الله تعالى عزيز عليه ما عنتم وقال صلى الله عليه وسلم يوم كسر سنه اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون حتى وصفه الله تعالى في كتابه فقال وانك لعلى خلق عظيم ثناء على

صفاته الحميدة وخلاله الجميلة وكان أشد حياء من العذراء فى خدرها ولاشك فى انه كان صلى الله عليه وسلم من النجدة والشدة والبأس والاقدام ولقاء العدو فى الغاية التى تكبو دونها سوابق الابطال وتتبرقع الفرسان بغبارها فانه كان فى حروب الكفار أقرب الناس الى العدو قال على بن أبى طالب رضى الله عنه لقد رأيتنى يوم بدر ونحن نلوذ بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا الى العدو وأبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد ترقوة أبى بن خلف من فرجة من سابغة الدرع والبيضة وهو يقول أين محمد لانجوت ان نجا فطعنه صلى الله عليه وسلم بحربته فوقع أبى عن فرسه ولم يخرج من طعنته دم قال سعيد بن المسيب فكسر ضلعا من أضلاعه فمات منها ومع هذا فقد مزح صلى الله عليه وسلم ولم يقل الاحقا قرأت على الامام الحافظ شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى سيرة النبى صلى الله عليه وسلم التى أودعها تاريخه ومنها قال زيد بن أبى أوفى عن ابن لهيعة عن عمارة بن غزية عن عبد الله بن أبى طلحة عن أنس قال كان النبى صلى الله عليه وسلم من أفكه الناس تفرد به ابن لهيعة وضعفه معروف وجاء من طريق آخر لابن لهيعة كان النبى صلى الله عليه وسلم من أفكه الناس مع صبى انتهى وجاءته امرأة فقالت يارسول الله احملنى على جمل قال أحملك على ولد الناقة قالت لا يطيقنى قال الناس وهل الجمل الا ولد الناقة وجاءته امرأة فقالت يارسول الله ان زوجى مريض وهو يدعوك فقال لعل زوجك الذى فى عينيه بياض فرجعت وفتحت عين زوجها فقال مالك فقالت أخبرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن فى عينيك بياضا فقال وهل أحد الا وفى عينيه بياض وقالت أخرى يارسول الله ادع الله أن يدخلنى الجنة قال ياأم فلان ان الجنة لايدخلها عجوز فولت المرأة وهى تبكى فقال عليه السلام أخبروها انها لاتدخل وهى عجوز ان الله تعالى يقول انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا وبالجملة فصفاته وشمائله وما انطوى عليه أجل من أن يحيط بها وصف وأشرف من ان ينضم جواهرها نظم أو رصف فلو

الترقوة مقدم الحلق فى أعلا الصدر حيثما يترقى فيه النفس اه

جرى القلم الى أن يحفى وصر لسانه الى أن يحفت ويخفى ماجنى زهرا أنبتته حدائق تلك الحقائق ولا التقط درا املاه حقائب هاتيك الخلائق ولا اجتلى من ذلك الافق الذى كله شموس وأقمار غير شهبه الخفية ولا نال على ظمائه من ذلك البحر غير بقية وكل موارده عذبة شهية صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم

ان فى الموج للغريق لعذرا * واضحا أن يفوته تعداد

نعم قد دون الناس جملة من شمائله وصفاته ووضعوا كتبا كانها رياض تتارج بنسمات سماته وأودعوها نكايدوردها فى التمام ورصعوها جواهر تروق فى التأليف والانتظام

فى بطن قرطاس رخيص ضمنت * أحشاؤه درر الكلام الغالى

وبوبوا ورتبوا وهذبوا وذهبوا وذكروا ونصوا وخبروا وقصوا وحبروا ودبجوا وحكوا الصحيح وماروجوا

وعاجوا فأثنوا بالذى أنت أهله * ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

فما كتاب القاضى عياض الارياض ولا الشمائل الاخمائل ولا كتاب الدلائل الافوائد جلائل ولا الشهاب الامطفى الالتهاب

أساميا لم تزده معرفة * وانما لذة ذكرناها

ويعجبنى أبيات العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه سمعت الشيخ الامام فتح الدين الحافظ محمد بن سيد الناس اليعمرى فى شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة بالديار المصرية وهو يقرأ علينا من لفظه كتابه الذى وسمه بمنح المدح قال روينا من طريق الطبرانى حدثنا عبدان بن أحمد وأحمد بن عمرو البزار ومحمد بن موسى بن حماد اليزيدى قالوا حدثنا أبو السكن زكريا بن يحيى حدثنى عم أبى زحر بن حصن عن جده حميد بن منهب قال قال خزيمة بن أوس كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عمه العباس يا رسول الله انى أريد ان أمتدحك فقال النبى صلى الله عليه وسلم قل لا يفضض الله فاك فأنشأ يقول

من قبلها طبت في الظلال وفي * مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر * أنت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد * ألجم نسرا وأهله الغرق
تنقل من صالب الى رحم * اذا مضى عالم بدا طبق
حتى احتوى بيتك المهيمن من * خندف علياء تحتها النطق
وأنت لما ولدت اشرقت الأرض وضاءت بنورك الأفق
فنحن في ذلك الضياء وفي النور وسبل الرشاد نخترق

ونقلت من خط القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر وهو من نظمه

يا أحمد المبعوث فينا الذي * بلغك المجد الى منتهاه
كم رمت امداحك لو أن لي * لفظا يوافي ذا المثاني ثناه
اني لا أحصي ثناء على * ذي خلق أثنى عليه الاله

وما أحلى قوله

لقد قال كعب في النبي قصيدة * وقلنا عسى في مدحه نتشارك
فان شملتنا بالجوائز رحمة * كرحمة كعب فهو كعب مبارك

وله في غالب الظن

يقولون لم لا تمتدح سيد الورى * وتطنب في تعظيمه وامتداحه
فقلت لهم جبريل جاء بمدحه * وليس مديحي ريشة في جناحه

قلت جزم الناظم الحاء في تمتدح وهي مرفوعة وهو لحن من توهم أن لم حرف جزم وانما هي لم التي يستفهم بها والقاعدة حينئذ حذف الالف منها وقد جمع الشيخ فتح الدين المشار اليه كتابا في من مدح النبي صلى الله عليه وسلم من الصحابة رضي الله عنهم وسماه منح المدح وله قصائد على حروف المعجم سماها بشرى اللبيب بذكرى الحبيب كلها في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم كتبت منها الجزء الاول وسمعته من مصنفه الى ترجمة ابن الزبعرى والباقي اجازة والثاني كتبته وقرأته غير مرة ولشهاب الدين محمود قصائد طنانة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم كتبتها وقرأتها عليه رغبة في البركة وطلبا للدخول في زمرة

من دون مدحه وكتبه وقرأه صلى الله عليه وسلم (رجع) وممن جمع الشجاعة
على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قال صعصعة بن صوحان وغيره من
شيعته وصحابته كان فينا كاحدنا لين الجانب كثير التواضع سهل القياد وكنا
نهابه مهابة الأسير المربوط للسياف الواقف على رأسه وقال معاوية رضى
الله عنه لقيس بن سعد رحم الله أبا الحسن فلقد كان هشا بشاذا فكاهة فقال
قيس نعم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح ويتبسم الى أصحابه وأراك
تسر فى نفسك وتعيب أبا الحسن بذلك والله لقد كان مع تلك الفكاهة
والطلاقة أهيب من ذى لبدتين قدمسه الطوى وتلك هى هيبة التقوى
ليس كما يهابك طغام الشام ولما عزم عمر بن الخطاب رضى الله عنه على
استخلافه قال له لله أبوك لولا دعابة فيك وشجاعته أشهر من أن تذكر وأغنى
من ان تمدح أو تشكر ولما دعا الامام على معاوية الى البراز قال له عمرو بن
العاص لقد أنصفك فقال له معاوية رضى الله عنه ما غششتنى منذ نصحتنى
الا اليوم أتأمرنى بمبارزة أبى الحسن أراك طمعت فى امارة الشام بعدى
(عاد القول) الى معنى بيت الطغرائى هذه الصفات التى ذكرها قلما تجتمع
فى انسان الا من اختصه الله بهذه الموهبة لانها مع تضادها محمودة ولا يتفق
ذلك الا من اعتدال المزاج وقد اختلف الحكماء فى وجوده وعدمه قال الامام
فخر الدين فى الطب الكبير الذى ذكره الشيخ فى الشفاء يعنى الرئيس
ابن سينا وساق كلاما يدل على ان المركب المعتدل قد يكون موجودا الا انه
لا يستمر ولا يدوم ثم قال بعد كلام طويل وأما المعتدل الذى امتزج من
العناصر على أكمل أحواله فقد قالوا لما كان الاعتدال الحقيقى ممتنعا
وجب ان يكون كلما كان أقرب اليه أولى باسم الاعتدال اه قال
الشيخ الامام العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن ساعد
الانصارى احتجوا على تعذر وجود المعتدل بامتناع مكان يستحقه لان مكان
الجسم المركب هو مكان ما يغلب عليه من البسائط وهذا بسائطه
متعادلة فيجب ان لا يستحق مكانا فيمتنع وجوده وأقول فى هذه الحجة

نظر وذلك ان عندنا بالمعتدل ما تكافأت فيه الكيفيات فهذا لا يجب ان
لا تتكافأ فيه الكميات لان الجزء اليسير من النار يقاوم بحرارته
كثيرا من جوهرى الماء والارض فعلى هذا يجوز وجود المعتدل باعتبار
الكيفيات دون الكميات و يكون مكانه الذى يستحقه هو مكان ما غلب
عليه من العناصر بكميته لا بكيفيته لان الاعتبار فى المزاج انما هو بالكيف
فقط والاعتبار فى الجزء انما هو بالكم والثقل والخفة فالحجة المذكورة
غير موجهة والمزاج لا يخلو اما ان تتكافأ فيه الكيفيات الاربع الاول وهى
الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة أولا فان كان الاول فهو المعتدل وان
كان الثانى فلا يخلو اما ان تغلب فيه كيفية واحدة أولا والاول هو الذى
خروجه فى كيفية بسيطة واقسامه أربعة بعدد الكيفيات الاربع وهى
الحار والبارد والرطب واليابس والثانى هو الذى خروجه فى أكثر من
كيفية واحدة فلا تجتمع فيه كيفيتان متضادتان غالبتان فبقى ان
يكون احدى الفاعلتين أعنى الحرارة والبرودة مع احدى الانفعالتين أعنى
الرطوبة واليبوسة فأقسامه أربعة الحار الرطب والحار اليابس والبارد
الرطب والبارد اليابس فجملة أنواع المزاج تسعة واحد منها معتدل وثمانية
خارجة عن الاعتدال انتهى وقول الطغرائى رحمه الله تعالى يشبه قول أبى
تمام الطائى وهو

الجد شيمته وفيه فكاهة * سمح ولا جد لمن لم يلعب
شرس ويتبع ذاك لين خليقة * لا خير فى الصهباء مالم تقطب

ما أحسن قوله لا خير فى الصهباء مالم تقطب لان الخمرة اذا كانت صرفا كانت
حادة لا يمكن استعمالها فاذا مزجت بالماء وهو طبع بارد تولد عنهما كيفية
أخرى تقارب الاعتدال فأمكن استعمالها وقول أبى تمام أيضا

لا طائش تهفو خلائقه ولا * خشن الوقار كأنه فى محفل
فكه يجد الجد أحيانا وقد * ينضى ويهزل عيش من لم يهزل

وقول أبى الحسين الجزار

أنت الكريم وجل من قد أنبأت * عمن مضى في كتبها الأخبار
خلق كلين المسارق لشارب * ظلام وعزم في التبوقد نار
وقول القائل
ملك تقر المشركون ببأسه * فتقر بالاقرار عن الدين
فعلى العداة بغلظة وتجهم * وعلى العفاة برقة وبلين
وقول ابن أبي العرب المغربي
من كل مشتمل بمنصل عزمه * ذي همة تطأ السماك همام
نشوان من خمر الكرى صاحي الندا * ريان من ماء المحامد ظامي
وأنشدني من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة
ملك يقاس بجاريه بسودده * اذا يقايس عير الدار بالفرس
مظفر المجد مشاء على جدد * من حمله اللدن أو من حربه الشرس
ومن أحسن ما حضرني في صاحب جمع الاخلاق التي يعز وجودها في شخص واحد قول القائل
تلطفت الايام حتى تفضلت * على بندمان كريم الخلائق
له سمت عدل واستكانة عاشق * وهمة جبار ولطف الزنادق
وما أحسن قول أبي الفتح البستي في عبد الملك الثعالبي صاحب اليتيمة وغيرها
أخ لي ذكي النفس والاصل والفرع * يحل محل العين مني والسمع
تمسكت منه اذ بلوت اخاءه * على حالتي وضع الذوائب والرفع
بأوعظ من عقل وآنس من هوى * وأوفق من طبع وأنفع من شرع
ذكرت بتنسيق الصفات هنا ما أنشدنيه من لفظه لنفسه القاضي جمال الدين عبد القاهر التبريزي الحاكم بصفد سنة أربع وعشرين وسبعمائة يصف الشبابة وهو مليح
وناطقة بأفواه ثمان * تميل بعقل ذي اللب العفيف
لكل فم لسان مستعار * يخالف بين تقطيع الحروف

تخاطبنا بلفظ لا يعيه * سوى من كان ذا طبع لطيف
نصيحة عاشق ونديم راع * وهزة موكب ومدام صوفى

وقد أحسن أبو بكر الخوارزمى حيث قال فى الحمرة

وصفراء كالدينار بنت ثلاثة * شمال وأنهار ودهر محرم
مسرة محزون وعذر معربد * وكنز مجوسى وفتنة مسلم
ممات لأحياء حياة لميت * وعدم لمن أثرى وثراء المعدم

وما أحسن قول شهاب الدين العزازى ملغزا فى الشبابة

وما صفراء شاحبة ولكن * يزينها النضارة والشباب
مكتبة وليس لها بنان * منقبة وليس لها نقاب
تصيح اهلا اذا قبلت فاها * أحاديثا تلذ وتستطاب
ويحلو المدح والتشبيب فيها * وما هى لا سعاد ولا الرباب

قوله تصيح عداه الى أحاديث وهو غير جائز الا على تأويل حمله على المعنى أى تسمع وهو ضعيف وأما التشبيب فهو مأخوذ من قول سيف الدين بن المشد

يا مطربا أغنى النديم غناؤه * عن طيب مشموم وعن مشروب
شبب اذا غنيتنى بحديثهم * ان الغناء يطيب بالتشبيب

وأخذه القاضى محيى الدين بن عبد الله الظاهر فنقله وقصره على الحسن وعقله فقال

كتبت لكم من أعين القصب التى * جرى فى نواحيها بذكركم طرب
فان أطرب التشبيب فيها بذكركم * فكم أطرب التشبيب من أعين القصب

وأنشدنى الشيخ الأديب الكاتب شهاب الدين أبو الثناء محمود قال أنشدنى من لفظه لنفسه القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر

وناطقة بالنفخ من روح ربها * تعبر عما عندنا وتترجم
سكتنا وقالت للقلوب فأسمعت * فيحسن سكوت والهوى يتكلم

وقال محيى الدين بن قرناص فى مليح مشبب

مشبب بجفاء راح يقتلنا * فان تداركنا بالنفخ أحيانا

هويت تشبيه من قبل رؤيته * والاذن تعشق قبل العين أحيانا

وله فيه أيضا

علقته مشببا مهفهفا * أخضع في حبي له فيشمخ

لاغروان تشب من تشبيده * نار الهوى أما تراه ينفخ

وأنشد يوما بحضرة شرف الدين الحلاوى لغزوهو

وناطقة خرساء بادشحوبها * تكنفها عشر وعنهن تخبر

يلذ الى الاسماع رجع حديثها * اذا سد منها منخر جاش منخر

فأجاب في الحال

نهاني النهى والشيب عن وصل مثلها * وكم مثلها فارقتها وهى تصفر

ما أحلى هذا الجواب وأبدعه حيث أجاب التضمين بتضمين مثله حل به معناه ونقله الى الشبابة وكلاهما من أبيات الحماسة لتأبط شرا ومثله قول زين الدين بن عبد الله

وناحلة صفراء تنطق عن هوى * فتعرب عما في الضمير وتخبر

براها الهوى والوجد حتى أعادها * أنابيب في أجوافها الريح تصفر

وقول مجير الدين محمد بن تميم

قيان ملاهيها يلذ سماعها * ومطربنا منهن عود ومزهر

وأكثر ما ينشي لنا السكر بينها * أنابيب في أجوافها الريح تصفر

وقوله أيضا

ولما حضرنا للسماع وضربنا الـ * ـملاهى وكل بالجوى يترنم

أصخنا الى تشبيبهم وغنائهم * فنحن سكوت والهوى يتكلم

وأنشدني القاضي شهاب الدين أبو الثناء محمود لشمس الدين عبد الوهاب

منقبة مهما خلت مع محبها * يزودها لثما ويتظرها شزرا

وتصحيفها في كف من شئت فاتقل * اذا شئت في اليمنى وان شئت في اليسرى

يعني أن الشبابة بالشين المعجمة تصحيفها سبابة بالمهملة وقال سيف الدين على بن قزل المشد

ومطرب قد رأينا فى أنامله * يراعة لسرور النفس أهلها
كأنما عاشق وافت حبيبته * فضمها بيديه ثم قبلها

وقال أيضا

وعارية من كل عيب حبيبة * الى كل قلب ظل بالبين مجروحا
لها جسد ميت يعيش بنفخة * اذا دخلته الريح صارت به روحا
تعيد الذى يلقى عليها بلذة * تزيد فؤاد الصب وجدا وتبريحا
وتنطق بالسحر الحلال عن الهوى * وتوحى الى الاسماع أطيب ما يوحى

(قلت) غالب ماسقته من المقاطيع مأخوذ من قول سيف الدين بن قزل المشد حسبما تراه ذكرت هنا قول السراج الحمار يهجو زامرا ة سوداء

ولرب زامرة تهيج بزمرها * ريح البطون فليتها لم تزمر
شبهت أغلها على ضرباتها * وقبيح مبسمها الشنيع الأبخر
بخنافس قصدت كنيفا واغتدت * تسعى اليه على خيار الشنبر

شبه ثلاثة بثلاثة فابدع وان كان قد لمحه من قول الاول يهجو زامرا أسود

كأنها فى حالة العيان * خنافس دبت على ثعبان

وعلى قول السراج الحمار يليق قول القائل ابصر الحامل والمحمول ودار الوكالة خنافس تسعى على خيار الشنبر الى الكنيف وقال آخر يمدح زامرا

وزامر يبعث فى زمره * الى قلوب الناس أفراحا
كأن اسرافيل فى نايه * ينفخ فى الاموات أرواحا

وقلت أنا فى ذمه

يقول فى مجلسنا زامر * لم نلق ما ألقى باصغاء
ماعندكم ميل الى حاضر * قلنا ولاشوق الى ناء

(رجع) وفى بيت الطغرائى من حسن الصناعة ما يشهد لقائله بفوز قدحه فى البلاغة فانه جمع فيه بين ثمانية أشياء الحلاوة والمرارة والفكاهة والمزج والقسوة والرقة والبأس والغزل وهى ثمانية لم تجتمع لغيره بهذا الانسجام والعذوبة وأرباب البديع يسمون هذا النوع المقابلة واستشهدو

عليه بقوله تعالى فأما من أعطى واتقى وصدّق بالحسنى الآيتين ففى كل آية ما يقابل الاخرى هكذا قرره الجميع وأقول انه فات فيه ذلك فان لفظة فسنيسره تكررت فى الآيتين ولم يختلف معناها ففاتت المقابلة ويحتمل أن يكون فسنيسره فى معنى فسنعسره لانه اذا تيسر تعسيره كان معسرا لكن ذلك غير صريح ومن أحسن ما استشهدوا به فى هذا النوع من الشعر قول أبى الطيب

أزورهم وسواد الليل يشفع لى * وأنثنى وبياض الصبح يغرى بى

قالوا قابل فيه خمسة بخمسة كنت عند الشيخ الامام الاديب الكاتب القاضى شهاب الدين أبى الثناء محمود أقرأ عليه كتابه حسن التوسل فجاء هذا البيت فى اثناء القراءة فى مكانه وعنده جماعة من الطلبة وغيرهم فقال عدوا هذه الخمسة التى ذكرها أرباب البديع فكلهم قالوا أزورهم يقابل انثنى وسواد يقابل بياض والليل يقابل الصبح ويشفع يقابل يغرى ووقفوا فقال هذه أربعة لاربعة وبقى القسم الخامس فلم يتنبهوا له فقلت لفظة لى تقابل لفظة بى لان الشفاعة له تقابل الاغراء به كأنه قال ذلك لى وهذا على قال الشاعر

فيوم علينا ويوم لنا * ويوم نساء ويوم نسر

ألا تراه قابل ما عليهم بما لهم لما فى ذلك من الاساءة والسرور فعجب ذلك وقد أخذ بعضهم قول أبى الطيب أخذا مليحا فقال وقد أجاد

أقلى النهار اذا أضاء صباحه * وأظل انتظر الظلام الدامسا

فالصبح يشمت بى فيقبل ضاحكا * والليل يرثى لى فيدبر عابسا

وفيه مقابلة خمسة بخمسة حكى لى الشيخ الامام الحافظ فتح الدين محمد بن سيد الناس اليعمرى قال كان شيخنا الامام العلامة تقى الدين بن دقيق العيد يقول قل لعلماء المعانى والبيان والبديع أتحسنون ان تقولوا مثل أزورهم البيت فاذا قالوا لا قل لهم فأى فائدة فيما تصنعونه اهـ يريد بهذا أن العلم غير العمل والمباشرة دون الوصف والطعن فى الحجب غير الطعن فى الميدان وحكى ان بعض الوعاظ كان على منبره يتكلم فى المحبة

وأمور العشق وأحواله ومدّ أطناب الاطناب فى ذلك فقام اليه بعض الجماعة وقال

بعيشك هل ضممت اليك ليلى * قبيل الصبح أو قبلت فاها
وهل زفت اليك فروع ليلى * زفيف الاقحوانة فى نداها

فقال الواعظ لا والله فقال له فاقصر ماشئت وما أحسن قول عبد الله بن سباط الكاتب القيروانى

قال الخلىّ الهوى محال * فقلت لو ذقته عرفته
فقال هل غير شغل قلب * ان أنت لم ترضه صرفته
وهل سوى زفرة ودمع * ان لم تردجريه كففته
فقلت من بعد كل وصف * لم تعرف الحب اذ وصفته

وقال علماء الادب ان معنى بيت أبى الطيب مسروق من قول ابن المعتز

لا تلق الا بليل من تواصله * فالشمس نمامة والليل قواد

ولبعضهم فى المقابلة

عذيرى من الايام مدّت صروفها * الى وجه من أهوى يد النسخ والمحو
وأبدت بوجهى طالعات أرى بها * سهام أبى يحيى يسددها نحوى
فذاك سواد الخد ينهى عن الهوى * وهذا بياض الوخط يأمر بالصحو

أبو يحيى كناية عن الموت وفى المقابلة من هذه الابيات نظر وأحسن من هذا المعنى وأرشق قول الارجانى

شبت أنا والتحى حبيبى * حتى برغمى سلوت عنه
وابيض ذاك السواد منى * واسودّ ذاك البياض منه

ومن المقابلة قول أبى تمام الطائى

يا أمة كان قبح الجور يسخطها * دهرا فاصبح حسن العدل يرضيها

حكى الشيخ العلامة غرس الدين أبو بكر الاربلى صاحب كتاب الالغية فى الالغاز المخفية ان الصاحب شرف الدين مستوفى أربل أنشده لغيره

على رأس عبد تاج عز يزينه * وفى رجل حر قيد ذل يشينه

فقال فرس الدين المذكور بديهيا

تسر لثيما مكرمات تعزه * وتبكى كريما حادثات تهينه

قلت هذا أحسن فى البديهة ولكنه ناقص عن الاول من وجهين الاول ان الاول قابل ستة بستة لاشك فيها وهو قابل أربعة باربعة الثانى ان المقابلة فى قوله تحتاج الى تأويل لان المسرور يقابله الحزين فكان ينبغى ان يقول وتحزن لكن لما كان الغالب ان البكاء انما يكون من الحزن أطلق البكاء هنا على الحزن ولان المكرمات لاتقابل الحادثات الابتأويل ان المكرمات تكون فى الخير والحادثات تكون فى الشر وأكثر ماعد الناس فى المقابلة بيت أبى الطيب لانه قابل فيه بين خمسة وهذا قابل فيه بين ستة كماتراه فهذا أبلغ مايمكن ان يتعلم فى هذا المعنى والله أعلم وما أحلى قول القاضى الفاضل والقدوم على كريم ترتجى مبرته خير من المقام مع لئيم تخشى معرته وقال شرف الدين الحلاوى

وبدت نظائر ثغره فى قرطه * فتشابها متخالفين فاشكلا

فرأيت تحت البدر سالفة الطلا * ورأيت فوق الدر مسكرة الطلا

قلت لو اتفق له ان يقول سلافة الطلا لكان أحسن ولكن هذا من الجناس المعنوى لانه أراد ذلك فلم يساعده الوزن فعدل الى مايرادف ذلك المعنى وهذا النوع استدركه المتأخرون وهو عندى باطل لان هذا الباب اذا فتحناه كان غالب الشعر جناسا معنويا وقد أشبعت القول على هذا فى مكانه من كتابى المسمى جنان الجناس ولم تتفق المقابلة فى قول الحلاوى صريحة الافى قوله تحت وفوق وأما البدر والدر فبتأويل بعيد أى ان ذلك فى فى كبد السماء والدر أصله من قعر البحر وأما سالفة الطلا ومسكرة الطلا فليس من التقابل فى شئ وأى تقابل بين سالفة الغزال والخمرة حكى السراج الوراق قال خرجنا الى الدير وصحبتنا جمال الدين أبو الحسين الجزار ومعنا غلام مليح زامر فلما اجتمعنا فى مشرف الدير حضر عندنا صبى راهب مليح فشرب معنا وأطمعتنا أنفسنا فيه فأنكر الرهبان عليه وأخذوه منا وهرب الزامر

وقلت

فقلت　في نفثـا لم يقـع الطائر
فقـال أبو الحسين الجزار　لا راهب الدير ولا الزامر
فقلت　فالقلب في اثرهما هـائم
فقـال أبو الحسين　والعقل من أجلهما حائر
فقلت　فسعـدنا ليس له أول
فقـال ابو الحسين　ونحسنا ليس له آخر

ويعجبني قول القـائل

الشعر خطة خسف　*　لكل طالب عرف

وقول الآخر

للشيخ عيبـة عيب　*　وللفتى ظرف ظارف

ذكرت هنا واقعة عبد الجليل بن وهبون المرسي مع خاله وان لم تكن من باب المقـابلة قيـل انه كان دون الحلم وهو الى جانب خاله وقد صنع له عريش فانكسرت دعائمها ثم رفعت على أخشاب الجوز فانكسرت فقال له خاله أجز

مال عليها العريش فانكسرت　فقال　كانها من سلافة سكرت
لم ترعيني ولا وعـــــت أذني　سلافـة أسكرت وما عصرت

وكتاب بدائع البـدائه لابن ظافر والدلائل عليـه له في هـذا البـاب كتاب حسن يدل تأليفه على سعة باع مصنفه في الاطلاع ومن المقابلة قول القائل في مأبون

يأتي الى الاحرار يجلس فوقهم　*　وينام من تحت العبيد ويرقى

ذكرت هنـا قول الآخر

لنـا عالم يؤتى فيأتي بجمـة　*　على ذاك من انباء علم وآيات
فقلنا له الاسلام يعلو ولم يكن　*　ليعلى فقال العلم يؤتى ولا يأتي

أنشدني لنفسه اجازة الشيخ الامام شهاب الدين أبو الثناء محمود

(٢) يا راكبا يفري جيوب الفلا　*　على أمون جسرة أو جواد
يسري فتبديه ظهور الربا　*　طورا وتخفيه بطون الوهاد

(٢) قوله يفري أي يقطع وقوله جيوب جمع جيب وهو مدخل الارض وقوله أمون يقال ناقة أمون أي وثيقة الخلق بفتح الخاء وقوله جسرة أي عظيمة اهـ

وهذا أرشق من قول عبد الصمد بن بابك

الوح وأخفى والعيون رواصد * وشمس الضحى تنأى منا الا وتقرب
فيضمرنى جو من الارض غابر * ويطلعنى حقف من الرمل أجدب

قلت كذا نقلته من خط ابن خروف النحوى ولو قال بدل جو وهد لكان أحسن لان الجو لا يقابل الحقف وانما يقابله وهد ولو قال بدل الارض والرمل السهل والحزن كان أبدع فانه لا تضاد بين الارض والرمل فاعرفه وقلت أنا

غنى بشعر سمفا تنى * مشبب الجوقة يدعولى
وقال مامقطوعه داخل * لذاك يستخرج موصولى

أنشدنى لنفسه اجازة المولى صفى الدين عبد العزيز بن سرايا الحلى

جاء وفى قده اعتدال * مهفهف ماله عديل
قد خففت عطفه شمال * وثقلت جفنه شمول
ثم انثنى راقصا بقد * تثنى الى ضوءه العقول
يجول مابيننا بوجه * فيه مياه الحيا تجول
ورنح الرقص منه عطفا * حف به اللطف والذخول
فعطفه داخل خفيف * وردفه خارج ثقيل

وعلى ذكر ثقالة الردف فما أحلى قول شمس الدين محمد بن العفيف التلمسانى وأرشقه

تلاعب الشعر على ردفه * أوقع قلبى فى العريض الطويل
ياردفه جرت على خصره * رفقا به ما أنت الا ثقيل

وأين هذا من قول الآخر

ياخصره كم جفاء * تبدى وأنت نحيل
ياردفه نح عنى * ما أنت الا ثقيل

قلت الاول أحسن وأرشق وأكمل من وجوه الاول ان المعنى كامل فى بيت واحد وهنا فى بيتين الثانى انه أتى بالمثل خاليا من ثقل الاعراب كما هو جار

على ألسنة العوام ولم يأت به ملحونا الثالث ان في قوله نحى عنى مالا يليق بالعشاق من الجفوة لانه يطلب بعد الردف عنه ألا تراهم عابوا على ابن بقى قوله في الابيات القافية

حتى اذا مالت به سنة الكرى * زحزحته شيئا وكان معانقى
أبعدته عن أضلع تشتاقه * كى لا ينام على وساد خافق

وفضلوا عليه قول الحكم بن عيال

ان كان لا بد من رقاد * فأضلعى هاك عن وساد
ونم على خفقها هدوا * كالطفل في نهنه المهاد

وقلت أنا رادا على ابن بقى في وزنه ورويه

أبعدت من زحزحته عن أضلع * ما أنت عند ذوى الغرام بعاشق
هذا يدل الناس منك على الجفا * اذ ليس هذا فعل صب وامق
ان شئت قل أبعدت عنه أضالعى * ليكون فعل المستهام الصادق
أو قل فبات على اضطراب جوانحى * كالطفل مضطجعا بمهد خافق

أنشدنى لنفسه اجازة المولى صفى الدين الحلى

مليح يغار الغصن عند اهتزازه * ويخجل بدر التم عند شروقه
فما فيه معنى ناقص غير خصره * وما فيه شئ بارد غير ريقه

وما أحسن قول شمس الدين محمد بن التلمسانى منقولا من خطه

فكم يتجافى خصره وهو ناحل * وكم يتعالى ثغره وهو بارد
وكم يدعى صونا وهذى جفونه * بفترتها للعاشقين تواعد

قلت هذا هو السحر الحلال الذى يلعب بالعقول ويدع الاعجاب بحسنه يقوم ويقول أنشدنى من لفظه لنفسه بالديار المصرية سنة تسع وعشرين وسبعمائة شرف الدين عيسى الناسخ

شكوت الى ذاك الجمال صبابة * تكلف جفنى انه قط لا يغفو
فلانت لى الاعطاف والخصر رق لى * ولكن تجافى الشعر وانا قل الردف

قلت لا أعرف يغفو اغفاء وغفى يغفى وان كان فهو لغة رديئة غير فصيحة لان

خفا به فقولهم يرد فى كلام فصيح والله أعلم

(طردت سرح الكرى عن ورد مقلته * والليل أغرى سوام النوم بالمقل)

(اللغة) الطرد الابعاد وكذا الطرد بالتحريك يقال طردته فذهب ولا يقال منه انفعل ولا افتعل الا فى لغة رديئة والرجل مطرود وطريد السرح المال السائم تقول سرحت الماشية وأنفشتها وأرحتها وأسمتها وأهملتها وسرحتها سرحا هذه وحدها بلا ألف ومنه قوله تعالى وحين تسرحون وسرحت هى بنفسها سروحا يتعدى ولا يتعدى تقول سرحت بالغداة وراحت بالعشى وسرحت فلانا الى مكان كذا اذا أرسلته الكرى النعاس تقول منه كرى الرجل بالكسر يكرى كرى فهو كرو وامرأة كرية على فعيلة بكسر الراء وفتحها قال الشاعر

لا يستمل ولا يكرى مجالسها * ولا يمل من النجوى مناجيها

وأصبح فلان كريان الغداة أى ناعسا الورد خلاف الصدر وهو فعل القوم الذين يأتون الماء ليردوه المقلة شحمة العين التى تجمع البياض والسواد وتجمع على مقل والحدقة السواد الاعظم والناظر هو السواد الاصغر والانسان يكون فى الناظر لانه كالمرآة اذا استقبلتها رأيت شخصك فيها قال أبو الطيب

جارية طالما خلوت بها * تبصر فى ناظرى محياها

يصف شدة قربها منه والعامة تسمى الانسان النونو وذنابة العين مؤخرها واللحظ طرف العين مما يلى الصدغ والموق طرفها مما يلى الانف والحملاق باطن جفن العين وشفر العين طرف الجفن الذى ينبت عليه الشعر والحجاج العظم المشرف على العين ذكرت بالشفر ما أنشدنيه المولى جمال الدين محمد ابن محمد بن نباتة

يقولون من وطئ النساء خف العمى * فقلت دعوا قصدى فما فيه من شين
اذا كان شفر العين دون محاها * فعندى أن الشفر خير من العين

قلت هذا يشبه قولهم تصدقت ببصرى على ذكرى وقول نور الدين

على الاسعردى

يا سائلى لما رأى حالتى * والطرف منى ليس بالمبصر
لست أحاشيك ولكننى * سمحت بالعينين للأعور

(رجع) الاغراء ضد التحذير السوام والسائمة بمعنى وهو المال الراعى يقال سامت الماشية تسوم سوماً أى رعت فهى سائمة وجمع السائم والسائمة سوائم وأسمتها أنا أخرجتها الى الرعى قال الله تعالى فيه تسيمون النوم معروف وهو ضد اليقظة يقال نام ينام فهو نائم والجمع نيام وجمع نائمة نوم على الاصل ونيم على اللفظ وسيأتى الكلام على تصريف ذلك فى الاعراب (الاعراب طردت) طرد فعل ماض أدغمت الدال فى التاء لقرب المخرج والتاء ضمير الفاعل (سرحى) مفعول به وتقدم الكلام عليه و(الكرى) مجرور بالاضافة ولم يظهر الجر فيه لانه مقصور والاضافة هنا مقدرة باللام التى هى لشبه الملك (عن ورد) عن حرف جر وورد مجرور به وهو فى موضع نصب لانه مفعول ثان لطردت وعن هنا للتجاوز وقد تقدم الكلام على عن وتقسيمها (مقلته) مجرور بالاضافة وهى بمعنى اللام أيضا والهاء فى موضع جر بالاضافة وهى راجعة الى ذى الذى تقدم فى قوله وذى شطاط (والليل) الواو واو الحال وهى التى للابتداء والليل مرفوع على انه مبتدأ (أغرى) فعل ماض سد مسد الخبر للمبتدا والفاعل فيه ضمير مستتر يرجع الى الليل والخبر اذا كان فعلا وجب تأخيره لانه لو تقدم خرج عن باب المبتدا والخبر الى باب الفعل والفاعل ومن المواطن التى يجب فيها تقديم المبتدأ وتأخير الخبر اذا كان المبتدأ يساوى الخبر فى المعرفة والنكرة وليس هناك قرينة تدل على المحكوم عليه ولا المحكوم به كقولك صديقى صديقك وأفضل منى أفضل منك فههنا استويا فى المعرفة والنكرة وليس ثم قرينة توضح المخبر به من المخبر عنه وأحدهما يمتاز عن الآخر بالتقديم لانه محكوم عليه فوجب حفظ المرتبة فقدم المبتدأ فأى الجزئين قدمت كان هو المبتدأ وهذا يطرد فى باب الفاعل والمفعول اذا لم يكن ثم قرينة لا عقلية ولا لفظية مثل ضرب

موسى عيسى فالمقدم هو الفاعل لانه تراعى له المرتبة وتحفظ فى التقديم (مسئلة) قولهم أبو يوسف أبو حنيفة هذا مبتدأ وخبر وقد استويا فى التعريف ومع ذلك فلا تحفظ لهما المرتبة بل هما سواء تأخر أحدهما أو تقدم لان لنا قرينة عقلية تدل على ان أحدهما مخبر عنه والآخر مخبر به اذ الغرض تشبيه أبى يوسف بأبى حنيفة وأبو يوسف محكوم عليه وأبو حنيفة محكوم به عقلا فلا يضر التقديم والتأخير لفظا ومن هذا النوع قول الشاعر

تعيرنا اننا عالة * ونحن صعاليك أنتم ملوكا

هذا البيت سأل على بن زيد الفصيحى أبا القاسم بن على الحريرى عن اعرابه فقال تقديره تعيرنا اننا عالة صعاليك ملوكا أنتم ونحن عالة جمع عائل صعاليك منصوب به وملوكا صفة لهم وأبطل هذا الجواب علم الدين السخاوى وقال الملوك لا تكون صفة للصعاليك وفى تقديره صعاليك ملوكا أنتم ونحن لا معنى له والصواب ان عالة من عالنى الشئ بمعنى أثقلنى أى تعيرنا بأننا عالة ملوكا فى حالة التصعلك فهو منصوب على الحال ونحن أنتم مبتدأ وخبره أى نحن مثلكم ومن المواطن التى يجب فيها تقديم المبتدا اذا كان الخبر محصورا كقولك انما زيد شاعر وما عمرو الا كاتب لمن يتوهم ان زيدا غير شاعر وعمرا غير كاتب فهنا يجب حفظ المرتبة لهما ومنها أن يكون الخبر مسندا الى مبتدا مقرون بلام الابتداء نحو لزيد قائم ومنها ان يكون له صدر الكلام كقولك من أبوك لان الاستفهام له صدر الكلام (سوام النوم) منصوب على انه مفعول به والنوم مضاف اليه والاضافة هنا بمعنى اللام التى هى لشبه الملك (بالمقل) جار ومجرور موضعه النصب متعلق بأغرى والباء هنا للتعدية وقوله والليل أغرى سوام النوم بالمقل فى موضع النصب على الحال كأنه قال طردت الكرى عنه فى حالة اغراء الليل سوام النوم بالمقل (المعنى) منعته النوم بالمحادثة ونحن فى ليل قد أقبل بالنوم على العيون وحببه الى المقل واستعار الطرد للمنع كما استعار للكرى سرحا اذ هو من متعلق السرح ولذلك أكده بالاستعارة الثانية لانه أبدل السرح للنوم بالسوام وهما

من باب واحد وحسن الاستعارة هنا ان السرح السائم اذا ورد الماء كانه يذهب بالشرب واذا سام فى النبات رطاه واذهب ما فيه من العشب وقد يكون فيه زهر يشبه العيون اليقظى فاذا ذهب بالرعى أشبه العين التى زال رونقها وغاب بياضها وسوادها بالنوم وكذلك الماء المورود للسرح يشبه العين اليقظى فاذا ذهب أشبه تغميضها وقد نا كد الطغرائى هذا الرفيق ومنعه نومه فكان كما يقال لا ينام ولا يدع الناس ينامون ولو كفاه شره لسره فان الحلى لا يلزم بحال الشجى والوزير المغربى أنصف دونه اذ قال

لى كلما ابتسم النهار تعلة * بمحدث ماشان قلبى شانه
فاذا الدجى وافى وأقبل جنحه * فهناك يدرى الهم أين مكانه

وهو مأخوذ من قول مجنون بنى عامر

أقضى نهارى بالحديث وبالمنى * ويجمعنى والهم بالليل جامع
نهارى نهار الناس حتى اذا بدا * لى الليل هزتنى اليك المضاجع

ولمح المعنى فيه محمد بن يحيى بن حزم فقال

اذا طلعت شمس على بسلوة * أثار الهوى بين الضلوع غروبها

وقال المجنون أيضا

وشغلت عن فهم الحديث سوى * ما كان منك وحبكم شغلى
وأديم نحو محدثى نظرى * أن قد فهمت وعندكم عقلى

ومن هنا أخذ أمين الدين جوبان قوله دوبيت

لا أسمع الحديث عن غيركم * من لذة فكرى واشتغالى بكم
ألوى نظرى كأننى أفهمه * من قائله وخاطرى عندكم

ولعمرى ان هذه الاستعارات التى فى كلام الطغرائى واقعة موقعها وهى فى غاية الحسن والاستعارة عند أرباب البيان هى ادعاء معنى الحقيقة فى الشئ للمبالغة فى التشبيه مع طرح ذكر المشبه من البين لفظا أو تقديرا ألا ترى انه شبه الليل واثراده النوم على المقل بالراعى الذى يسوق الماشية الى المرعى وشبه منعه النوم صاحبه وشغله عنه بالطرد كالذى يطرد السرح عن ورود

الماء ولاشك ان الاستعارة أبلغ من التشبيه وأوقع فى النفس وانظر الى قوله تعالى واشتعل الرأس شيبا والى مافيه من الطلاوة بخلاف ما اذا قيل وشيب الرأس كالنار يشتعل فهو ادّعى ان حقيقة الاشتعال فى الشيب دون النار ووجه المناسبة التى حسنت هذه الدعوى ان الشيب لما كان بياضا يأخذ فى الشعر الاسود شيئا فشيئا الى ان يقوى ذلك ويشتد حتى يأتى على السواد جميعه فيذهبه حسن ادعاء الحقيقة هنا كما ان النار تأخذ فى الفحم شيئا فشيئا وتدب دبيب الشيب فى الشعر حتى تأتى على الفحم ومن هنا عيب على القائل

والشيب ينهض فى الشباب كأنه * ليل يصيح بجانبيه نهار

فان الصياح هنا لامناسبة له ولا معنى وقيل ان بعضهم لما سمع قول أبى تمام

لا تسقنى ماء الملام فاننى * صب قد استعذبت ماء بكائى

جهز له قدحا وقال له ابعث لى فى هذا قليلا من ماء الملام فقال أبو تمام حتى تبعث لى ريشة من جناح الذل وماظلم من جهز له القدح فانه استعار قبيحا وليست استعارته كاستعارة جناح الذل فى الآية بل الاستعارة فى الآية فى غاية الحسن وما أحلى قول الحسن بن وهب شربت البارحة على وجه الجوزاء فلما انتبه الفجر نمت فما فقت حتى لحقنى قيص الشمس وما أحلى قول البدر الذهبى

ما نظرت مقلتى عجيبا * كاللوز لما بدا نواره
اشتعل الرأس منه شيبا * واخضر من بعد ذا عذاره

سأل رجل عمرو بن قيس عن الحصاة يجدها الرجل فى ثوبه أو فى خفه من حصى المسجد قال ارم بها فقال الرجل زعموا أنها تصيح حتى ترد الى المسجد فقال دعها تصيح حتى ينشق حلقها فقال الرجل سبحان الله أولها حلق قال فمن أين تصيح ومثل هذا ما حكاه أشعب الطماع قال جاءت لى جارية بدينار فقالت أودعه لى عندك فقلت ضعيه تحت المصلى فلما راحت وضعت الى جنبه درهما فلما كان بعد جمعة جاءت تطالبه وقالت أين الدينار قلت خذيه لكن ادرى لعله لدن كان ولد شيئا خذيه نظرت اليه فقال نعم هذا

درهم فقالت مادام هو تحت المصلى فهو يلد لك كل جمعة درهما فأخذت الدرهم وتركت الدينار وانصرفت وحضرت بعد جمعة وطلبت الدينار فلم تجده فسألت عنه فقلت لها مات في النفاس فقالت ويلي كيف يموت فقلت يا نظراء كيف تصدقين بولادته ولا تصدقين بموته في النفاس وما أحسن قول ابن خفاجة الاندلسي

وقد جال من جون الغمامة أدهم * له البرق سوط والشمال عنان
وضمخ درع الشمس نحر حديقة * عليه من الطل السقيط جمان
ونمت بأسرار الرياض خميلة * لها النور ثغر والنسيم لسان

وقوله من أبيات

في خصر غوز بالأزاهر موشح * أو رأس طود بالغمام معمم
أو نحر نهر بالحباب مقلد * أو وجه خرق بالضريب ملثم

وقول محي الدين بن قرناص

قد أتينا الرياض حين تجلت * وتحلت من الندى بجمان
ورأينا خواتم الزهر لما * سقطت من أنامل الأغصان

ذكرت بعمامة الغمامة هنا قول القاضي الفاضل ووصلنا حصن كوكب وهو نجم في سحاب وعقاب في عقاب وهامة لها الغمامة عمامة وأنملة اذا خضبها الاصيل كان الهلال لها قلامة قلت ما أحسن هذا التخيل وألطف هذه الاستعارات وقد عاب ضياء الدين بن الاثير هذا الفصل في المثل السائر وأجبت عنه في كتابي المسمى بنصرة الثائر على المثل السائر ويعجبني قول ابن خفاجة

الا رب يوم حثت الكاس خطوه * فطار وأيام السرور قصار
عثرت بذيل السكر فيه عشية * وللريح في موج الخليج غبار
وقد فضض النوار كل رباوة * وسال عليها للاصيل نضار

قلت كل هذه الالفاظ في الابيات فصيحة الا قوله رباوة فانه غير مستعمل لان في ربوة أربع لغات تثليث الراء بالضم والفتح والكسر والضم أفصحها واللغة الرابعة رباوة ولكنها غير مستعملة الا فيما قل ولغة القرآن أفصح ولو قال

وقد فضضت جيد الروابي أزاهر * يسيل عليها للأصيل نضار
لكان أعذب موقعا في السمع من ذلك وقول أبي نصر عبد العزيز بن نباتة
السعدي

خرقنا بأطراف القنا الظهورهم * عيونا لها وقع السيوف حواجب
لقوا نبلنا مرد العوارض وانثنوا * لأوجههم منها لحى وشوارب

وقول الشريف أبي الحسن علي العقيلي من أبيات

وفرق تيجان نواره * فلم يدن من غصن مفرقا

وقوله أيضا

اذا أبدى مؤامرة التجني * أقت له وجوه الاحتمال

وقوله أيضا

لنا أخ يحسن ان يحسنا * رضاه للجانين عذب الجنى
قد عرفت روضة معروفه * بأنها تنبت زهر الغنى
اذا تبدى وجه احسانه * تنزهت فيه عيون المنى

وقوله أيضا

خلاص بجاه الوصل قلب متيم * غمز الصدود عليه أعوان الضنى

وقوله أيضا

كلما لاح وجهه بمكان * كثرت زحمة العيون عليه

وقوله أيضا

فلما تبدى لنا وجهه * نهبنا محاسنه بالعيون

وقوله أيضا

الغرب بالليل مسك * والشرق بالفجر ند
وروضة الحمام فيها * من زهرة الراح ورد
فاشرب على وجه أرض * له من الماء خد
لجيد دوحك فيه * من الاقاحة عقد

وقوله أيضا

الى كم ذا ترد الغيث لا يروى من الغدر
أظن الغيث قد مت * عليه حيلة العذر

وقوله أيضا

قد ضاقت الحيلة بي في رشا * لا يقبل الرشوة من ود
ماسرت بالشكوى الى سمعه * قط فاشرفت على وعد

وقوله أيضا

واوحشت من رؤياك طرفي فلم يزل * تنزهه في ورد وجنتك الغض
فان كنت تخشى من لسان بكائه * فما الرأى الا أن تبرطل بالغمض

وقول ابن الساعاتي

ولولا رواة بل وشاة تخرصوا * أحاديث ليست في سماع ولا نقل
لنمنا ثور النور من شنب الندى * خلال جبين النهر في طرر الظل

وقول ابن النبيه

تبسم ثغر الروض عن شنب القطر * ودب عذار الظل في وجنة النهر

وقوله أيضا

والنهر خد بالشعاع مورد * قد دب فيه عذار ظل البان
والماء في سوق الغصون خلاخل * من فضة والزهر كالتيجان

وقول محيي الدين بن قرناص

لقد عقد الربيع نطاق زهر * يضم لقضبه خصرا نحيلا
ودب مع العشي عذار ظل * على نهر حكى خدا أسيلا

وكلهم أخذوا الوجه والعذار من ابن خفاجة حيث قال

وما الانس الا في مجاج زجاجة * ولا العيش الا في صرير سرير
واني وان جئت المشيب لمولع * بطرة ظل فوق وجه غدير

وقول مجير الدين محمد بن تميم ومن خطه نقلت

وليلة بت أسقى في غياهبها * راحا تسل شبابي من يد الهرم
مازلت أشربها حتى نظرت الى * غزالة الصبح ترعى نرجس الظلم

وقول ابن قلاقس

جرت خيل النسيم على الغدير * وردت تحت قسطال العبير
وغاب الصبح في كف الثريا * وكان براحة القمر المنير

وما أحسن قول أمين الدين جوبان

أصغى الى قول العذول بجملتي * مستفهما منه بغير ملال
لتلقطي زهرات ورد حديثكم * من بين شوك ملامة العذال

ويعجبني قول القائل وان كان مشهورا

مجرة جدول وسماء آس * وأنجم نرجس وشموس ورد
ورعد مثالث وسحاب كأس * وبرق مدامة وضباب ند

وقول ابن الساعاتي

وكم ركبت بهيم الليل في غرض * وبدره غرة والصبح تحجيل
ووردة الفجر في خدى مطالعه * كأنها أثر أبقاه تقبيل

وقول ابن قلاقس

سرى وجبين الجو بالطل يرشح * وثوب الغوادي بالبروق موشح
وفي طي أبراد النسيم خبيئة * باعطافها نور المنى يتفتح
تضاحك في مسرى المعاطف عارضا * مدامعه في وجنة الروض تسفح
يوري بكف الصبا زند بارق * شرارته في فحمة الليل تقدح

وقال ابن رشيق

باكر الى اللذات واركب لها * نجائب اللهو ذوات المراح
من قبل أن ترشف شمس الضحى * ريق الغوادي من ثغور الاقاح

وقال ابن سناء الملك

قد كان لي منديل كم سابغ * ما جاز مسح فيه في مذهبي
فاغتصت منه بخدن أحببته * ومسحت في منديل كم مذهب

وقال بعض المغاربة

زار وقد شمر فضل الأزار * جنح ظلام جانح لانفراد

وروضة الانجم قد صوحت * والفجر قد فجر نهر النهار

قرأت على الشيخ الامام الاديب الكاتب أبي الثناء محمود قصيدة له منها

ياراكب الوجناء يجتذب في السرى ذيل الزميل
يختال في حبر الشرو * ق ضحى وفي حبك الاصيل
وبصوم من نهر المجرة كالنجوم على مسيل

وقرأت عليه من أخرى له

أيها السائر الذي في المرامي * باكر السير بكرة وأصيلا
يكحل المقلتين من اثمد الليل فيفني القفار ميلا فميلا

وقرأت عليه من أخرى له

أعد حديث الحي يا راكب في طرب * وقص أنباء من بالجزع من عرب
كرر حديث الثنا يا فهو أعذب لي * على الظما من رضاب الخرد العرب
اذ الكرى ذر في أجفاننا سنة * من النعاس نفضناها من الهدب

وأنشدني من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة

ولما جني طرفي رياض جمالكم * جعلتم سهادي في عقوبة من جني
أأحبابنا ان عفتم السفح منزلا * وأخليتم من جانب الجزع موطنا
فقد حزتم دمعي عقيقا ومهجتي * غضى وسلكتم من ضلوعي منحنى

وأنشدني أيضا من لفظه لنفسه

وقد روت عن لينه واعتداله * صحاح العوالي مسندا بعد مسند
اذا قعدت أردافه قام عطفه * فيا طول شجوي من مقيم ومقعد

وأنشدني أيضا من لفظه لنفسه

لحى الله قلبا كلما جر طرفه * الى الحسن ألقى عروة المتماسك
نابعذ مرامن أذى الوجد وانثنى * كثير الهوى شتى النوى والمسالك

وأنشدني أيضا من لفظه لنفسه

هذي الحمائم في منابر أيكها * تملي الغنا والطل يكتب في الورق
والقضب تخفض للسلام رؤسها * والزهر يرفع زائريه على الحدق

وهذا أحسن من قول مجير الدين محمد بن تميم ومن خطه نقلت

اني لأشهد للحمى بفضيلة * من أجلها أصبحت من عشاقه
مازاره أيام نرجسه فتى * الا وأجلسه على أحداقه

وقلت أنا من مقامة

وما حسدت نفسي سوى نفس الصبا * ولا سيما يوم وقعنا بالحمى
فكم ضم عطفا للغصون مرنحا * وعانق قدا للقضيب مقوما
وقبل خد الورد وهو مضرج * وثغر الاقاحي في الربا اذ تبسما
وكم بات يسحلي عذار بنفسج * سقته العوادي صوبها فتنمنما

وقلت أيضا

قلت اذ قيل لي تسل فهذا * صدغه قد دجا وكان ينير
هي مرآة خده غاب منها * في غلاف العذار شيء يسير

وقلت أيضا

لقد هام اذ ينثني صوله * معروفة ما بين عشاقها
قد قطعت ظهر غصون الربا * وجرت الورق باطواقها

وقلت أيضا

وصفك لو حكاه غصن بان * لقطعت الخفاف على دلاله
ولم يفتح لعين الزهر جفنا * لينظر في الغدير الى نباله

وقلت أيضا وان كان فيه طول

لي غادة لم ترض بدر الدجى * يبيت في خدمتها يسري
اذا رنت أقسم من خوفها * هاروت لاعاد الى السحر
وفرقها الوضاح ينفي الدجى * وينسخ الليل الى الفجر
والبرق لما ابتسمت كم غدا * وقلبه يخفق بالذعر
والظبي لما أتت جيدها * هج على الوجه الى القفر
ولو [illegible] دعامت خصرها * على قناة العسل [illegible]
[illegible] في حراه [illegible] * وما [illegible] من [illegible]

وما أطرب لشئ كطربي لاستعارات القاضي الفاضل رحمه الله في مثل قوله
وتلك الجبهة وان كانت عربية فانها مستودع الانوار وكنز دينار الشمس
ومصب أنهار النهار وقوله ونصبر حتى تنجلي هذه الغمرة وحتى تجف
مناديل الجفون فانها كانت بالدموع غمره وقوله أيضا من قصيدة مطولة

قد استخدمت بالافكار سري * وما اطلقت لي بالوصل أجره
ولم أره على الايام الا * عقدت محبة وحللت صره
ولا استمطرت سحب العين الا * بقيت بأدمعي في الشمس عصره

وقوله في ليلة جد هجرها وتجدد هجرها الى يوم توقد الصلة لوازدادت قصا الى
قصها والشمس لو جرت النار الى فرسها وقوله وأنتم يا بني أيوب لو ملكتم
الدهر لانتظمتم لياليه أبداهم وقلدتم أيامه صوارم وأدميتم سوده وأقاره
في الهبات دنانير ودراهم وأيامكم أعراس وماتم فيها على الاموال ماتم
والجود في أيديكم خاتم ونفس حاتم في نقش ذلك الخاتم ونقلت من خط محيي
الدين عبد الله بن عبد الظاهر وما أحسن ما قال القاضي الفاضل رحمه الله
وأما الجاحظ فما منا معاشر الكتاب الامن دخل من كتبه الحاره وشن
الغاره وخرج وعلى الكتف منها كاره ولا يقول المملوك في فوائد المولى
تاج الدين ذلك بل يقول ما منا الامن أدخله داره وساهمه بدره وابداره
وأجلسه معه في الداره وأحلى له سريره وخلا اسراره ونزل من عنده
و بين يديه من فوائده الكواكب السياره بل يقول ما منا الامن استعار
منه فاعاره واستكساه فحسن له الشاره واستجناه فاجناه ثماره وتركه وكل
معنى مبتكر له كصاحب الجيب وكل ذي استفادة منه اذا التقطه كبعض السياره
قلت كان ينبغي له ان يقدم القول الثاني على الاول وقول القاضي الفاضل
وحالي في التفرس الى هذه الغاية الارض من ذوات المحارم واوطئته الرجلي
ومارقها اضاحية ماكسر بها ظلي وقوله وارى المجالس ان يكون الجواب
في ظهر الكتاب بجزاء كل مفتخران يدفع في ناظره وقوله أيضا والله يمتن
به طلوع نجمه نهارا و بقدوم وجهه الذي تسر أساريره أسرارا فيتم بكتابه

فان الكتاب للقاء رديف * وفيه نجدة للصبر على الشوق والشوق قوي والصبر ضعيف * وقوله وانما لسانه يبرز الابريز ولي لسان يجيبه القلب فهو في الدهليز * وقوله وعلى المتوفى ديون جليلة والدين عثرة الصراط والقبر على المطلوب سم الخياط * وقوله وكيفما كتبت يد سيدنا نثرت الدر الثمين واستدعت سطوره مصافحة شفاه اللاثمين * وقوله فان الهم موت والوهم صريخ ماله صوت * وقوله أيضا فلا أقرأ له كتابا الا كنت سابحا في بحر كله درر وقاطفا من روض كله ثمر * وطالت منه بنهار كله غرر * وبت بليل كله سحر مستمتعا بحديث كله سمر * واردا منه موردا كله صفاء على رغم ان زمان كله كدر * وقوله فضرقنا كلها أسواق * والبراري عليها من المهابة اغلاق وأيدي الولاة لاعناق المفسدين أطواق * وقوله أيضا وما يؤثر المملوك ان يفتح باب شكواه لدهره * ولا يعزيه عن المصاب الذي لا يطيعه اللسان في ذكره * ولا أن يدل المولى على الامر الجامع بين ترويح سره وتحصيل أجره ولا ان يشير الى ان الحي غرس في طريق عمره الى ان يحصل في دار قبره وقوله أيضا وأنا على دفع الايام وهي تدفعني * والباس الليالي وهي تخلعني وعتاب الدهر ولكن ما ظنه يسمعني * وقوله فيما أظن

نزلي بالله زولي * وانزلي غيرلهتي
واتركي حاقي تحقى * فهو دهليز حياتي

وقوله في مشمشة

مشمشة نهارها * يجلى ليل الظلم
كانما سامقة * منديل كم لعلم

وقول نور الدين علي بن سعيد المغربي فيها

ومشمشة [illegible] * [illegible] نظلها [illegible]
واسا اطال [illegible] فيها [illegible] * [illegible]

و [illegible] ناصر الدين [illegible]

ومشمشة [illegible] * [illegible]

ولا

فلاتنكر على القلم الموافى * اذا فى وصلها خلع العذارا

(والركب ميل على الأكوار من طرب * صاح وآخر من خمر الكرى ثمل)

(اللغة) الركب تقدم الكلام عليه ميل جمع أميل وهو الذى لا يستوى على السرج قال جرير

لم يركبوا الخيل الا بعدان هرموا * فهم ثقال على أكتافها ميل

الاكوار جمع كور وهو القتب الطرب خفة تلحق الانسان لشدة حزن أو سرور تقول طرب يطرب فهو طرب قال الشاعر

وترانى طربا فى أثرهم * طرب الواله أو كالمختبل

فطرب اسم فاعل وهو هنا يحتمل ان يكون من الفرح وان يكون من الحزن ولكنه الى الحزن أقرب لانه فى بيت الطغرائى جاء فى سياق شدة السهر صاح صحا يصحو من سكره فهو صاح اذا زال ما كان يجده من النشوة خمر قال ابن الاعرابى انما سميت الخمرة خمرة لانها تركت واختمرت واختمارها تغير ريحها وقيل لمخامرتها العقل أى تغطيتها الكرى تقدم تفسيره ثمل تقول ثمل الرجل بالكسر ثملا اذا أخذ الشراب منه فهو ثمل أى نشوان (الاعراب والركب) الواو للابتداء والركب مرفوع على انه مبتدأ (ميل) مرفوع على انه خبر المبتدا وهو جمع أميل كما تقول أبيض وبيض وكان أصله ميل بضم الميم كما تقول أحمر وحمر ولكنهم استثقلوا الضمة قبل حرف العلة وهو الياء فقلبوا الضمة الى جنس ما بعدها فكانت كسرة كما فى بيع وقيل وكما فى ميزان وميعاد فالاصل ضم أوائل هذه الاربعة ولكنهم فعلوا بها ما ذكرته لك (على الاكوار) جار ومجرور ومتعلق بميل (من طرب) جار ومجرور وطرب بكسر الراء اسم فاعل هنا وليس هو مصدرا فتفتح الراء لانه لو كان مصدرا لفسد المعنى وكان الجار والمجرور معمولا من أجله وكان قوله وآخر من خمر الكرى معطوفا على غير شئ ولم يتعلق بما يربطه وهذا الجار والمجرور فى موضع الحال واذا كان الجار والمجرور حالا فلا بد له من المتعلق محذوف هو العامل فيه وتقديره هذا والركب ما يكون منقسمين (صاح) مجرور على انه صفة

لطرب تبعه فى افراده وتذكيره وتنكيره وجوه (وآخر) الواو عاطفة عطفت آخر على طرب ولم يجر لانه غير منصرف فعلامة الجر فيه فتحة وانما قلنا انه غير غير منصرف لان فيه علتين فرعيتين من العلل التسع وهما العدل والصفة والعدل فيه تحقيقى لان آخر من باب أفعل التفضيل وهذا الباب شرطه ان لا يستعمل الا مضافا أو بالالف واللام أو بمن واما هذا لحن أبي نواس فى قوله

كأن صغرى وكبرى من فقاقعها * حصباء در على أرض من الذهب

لانه استعمل افعل التفضيل بغير شرطه وأجاب ابن أبي الحديد رادا هذا القول على ابن الاثير فى المثل السائر بأن قال لا ينكر ان كثيرا من أئمة العربية طعن فى هذا البيت ولكن انتصر له كثير منهم فقالوا وجدنا فعلى افعل فى غير موضع واردة بغير لام ولا اضافة ولا من مثل دنيا فى قول الراجز فى سعى دنيا طالما قد مدت وقول الآخر وان دعوت الى جلى ومكرمة وقول الآخر لا تبخلن بدنيا وهى مقبلة وقالوا طوبى لك وفى البيت وجه آخر وهو ان تكون من فى قوله من فواقعها زائدة على مذهب أبي الحسن فى زيادة من فى الواجب فانه يذهب الى ذلك ويحتج بقوله تعالى فيها من برد أى فيها برد وهذا يرجح ان تكون كبرى وصغرى فى البيت مضافتين وقد وقع الاتفاق على جوازه واما قال الشيخ صلاح الدين بن النحاس هذا عجيب من مثل هذا الرجل الفاضل أما ايراده دنيا وأخواتها فكل ذلك مذكورة فى كتب النحاة مما يغنى عن الاطالة بذكره بخلاف صغرى وكبرى وأما قوله بزيادة من فكأنه يظن ان من اذا كانت زائدة كان الجر بالاضافة أو كانت الاضافة باقية وهذا لا وجه له وانما الجر بحرف الجر لان حروف الجر لا تعلق وأما زيادة حرف الجر بين المضاف والمضاف اليه فلم يقل به الا فى مثل لا أبا لك على شذوذ وايضا [illegible] ولا يريد الاخفش بقوله ان من تزاد فى الواجب [illegible] ابن أبي الحديد [illegible]

[illegible]

[illegible]

وصارت بمنزلة الاسماء غير الصفات ومثله حلى وأنشدوا الابيات التى أنشدها
ابن أبى الحديد وأما من قرأ وقولوا للناس حسنى بغير تنوين ومن أنشد
ولا يجزون من حسنى بسوأى فليستا بتأنيث أحسن وأسوأ بل هما مصدران
كالرجعى والبشرى وقد اختلف النحاة فى الصرف ما هو فقال قوم
التنوين وحده وقال آخرون الجر والتنوين واختار الاول جمال الدين محمد
ابن مالك والدليل على انه أقوى من أربعة أوجه الاول انه مطابق
لاشتقاق اسم الصرف فانه مأخوذ من صريف ناب الابل والبكرة والقلم
وهو الصوت الذى يسمع من هذه الاشياء قال الشاعر

* له صريف صريف القعو بالمسد *

يعنى البكرة الثانى ان الاسم الذى لا ينصرف يدخله الجر مع الالف واللام
والاضافة مع وجود مانع الصرف فيه الثالث ان الشاعر اذا اضطر الى
التنوين فى المرفوع والمنصوب نون ويقال اضطر الى ذلك ولا جر الرابع انه
اذا اضطر الى التنوين فى المجرور نون ولو كان الجر من الصرف لقيل ونون
وانما كان باب ما لا ينصرف ممنوعا من الجر والتنوين قياسا على الفعل اذ لا جر
فيه ولا تنوين لكون الفعل فرعا على الاسم على الصحيح والعلل المانعة
من الصرف كلها تتفرع على ما سواها فاذا دخلت على الاسم ألحقته بالفرعية
وخلصته من الاسمية الاصلية فلهذا أعرب اعراب الفعل ومنع ما منع منه
الفعل فاذا أضيف أو دخلته الالف واللام أو من قويت الاسمية فيه وتمحض
فيها فدخل فيه الجر وانما قلت ان العلل المانعة من الصرف فروع لان
العدل فرع على المعدول عنه سواء كان تقديريا أو تحقيقيا والصفة فرع على
الموصوف والتأنيث فرع على التذكير والمعرفة فرع على النكرة والعجمة
فرع على العربية والجمع فرع على المفرد والنون والالف الزائدتان فرعان
على ما زيدتا عليه ووزن الفعل فرع على وزن الاسم فاذا حصل فى الاسم
علتان من هذه شابه الفعل فى الفرعية فاعطى ما أعطى ومنع ما منع وانما تبع
التنوين الجر لانه لو جر بغير تنوين لالتبس بالمضاف الى النفس وبالجملة ففى

القعو البكر والمسد حبل من ليف أو كل حبل محكم الفتل اهـ

باب مالا ينصرف مباحث دقيقة استوفيتها فى التعليقة على الحاجبية من أول الباب الى آخره (رجيع من خمر الكرى) جار ومجرور ومضاف اليه ولم تظهر الكسرة فى المضاف لانه مقصور والاضافة بمعنى اللام التى للملك مجازا او المجاز والمجرور متعلق بمثل ومن هنا لبيان الجنس (مثل) مجرور على انه صفة لآخر البيت بجموعه فى موضع النصب على الحال كانه قال طردت سرح الكرى عن ورده قلته فى حالة اغراء النوم بالقل وفى حالة ميل الركب على ظهور مطيهم (المعنى) نادمته وحادثته والرفاق مالوا على مطاياهم فهم ما بين صاح من النوم وما بين ثمل من الكرى وهذا دليل على انهم كانوا فى أخريات الليل وفى ذلك الوقت يكون بعضهم قد صحا من خمر النوم والآخر فى نشوته يميل يمنة ويسرة قال ابن صردر

فلت وهم من نشوات الكرى * موائد كالمجد الركع

حثوا مطاياكم فكم غاية * قد فنيت بالأينق الطلع

وقال بديع الزمان الهمذانى

لك الله من ليل أجوب جيوبه * كانى فى أجفان عين الردى كحل

كأن الدجى نقع وفى الجو حومة * كواكبها جند طار اثرها رسل

كأن مطايانا سماء كأننا * نجوم على أقتابها رحب الرحل

كأن السرى ساق كأن الكرى طلا * كأنا له شرب كأن المنى نقل

أنشدنى اجازة الشيخ الامام الاديب الكاتب القاضى شهاب الدين أبو الثناء محمود قال أنشدنى لنفسه الشيخ الامام مجد الدين محمد بن أحمد بن عمر المعروف بابن الظهيرى الاربلى الحنفى من أبيات

أما والمطايا فى الأزمة تمرح * وقد شفها طول السرى فهى رزح

قسى علها كالسهام سواهم السـ ـوجوه كأمثال على السوق أصبحوا

يميل بهم سكر السهاد كأنما * على كل كور غصن ربان مرنح

ورزحت من رزحت الابل كمنعت سقطت اعياء أو هزالا اه

ولى رأت على القاضى أبى الثناء محمود قوله من قصيدة طويلة

كأن غصونا فى الرمل عيابها * سرى على الانضاء نزحها هـ

نسازى

نشاوى على الاكوار من خمرة السرى * وكاس الكرى قد ألويا بطلاها
وقرأت عليه أيضا قوله

لا تردها على جواها ودعها الا * ن تهوى بين الوهاد هويا
ان بين الضلوع منها الى الري * بعين الزرقاء داء دويا
ضمر كالقسي ترمى بشعب * فوقها كالسهام مرمى قصيا
بلباتهم كأس السرى فتثنوا * نشوة ما سقوا بها البابليا

وقرأت عليه أيضا قوله

كرر حديث الثنايا فهو أعذب لى * على الظما من رضاب الخرّد العرب
فقد سرت نفحة أنشأت نسمتها * فيما فعلنا الى الاكوار من طرب

وقرأت عليه أيضا

برانا الهوى حتى توهمنا الذى * برانا خيالا فى الدجى قد سرى وهنا
كأنا على الاكوار أفنان دوحة * يميلها مرّ الصبا غصنا غصنا

وقال ابن قلاقس

ولرب خرق جبته بضوامر * تحق الاباطل قادها الاقدام
خوص كأمثال السهام نحافة * فاذا سمت خطب فهن سهام
فى فتية بيض الوجوه حديثهم * والليل داج صبوة وغرام
عبث الكرى برؤسهم فأمالها * فكأنهم سكرى وليس مدام

وقال أيضا

طرحنا العجز عن أعجاز عيس * نوشحها على الحزم الحزاما
وندفع بالسرى منها قسيا * فنقذف بالنوى منها سهاما

وقال ابن خفاجة

وقد مابرت منها قسيا يد السرى * وفوقت منها فوقها الجد أسهما

وقال ابن الساعاتى

ولكم رميت حشا الفلاة بأسهم * بعثت حنايا اينق وركائب
من كل منتصب وآخر ساجد * وسنا كما اختلفت أنامل حاسب

قلت هذا التشبيه فى غاية الحسن لان أنامل الحاسب واحدة ترتفع وأخرى تنخفض وكذا الركب فى وقت السرى اذا غلب عليهم النعاس ترى هذا قد هوى بعدما ارتفع وهذا قد انتصب بعدما هوى وقال الشريف الرضى

هن القسى من النحول فان سما * مالب فهن من النجاء الاسهم

قال الثعالبى هذا ما أراه سبق اليه لانه جمع بين القسى والاسهم اه ويعجبنى قول ابن حمديس الصقلى

قلاص حناها الهزال كانها * حنيات نبع فى أكف جواذب
اذا وردت من زرقة الماء أعينا * وقفن على ارجائها كالحواجب

أخذه الآخر فقال

وقفر شكافيه جوادى من الظما * ولم ألق فيه منهلا غير ناضب
كان القسى فى أقسمت لاتدله * على عين ماء أوترى مثل حاجب

وقال التهامى

وعصابة مال الكرى برؤسهم * ميل الصبا بذوائب الاغصان

قلت ما أحلى قوله عصابة ورؤس وذوائب تكاد ترقص بهذا المعنى الالفاظ والسطور وتحلى بدرره الترائب من الغوانى والنحور وما أعلم مثله فى بديع صناعته غير قول أبى الطيب

على سابح موج المنايا بنحره * غداة كأن النبل فى صدره وبل

فانه ناسب فيه بين السابح والموج والوبل ثم ان سابحا هنا مثل قول التهامى وعصابة فى أن كلا من اللفظين يخدم فى معنيين أما عصابة فأحد معنييها فى البيت الرفقة مع قطع النظر عن بقية البيت واذا جمع الرؤس والذوائب كان معناها الثانى ما يشد به الرأس وكذلك سابح أحد معنييه الفرس والثانى اسم فاعل من سبح ولقد تعجبت من هذين البيتين وحسنهما واتقان البديع فيهما وهما اللذان أمثالهما عزيزة ثالث لاما ادعاه الحريرى فيما رواه عن الحارث والبينان الذان للحريرى هما قوله

الحنيات جمع حنية كغنية القوس والنبع شجر للقسى والسهام ينبت فى قلة الجبل اه

سم سمة محمد آثارها * واشكر لمن أعطى ولو سمسمه
والمكر مهما استطعت لا تأته * لتقتني السودد والمكرمه

ولقد رأيت عدة مقاطيع قد نظمها الشعراء في هذا النمط لما ادعى الحريري هذه الدعوى فيهما ومن أحسن ما علق بذهني من تلك المقاطيع قول القائل

ملامة الوقعاء يوم الوغى * أحسن من حرأتى ملامه
فه اذا استجديت عن قول لا * فالحر لا يملأ منها فمه

وقول الآخر

والمس لهوى الضيف جزل القرى * واصفح عن المسلم والمسلمه
والمهر مهما اسطعت لا تعله * فانه مهما علا مهر مه

وللصاغاني مجلدة في معارضة البيتين رواها الشيخ شرف الدين الدمياطي عنه (رجع) وفي بيت الطغرائي من البديع الجمع مع التقسيم لأنه جمعهم في ميل على الأكوار ثم قسمهم فقال منهم من مال من التعب ومنهم من مال من النعاس ومن أمثلة هذا النوع قول أبي الطيب

حتى أقام على أرباض خرشنة * تشقى به الروم والصلبان والبيع
للسبي ما نكحوا والقتل ما ولدوا * والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا

أرباض جمع ربض بمعنى السور وخرشنة بوزن دحرجة بلدة من بلاد الروم اهـ

وأحسن من هذا قوله صلى الله عليه وسلم ليس لك من مالك الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت وقيل فأبقيت ووقف أعرابي على حلقة الحسن رضي الله عنه فقال رحم الله من تصدق من فضل أو واسى من كفاف أو آثر من قوت فقال الحسن ما ترك الرجل منكم أحدا حتى عمه بالمسئلة ومن المجون قول من قال

وبديع الجمال معتدل القا * مة كالغصن حن قلبي اليه
أشتهي أن يكون عندي وفي بيتي وبعضي فيه وكلي عليه

وقرأت على القاضي شهاب الدين أبي الثناء محمود رحمه الله قوله في كتابه حسن التوسل

واني لفي نظري نحوها * وقد ودعتني قبيل الفراق

ولا صبر لي فأطيق النوى * ولا طمع ان تأت في اللحاق
ولا أمل يرتجى في الرجوع * ولا حكم في ردّ تلك النياق
كمن يودّع روحا غدت * يراها على رغمه في السياق

قوله في السياق أي في النزع اه

وقال أبو تمام في الافشين لما أحرق

نار يساور جسمه من حرها * لهب كما عصفرت شق ازار
طارت له شعل يهدم لفحها * أركانه هدما بغير غبار
فصلن منه كل مجمع مفصل * وفعلن فاقرة بكل فقار
صلى لها حيا وكان وقودها * ميتا ويدخلها مع الفجار
وكذاك أهل النار في الدنيا هم * يوم القيامة جل أهل النار

الشاهد في قوله صلى لها البيت قلت هذا الافشين كان لأيام الخليفة المعتصم قائد الجيوش وله صولة عظيمة عند المعتصم ثم انه شق العصا وخرج عليه وعلى الاسلام وكان موصوفا بالنجدة والشجاعة والرأي والخبرة ولما قبض عليه وعلى مازيار وموبذان السغد أحضروا بين يدي الوزير ابن الزيات وأحضر رجلان عريانان فاداجنوبهما عارية من اللحم وكان اسم الافشين خيذر والافشين لقب لكل من ملك أشروسنة فقال له الوزير ياخيذر أتعرف هذين قال نعم هذا مؤذن وهذا امام مسجد بنياه بأشروسنة ضربت كلا منهما ألف سوط لانه كان بيني وبين ملوك السغد عهد أن أترك كل قوم على دينهم وكانا قد وثبا على بيت أصنام فأخرجاها منه وعملاه مسجدا فقال له الوزير فما الكتاب الذي عندك قد زخرفته ورصعته بالجواهر وجعلته في الديباج وفيه الكفر بالله قال هذا كتاب ورثته عن آبائي فيه آداب وحكم من نمط كليله ودمنه آخذ منه الآداب وأدع ماسواه فقال للموبذان ماتقول في هذا قال هذا يأكل المخنوقة ويأمرني بها ويقول لحمها أرطب من المذبوحة وقال اني قد دخلت لهؤلاء القوم في كل ما أكره حتى أكلت الزيت وركبت الجمل ولبست النعل غير أني الى هذا العام لم يسقط عني شعرة يعني عانته ثم ان الموبذان بعد هذا أسلم على يد

المتوكل

المتوكل ثم قال له الموبذان يا افشين كيف يكتب اليك أهل مملكتك قال
كما كانوا يكتبون الى أبى وجدى ما تفسيره بالعربية الى اله الآلهة من عبيده
قال ابن الزيات ما أبقيت لفرعون قال خفت أن يفسدوا على بتغيير ما عهدوه
وقدم مازيار فقالوا للافشين هل كاتبت هذا قال لا فقال مازيار كتب
الى أخوه على لسانه انه لم يكن ينصر هذا الدين الابيض غيرى وغيرك وغير
بابك فاما بابك فقد قتل نفسه بحمقه فان خالفت لم يكن للخليفة من يقوم
بحربك غيرى ومعى الفرسان وأهل النجدة فان وجهت اليك لم يبق أحد
يحاربنا الا ثلاثة العرب والمغاربة والاتراك أما العرب فكالكلب اطرح
له كسرة ثم اضربه بالدبوس وأما المغاربة الذئاب فانهم أكلة رؤس غنم وأما
الاتراك فانما هي ساعة حتى تنفد سهامهم ثم تجول عليهم جولة فتاتى على
أخرهم ويعود الدين الى ما لم يزل عليه أيام العجم فقال الافشين هذا يدعى
على أخى ولو كنت كتبت اليه لم أنكره لانى اذا نصرت أمير المؤمنين بيدى
كنت أنصره بالحيلة أحرى لآخذ برقبته هذا فزجره ابن أبى دؤاد وقال
أمختون أنت قال لا قال ما منعك قال خفت التلف قال أنت تلاقى الحروب
وتخاف من قطع قلفتك قال تلك ضرورة أتصبر عليها وأما القلفة فلا
ولا أخرج بها من الاسلام فقال القاضى قد بان لكم أمره فرد الى الحبس
ومنع من الطعام والشراب الى أن مات وصلب وأحرق بالنار وهذا اللعين
أخزاه الله تعالى أخذ بغتة بغير تعب ويليق به ان يدخل فى قوله تعالى
ما سلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع
الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين بل هو أشد حالة من أصحاب سقر فانه
ضرب من عمر مسجدا وأذن وصلى ألف سوط وشق عصا المسلمين وغدر بمن
وثق به وخان العهود والايمان ونكث بمن خوله النعم وحكمه على البلاد
والجيوش وأراد اطفاء نور الاسلام واظهار عبادة النار وخوطب بالالوهية

الرودراوزى لم تلومه * وما أتى فى فعله بيدعه
هل نالك الا أمه فى دبرها * فى الظهر من رمضان يوم الجمعه

لواتفق لهذا الناظم أن يذكر أن وقوع الفعل كان في مكة شرفها الله تعالى
لما كان فات ذالك الشيء من الخزي قيل ان بعضهم كان واقفا بعرفة فرأى
انسانا يتضرع وينتصب ويبالغ في الدعاء ويقول بحرق وتوجع اللهم اغفرلي
فقال له يا أخي ان الله تعالى قد من على عباده في هذا اليوم وغفر لاهل عرفة
فقال يا أخي دعني فان ذنبي عظيم فقال له هل قتلت أحدا والديك قال لا
قال هل وطئت أحدا من محارمك قال لا قال فهل كفرت قال لا قال هل
دللت على سرية من سرايا المسلمين قال لا وأخذ يعدد عليه كبائر الذنوب وهو
يقول لا قال فما الذي أتيت قال نكحت خنزيرة قال الامر سهل ان الله يغفر
الذنوب جميعا ولكن أخبرني كيف وقفت لك حتى فعلت . قال كانت ميتة قال
فكيف قام عليك قال مصصت لسانها فقال لا غفر الله لك ولا تجاوز عنك
يا أنحس العالم وهذا الافشين كان المعتصم قد جهزه لمحاربة بابك الخرمي
لانه أخاف الاسلام وتغلب على أذربيجان وأراد اظهار ملة المجوس وظهر في
أيامه مازيار المذكور القائم بملة المجوس بطبرستان فعظم شأنه وكان المعتصم
قد بعث اليه في أول سنة اثنتين وعشرين ومائتين القواد قائدا بعد قائد وفي
كل ذلك يهزم بابك الجيوش ويقتل الابطال حتى بعث اليه بالافشين
وأطلق يده في الولايات وعقد له لواء على أرمينية وما فتحه من البلاد فاختار
الافشين من الجند ما أراد ولم يزل يدبر على بابك الحيلة ويطاوله حتى أمكنته
الفرصة فهرب بابك وأخذ أخوه وقرابته وكان بابك قد اختفى بعد هروبه
في غيضة ثم خرج منها فالتقى بسهل البطريق فخبأه عنده وبعث الى الافشين
بخبره فجاء أصحابه اليه وأحدقوا به وأخذوه وكان المعتصم قد جعل
لمن أحضره حيا ألفي ألف درهم ولمن أحضره ميتا ألف ألف درهم فأمر لسهل
بألفي ألف درهم وحط عنه خراج عشرين سنة ولما أحضر لم يكن المعتصم الصبر الى باكر النهار فاختفى في لباس غريب وتوجه اليه حتى
أبصره وكان من شدة تطلعه الى أخباره قد رتب البريد في منازل قريبة حتى
كانت تأتيه الاخبار من مسيرة شهر ونصف في يوم ونصف ثم ان المعتصم أمر

سنة ثلاث بقتل بابك وأخيه واحراقهما فاركبوا بابك فيلا مخضوبا بالحناء والبسوه قباء ديباج وقلنسوة سمور مثل الشربوش وطافوا به ثم قطعت أربعته ثم رأسه ولما قطعت يده دلك بدمها وجهه فقيل له لاى شئ فعلت هذا قال حتى لا تروا وجهى مصفرا اذا نزف دمى فيظن انى خفت من الموت فقال المعتصم لولا أن جنايته لا توجب الصنيعة لكان أهلا للاستبقا وقال له أخوه يا بابك فعلت مالم يفعله أحد فاصبر صبرا لم يصبره أحد فقال سوف ترى وفعل مافعل بهما ثم أحرقا فلم يتأوها قط قيل انه قتل مائة وخمسين ألفا قلت رحم الله المعتصم فلقد كان ذا عزم ومروءة وعصبية لهذا الدين القيم بلغه وهو فى مجلس شرابه ان امرأة هاشمية عند بعض نصارى عمورية وأن نصرانيا من البطارقة لطمها على وجهها فقالت وامعتصماه فقال النصرانى ما يجىء اليك الاعلى الأبلق فيقال انه ختم الكاس التى كانت فى يده واقسم لا يشربها حتى يفك الهاشمية من الأسر ونادى فى عسكره ان يجتهدوا فى ركوب الخيل البلق فيقال انه توجه الى عمورية فى سبعين ألف أبلق ولم يزل بجده واجتهاده حتى فتح عمورية وطلب تلك الهاشمية بعينها فلما حضرت قال لها لبيك لبيك وطلب تلك الكاس المختومة وشربها وصار ركوب الأبلق مثلا وما أحسن قول كمال الدين بن النبيه فى زجل يمدح به الاشرف موسى من جملته

هات ياساقى الحميا * ان نجم الليل غرب
من يكون البدر ساقيه * كيف لا يشرب ويطرب
أنت والأوتار والكاس * للهموم دوا مجرب
لاتخاف الصبح يهجم * دع يجى ويركب أبلق

ونقلت أنا هذا الى العذار فقلت من جملة زجل

يا فؤادى لا تحول * عن هوى ذا الظبى الاحور
اياك أن يطغيك لائم * قال كنك يتعذر
ماترى كافور خدو * وعليه الخال عنبر

لا تخف صولة عذارو * دع يجي ويركب أ بلق

(فقلت أدعوك للجلى لتنصرني * وأنت تخذلني في الحادث الجلل)

(اللغة) دعوت فلانا اذا صحت به الجلى الامر العظيم وجمعها جلل مثل كبرى وكبر قال جرير

وان دعوت الى جلى ومكرمة * يوما كراما من الأقوام فادعينا

النصرة ضد الخزلان في الحروب وغيرها وهي الاعانة على ما أهم وفي الحديث انصر أخاك ظالما أو مظلوما وسيأتي الكلام على ذلك خذلته أخذله خذلانا اذا تركت عونه ونصرته الحادث الجلل الواقع العظيم من الدهر قال الشاعر

ولئن عفوت لأعفون جللا * ولئن سطوت لأوهنن عظمي

والجلل أيضا الهين فهو من الاضداد قال امرؤ القيس لما قتل أبوه الا كل شي ماسواه جلل والمراد به هنا في كلام الطغرائي الواقع العظيم ومن الاضداد غابر للذاهب والآتي والجون للابيض والاسود والبين للبعيد والقريب والصريم الليل والنهار والناصع الابيض والاسود والأمم للعظيم واليسير والناهل للريان والظمآن ووراء بمعنى قدام وخلف وبعت الشئ اذا بعته من غيرك وبعته اشتريته وشعبت الشئ أصلحته وصدعته والصارخ للمستغيث والمغيث والهاجد للمصلي بالليل والنائم والوهدة الارتفاع والانحدار والتعزير للاكرام والاهانة والتقريظ للمدح والذم وترب للغني والفقير والاهماد للسرعة في السير والاقامة والخناديد للخصيان والفحول وعسعس اذا أقبل واذا أدبر والقرء للحيض والطهر ومذهب الشافعي انه الطهر فقط روى ذلك عن ابن عمر وزيد وعائشة والفقهاء السبعة ومالك وربيعة وأحمد رضي الله عنهم وقال علي وعمر وابن مسعود وأبو حنيفة والثوري والاوزاعي وابن أبي ليلى وابن شبرمة واسحق رضي الله عنهم انه الحيض وثمرة معرفة هذا الخلاف ان مدة العدة عند الشافعي رضي الله عنه ومن تابعه أقصر وعند

قوله والمراد به هنا الخ الظاهر أن المراد هنا المعنى الآخر وهو الهين اه

الباقين أطول حتى لو طلقها في حال الطهر حسبت بقية الطهر قرءا وان حاضت عقيبه في الحال فاذا شرعت في الحيضة الثالثة انقضت عدتها وان طلقها في حال الحيض فاذا شرعت في الحيضة الرابعة انقضت عدتها وعند أبي حنيفة ومن تابعه ما لم تطهر من الحيضة الثالثة ومن الحيضة الرابعة ان كان الطلاق في حال الحيض لا يحكم بانقضاء عدتها ثم ان قالت طهرت لاكثر الحيض تنقضي عدتها قبل الغسل وان طهرت لاقل الحيض لم تنقض عدتها حتى تغتسل أو تتيمم عند عدم الماء أو يمضي عليها وقت صلاة ومن حجج الشافعي على مذهبه أن الطلاق في زمن الحيض منهي عنه فوجب أن يكون زمان العدة غير زمان الحيض وقول عائشة رضي الله عنها أتدرون ما الاقراء الاقراء الاطهار ولان الاصل أن لا يكون لاحد على أحد منع من التصرفات فاذا جاء أمر بخلاف الاصل كان الزمن الاقل أولى من الاطول والاطهار أقل فالقول بأن القرء هو الطهر أولى ومن حجج أبي حنيفة على مذهبه قوله صلى الله عليه وسلم دعي الصلاة أيام أقرائك وقوله صلى الله عليه وسلم طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان وأجمعوا على أن عدة الامة نصف عدة الحرة فوجب أن الحرة تعتد بالحيضات والاجماع على أن استبراء الرحم في الجواري المشتريات بالحيضة فكذلك العدة للحرة لان شرع العدة لاستبراء الرحم وأهل اللغة مختلفون في القرء ما هو قال أبو عبيدة قيل هو من الاضداد وقيل انه حقيقة فيهما كالشفق اسم للحمرة والبياض وقال قوم هو حقيقة في الحيض مجاز في الطهر وقال آخرون بالعكس وقال آخرون هو موضوع بحسب معنى واحد مشترك بين الحيضة والطهر والقائلون بهذا القول اختلفوا على ثلاثة أقوال الاول أن القرء هو الاجتماع ثم في وقت الطهر يجتمع الدم في البدن وهو قول الاصمعي والاخفش والفرا والكسائي والقول الثاني قول أبي عبيدة انه عبارة عن الانتقال من حالة الى حالة والثالث وهو قول أبي عمرو بن العلاء أن القرء هو الوقت يقال أقرأت النجوم اذا طلعت وأقرأت اذا أفلت

ويقال هذا قرء الرياح لوقت هبوبها فاذا ثبت أن القرء هو الوقت دخل فيه الحيض والطهر لان لكل واحد منهما وقتا معينا وما فى ربع العبادات أصعب من مسائل باب الحيض والتيمم ولما اجتاز نجم الدين البادرانى بالموصل رسولا الى حلب سنة سبع وأربعين وستمائة سأل الفقهاء الذين بها عن هذه المسألة نظما

أيا فقهاء العصر هل من مخبر * عن امرأة حلت لصاحبها عقدا
اذا طلقت بعد الدخول تربصت * ثلاثة أقراء حددن لها حدّا
وان مات عنها زوجها فاعتدادها * بقرء من الاقراء نأتى به فردا

فأجاب عن ذلك تاج الدين بن يونس بقوله

وكاعهدنا النجم يهدى بنوره * فبالله قد أبهم العلم الفردا
سألت نخذ عنى فتلك لقيطة * أقرت برق بعد أن نكحت عمدا

(الاعراب فقلت) الفاء للتعقيب أى عقبت طرد الكرى عنه بقولى والمعنى فالتفت الىّ فقلت له أو فلم يلتفت الىّ فقلت له وما أحسن الفاء التى تكررت فى قول الشنفرى

بعينى من أمست فباتت فأصبحت * فقضت أمورا فاستقلت فولت

وأبيات أبى ذؤيب الهذلى التى يصف فيها حمر الوحش والصائد على حرف العين المرفوعة أيضا فى هذا الباب مليحة الى الغاية ومن الطف ما وجدته فى هذا الباب قول شمس الدين محمد بن العفيف التلمسانى

للعاشقين بأحكام الغرام رضى * فلا تكن يا فتى بالعذل معترضا
روحى الفداء لاحبابى وان نقضوا * عهد الوفى الذى للعهد ما نقضا
قف واستمع راجيا أخبار من قتلوا * فمات فى حبهم لم يبلغ الغرضا
رأى فحب فرام الوصل فامتنعوا * فسام صبرا فأعيى نيله فقضى

وظارف نور الدين الاسعردى فى قوله

وأغن كم فى جفنه من قاضب * وقوامه فى لينه كقضيب
لاقيته متبسما من بعد ما * قد كنت لا ألقاه غير قطوب

أسقيته راحي فنام فذكته * والفاء في الحالين للتعقيب

أورد ابن الاثير في المثل السائر قوله تعالى فحملته فانتبذت به الآيتين وقال في هاتين الآيتين دليل على أن حملها به ووضعها اياه كانا متقاربين لانه عطف الحمل والانتباذ الى المكان الذي مضت اليه والمخاض الذي هو الطلق بالفاء وهي للفور ولو كانت كغيرها من النساء لعطف بثم التي للتراخي والمهلة ألا ترى أنه قد جاء في الآي الأخر قتل الانسان ما أكفره من أي شئ خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره فلما كان بين تقديره في البطن واخراجه منه مدة متراخية عطف ذلك بثم قال ابن أبي الحديد في الفلك الدائر انما ليست للفور بل هي للتعقيب على حسب ما يصح اما عقلا أو عادة ولهذا صح أن يقال دخلت البصرة فبغداد وان كان بينهما زمان كثير لكن تعقب دخول هذه دخول تلك على ما يمكن بمعنى أنه لم يمكث بواسط مثلا سنة أو مدة طويلة بل طوى المنازل بعد البصرة ولم يقم بواحدة منها اقامة يخرج بها عن حد السفر الى أن دخل بغداد وهذا الذي يقوله أهل اللغة وأهل الاصول وليست الفاء للفور الحقيقي الذي معناه حصول هذا بعد هذا بغير فصل ولا زمان كما توهمه هذا الرجل ألا ترى الى قوله تعالى لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب فان العذاب متراخ عن الافتراء فلا يدل قوله تعالى في قصة مريم على أن الحمل والمخاض كانا في يوم واحد اه قلت بحث ابن أبي الحديد متجه والذي قاله ابن الاثير ضعيف وقد اختلف المفسرون في مدة حملها فقال ابن عباس رضي الله عنهما تسعة أشهر كما في سائر النساء وقال عطاء وأبو العالية والضحاك سبعة أشهر وقال غيرهم ثمانية أشهر ولم يعش مولود يوضع لثمانية أشهر الا عيسى عليه السلام وقال آخرون ستة أشهر وقال آخرون ثلاث ساعات حملته في ساعة وصور في ساعة ووضعته في ساعة وروى ابن عباس رضي الله عنهما أن مدة الحمل كانت ساعة قال الامام فخر الدين الرازي ويمكن الاستدلال له بوجهين وذكر في الاول ما قاله ابن الاثير وذكر في الثاني أن الله تعالى قال في وصفه ان مثل عيسى

عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون فثبت أن عيسى
عليه السلام لما قال الله له كن كان وهذا مما لا يتصور فيه مدة الحمل انما
تعقل تلك المدة في حق من يتولد من النطفة اهـ وقال الامام فخر الدين في
الطب الكبير قد عرفت أن الشهر السابع أول شهر يولد فيه الجنين
الذي تكون خلقته قوية وزمان تكوينه سريعا وزمان طلبه للخروج
سريعا وكثيرا ما يموت المولود [illegible] في هذه المدة لانهم يقاسون حركات شديدة
في صعوبة [illegible] خلقته [illegible] هذا المولود وان كان قويا في الاصل لكنه
[illegible] يكون واما المولود في الشهر الثامن فهو أكثر المولودين
هلاكا وبقاؤه وحياته نادر جدا فان كان انثى فبقاؤها أندر فان كان في البلاد
الحارة فأندر والسبب فيه أنه لا يخلو حالهم اما أن يكونوا تاموا في تمام
الخلق وطلب الانفصال الى هذا الوقت فهذا يدل على أن قوتهم ما كانت
قوية في الاصل فاذا حاولوا حركة الانفصال في أول عهد الاستتمام وقبل كماله
[illegible] من ضعف من حاول الانفصال في آخر عهد الاستتمام وكانت
[illegible] قوية في الاصل كالمولود في السابع فان يكونوا كذلك [illegible] خلقتهم
[illegible] وطلبوا الانفصال [illegible] يكون [illegible]
[illegible] السابع [illegible] ما يعرض
له [illegible] الحركات الخاصة [illegible] لا [illegible]
[illegible] فقدوا الى عليه
[illegible] للصعوبة [illegible] يموت واما ما ولد في الشهر التاسع وقد
[illegible] الرمان زمان [illegible] الضعف فلا جرم أنه
عاش واعلم أن كثيرا ممن ولد في التاسع [illegible] محاولة
الانفصال في التاسع فلم [illegible] الا انما
طلب الانفصال [illegible] الى [illegible] أما [illegible]
الجنين يكون في الشهر [illegible]
وهكذا [illegible] في [illegible]

قد تمت واستوفت طبائع الكواكب وقواها وأما الشهر الثامن فان زحل يتولاه ثانيا فيستولى عليه البرد والجمود والضعف فان ولد فيه مات وأما التاسع فيتولاه المشترى فيكسب المولود قوة وحرارة وصلاح حال فاذا ولد عاش وأما العاشر فيتولاه المريخ فلا جرم أن يكون الامر كما ذكرنا اه قلت كل من الطبيعيين والمنجمين عللوا عدم حياة المولود فى الثامن بما ذكروه على ما هو جار على قواعدهم المقررة عندهم وأما كونه تحرك فى هذا الوقت المخصوص دون غيره وطلب الانفصال فلم يعللوه ولكن هذا من الادلة على القول بأن الفاعل المختار سبحانه وتعالى فعال لما يريد وفى قوله تعالى ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم رد عظيم على الطبيعيين وأرباب الهيئة والمنجمين ومذهب الشافعية ان أكثر مدة الحمل أربع سنين وأقله ستة أشهر روى وولد الضحاك بن مزاحم لستة عشر شهرا وشعبة ولد لسنتين وهرم بن سنان ولد لاربع سنين ولذلك سمى هرما ومالك بن أنس حمل به أكثر من ثلاث سنين والحجاج بن يوسف ولد لثلاثين شهرا ويقال انه كان يقول أذكر ليلة ميلادى ويقال ان عبد الملك بن مروان حمل به ستة أشهر والشافعى حمل به أربع سنين أو أقل والحنفية يقولون للشافعية فى بسطهم ما جسر امامكم أن يظهر الى الوجود حتى توفى امامنا ويجيبهم الشافعية بقولهم بل امامكم ما ثبت أن ظهور امامنا ويحكى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه أتى اليه رجل وقال انى تزوجت جارية بكرا ولم أر بها ريبة ثم انها أتت بولد لستة أشهر فقال الولد لك قال الله تعالى وحمله وفصاله ثلاثون شهرا وقال تعالى والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين وعن عمر رضى الله عنه أنه أتى بامرأة وضعت لستة أشهر فشاور فى رجمها فقال ابن عباس رضى الله عنهما ان خاصمتكم بكتاب الله خصمتكم ثم ذكرهما بين الآيتين فكانما أيقظهم (ربيع) وأما أصل وضعها للترتيب الا فصل فالترتيب على ضربين ترتيب فى المعنى وترتيب فى الذكر والمراد بالترتيب فى المعنى أن يكون المعطوف بها لاحقا

متصلا بلا مهلة كقوله تعالى خلقك فسواك والاكثر كون المعطوف بها متسببا عما قبله كقولك أمته فمال وأقمته فقام وأما الترتيب في الذكر فنوعان أحدهما عطف مفصل على مجمل هو هو في المعنى كقولك توضأ فغسل وجهه ويديه ومسح رأسه ورجليه ومنه قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني من أهلي الآية والثاني عطف لمجرد المشاركة في الحكم بحيث يحسن بالواو كقول امرء القيس بين الدخول فحومل وتختص الفاء بعطف مالا يصلح كونه صلة على ماهو صلة كقولك الذي يطير فيغضب زيد الذباب ولو جعلت موضع الفاء واوا أو غيرها فقلت الذي يطير ويغضب زيد أو ثم يغضب زيد الذباب لم تجز المسئلة لان يغضب زيد جملة لا عائد فيها على الذي فلا يصلح أن يعطف على الصلة لان شرط ما يعطف على الصلة أن يصلح وقوعه صلة فان كان العطف بالفاء لم يشترط ذلك لانها تجعل ما بعدها مع ما قبلها في حكم جملة واحدة لاشعارها بالسببية كانما قلت الذي ان يطر يغضب زيد الذباب وقد تقع ثم موقع الفاء كقول الشاعر

كهز الرديني تحت العجاج * جرى في الانابيب ثم اضطرب

وقد يعطف بالفاء مترا خيا كقوله تعالى والذي أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى اه التقدير متصل قبله واما الحمل الماء على ثم اه كلام بدر الدين بن مالك قال الشيخ بهاء الدين بن النحاس وقد أورد على كون الفاء للتعقيب والترتيب قوله تعالى وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا وقوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله وهذه الآية أخذ داود الظاهري في كون الاستعاذة بعد الفراغ من القراءة ولا دليل في ذلك لان تقدير الكلام والله اعلم فاذا أردت القراءة فاستعذ بالله واما الجواب عن الآية الاولى فيجوز ان تكون الارادة محذوفة فيها ايضا كما كانت محذوفة في الاخرى وتقديره والله اعلم وكم من قرية اردنا اهلاكها وقد أجيب بجواب آخر وهو ان معنى قوله فجاءها بأسنا حكم بمجيء البأس فالحكم متأخر عن الاهلاك فالفاء

على بابها اه قال وقد تحذف الفاء مع المعطوف بها اذا أمن اللبس وكذلك الواو فمن حذف الفاء قوله تعالى فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم التقدير فامتثلتم فتاب عليكم وقوله تعالى فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر معناه فافطر فعليه عدة ومن هذا الباب هذا البيت لانه يقدر طردت عنه الكرى فلم يلتفت الى فقلت له أدعوك وهذه الفاء العاطفة على الجواب المحذوف يسميها أرباب المعانى الفاء الفصيحة قال صاحب الكشاف فى قوله تعالى ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله تقديره فعملا به وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة وقالا الحمد لله وقال صاحب المفتاح هو اخبار عما صنع بهما وعما قالا كأنه قيل نحن فعلنا الاتيان وهما فعلا الحمد وهذا الباب كثير فى القرآن وهو من جملة فصاحته ولهذا سماه أرباب المعانى الفاء الفصيحة (رجع قلت) فعل ماض والتاء ضمير الفاعل (ادعوك) فعل مضارع والكاف ضمير المفعول وأصله أأدعوك فحذف همزة الاستفهام كقول الشاعر

فوالله ما أدرى وان كنت داريا * بسبع رمين الجمر أم بثمان

تقديره أبسبع رمين أم بثمان فحذف الهمزة للضرورة والمحذوفة اما التى للاستفهام أو الاصلية على خلاف فى ذلك هربا من استثقال الجمع بين الهمزتين يقال ان بعض النحاة قال للطبيب يا حكيم أفؤادى يوجعنى فقال له أبطل هذه الهمزة وقد عوفيت من هذا الألم فكيف لو قال له أأدعوك (للعلى) جار ومجرور واللام للتعدية وعلامة الجر كسرة مقدرة على الالف لانه مقصور وموضعه النصب على المفعولية (لتنصرنى) اللام لام كى فهى تنصب الفعل المضارع وتنصرنى فعل مضارع منصوب بلام كى والنون نون الوقاية والياء ضمير المفعول وما أحلى قول شرف الدين بن الفارض

نصبا أكسبنى الشوق كما * تكسب الأفعال نصبا لام كى

وأحسن منه قول شمس الدين محمد بن العفيف التلمسانى ومن خطه نقلت

ومستتر من سنا وجهه * بشمس لها ذلك الصدغ فى

كوى القلب منى بلام العذار * فعرفنى أنها لام كى

(وأنت) الواو واو الابتدا وأنت اسم مضمر فى موضع رفع بالابتداء والضمائر كلها مبنية لانها أشبهت الحرف فى الوضع لان الاصل فى الاسماء أن توضع على ثلاثة أحرف فما فوقها ولا يرد باب يد ودم وأخ وأب اذ الاصل يدى ودمو واخو وابو وان يكون الحرف الصناعى على حرف كباء الجر ولامه هذا هو الاصل فى وضع الاسماء والحروف وقد يخرج الاسم عن هذا الاصل فيوضع على حرف واحد وهو الضمائر مثل التاء والكاف والياء فاذا كان كذلك فقد شابه الاسم الحرف فى الوضع فيعطى حينئذ حكمه فيبنى فان قلت اذا قررت ما قررته فما بقى الضمائر مثل أنا وفروعه وهو وفروعه على أزيد من حرف قلت كما أن الحرف خرج عن اصله فكان منه ما هو على حرفين مثل من وعن وفى وما هو على ثلاثة احرف مثل على والى وما هو على أربعة أحرف مثل حتى ولكن العاطفة وما هو على خمسة احرف مثل لكن من اخوات ان كذلك خرج الضمير عن وضعه فكان على حرفين مثل هو وبابه وعلى ثلاثة مثل انا وانت فلذا اعتبر الاصل فى وضع الحرف أولا ولا اعتبار بما طرأ عليه واعتبر الضمير فى أصله ولا اعتبار بما تجدد له فان قلت فمن اين لك ان الاصل فى الضمائر ان تكون على حرف واحد قلت لان الاصل فى وضع الضمائر طلب الاختصار وكونها على حرف واحد أخصر من غيره ولذلك لا يؤتى بالمنفصل مع امكان الاتيان بالمتصل فلا تقول أعطيتك اياه وجمع أعطيتكه والضمائر كلها تسعون ضميرا الداخل منها تسعة وعشرون وبقى منها أحد وستون ضميرا اصلها خمسة وهى الياء للمتكلم فقط والتاء للمتكلم والمخاطب والكاف للمخاطب فقط والهاء للغائب والميم للجمع المذكرين وتخلفها النون للجمع المؤنثين والدليل على انها تسعون أن الضمير اما مرفوع أو منصوب او مجرور فالاولان يكونان متصلين ومنفصلين والثالث لا يكون الا متصلا فتلك خمسة تضرب فى ثلاثة تكلم وخطاب وغيبة فتلك خمسة عشر تضرب فى ثلاثة مفرد ومثنى ومجموع فتلك خمسة

وأربعون

وأربعون تضرب فى اثنين مذكر ومؤنث فتلك تسعون سمع المازنى قرقرة من بطن انسان فقال هذه ضرطة مضمرة (رجع تخذلنى) فعل مضارع مرفوع لخلوه من الناصب والجازم ورفعه ضمة اللام والنون نون الوقاية والياء ضمير المفعول والجملة فى موضع الخبر لأنت (فى الحادث) جار ومجرور فى موضع نصب لانه ظرف لتخذلنى تقديره تخذلنى وقت الحادث (الجلل) مجرور على انه صفة للحادث وقد تبعه فى افراده وتذكيره وتعريفه وجره وقوله أدعوك الى آخر البيت فى موضع النصب بقلت (المعنى) فقلت له مستفهما أدعوك للامر العظيم طالبا نصرتك وأنت تخذلنى فى مثل هذا الحادث العظيم وهذا استفهام ومعناه التوبيخ كقوله تعالى اذ قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس الآية لكن الاستفهام هنا للمسيح صلوات الله عليه والتوبيخ للنصارى والاستفهام هنا من المسيح أبلغ من الاستفهام من النصارى لانه يحتمل انهم يقولون نعم كذا قال فيرجع الى المسيح صلوات الله وسلامه عليه ويستفهم منه فابتدئ بالاستفهام منه فى أول الامر

يرى الأمر يفضى الى آخر * فيجعل آخره أولا

وفى الاستفهام منه فائدة أخرى وهى أنه عليه الصلاة والسلام قال ماقلت لهم الا ما أمرتنى به فكان أبلغ فى توبيخهم فى الموقف بين العالمين وفى قوله ماقلت لهم الا ما أمرتنى به فائدة لانه لو قال لم أقل لهم ذلك لاحتيج أن يقال له ما الذى قلت لهم فعلم المقصود وأجاب عما يقال له فيما بعد ومثله قوله صلى الله عليه وسلم وقد سئل عن ماء البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته علما بانه صلى الله عليه وسلم يسئل فيما بعد ذلك عن السمك وفى قوله الا ما أمرتنى به دون ماقلت لهم الا ان اعبدوا الله دليل على اعترافه بالعبودية وانه مأمور فى أقواله وأفعاله لئلا يتوهم أنه فعل ذلك وقاله تبرعا ويفهم هذا من قوله ربى وربكم فانه اعترف على نفسه لله تعالى بالربوبية فباهم وفى قوله تعالى وأنت على كل شئ شهيد حكمة أخرى ترفع وهم من يتوهم أنه كان الشهيد عليهم لما كان بين ظهرانيهم دون الله تعالى وأنه لما غاب عنهم تولى الله

الشهادة عليهم فقال وانت على كل شئ شهيد أى فى الحالتين حالة وجودى بين ظهرانيهم وحال غيبتى منهم وبالجملة فهذه القصة يحتمل الكلام عليها مجلدا لطيفا فانها قد تضمنت من البلاغة والحكم ما يعجز المتكلمون عن استغراق ذلك واستخراج جواهره واستنباط معانيه قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا فسبحان من أنزله هدى ورحمة (رجع الى قول الطغرائى) أقول قد جبلت النفوس الأبية على تحقيق الظنون بها وتصديق الأمل فيها والرجاء فيما يطلب منها من نصرة واعانة وازالة ضرورة وسد خلة وايواء وذب ونحو ذلك والنفوس اللئيمة بخلاف ذلك تكذب الظنون فيها وحسن الظن بالله أمر واجب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه عز وجل أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى خيرا وقال صلى الله عليه وسلم لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله تعالى ونقل عن احد اهل البيت رضى الله عنهم أنه لما احتضر قال لولده يا بنى اقرأ على الرخص لأموت وانا حسن الظن بالله تعالى وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه حسن الظن بالله ان لا ترجو الا الله تعالى ولا تخاف الا ذنبك أنشدنى لنفسه اجازة الشيخ الامام الاديب الكاتب القاضى شهاب الدين أبو الثناء محمود ومن خطه نقلت

وقيل ما أعددت للحتف فقد جئت محله
قلت أعددت مع العفو جميل حسن الظن بالله

وأنشدنى من لفظه لنفسه الشيخ الامام الحافظ فتح الدين محمد بن محمد بن سيد الناس

فقرى لمعروفك المعروف يغنينى * يا من أرجيه والا ...
ان أوثقتنى الخطايا عن مدى شرف * نجا بادراكه ...
أو غض من املى ما ساء من عملى * فان لى حسن ظنى ...

ويتعين على ذوى المروآت احتمال الاذى والضرر فى تصديق ... وتحقيق رجائه وبلوغ آماله الى مآربه وتبليغه مقاصده ...

ولا

لولا المشقة ساد الناس كلهم * الجود يفقر والاقدام قتال

قيل ان الصاحب جمال الدين بن مطروح كتب الى بعض الرؤساء رقعة على يد صديق له يشفع فيما عنده فكتب له ذلك الرئيس هذا الأمر على "فيه مشقة فكتب ابن مطروح جوابه لولا المشقة فلما وقف عليها ذلك الرئيس فهم الاشارة الى قول المتنبي وقضى المصلحة وسأل ابو الاسود الدؤلي معاوية في أمر فوضع معاوية يده على أنفه فضرب ابو الاسود يده وقال والله لا تسود فينا حتى تصبر على محادثة الشيوخ البخر وفي معنى قول ابي الطيب قول مسلم بن الوليد

أبا سهل إن الجود خير مغبة * وأكرم ما يأتي به القول والفعل

وما الفضل والمعروف فيما هويته * ولكنه فيما كرهت هو الفضل

وقول مهيار الديلمي

وأكره كل معتذر الساعي * الى التقصير نال فأأملا

اذا نشأت سحائبه برعد * أهب قنوطه ريحا شمالا

وليس أخوك الا من تخطالا * مووربه فيحملها ثقالا

ومن الكلام النوابغ محك المودة والاخاء حال الشدة لا الرخاء ولهذا قيل

دعوى الاخاء على الرخاء كثيرة * ومع الشدائد تعرف الاخوان

قيل ان يوسف عليه السلام كتب على باب السجن لما خرج منه هذا قبر الاحياء وشماتة الأعداء وتجربة الأصدقاء ولله در يزيد بن المهلب من ذي مروءة وسخاء وتصديق أمل فانه كان في حبس الحجاج يعذب فدخل عليه يزيد ابن الحكم وقد حل نجم مما كان عليه وكانت نجومه في كل اسبوع ستة عشر ألف درهم فقال له

أصبح في قيدك السماحة والجو * د وفضل السلاح والحسب

لا بطر ان تتابعت نعم * وصابر في البلاء محتسب

أحرزت سبق الجياد في مهل * وقصرت دون سعيك العرب

فالتفت يزيد الى مولى له وقال له أعطه نجم هذا الاسبوع ونصبر على العذاب

الى البيت الآخر وقد روى صاحب الأغانى هذه الابيات لحمزة بن بيض مع يزيد المذكور وقال فقال له يزيد والله يا حمزة لقد أسأت اذ نوهت باسمى فى غير وقته ولا يترك لك ثم رفع مصلاه ورمى اليه بخرقة مصرورة وعليه صاحب خبر واقف وقال خذ هذا الدينار والله ما أملك ذهبا غيره فاخذه حمزة واراد أن يرده فقال له سرا خذه ولا تخدع فيه والله مابه دينار قال فخرجت فقال لى صاحب الخبر ما أعطاك يزيد فقلت أعطانى دينارا وأردت ان أرده عليه فاستحييت فلما صرت الى منزلى حللت الصرة فاذا فص ياقوت كأنه سقط زند فخرجت الى خراسان فبعته من رجل يهودى بثلاثين الفا فلما بعته وقبضت المال وصار فى يدى قال والله لو أبيت الا بخمسين ألفا لأخذته ثم انه دفع الى مائة دينار زيادة على أن الانسان يتعين عليه التفرس اولا والتكهن ليختار لحاجته من ينهض بمثقلها ويقوم بكلها حتى تنزل من جانبه بالرحب ويتلقاها بالبشر ويكون بها كفيلا قال ابو الطيب

ولم أرج الا أهل ذاك ومن يرد * مواطر من غير السحائب يظلم

والا فيكون قد أخطأ فى التأميل قبل التأمل وأضاع الفراسة قبل الافتراس والناس يختلفون فى الهمم ويتفاوتون فى العبم قال ابو الطيب

ما كل من طلب المعالى نافذا * فيها ولا كل الرجال فحولا

وقال الآخر

أملتهم ثم تأملتهم * فلاح لى أن ليس فيهم فلاح

وقال ابن نباتة السعدى من أبيات

ولكنما سامرت أحلام نائم * وحاورت وسنانا ينام وأسهر

بفكر لما جئت مستصرخا به * ولا يصرخ المكروب من يتفكر

وقد أخذا المعنى فى الاصل من قول الحماسى

لا يسألون أخاهم حين يندبهم * فى النائبات على ماقال برهانا

وما يبعد قول الطغرائى من قول الأرجانى

فان يك أعداءى على تناصروا * عداه والا من تخاذل اخوانى

ولم أدع للعلى صديقا أحابى * ولم أرض خلا للوداد فارضانى

وقال ابو عبد الله محمد بن أحمد الخياط

أعيناعلى وجدى فليس بنافع * اخاؤكما خلا اذا لم تعيناه
أماسبة أن تخذلا ذا صبابة * دعا وجده الشوق القديم فلباه

وقال الآخر

واخوان تخذتهم دروعا * فكانوها ولكن للأعادى
وخلتهم سهاما صائبات * فكانوها ولكن فى فؤادى
وقالوا قد صفت منا قلوب * نعم صدقوا ولكن من ودادى
وقالوا قد سعينا كل سعى * لقد صدقوا ولكن فى فسادى

وقال ابن الرومى

تخذتكم درعا حصينا لتدفعوا * سهام العدا عنى فكنتم نصالها
وقد كنت أرجو منكم خير ناصر * على حين خذلان اليمين شمالها
فان كنتم لم تحفظوا المودتى * زماما فكونوا لا عليها ولا لها
قفوا وقفة المعذور عنى بمعزل * وخلوا نبالى للعدا ونبالها

وقال آخر

وكنت أخى باخاء الزمان * فلما انقضى صرت حرباءوانا
وكنت أعدك للنائبات * فها أنا أطلب منك الأمانا

وقال آخر

أيا مولاى صرت قذى لعينى * وسترا بين جفنى والمنام
وكنت من الحوادث لى عياذا * فصرت من المصيبات العظام

وقال الارجانى

ترجع الأيام فيما وهبت * لؤم طبع ومتى كانت كراما
كم أناس خلتهم لى جنة * يوم روع فغدوا فى سهاما

كتب المعتمد بن عباد الى ابن عمار الاندلسى

وزهدنى فى الناس معرفتى بهم * وطول اختبارى صاحبا بعد صاحب

فلم ترنى الأيام خلا تسرنى * مباديه الا ساءنى فى العواقب
ولا قلت أرجوه لدفع ملمة * من الدهر الا كان احدى النوائب

فأجابه ابن عمار

فديتك لا تزهد فثم بقية * سترغب فيها عند وقع المصائب
فنى على الخلصان ان اديهم * على البدء كرات بحسن العواقب
ولو لمعت لى من سمائك برقة * ركبت الى مغناك هوج السحائب
فقبلت من يمناك أعذب مورد * وقضيت من لقياك آكد واجب

ذكرت بقول المعتمد فلم ترنى الأيام البيت قول بعض اهل العصر فى الشيخ صدر الدين بن الوكيل فانه كان يقبل أول الأمر فى الصحبة ثم يستحيل فى الآخر

ود ابن الوكيل له شبيه * بلباذين خلق فى المسالك
فاوله حلى ثم طيب * وآخره زجاج مع لوالك

ويشبه هذا قول الآخر فى هجو شريف

يا مشبه الكشاث أجداده طهرة * ويستحيل الى داء ومخايط
ما أنت الا كبدس القمر أوله * عذب وآخره يدعى بملوط

يقال ان جالينوس قال فى الكشث أبوان كريمان انجبا لئيما وما احسن قول الآخر يهجو من أبوه شريف

ان مات بأبيه * فلم يفتنى بأمه
أورام هجوى ظالما * سكت عن نصف شتمه

وهو مأخوذ من قول عنترة العبسى

انى امرؤ من خير عبس منصبا * نصفى وأحمى سائرى بالمنصل

وهذا البيت يؤيد قول من لحن الناس فى اطلاقهم سائرا على معنى الجميع وانما هو بمعنى الباقى فمن قال قدم سائر الحاج ويريد جميعهم فقد لحن وأنشد الحريرى فى درة الغواص شاهدا على هذه الدعوى قول الشاعر

ترى الثور فيها يدخل الظل رأسه * وسائره باد الى الشمس أجمع

وغالب الناس لا يكاد يسلم من هذا اللحن على أن صاحب الصحاح قال

وسائر الناس جميعهم وشاب شريف هو وآخر فقال الشريف ما تقول في وأنت لا تتم صلاتك الا بالصلاة علي وعلى آبائي وأجدادي فقال له والله اني أسلك من بينهم كما تسل الشعرة من العجين لاني أقول اللهم صل على محمد وعلى آل محمد الطيبين الطاهرين (رجع) قال علقمة بن لبيد العطاردي لابنه يا بني ان نزعت بك الى صحبة الرجال حاجة فاصحب من ان صحبته زانك وان أصابتك خصاصة مانك وان قلت سدد قولك وان صلت شد صولك وان مددت يدك بفضل مدها وان بدت منك ثلمة سدها وان رأى منك حسنة عدها وان سألته أعطاك وان سكت عنه ابتداك وان نزلت بك احدى الملمات واساك من لا تأتيك منه البوائق ولا تختلف عليك منه الطرائق ولا يخذلك عند الحقائق ذكر صاحب الأغاني في اخبار علوية أن من جملتها أنه دخل على المأمون وعنده جماعة من المغنين وهو يرقص ويصفق ويغني ويقول

عذيري من الانسان لا ان جفوته * صفا لي ولا ان صرت طوع يديه
واني لمشتاق الى ظل صاحب * يروق ويصفو ان كدرت عليه

فسمع المغنون والمأمون منه ما لم يعرفوه واستطرفه المأمون وقال ادن يا علوية ورده فردده عليه سبع مرات فقال المأمون في الآخرة يا علوية خذ الخلافة وأعطني هذا الصاحب قلت وما صاحب يبذل فيه الخلافة المأمون في سعة الملك وابهته وصفاء الوقت من الاكدار الا أعز من الكبريت الاحمر بل من شاة الله ولا أوجده ذكرت بوصية علقمة لولده قول الفضل ابن عبد الرحمن في زينب بنت عتيبة بن أبي لهب الناري الى امرأة معروفة النسب كريمة الحسب فاضلة الخصال ماجدة الدلال ان وعدت أشرفت وان قامت أضعفت وان مشت ترفرفت تروح من بعيد وتعن من قريب تسر من عاشرت وتكرم من جاورت وتبذ من فاخرت ودودا لودا لا تعرف أهلها ولا تسر الا بعلها فقالت له يا ابن العم اخطب هذه من ربك في الآخرة فانك لا تجدها في الدنيا وقال ابو موسى المكفوف لنخاس اطلب

الى حمارا ليس بالصغير المحتقر ولا بالكبير المشتهر ان خلا الطريق تدفق وان كثر الزحام ترفق لا يصدم بي السواري ولا يدخلني تحت البواري ان أكثرت علفه شكر وان قللته صبر وان ركبته هام وان ركبه غيري نام وقال له النخاس أصبر اعزك الله عسى أن يمسخ الله القاضي حمارا فتصيب حاجتك (رجع) وعلى الصحيح فالكمال معدوم الا في الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم ولا بد في الانسان من لو ولولا ومن كانت ماهيته متضادة فالنقص فيه أولى والاعتدال بعيد من المركب وماسلك الصواب صديق الا وينكب فلا تغتر برأى الرجال المهذب

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها * كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

قال الحريري

ولو انتقدت بني الزما * ن وجدت أكثرهم سقط

قال بعضهم لو أنصف الحريري لقال كلهم فالبس أخاك على علاته واغتفر لبعض صوابه جل زلاته وقد هون الامر في الصحبة مؤيد الدين الطغرائي في قوله

أخاك أخاك فهو أجل ذخر * اذا نابتك نائبة الزمان

وان زادت اساءته فهبها * لما فيه من الشيم الحسان

تريد مهذبا لا عيب فيه * وهل عود يفوح بلا دخان

وقال ايضا وان لم يكن من الباب

غايظ صديقك تكشف عن ضمائره * وتهتك الستر عن محجوب أسرار

فالعود ينبيك عن مكنون باطنه * دخانه حين تلقيه على النار

وقلت انا في شرط الصحبة

صديقك مهما جنى غطه * ولا تخف شيأ اذا أحسنا

وكن كالظلام مع النار اذ * يوارى الدخان ويبدى السنا

وكأني بالطغرائي وقد جرّ هذا الصاحب فانجزم وطلب اقباله على النصرة له فانهزم وسامه الوقوع على المساعدة فتعلى ورام النجدة منه فقرأ عبس

وتولى سأل أبو جعفر المنصور بعض الخوارج فقال أخبرني أي أصحابي كان أشد اقداما في مبارزتك فقال ما أعرف وجوههم ولكن أعرف أقفاءهم فقل لهم يدبروا أعرفك بهم وأخذ ابن الرومي هذا المعنى وزاده وزنا فقال

قرن سليمان قد أضربه * شوق الى وجهه سيتلفه

كم يعد القرن بالقفا وكم * يكذب في وعده ويخلفه

لا يعرف القرن وجهه ويرى * قفاه من فرسخ فيعرفه

ذكرت بالقفا قول أبي الفضل الميكالي

لنا صديق يجيد لقما * راحتنا في أذى قفاه

ماذاق من كسبه ولكن * أذى قفاه أذاق فاه

وذكرت بالصفع هنا ما حكي عن شرف الدين بن الشيرجي وكان أنحى وشهاب الدين التلعفري من أنهما اجتمعا في ليلة أنس عند الناصر فاتفق أن قام شرف الدين الى الطهارة وعاد فأمره الناصر بالاشارة أن يصفع التلعفري فلما صفعه أمسك التلعفري بذقن شرف الدين وأنشد ويده في ذقنه لم يفلتها

قد صفعنا في ذا المحل الشريف * وهوان كنت ترتضي تشريفي

فارث للعبد من مصيف صفاع * يا ربيع الندى والاخريف ى في

قلت تأمل هذا النظم ما ألطفه وأحسن مقدمه ومصرفه وهذه التورية التي اتفقت له بديها وساعده اللطف الزائد فيها وكأني بذقن الشيرجي وهي في يد ذلك الخريف وقد ذكر الربيع والمصيف وختم بالخريف هذا وكونه قال في وسط كت أحلاما جمع من النكت ولو كمل ما بقي له هذه الحلاوة والاشارة أبلغ عند ذي اللب من العبارة لذي الغباوة فارعها السمع واضحك الى أن تشرق العين بالدمع فما كل من ندب ندر ولا كل من خبر خبر وقد

رأيت البيتين في ديوان الاسعردي ومثل هذه الاشارة قول الآخر

أبا جعفر لست بالمنصف * ومثلك من قال قولا يفي

فان أنت أنجزت لي موعدي * والا هجوت وأدخلت في

وقد علم الناس ما بعده * فغط الحديث ولا تكشف

وقد ذكر بعضهم أيضا بالجرور في هذا البيت

مكان أقت به تعسة * وأخرجت منه بلطف خفي

وعلى ذكر الصفع قيل ان صبيا قال ليهودي قف يا عمي حتى أصفعك فقال له اليهودي انا مستعجل ولكن اصفع اخي عني أنشدني لنفسه الشيخ ابراهيم ابن علام الدوري المعمار

سألته في صفعة قال لي * جناية الصفعة [illegible]

صاع من التمر أحلى به * قلت نعم [illegible]

وقال أيضا

ومفتن يهوى الصفاع * ولم يكن اذ ذاك في

سلمته عنق الدقيق * فراح بفتله بجن

ما ان اذنت له رضى * لكنه من خلف اذني

لو لا يد سبقت له * لأمرته [illegible]

وأنشدني أيضا لنفسه

وصاحب أنزل بي صفعة * فاغتظت [illegible]

وقال في ظهرك جاءت يدي * [illegible]

وقال ناصر الدين حسن بن النقيب

يحتاج ذا التاج من برصه * بدرة [illegible]

فمن يرى عنقه الطويل ولا * ينزل فيه يموت بالحسره

وقال ابن دانيال في البرهان وقد صفع وهو أرمد

صفع البرهان ومارحما * فبكى من بعد الدمع دما

قد كان شكا رمدا صعبا * فازداد بذاك الصفع عمى

نزلوا سحرا في ساحله * فرأى الاصباح بهم ظلما

من كل فتى باع فسح يدا * مثل القصار اذا احترما

فسقاه بها [illegible] * وسقاه [illegible]

وقال ناصر الدين حسن بن النقيب أيضا

وما أنساه فى النيروز لما * تأمر والامارة فيه تكفى
وقد أومت اليه كل كف * رأت ذاك القذال بكل خف
فطرز عنقه بالصفع منا * وما أنموذج التطريز مخفى

وما استعمل التطريز احد أحسن من هذا خصوصا وقد رشحه بقوله مخفى
وقلت انا فى ذلك

ورب صديق غاظه حين جاءه * من القوم صفع دائم الهطل بالنطل
فقلت له تأبى المروءة أننا * نخليك يابستان فينا بلا نخل

كان بمصر شاعر يقال له أبو المكارم بن وزير بلغ ابن سناء الملك أنه هجاه
فأدبه وشتمه فكتب اليه ابن المنجم الشاعر يقول

قل للسعيد أدام الله دولته * صديقنا ابن وزير كيف تظلمه
صفعته اذ غدا يهجوك منتقما * منه ومن بعد هذا ظلت تشتمه
هجو بهجو وهذا الصفع فيه ربا * والشرع لا يقتضيه بل يحرمه
فان تقل ماله هجو عندى أثر * فالصفع والله أيضا ليس يؤلمه

وسمعت أنا امرأة تسأل من فى رقبته دمل ما هذا فقال لها ما لوع فقالت
أشتهى والله أن أنزل فى هذا الطلوع وأنشدنى القاضى شهاب الدين
محمود لنفسه اجازة فيمن صفع وقال لكمت ودفعت قوله

يا مسمى الصفع لكما * ومعيد الدال عينا
قل لمن يختار ما اختر * ت فانا قد رأينا

وما أظرف قول القائل

حباها باكرام وقام مبادرا * الى وتد المقياد عاق خفها
وكان اذا ما رابه سوء فعلها * يبل دماه ثم يصفع كفها

وقال ابن دانيال فى السراج الحورانى

رأيت سراج الدين للصفع صالحا * ولكنه فى علمه فاسد الذهن
أستره بالكف خوف انطفائه * وآفته من طفئه كثرة الدهن

وما أحسن قول القائل

أرى الصفع ورّدمنه القذالا * وأوسع في أخدعيه المجالا

وأسلاه عن حب ذات اللمى * وان هي فاقت وراقت جمالا

لئن كان قد حال ما بينه * وبين الحبيبة صفع توالى

فقد حدث الظرف بين المضاف * وبين المضاف اليه انفصالا

ما أحسن ذكر الظرف هاهنا ومن شواهد فصل المضاف من المضاف اليه قول الشاعر

كما خط الكتاب بكف يوما * يهودي يقارب أو يزيل

فكف مضاف الى يهودي ولكن الظرف فصل بينهما وهو يوما وما أحسن قول ابن سكرة الهاشمي أو ابن حجاج

قال غلامي ومقلتاه تكف * وجسمه ظاهر السقام دنف

خدمتنا هذه التي كثر الا * رجاف في أمرها فليس تقف

قد عزلونا عنها فقلت نعم * وصاد فاعين واو نون ألف

تنام عني وعين النجم ساهرة * وتستحيل وصبغ الليل لم يحل

اللغة النوم معروف وهو ضد اليقظة العين حاسة الابصار وهي مؤنثة والجمع أعين وعيون وأعيان قال الشاعر كأعيان الجراد المنظم وتصغيرها عيينة ومنه قيل للجاسوس ذو العينين النجم الكوكب ومتى أطلق فالمراد به الثريا فان أخرجت منه الالف واللام تنكر ساهرة السهر ضد النوم وقد سهر بالكسر فهو سهران وساهر وأسهره غيره وتستحيل الاستحالة التغير وحالت القوس واستحالت بمعنى اذا انقلبت عن حالها التي غمزت عليها وحصل فيها اعوجاج الصبغ اللون تقول صبغت الثوب أصبغه وأصبغه صبغا بالفتح وبالكسر ما يصبغ به فعلى هذا اللفظ الصحيح في البيت صبغ بالفتح الليل ضد النهار وهو من لدن غروب الشمس الى وقت طلوعها وهو الليل الطبيعي والليل الشرعي من لدن اقبال الظلام في المشرق الى وقت الفجر الثاني واما سليمان الاعمش فقال النهار الشرعي من اول

بزوغ الشمس محتجا بقوله صلى الله عليه وسلم صلاة النهار عجماء وان أى لا يجهر فيها ولعمرى ان ما قاله جيد وان كان الصحيح خلافه فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرر أن صلاة النهار عجماء فعلم من هذا ان صلاة الليل غير عجماء وهي المجهور فيها والله تعالى قال ان قرآن الفجر كان مشهودا أى مجهورا به وما يجهر فيه يكون حكمه داخلا فى الليل ويقال انه قيل لابى حنيفة ألا تمضى الى الاعمش تسلم عليه قال كيف أسلم على من لم يصم رمضان قط وقال وكيع سمعت الاعمش يقول لولا الشهرة لصليت الفجر ثم تسحرت قال الشيخ الامام الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان الذهبي كان هذا مذهب الاعمش وهو على الذى روى النسائى من حديث عاصم عن زرعة عن حذيفة قال تسحرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ضوء النهار الا أن الشمس لم تطلع ذكر ذلك فى تاريخه الكبير الذى قرأته عليه حوادث واجازيه تراجم وات وأكد الامام فخر الدين مذهب الاعمش ونصره ببحث قال منه لو بحثنا عن حقيقة الليل فى قوله تعالى ثم أتموا الصيام الى الليل وجدناها عبارة عن زمان غيبة الشمس بدليل ان الله تعالى سمى ما بعد المغرب ليلا مع بقاء الضوء فيه فثبت ان يكون الامر من الطرف الاول من النهار كذلك فيكون ما قبل طلوع الشمس ليلا وان لا يوجد النهار الا عند طلوع القرص اه فات الآية الكريمة قد بينت حرمة أكل الصائم فى قوله تعالى وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر فقد أبانت غاية الاكل بحتى فهذا نص صريح فى غاية مدة أكل الصائم فى الليل والخيط الابيض هو الفجر الثانى الذى يستطيل فى الافق من القبلة الى الشمال وليس الفجر الكاذب الذى يأخذ اوّلا من ذيل الأفق الى قريب من ثلثه طولا وهو المسمى بذنب السرحان وهذا الفجر الكاذب من الادلة القوية على الفاعل المختار لان تعليله يشق على الحكيم اذ لا سبب له غير الشمس لكونه أوّلا يبدأ آخذا الى فوق ثم يذهب ويأخذ بعد قليل فى الافق عرضا من اليمين الى الشمال فان كان ذلك بواسطة الشمس فكان

ينبغي ان يكون في الغرب مثله عند العشاء الاخيرة فاذا غاب الشفق يظهر بعد
قليل بياض مستطيل شبيه بذنب السرحان وقد قال بعض الحمقى ان في جبل
قاف طاقة اذا حاذتها الشمس خرج الضوء من تلك الطاقة فاذا بعدت المحاذاة
بطل الضوء فاذا قاربت الشمس الظهر بدا الضوء الثاني فحصل الفجران
وهذا من خرافات العقول واكاذيب الاوهام وأباطيل الحدس وقد ذكر
شهاب الدين احمد بن ادريس المالكي القرافي في كتابه الاستبصار فيما تدركه
الابصار تعليل ذلك وفيه نظر (الاعراب تنام) مضارع نام فهو نائم والجمع
نيام وجمع نائمة نوّم على الاصل ونيم على اللفظ وتقول نمت واصله نومت بكسر
الواو فلما سكنت سقطت لاجتماع الساكنين ونقلت حركتها الى ما قبلها
وكان حق النون أن تضم لتدل على الواو الساقطة كما ضمت القاف من قلت
الا أنهم كسروها للفرق بين المضموم والمفتوح وأما كلت فانما كسروها
لتدل على الياء الساقطة واما على مذهب الكسائي فالقياس يستمر لانه
يقول أصل قال قول بضم الواو وأصل كال كيل بكسر الياء والامر منه نم بفتح
النون وكذلك بناء المستقبل لان الواو المنقلبة الفا سقطت لاجتماع الساكنين
وهنا أيضا حذفت الهمزة التي للاستفهام لان أصله أتنام عني وحذفها جائز
في ضرورة نم تقدم (عني) جار ومجرور وأصله عن الجارة ودخلت نون الوقاية
على النون الاصلية فلهذا شددت في اللفظ وكتبت بنون واحدة والياء ضمير
المتكلم في محل جر ومن العرب من لا يدخل نون الوقاية على عن ولا على
من ويقول عني ومني بنون واحدة مخففة وعن هنا معناها التجاوز اي تتجاوز
أمري وتنام وتقدم الكلام على تقسيم عن في اول القصيدة (وعين النجم)
الواو للابتداء وعين مرفوع على أنه مبتدأ والنجم مجرور بالاضافة والاضافة
هنا معنوية وهي مقدرة باللام (ساهرة) مرفوع على أنه خبر المبتدأ
والاحسن ان تكون ساهرة منصوبة على الحال والخبر محذوف كما قرئ
ونحن عصبة بالنصب معناه ونحن نرى عصبة فكذا نقدرها وعين النجم
ترى ساهرة اذ المعنى أتنام عني وهذه عين النجم ترى ساهرة لاجلي وتستحيل

على

على وهذا صبغ الليل برى غير حائل وفى تقديره هكذا توبيخ له لكونه
من ذوى الحواس وقد نام عنه واستحال عليه وهذان غير حاسين ومع
ذلك فقد سهرت عين النجم ورثت فى حال غير نائمة ولم يستحل صبغ الليل
رحمة له ووفاء واذا جعلت ساهرة خبرا لعين النجم وصبغ مبتدا ولم يحل
الخبر وكانت الجملة فى الموضعين فى تقدير الحال ذهب معنى التقريع
والتوبيخ الذى تقرر ويعود المعنى أتنام عنى والحال من النجم والليل كذا
وكذا وان شئت قدرت عين النجم خبرا والمبتدا محذوف تقديره وهذه عين
النجم ساهرة ويكون فيه معنى زائد فى التوبيخ لانك اذا قلت أيخفى عليك
ما أردت وهذا الطفل قد فهمه فيه معنى زائد على قولك أيخفى عليك ما أردت
والطفل قد فهمه (وتستحيل) الواو عاطفة الجملة الفعلية على مثلها وهما
تستحيل وتنام تستحيل فعل مضارع مرفوع لخلوه من الناصب والجازم
وفاعله ضمير مستتر فيه كما فى تنام (وصبغ) الواو للابتداء وصبغ مرفوع اما
على انه مبتدا والخبر محذوف تقديره برى أو على أنه خبر مبتدأ محذوف
تقديره وهذا صبغ الليل على ما تقدم (الليل) مجرور بالاضافة المعنوية وهى
مقدرة باللام (لم) حرف يجزم الفعل المضارع وهى من خصائصه وعملت فيه
الجزم لانها دخلت عليه فنقلته من الاستقبال الى المضى فاختصت به لهذا
المعنى وكان عملها الجزم قياسا على ان الشرطية لانها تدخل على الماضى
فتنقله من المضى الى الاستقبال وهى مع ذلك تقتضى شرطا وجزاء وهما
جملتان فطال ما اقتضته وكان لا بد من العمل فناسب أن يكون الجزم ليقابل
طول ما اقتضته بهذه الخفة (يحل) فعل مضارع مجزوم بلم وكان أصله يحول
فاجتمع ساكنان وهما الواو واللام آخر الفعل لدخول الجازم والاول حرف علة
فحذف وبقى آخر الفعل ساكنا ثم اضطر الشاعر الى حركة الساكن فكسره اذ
القاعدة فى الساكن انه اذا حرك كسر لانهما أخوان فى أن كل واحد منهما
مختص بنوع من الكلام فالجر بالاسماء والجزم بالافعال وما أحسن قول من
قال دخول لم على المضارع كدخول الدواء المسهل على الجسد ان وجد فضلة

اثر المساواة الاضعف البدن وكذا ان كان المضارع فيه علة متوسطة أو متطرفة اذهبا وان كان صحيحا أضعفه لانه ينقله من الحركة الى السكون ولو أن جالينوس كان يعلم نحو العرب ما أتى بأحسن من هذه المناسبة وقد قيل انه كان يعرف النحو اليوناني بقي في البيت سؤال وهو ان مفعول تستحيل ما هو لان تستحيل من الاستحالة وهي استفعال من الاحالة تقول استحال زيد على عمرو فالجواب انه محذوف تقديره على وحسن حذفه كونه معلوما من السياق لانه اذ قال تنام عني علم أن معنى قوله وتستحيل أي على فهو جار ومجرور موضعه النصب على المفعولية (المعنى) أتنام عني وهذه عين النجم تراها ساهرة انا أقاسيه وأكابده من الفكر وتستحيل على وصبغ الليل كما تراه لم يحل ولم يتغير وفي هذا ادماج لانه أدمج في هذه العبارة أن الليل طويل عليه لم ينسلخ من سواده الى الفجر وما أحسن قول ابن الساعاتي

نمتم عن سهاد جفني ولا * يعلم ما ضر ساهر امن ينام
ما رعيتم حق الجوار وان كا * ن بأدنى الجوار يرعى الزمام

وقال الارجاني

فان تذكروا حق المشوق فانما * لنا وعليكم أنجم الليل تشهد
أبيت أعد النجم في كل ليلة * كأن بها ما رفي طراف عدد

وقال ابن قلاقس

قد ساهرتني عيون الدجى * وقد نمن عني عيون الملاح
اذا ما شكا الليل هجر الصباح .. شكوت الى الليل هجر الصباح

وقال ابن خفاجه

لا تسألوا عني الخيال فانه * ما زارني عنكم فيعلم ما بي
واستخبروا الليل الذي عيت نجومه * فنضا ولم ينصل دجاه خضابي
سهرت كواكبه معي وزيدتم * أنتم كواكبه ودون سحابي

وقلت انا في هذه المادة

اشكو الى البدر ابالي الجفا * وليس يدري ما عضت الك

فهو صبری أتسلى به * وانما البدر محياك

وما أحسن قول القائل فى طول الليل

كان الثريا راحة تشبر الدجى * لتعلم طال الليل ام قد تعرضا

فليل تراه بين شرق ومغرب * يقاس بشبر كيف يرجى له انقضا

وأخذه الشيخ صدر الدين بن الوكيل وزاده فقال

بكف الثريا وهى جذما تقاس لى * شقاق دجى مدت من الشرق للغرب

ولو ذرعوها بالذراع لما انقضت * فما تنقضى بالليل أو ينقضى نحبى

وقال شرف الدين احمد بن نصير بن كامل بن على بن منقذ

ولرب ليل تاه فيه نجمه * قطعته سهرا فطال وعسعسا

وسألته عن صبحه فأجابنى * لو كان فى قيد الحياة تنفسا

ومثله قول الآخر

مات الظلام بليل * احييته حين عسعس

لو كان لليل صبح * يعيش كان تنفس

وقال شرف الدين احمد المذكور

لما رأت النجم ساه طرفه * والقطب قد ألقى عليه سباتا

وبنات نعش فى الحداد سوافرا * أيقنت ان صباحه قد ماتا

وما أحسن اعتذار الأرجانى عن طول الليل

لا أدعى جور الزمان ولا أرى * ليلى يزيد على الليالى طولا

لكن مرآة الصباح تنفسى * للهم أصدا وجهها المصقولا

وما أرشق قول خالد الكاتب

رقدت ولم ترث للساهر * وليل المحب بلا آخر

وانصف من قال

وما ليلنا الا سواء وانما * تفاوته أنا سهرنا ونمتم

وقال زكى الدين بن أبى الاصبع

وساق اذا ما ضاحك الكاس قابلت * فواقعها من ثغره اللؤلؤ الرطبا

خشيت وقد أمسى نديمي على الدجا * فاسدلت دون الصبح من شعره الحجبا
وقسمت شمس الطاس بالكاس انجما * فياطول ليل قسمت شمسه شهبا
أخذ الاصل من قول القائل

ترى الشمس قد صفت كوكبا * وقد طلعت فى عداد النجوم

(رجع) وابن صاحب الطغرائى من قول أبى الطيب

لا أستزيدك فيما فيك من كرم * أنا الذى نام اذ نبهت يقظانا

وهو مأخوذ من قول بشار بن برد

اذا أيقظتك حروب العدا * فنبه لها عمرا ثم نم

وله عذر فى نومه واستحالته على الطغرائى لان هذا الصاحب آثر على مطايا الراحة والأمن والطغرائى قد اقتعد فى ذروة القلق والجد والروع والطلب وهيهات بينهما فرق بعيد وبون وقد ضل من اعتقد ان الصاحب له فى الشدائد عون ويا ويل الشجى من الخلى وهان على الاملس ما لاقى الدبر ومن هذا قول ابن قلاقس الاسكندرى

يغيظنى وهو على رسله * والمرء فى غيظ سواه حليم

يقال ان ابا أيوب المرزبانى وزير المنصور كان اذا دعاه المنصور يصفر لونه ويرعد فاذا خرج من عنده تراجع له لونه فقيل له انا نراك مع كثرة دخولك الى امير المؤمنين وأنسه بك تتغير اذا دخلت اليه فقال مثلى ومثلكم فى هذا مثل بازى وديك تناظرا فقال البازى للديك ما أعرف أقل وفاء منك لأصحابك قال وكيف ذلك قال تؤخذ بيضة فيحضنك أهلك وتخرج على أيديهم فيطعمونك باكفهم حتى اذا كبرت صرت لا يدنو منك احد الا طرت من هنا الى هناك وصحت وان علوت حائط دار كنت فيها سنين طرت منها وتركتها وصرت الى غيرها وأما انا فأوخذ من الجبال وقد كبرت سنى فتخاط عينى وأطعم الشئ اليسير وأسامر وأمنع من النوم وأونس اليوم واليومين ثم أطلق على الصيد فأطير وحدى وآخذه وأجئ به لصاحبى فقال له الديك ذهبت عنك الحجة لو رأيت بازيين فى سفود على النار ما عدت اليهم أبدا

وان

وانا في كل وقت أدري السفا فيه مملوءة ذنوبا فلا تكن حاميا عند غضب غيرك
وأنتم لو عرفتم من المنصور ما أعرفه لكنتم أسوء حالا مني ء دطلبه لكم قلت
وكأن أبا أيوب كان قد استشعر ايقاع المنصور به فانه أوقع به فيما بعد وعذبه
وأخذ أمواله وكانت أموالا عظيمة وما أفاده الدهن الذي ضرب به المثل شيأ
فان في أفواه العوام دهن أبي أيوب قيل انه كان يدهن حاجبيه يدهن يسحر
فيه المنصور اذا رآه فلا يتمكن منه (رجع) واستعارة العين للنجم في بيت
الطغرائي من أحسن ما يكون قال ابن نباتة السعدي

وخطة ضيم قد أبيت وليلة * سريت فكان الجد ما أنا صانع
هتكت دجاها والنجوم كأنها * عيون لها ثوب السماء براقع

وقال الارجاني

ثم حافت لما رأت أنجم الليل شبيهات أعين الرقباء

وهو مأخوذ من قول ابن المعتز

ما راعنا تحت الدجى شئ سوى * شبه النجوم بأعين الرقباء

ومن الالغاز في السماء والنجوم

وحسناء خرساء لا تنطق * يزوقها لبسها الازرق
وأحسن من كل مستحسن * عيون لها أبدا تبرق

وقال ابن طباطبا العلوي

وقد لاح الشعرى العبور كأنها * طرف تقلب بالدموع هموع

وقال أيضا

وكأن النجوم لما تدانى الصبح أجفان مستهام كئيب
شاخصات الى السماء فاطبقت أجفانها من الغروب
زاهرات كأنها زمن الجا * هل في حندس كذهن اللبيب

وما أحسن هذا الثالث والطف تخيله وقد استعمل أبو العلا المعري ذهن
الاديب أيضا فقال

خبريني ماذا كرهت من الشيب * فلا علم لي بذنب المشيب

أضياء النهار أم وضح اللؤ * لؤ أم كونه كثغر الحبيب
واذكرى لي فضل الشباب وما يجـ * ـمع من منظر يروق وطيب
غـــــدره بالخليل أم حبه للـ * ـغى أم أنه كدهر الاديب

وهذا هو تشبيه المعقول بالمحسوس وهو أعلى مراتب التشبيه طبقة لانه ينشأ عن لطف ذوق وسلامة فطرة وصحة تخيل فهو صعب على من يرومه متقاعس عن من جذب زمامه لان العلوم العقلية تستفاد من الحواس في المقادير والالوان والطعوم والرائحة وطيب النغم ونعومة الملمس وخشونته ولهذا قالوا من فقد حاسة فقد علما واذا كان كذلك فالمحسوس أصل والمعقول فرع وتشبيه المعقول بالمحسوس من باب ردّ الفرع أصلا والاصل فرعا وأحسن ماجاء فيه قول القائل

وكأن النجوم بين دجاها * سنن لاح بينهن ابتداع

وقول الآخر

كأن القلب والسلوان ذهن * يحوم عليه معنى مستحيل

وقول الآخر

كأن انتشاء البدر تحت غمامة * نجاة من البأساء بعد وقوع

وقول أبي طالب الرقي

ولقد ذكرتك والظلام كأنه * يوم النوى وفؤاد من لم يعشق

وقول جحظة البرمكي

ورق الجو حتى قيل هذا * عتاب بين جحظة والزمان

قرأت على الشيخ الامام الاديب الكاتب شهاب الدين أبي الثناء محمود قوله في كتابه حسن التوسل يصف حصنا

كأنه وكأن الجو يكنفه * وهم تمثله في طيها الفكر

وقول ابن المبارية

كم ليلة بت مطويا على حرق * اشكو الى النجم حتى كاد يشكوني
والصبح قد مطل الشرق العيون به * كأنه حاجة في نفس مسكين

وقول

وقول أبي القاسم سعد بن ابراهيم

تتنفس الصهباء في لهواته * كتنفس الريحان في الآصال

وكأنما الخيلان في وجناته * ساعات هجر في زمان وصال

وهو مأخوذ برمته من قول الآخر

اسفر ضوء الصبح من وجهه * فقام خال الخد فيه بلال

كأنما الخال على خده * ساعة هجر في زمان الوصال

وأخذه الشهاب بن المعمار فقال في خال قبيح على خد مليح

وجهك الزاهر نور * فيه خال غير حال

ساعة من ليل هجر * في نهار من وصال

وكلاهما أخذا المعنى من المعتمد بن عباد حيث قال

أكثرت هجرك غير أنك ربما * عطفتك أحيانا على أمور

فكأنما زمن التهاجر بيننا * ليل وساعات الوصال بدور

وقول الآخر

ولي سنة لم أدر ما سنة الكرى * كأن جفوني مسمعي والكرى العذل

وما أحلى قول أبي حفص عمر بن علي المطوعي

قم هات دهقانية * وعليك بالكاس الدهاق

أوما ترى نور الخلا * ف كأنه نور الوفاق

وقوله أيضا

أوما ترى نور الخلاف كأنه * لما بدا للعين نور وفاق

أو كف سنور ولكن نشره * يسعى بفار المسك في الآفاق

وعلى ذكر الفار حكى ان فخر القضاة ابن بصاقة امسك له فارة بيضاء فصنع لها قفصا وكتب عليه من نظمه

وفأرة بيضاء لم تمتهن * يوما باطعام الدنانير

اذ فارة المسك سمعنا بها * وهذه فارة كافور

ومما يستغرب انه وجد في ذخائر سلطان الدولة بن بهاء الدولة بن بويه

ثملة في عنقها سلسلة تأكل كل يوم رطلي لحم بالبغدادي

فهل تعين على غيّ هممت به * والغيّ يزجر أحياناً عن الفشل

(اللغة) الاعانة المساعدة في الخير والشر الغي الضلال تقول غوى بالفتح يغوي غيا وغواية فهو غاو وغو وأغواه غيره فهو غوي على فعيل قال الاصمعي لا يقال غيره وأنشد قول المرقش

فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره * ومن يغو لا يعدم على الغي لائما

سأل بعض [illegible] واصلا فقال له [illegible] الى [illegible] أغوى فقال أخطأت في ضم اللام انما الصحيح ما يأتي [illegible] قال الله تعالى انك لغوي مبين الزجر المنع والنهي يقال زجره وازدجره فانزجر وازدجر أحيانا الحين الوقت وجمعه أحيان الفشل الجبن يقال فشل بالكسر [illegible] جبن (الاعراب قوله) أفهل فقد تقدم الكلام عليها وأنها حرف استفهام وهي أخت الهمزة ولها صدر الكلام تقول أزيد قائم [illegible] وهل قام زيد وانما كان الاستفهام له صدر الكلام [illegible] وقيل [illegible] من أقسام الكلام [illegible] غيره من أول مرة [illegible] أداة الاستفهام [illegible] الخبر الى الاستخبار [illegible] والتمني [illegible] كانت الهمزة [illegible] غير مختصين [illegible] أزيدا ضربت أم عمرا [illegible] هل وجدت هل وجد الفصل أي الانقطاع [illegible] أزيدا ضربت وقد فصلت فيه بين همزة الاستفهام وبين الفعل بالمفعول ولا يجوز ذلك في هل فلا تقول هل زيدا ضربت وتقول أتضرب زيدا وهو أخوك ولا تقول هل تضرب زيدا وهو أخوك لانك في الهمزة تدعي ان الضرب واقع به وأنت توبخه وفي هل لا تدعي [illegible] كقوله تعالى وهل أتاك نبأ [illegible] وقوله تعالى [illegible] أتى على الانسان حين من الدهر وقد تجيء أيضا [illegible] الا ان يأتيهم الله (تعين) فعل مضارع من

اعان

اعان بمعنى اعانة مرفوع لخلوه عن الناصب والجازم وفاعله ضمير مستتر فيه تقديره أنت (على غى) جار ومجرور وعلى تكون للاستعلاء حسا مثل ركبت على الفرس أو معنى نحو تكبر عليه وفلان علينا أمير وقوله تعالى وانا أو اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين وفيه لطيفة وذلك انه أتى بعلى للهدى وبفى للضلال لان صاحب الهدى والحق كانه مستعل على ما هو عليه كالجواد يركض به كيف شاء وصاحب الضلال والباطل كانه منغمس فيما هو فيه ورأسه منخفض لا يدرى اين يتوجه وهذا من لطائف القرآن وغوامض معانيه ألا ترى الى لفظ الهدى كيف وقع بعلى فى قوله تعالى على هدى من ربهم والى لفظ الضلال كيف وقع بفى فى قوله تعالى انك لفى ضلالك القديم وقد تكون بمعنى فى اى الظرفية نحو قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها وقد تكون بمعنى عن كقول الشاعر

اذا رضيت على بنو قشير * لعمر الله أعجبنى رضاها

وقد تكون اسما وذلك اذا دخل عليها حرف الجر نحو نزلت من عليه أى من فوقه والقول فيها بانها اسم كالقول فى من وفى على لغات تقول جاء السيل من عال ومن علو بضم الواو وفتحها وكسرها مع سكون اللام ومن على ومن علو ومن علا بكسر اللام مع الياء وضمها مع الواو وفتحها مع الألف ومن عال فهذه ثمان لغات وأما ما أنشده البغداديون لابن ثروان من قوله

يا رب يوم لى لا أظلله * أرمض من تحت وأضحى من عله

فقال ابو على الفارسى هذا كله وأبطل أن تكون ضمة أو هاء سكت (رجع همت) فعل ماض تقول هم يهم وانما يفك الادغام عند اتصال الفعل بضمير الرفع وأما اذا دخل الجازم على المضارع من هذا المشدد كنت مخيرا بين الفك والادغام والفك لغة القرآن وهى للحجازيين قال الله تعالى ومن يرتد منكم عن دينه ومن يحلل عليه غضبى ولا تمنن تستكثر واغضض من

صوتك والادغام لغة بنى تميم وعليها قوله تعالى ومن يشاق الله ولك أن تقول حل واحلل ومد وامدد وغض واغضض والتاء ضمير الفاعل وهو المتكلم (به) جار ومجرور والباء هنا يحتمل أن تكون للالصاق وقد تقدم الكلام عليها وهممت وما بعده صفة الفتى فى موضع جر (والفتى) الواو للابتداء والفتى مرفوع على أنه مبتدأ (يزجر) فعل مضارع من زجر يزجر وارتفع لخلوه عن الناصب والجازم وفاعله ضمير مستتر فيه يرجع الى المبتدأ الذى هو الفتى والجملة من الفعل والفاعل فى موضع رفع على انها خبر الفتى (أحيانا) منصوب على أنه ظرف زمان والعامل فيه يزجر (عن الفشل) جار ومجرور وعن هنا للمجاوزة ومفعول يزجر محذوف للعلم به لان التقدير يزجر الانسان عن الفشل وعن الفشل فى موضع نصب لتعلقه بالفعل وهو يزجر (المعنى) يقول لصاحبه أتنام عنى وتستقيل على فهل لك فى أن تعين صاحبك على ما هم به وسيأتى تفسير ذلك الفتى فيما بعد فان الفتى يمنع الانسان فى بعض الاوقات عن الجبن واعانة المرء صاحبه فى الحق أمر مندوب اليه قال الله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وهذا فى الواجبات وقال صلى الله عليه وسلم والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه وهذا فى الامور المباحة فاما المحظورة فلا ومن فعل فقد شارك وصار له كفل منه وورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال انصر أخاك ظالما أو مظلوما فقيل له يا رسول الله أنصره مظلوما فكيف أنصره ظالما قال تحجبه عن الظلم فذلك نصرك اياه وحدث عمرو بن سعيد بن سالم الباهلى قال كنت من حرس المأمون بحلوان حين خرج من خراسان بعد قتل الامين واستيثاق الخلافة له فخرج لينظر الى العسكر فى بعض الليل فعرفته ولم يعرفنى فاغفلته وجاء من ورائى حتى وضع يده على كتفى فقال من أنت قلت أنا عمرو عمرك الله ابن سعد أسعدك الله ابن سالم سلمك الله فقال أنت الذى كنت تكلؤنا فى هذه الليلة فقلت الله يكلؤك يا أمير المؤمنين فانشأ المأمون يقول

ان اخاك الحق من كان معك * ومن يضر نفسه لينفعك

ومن اذا ريب الزمان صدعك * شتت فيك شمله ليجمعك

ثم قال يا غلام أعطه لكل بيت ألف دينار فوددت ان تكون الابيات طالت فأجد الغنى فقلت يا امير المؤمنين وأزيدك بيتا فقال لى هات فقلت

وان غدوت ظالما غدا معك * فقال يا غلام أعطه لهذا البيت ألف دينار فما برحت من موضعى حتى أخذت خمسة آلاف دينار قلت مافهم المأمون من هذا البيت الاخير الا ما فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تمام حديثه المتقدم واما الجبن فامر مذموم قال صلى الله عليه وسلم لاتمنوا لقاء العدو واذا لقيتموهم فاصبروا وفى رواية فاثبتوا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف وفى كتاب أبى بكر الصديق رضى الله عنه الى خالد بن الوليد رضى الله عنه احرص على الموت توهب لك الحياة وقال عمر رضى الله عنه الجراءة والجبن من الغرائز التى يضعها الله حيث شاء فالجبان يفر عن أهله وولده والجرىء يقاتل عمن لا يؤوب الى رحله وقال خالد بن الوليد عند موته لقد لقيت كذا وكذا زحفا ومافى جسدى موضع قيس شبر الا وفيه طعنة أوضربة أورمية ثم ها أنا أموت على فراشى حتف أنفى فلانامت عيون الجبناء ووقع فى أبى فراس الحارث بن حمدان نصل نشاب أقام فى بدنه ثلاثين شهرا حتى خرج فقال فيه

فلا تصفن الحرب عندى فانها * طعامى مذ بعت الصبا وشرابى

وقد عرفت وقع المسامير مهجتى * وشقق عن زرق النصول اهابى

ولججت فى حلو الزمان ومره * وأنفقت من عمرى بغير حساب

وقال أبو الطيب

رمانى الدهر بالارزاء حتى * فؤادى فى غشاء من نبال

فصرت اذا أصابتنى سهام * تكسرت النصال على النصال

وها أنا لا أبالى بالرزايا * لانى ما انتفعت بان أبالى

(رجع) ويدخل فى قول الطغرائى اغراء المحبين من يالفونه ويحضونه بالاقدام على الزيارة وركوب الاخطار وتهوين الخطوب فى الوصال ويتوصلون الى

قوله ولججت هو بالتشديد يقال لجج تلجيجا اذا خاض اللجة اه

ذلك بأنواع من سحر الكلام والمغالط التي يستعملها البلغاء في الاغراء والتحذير ويسمى أرباب المعقول هذا النوع الخطابة ومن أحسن ماجاء في ذلك قول القائل

قد بنا تفديك نفسي * نجعل الشك يقينا
فالى كم يا حبيبي * يأثم القائل فينا

وهو مأخوذ من قول الآخر

لا أنس لا أنس قولها بفى * ويحك ان الوشاة قد علموا
وثم واش بنا فقلت لها * هل لك بالهند في الذي زعموا
قالت لماذا ترى فقلت لها * كي لا تضيع الظنون والتهم

وقلت انا كاني حاضر أسمع مخاطبتهما

هذا محب ومخلصه * في دينه ان وشاته أثموا
فواصليه واصغي لغالطة * يقبلها من طباعه الكرم
ياويح وصل أتى بحيلته . ان كنت لم ترع عندك الذمم

وأنشدني من لفظه الشيخ العلامة أثير الدين أبو حيان بالقاهرة سنة سبعمائة وثمانية وعشرين قال أنشدني ابو عبد الله فتح الدين البكري قال أنشدني الجمال الكاتب محمد بن أبي العز المكرم لابيه

الناس قد أثموا فينا بظنهم * وصدقوا بالذي أدري وتدرينا
ماذا يضرك في تصديق ظنهم * بأن نحقق ما فينا يظنونا
حملي وحملك ذنبا واحدا ثقة * بالعفو أجمل من اثم الورى فينا

ذكرت المغالطة هنا مغالط المنطق فمنها قولك الفول يغدو الحمام والحمام يغدو البازي يلزم من ذلك ان تكون النتيجة الفول يغذو البازي وهي كاذبة مع صدق المقدمتين وقد ذكرها الشيخ شهاب الدين أحمد بن ادريس القرافي في أنوار البروق بجملة عشر مغالط وهي أحسنها التي امتحنت بها جماعة من الاذكياء الفضلاء [illegible] المكان الغالط في [illegible] جميعها ان ضرب الاول من الشكل الاول شرط انتاجه ان يكون [illegible] الاوسط

محمولا فى الصغرى موضوعا فى الكبرى كقولك العالم متغير وكل متغير حادث فالنتيجة العالم حادث فلما كان هنا نفس محمول الصغرى موضوعا فى الكبرى انتج صدقا بخلاف المسئلة الاولى لان المحمول فى الصغرى انما هو لفظة يغذو وليس هو الموضوع فى الكبرى وانما الموضوع فيهما مفعول يغذو وهو الحمام فلم يتحد الحد الاوسط وهذا نظير قولك زيد مكرم عمرا وعمرو مكرم خالدا فانه لا ينتج صدقا أن زيدا مكرم خالدا نعم لو فات ان زيدا مكرم عمرا ومكرم عمرو مكرم خالد أنتج ان زيدا مكرم خالدا فاعرف ذلك فانك تركب من هذه القاعدة مغالط كثيرة ومن مغالط شهاب الدين القرافى قولك الوتد فى الحائط والحائط فى الارض فيلزم منه انتاج الوتد فى الارض وهو كاذب بخلاف قولك الدراهم فى الكيس والكيس فى الصندوق فالنتيجة الدراهم فى الصندوق وهى صادقة وانما صدق الانتاج هنا وفى الاولى كذب لان الحائط فى الاولى لم يغب بجمموعه فى الارض كما غاب الكيس بجمموعه فى الصندوق ومن مغالطه أيضا وهو مشهور بين أرباب المنطق فى الاستدلال على أن السارية ذهب أو الجبل ذهب أوما وقعت عينك عليه ذهب قولك مثلا هذا الجبل ذهب لان كل من قال انه ذهب قال انه جسم وكل من قال انه جسم صادق فينتج كل من قال انه ذهب صادق ووجه الغلط أن صحة المقدمات غير مسلمة لان منها انه قال انه ذهب وهذا كذب ومنها كل من قال انه ذهب قال انه جسم وبعض هذه المقدمة ممنوع واذا كذبت احدى المقدمتين أو بعض المقدمة تبعته النتيجة فى الكذب وما أحسن ما أنشدته بحلب سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة لنجم الدين الوارسى وهو

لا تخطبن سوى كريمة معشر * فالعرق دساس من الطرفين
أو ماترى ان النتيجة أنها * تبع الاخس من المقدمتين

وهذا فى غاية الحسن وهذه المغالطة عظيمة يمكن الذكى ان يرتب عليها أنواع المحالات ويستدل على سائر الاجسام انها ياقوت أو ذهب أو غير ذلك وأنشدنى الشيخ الامام الاديب الكاتب شهاب الدين أبو الثناء محمود قال

أنشدني لنفسه الشيخ الامام مجد الدين بن الظهير الاربلي أبياتا كتبها من نظمه على الجزولية في النحو

مقدمة في النحو ذات نتيجة * تناهت فاغنت عن مقدمة أخرى

حبانا بها بحر من العلم زاخر * ولا عجب للبحر أن يقذف الدرا

وأوضحها بالشرح صدر زمانه * ولم نر شرحا غيره يشرح الصدرا

(انى أريد طروق الحي من اضم * وقد حماه رماة من بني ثعل)

اللغة الطروق هو المجيء بليل يقال أتانا فلان طروقا وقد طرق يطرق فهو طارق قال ابن الجواليقي في التكملة الصواب أن يقال طوارق الليل وجوارح النهار لان أبا زيد حكى عن العرب جرحته نهارا وطرقته ليلا قال الله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار وقال الجوهري جرح واجترح أي اكتسب وذكرت هنا أبياتا نظمها أحد الامشاطي من أهل العصر وذلك في سنة ست وعشرين وسبعمائة وهي

وفتاك اللواحظ بعد هجر * حباك كرما وأنعم بالمزار

وظل نهاره يرمي بقلبي * سهاما من جفون كالشفار

وعند النوم قلت لمقلتيه * وحكم النوم في الاجفان جاري

تبارك من توفاكم بليل * ويعلم ما جرحتم بالنهار

الحي واحد أحياء العرب وهم القوم النازلون بمكان واضم بكسر الهمزة جبل بأرض المدينة قال الشاعر شبت بأعلا عاندين من اضم حماه منعه رماة جمع رام ثعل أبو حي من طي وهو ثعل بن عمرو أخو نبهان وهم الذين عناهم امرؤ القيس بقوله

رب رام من بني ثعل * مخرج كفيه من ستره

وبنو ثعل مشهورون باتقان الرمي وقد أكثر الشعراء من نسبة ذلك اليهم قال ابن قلاقس

وحي من كنانة قد رموني * بما حوت الكنانة من سهام

اذا انتضلوا وما ذهل أبوهم * رموك بكل رامية ورامى

ومن هذه القبيلة عمرو بن المشبح الثعلى الذى قدم على النبى صلى الله عليه وسلم فى وفود العرب فأسلم وهو ابن مائة وخمسين سنة وكان أرمى العرب بالسهام واياه عنى امرؤ القيس بقوله رب رام البيت وهذا من جملة ما استشهد به ابن قتيبة فى كتاب طبقات الشعراء على قرب زمن امرئ القيس من زمن النبى صلى الله عليه وسلم وأنه كان قبله بعقدار أربعين سنة (الاعراب انى) ان حرف ينصب الاسم ويرفع الخبر وانما عملت هذا العمل لانها واخواتها أشبهت الفعل ووجه الشبه ان معنى ان أكدت وحققت وكأن شبهت ولكن استدركت وليت تمنيت ولعل ترجيت ولانها مفتوحات الآخر كما انفتح آخر الفعل ولانها تدخلها نون الوقاية كالفعل فاعطى هذا الباب أحسن حالات العمل وأقواها وهو تقدم المفعول على الفاعل فشبه اسمها بالمفعول وخبرها بالفاعل فان قلت أحسن الحالات للفعل تقديم الفاعل قلت انما منع ليكون للاعمل مزية وتعلم فرعية ان وبابها فى العمل وقد أحسن محاسن الشواء حيث قال فى جارية زرقاء العيون

وغادة قلت لها الا * رعيت فى الحب انا الا

وطرفك الازرق ماباله * يحدث فينا الخطأ القتلا

قالت الا يقتل طرف حكى * لون سنان الرمح والشكلا

قد عملت ان على أنها * حرف وقد أشبهت الفعلا

وقيل انما قدم المنصوب على المرفوع ولم يعكس لان كان تقدمت هذا النوع وفازت بذلك العمل وانما قلنا بتقديم كان واخواتها لانها مختلف فى حرفيتها فقوم قالوا انها افعال سلبت الدلالة على مصادرها وقوم قالوا بحرفيتها فلما تقدمت كان واخواتها اختصت بذلك العمل وجاءت هذه بعد فاختصت بهذا العمل فرقا بين العملين ومنهم من قال انها نصبت الاسم لاغير والخبر مرفوع بما كان عليه أولا لان ان انما تدخل على المبتدا والخبر وليس بشئ لان المبتدا أولى بأن يبقى على حاله والكلام فى هذا الباب متسع

فلذا اختصرت منه على ماذكر وان تكسر فى مواطن ستة الاول أن تقع مبتدأة كقوله تعالى انا أعطيناك الكوثر الثانى أن تكون أول الصلة كقولك جاءنى الذى انه شجاع ومنه قوله تعالى وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة واحترزنا بأول الصلة من مثل جاءنى الذى عندك أنه كريم لانها تفتح الثالث أن يتلقى بها القسم كقوله تعالى حم والكتاب المبين انا انزلناه الرابع أن تحكى بقول مجرد من معنى الظن كقوله تعالى قال انى عبد الله واحترز بمجرد من معنى الظن من نحو قولك أتقول أنك فاضل فهنا تفتح الخامس ان تحل محل الحال نحو زرت زيدا وانى ذو محبة فيه وكقوله تعالى كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون السادس أن تقع بعد فعل معلق باللام نحو قوله تعالى والله يعلم انك لرسوله فهذه هى المواطن التى يجب الكسر فيها ولها أماكن أخر تكسر فيها وأماكن أخر يجوز فيها الفتح والكسر منها أن تقع بعد اذا التى للمفاجأة كقولك خرجت فاذا انه واقف ومنها ان تقع بعد قسم وليس مع أحد معموليها اللام كقولك حلفت انك ذو تعب ومنها أن تقع بعد فاء الجزاء نحو من يأتنى فانى أكرمه ومنها أن تقع خبرا عن قول وفاعل القولين واحد نحو قولى انى أحمد الله وما عدا هذه المواضع فانها تكون فيها مفتوحة وتدخل اللام على خبر المكسورة اذا قصد المبالغة فى التوكيد وانما ادخلوا اللام على الخبر دون الاسم كراهية الجمع بين أداتى التوكيد ودخولها على الخبر مشروط بأن لا يتقدم معموله نحو ان زيدا طعامك آكل ولا يكون منفيا نحو ان زيدا لا يقوم ولا ماضيا متصرفا خاليا من قد نحو ان زيدا قام فتدخل على المفرد نحو ان زيدا لقائم وعلى المجرور نحو وانك لعلى خلق عظيم وعلى الجملة الاسمية نحو ان زيدا لأبوه قائم وعلى الفعل المضارع نحو ان زيدا ليقوم وان زيدا لسوف يفعل وعلى الماضى الذى لم يتصرف نحو ان زيدا لعسى أن يفعل وعلى الماضى المتصرف المقرون بقد نحو ان زيدا لقد أتى وتدخل على معمول الخبر نحو ان زيدا لطعامك آكل وان عبد الله لفيك راغب وعلى

ضمير

ضمير الفصل كقوله تعالى ان هذا لهو القصص الحق وعلى اسم ان اذا تأخر عن الخبر الظرف نحو ان عندك لزيدا أو الجار والمجرور نحو ان فى الدار لزيدا ولها أحكام أخر منها أنها اذا خففت يقل عملها وقد تعمل مع لزوم اللام فى خبرها ومنه قراءة ابن كثير وان كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم والاهمال أكثر نحو وان كل لما جميع لدينا محضرون واذا دخلت عليها ما كفتها عن العمل وقد تحذف نون الوقاية معها وهو الاكثر فيقال انى والاصل اننى وكذا باقى أدوات الباب تقول ليتنى وهو الكثير وتقول ليتى وهو القليل وتقول لكنى ولكننى وهما متساويان ولعلى ولعلنى وكأنى وكأننى (رجع) والياء فى انى فى موضع النصب على اسمية ان ولم يظهر الاعراب لان الضمائر مبنية (أريد) فعل مضارع ماضيه أراد رفع لخلوه عن الناصب والجازم وفاعله مستتر فيه تقديره أنا والجملة فى موضع رفع لانها خبر ان (طروق الحى) طروق منصوب على المفعولية لاريد والحى مضاف اليه والاضافة معنوية مقدرة باللام (من اضم) جار ومجرور ومن هنا لبيان الجنس (وقد حماه) الواو واو الحال وقد حرف تحقيق حماه فعل ماض والهاء فى موضع نصب على المفعولية وهى ترجع الى الحى (رماة) مرفوع على أنه فاعل حماه (من بنى) ثعل من هنا لبيان الجنس و (ثعل) اسم مجرور بالاضافة وهو ممنوع من الصرف لان فيه العلمية والعدل التقديرى أى قدر فيه أنه معدول عن ثاعل فان قلت لاى شئ كان هو معدولا عن ثاعل ولم يكن ثاعل معدولا عنه قلت لان الاصل فى صيغة اسم الفاعل هذا الوزن وذلك معدول عنها وانما صرف هنا للضرورة على قول أو للتناسب على قول وقوله وقد حماه الى آخر البيت فى موضع النصب على الحال وذكرت بالعدل والمعرفة هنا قول شرف الدين بن عنين

شكا ابن المؤيد من عزله * وذم الزمان وأبدى السفه

فقلت له لا تذم الزمان * فتظلم أيامه المنصفه

ولا تعجبن اذا ما صرفت * فلا عدل فيك ولا معرفه

وقول نورالدين الاسعردي في بعض مدرسي العجم

يقولون ان المجد بالقصف مولع * فقلت لهم ما اعتاد شيأ سوى القصف
فقالوا أساعلما ولفظا بجاس * فلم منعوا عن صرفه راغم الانف
فقلت لتأنيث به ولجمة * فقالوا وقد تلجي الضرورة للصرف
ولا بد من تقطيعه عند قبضه * فقد زاد بسط الكف في جهة الوقف

قلت لايخفى مافي البيت الثالث من محاسن باب مالا ينصرف وما في الرابع من محاسن العروض وما أحسن ما أنشدنيه من لفظه المولى القاضي شرف الدين أبو عبد الله الحسين بن ريان

أتيت حانة خمار وصاحبها * محارف متقن للنحو ذو لسن
وحوله كل هيفاء منعمة * وكل علق رشيق أهيف حسن
فقال لي اذ رأى عيني قد انصرفت * الى النساء كلام الحاذق الفطن
أنث وركب وصف واعدل بمعرفة * واجمع وزد واسترح من عجمة وزن

وظرف من قال

وذي أدب بارع نكته * وأوجت فيه قد اعتف
فقلت فديتك أعصر عليه ففيه اللذاذة لو تعترف
فقال أجدت ولكن لحنت * لقولك أعصر بفتح الألف
فقلت لك الويل من أحمق * فقال وأحمق لا ينصرف

قيل ان بعض السؤال وقف على باب نحوي فقرعه فقال النحوي من بالباب فقال سائل فقال انصرف قال اسمي أحمد قال لنحوي لغلامه أعط سيبويه كسرة وحكى أن جماعة من النحاة اختلفوا في بناء سراويل وهل هو منصرف فدخل البرقي عليهم فقال فيم أنتم قالوا في بناء سراويل فما عندك فيه قال مثل ذراع البكر أو أشد وقال رجل نحوي لبعض العوام اسماعيل ينصرف أم لا فقال اذا صلى العشاء فاعفوده ومدح شاعر طلحة صاحب البريد بأصبهان فلم يثبه فقال

لو كنت أقنع من مدحي بلا صفد * لا كتلت من طلحة كرين من خبز

فقال له طلحة لحنت لانك صرفت طلحة فقال الشاعر انما طلحة الذى لا ينصرف هو طلحة الطلحات فاما أنت فانك تبلغ الصين بنفخة واحدة (المعنى) يقول لصاحبه انى الذى طلبت اعانتك عليه هو انى أريد طروق الحى أى النزول على اضم ليلا وقد حماه رماة من بنى ثعل وهم المقيمون فى الحى فهل لك فى الاعانة على المسير اليهم وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن طروق الرجل أهله ليلا وفى النهى فوائد منها أن أهله لم يكن استعدد له كما هى عادة المرأة مع بعلها فيراها على حال يكرهها ومنها أن يحصل لهم فى ذلك الوقت ازعاج بقدومه وهم فى وقت يسكنون فيه ويجدون الدعة فيحصل منه استثقال ومنها أن يشوش على جيرانه بحركته فى ذلك الوقت ومنها غير ذلك وهذه الحالة أعنى كون الرماة يحمون الحى مما لا يهابه العشاق ولا يصدهم عن زيارة احبابهم ولا يمنعهم عن الوصول اليهم لانه قيل

دلامة الحب أن يستصغر الخطر * وان تزور ونار الحرب تستعر

وما أحسن قول القائل

وان نذرت فيك العشيرة قتلتى * فالموت عندى فى هواك سلام

ومن عجب الاشياء خوفى من العدا * ولى كل يوم فى هواك حمام

وقال أبو الطيب

يهون على مثلى اذا رام حاجة * وقوع العوالى دونها والقواضب

وقال ابن الساعاتى

رعاك الله يا سلمى رعاك * ودارك باللوى ذات الاراك

أخاف سيوف قومك من معد * وما كانت بأقتل من هواك

وأنشدنى جمال الدين المعروف بالحسافى قال أنشدنى عفيف الدين التلمسانى لنفسه

أسير ولو أن الصباح مواكب * وأسرى ولو أن الظلام غمام

وأغشى بيوت الحى لا مترقبا * وأطرق ليلى والوشاة نيام

اذا لم يكن للصب اقدام صبوة * تخلى تلاف النفس فهو حرام

فليس له بين المعين رحلة * ولا بين هاتيك الخيام مقام

وأول هذه الابيات مأخوذ من قول يوسف بن عبد الصمد

فاطعن ولو أن الثريا ثغرة * واضرب ولو أن السماك وريد

وافتح ولو أن السماء معاقل * واهزم ولو أن النجوم جنود

بل مأخوذ من قول أبي العلاء المعري

أسير ولو أن الصباح صوارم * وأسري ولو أن الظلام جحافل

الا انه غير الصوارم والجحافل بالمواكب والقتام ومن هذه المادة قول أبي العلاء أيضا

وكان حبك قد رحلك في السرى * فالطم بأيدي العيس وجه السبسب

واهجم على جنح الدجى ولو انه * أسد يصول من الهلال بمخلب

وقول أبي طالب المأموني

اذا ما طمى بحر المنى بين أضلعي * تعسفت بحرا من دجى الليل طاميا

فأمسي شجى في ثغرة الليل رائحا * وأضحى قذى في مقلة الصبح غاديا

وقول أبي فراس بن حمدان

لقيت نجوم الأفق وهي صوارم * وخضت سواد الليل وهو خيول

ولم أرع للنفس الكريمة خله * عشية لم يعطف على خليل

ولكن لقيت الموت حتى تركتها * وفيها وفي حد الحسام فلول

ومن لم يوق الله فهو ممزق * ومن لم يعز الله فهو ذليل

وما أحسن قول الارجاني

سحبت ذيل الدجى حتى طرقتهم * بسحرة وقميص الليل أطمار

أزورهم وسنان الرمح من بعد * الى بالمقلة الزرقاء نظار

وقوله أيضا

لما طرقت الحي قالت خيفة * لا أنت ان علم الغيور ولا أنا

قد نوب طوع مقالة تخفيا * ورأيت خطب القوم عندي أهونا

ونذات من شط ... مراجعا لديار له

أغنتهم تلك القدود عن القنا * ونضوا عن البيض الصفاح الاعينا
وحموا طروق الحي حتى لم يكن * مسرى الخيال اليه أمراً ممكنا

ولا أرى أن الحالة تشق في الزيارة الاعند العود ولهذا قيل

يا ليل ما جئتكم زائراً * الا وجدت الارض تطوى لي
ولا ثنى عزمي عن بابكم * الا تعثرت بأذيالي

(يحمون بالبيض والسمر اللدان به * سود الغدائر حمر الحلي والحلل)

(اللغة) يحمون يمنعون البيض جمع أبيض وهو السيف السمر جمع أسمر وهو الرمح اللدان جمع لدن وهو اللين الغدائر ضفائر الشعر واحدتها غديرة الحلي ما تتحلى به المرأة من خاتم وسوار وقلادة وغير ذلك الحلل جمع حلة وهي البردة اليمانية والحلة ازار ورداء ولا تسمى حلة حتى تكون ثوبين (الاعراب يحمون) فعل مضارع من حمى يحمي والواو ضمير الفاعلين والنون علامة الرفع للفعل المضارع والفرق بين الواو والنون اللتين تكونان في زيدون جمع المذكر السالم هو أن الواو التي في جمع المذكر السالم علامة الرفع والنون نون الجمع والواو التي في الفعل المضارع مثل يفعلون ضمير الفاعلين والنون علامة الرفع للفعل المضارع فهما هنا عكس تينك هناك وتقدم الكلام على موجب اعراب الفعل المضارع في قوله أريد بسطة كف والواو هنا في يحمون ضمير يرجع الى رماة الحي (بالبيض) جار ومجرور والباء هنا للاستعانة وقد تقدم الكلام عليها (والسمر) الواو واو العطف وقد عطفت اسما على اسم وقد تقدم الكلام على تقسيمها في أول القصيدة ولا بأس بالكلام على حكمها في العطف فأقول ان الواو لمجمع المطلق ولا تقتضي الترتيب بدليل قوله تعالى فكيف كان عذابي ونذر والنذارة قبل العذاب بدليل قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقوله تعالى حكاية عن منكري البعث وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيي وانما يريدون نحيي ونموت وقوله تعالى اني متوفيك ورافعك الي وقد تقدم الكلام على هذه الآية وقول الشاعر

حتى اذا رجب تولى وانقضى * وجماديان وجاء شهر مقبل

والادلة على عدم ترتيبهما كثيرة وذهب قطرب والربعى الى أنهما مرتبة مستدلين على ذلك بقوله تعالى شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم والجواب أن الذكر هنا بالشرف لا بالترتيب كما تقول جاء الخليفة والسلطان والوزير والامراء مسئلة من نسب الشافعى الى أنه فهم الترتيب فى الوضوء من الواو فقد غلط وانما أخذ الترتيب من السنة ومن سياق النظم وتأليفه وذلك أن الله تعالى ذكر الوجوه ووزنها فعول كرؤس وذكر الايدى ووزنها أفعل كأرجل وأدخل ممسوحا بين مغسولين وقطع النظير عن النظير فلولا أن الحكمة فى ذلك التنبيه على الترتيب لكان الأحسن بالبلاغة أن يقال وأيديكم وأرجلكم وامسحوا برؤسكم كما يقال رأيت زيدا وعمرا ودخلت الحمام ولا يقال رأيت زيدا ودخلت الحمام ورأيت عمرا ولو قيل ذلك لكان هجنة فى الكلام ومن أحسن من الله قيلا فان قلت لم يقطع النظير عن النظير بل عطف مغسولا على مغسول وممسوحا على ممسوح ويحتج لهذا بشئ يروى عن على وابن عباس رضى الله عنهم وبالقراءة الظاهرة وهى جر أرجلكم فى قراءة ابن كثير وحمزة وأبى عمرو وعاصم فى رواية أبى بكر عنه عطفا على مسح الرؤس وقراءة النصب لنافع وابن عامر والكسائى وعاصم فى رواية حفص عنه ليست عطفا على الايدى بل هى عطف على موضع الرؤس كما قال الشاعر

معاوى اننا بشر فاسجح * فلسنا بالجبال ولا الحديدا

قلت هذا خلاف قول الجماعة ونقل الثقات عن على الغسل وقد ذكر ابن ماجه فى سننه حديثا لابى حية عن على فى باب غسل القدمين وحديث المقداد بن معدى كرب وحديث الربيع وكذلك كل من وصف وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبد الرحمن بن أبى ليلى أجمع أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم على غسل القدمين قال أبو اسحاق وقد لقى عبد الرحمن مائة وعشرين صحابيا وقال أبو اسحق أيضا قال عطاء بن أبى رباح وقد

لقيت عشرة من الصحابة ولم أر أحدا منهم يمسح على القدمين قال أبو اسحق هذا مذهب الشافعي وبه قال من الصحابة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وحذيفة وأنس بن مالك وأبو هريرة وتميم الداري وسلمة بن الاكوع وعائشة رضي الله عنهم ثم قال وهو مذهب الشعبي والحكم والحسن وابن سيرين والزهري وعكرمة ومحمد بن علي بن الحسين وجعفر بن محمد وعطاء الخراساني وقول مالك والليث والاوزاعي والثوري وأبي حنيفة وأصحابه وأحمد وأبي اسحق وأبي ثور وأبي عيينة والحسن بن صالح وداود بن علي وأبو اسحق هذا هو الفيروزبادي صاحب التنبيه في الفقه وأما ابن أبي شيبة فقد ذكر في مصنفه بأسانيد صحيحة عن الشعبي وعكرمة والحسن أن مذهبهم المسح وما أدري من أين لابي اسحق هذا النقل عنهم ورواية الجمهور والمشاهير تصلح أن تكون تفسيرا لكتاب الله تعالى وانما القفال نقل في تفسيره عن ابن عباس وأنس وعكرمة والشعبي وأبي جعفر محمد بن علي الباقر أن الواجب فيهما المسح وهذا مذهب الامامية وهو باطل لان قراءة الجر عارضناها بقراءة النصب والاخبار الكثيرة وردت بالغسل والغسل يشمل المسح ولا ينعكس فالغاسل ماسح وزيادة وليس الماسح غاسلا فالغسل أقرب الى الاحتياط وأيضا فرض الغسل محدود كما في اليدين الى المرفقين وغسل الرجلين محدود الى الكعبين والمسح غير محدود كما في الرأس فالرجلان مغسولتان فان قلت الكعب عبارة عن العظم الذي تحت مفصل القدم وقال الاصمعي ومحمد بن الحسن الكعب عبارة عن عظم مستدير مثل عظم البقر والغنم موضوع تحت عظم الساق والقدم وعلى هذا يجوز مسح ظاهر القدم لى هذا الموضع قلت قال صاحب الصحاح الكعب العظم الناشز عند ملتقى الساق والقدم وأنكر الاصمعي قول الناس انه في ظهر القدم وأيضا فلو كان الكعب على ما ذكره الامامية لكان الحاصل في كل رجل كعب واحد فكان ينبغي أن يقال وأرجلكم الى الكعاب كما أنه لما كان الحاصل في كل يد مرفق واحد لا جرم قال وأيديكم

الى المرافق وأيضا فالذى قاله الامامية والاصمعى عظم خفى لا يعرفه الامن نظر فى علم التشريح والعظمان الناشزان عند مفصل الساق والقدم معلومان لكل أحد ومناط التكليف العام يكون أمرا ظاهرا لا خفيا وأيضا روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ألصقوا الكعاب ولا يكون الالصاق الا فيما ذهب اليه الجمهور وهما العظمان الناشزان ومنه قيل للمرأة كاعب وهى التى نهد ثديها وقولهم فى النصب انه عطف على الموضع فبابه الضرورة ولا ضرورة فى القرآن فان القرآن على اكمل الوجوه ويكفى هذا القدر فى هذه المسئلة وذكرت بالعطف على الموضع قول شهاب الدين ابن محاسن الشواء

هاتيك ياصاح ربى لعلع * ناشدتك الله فعرج معى

وانزل بنا بين بيوت النقا * فقد غدت آهلة المربع

حتى نطيل اليوم وقفا على الساكن أو عطفا على الموضع

(رجح) السمر مجرور لانه عطف على البيض (اللدان) صفة السمر لانه تبعه فى جمعه وتعريفه وتأنيثه وجره (به) جار ومجرور والضمير يعود الى الحى والباء هنا ظرفية بمعنى فى والتقدير يحمون سود الغدائر حمر الحلى والحال بالبيض والسمر اللدان فى الحى أو يحمون فى الحى سود الغدائر (سود) جمع أسود وهو منصوب على انه مفعول به ليحمون (الغدائر) مجرور بالاضافة الى سود وسود هنا ليس مفعولا فى الحقيقة بل هو صفة لمفعول وهو من باب حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه تقديره يحمون الرماة بالبيض والسمر التى بالحى أبكارا سود الغدائر أو ملاحا أو نساء كيف أردت وهذا كثير فى الكلام قال الله تعالى فان لم يصبها وابل فطل اى مطر وابل والاضافة هنا لفظية (حمر) صفة لسود بل صفة ثانية للمحذوف المقدر وهو المفعول حقيقة على ما قررو (الحلى) مضاف اليه وان أردت جعلته بدل الكل من الكل أعنى حمر الحلى بدل كل من سود الغدائر (والحال) معطوف على الحلى (المعنى) هؤلاء الرماة الذين هم من بنى ثعل يحمون بالبيض التى هى السيوف

والسمر

والسمر اللينة أى الرماح فى الحى أبكارا سود الضفائر حمر الحلى والبرود يعنى ان حليهن من الذهب الاحمر ولباسهن من الحرير الأحمر قال ابو الطيب

من الجآذر فى زى الاعاريب * حمر الحلى والمطايا والجلابيب

وقال أيضا

بكل فلاة تنكر الانس أرضها * ظعائن حمر الحلى حمر الأيانق

ومن قول الطغرائى أخذ ابن الساعاتى قوله

من الظباء اللواتى لاذمام لها * من أين يعرفن رعى العهد والذمم

بيض الترائب سمر الخط يحجبها * سود الذوائب حمر الحلى والنعم

ولاشك ان اللباس الاحمر يزيد الحسن رونقا ويفيده روحنة وبهاء آخر قال أبو جحيفة وهب بن عبد الله السوائى مارأيت ذا لمة سوداء فى حلة حمراء أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما قول الشاعر

هجان عليها حمرة فى بياضها * تروق به العينين والحسن أحمر

فانه عنى به الحسن فى حمرة اللون مع البياض دون غيره من الالوان وقال الحريرى فى درة الغواص أما قولهم الحسن أحمر فمعناه انه لا يكتسب مافيه الجمال الا بتحمل مشقة يحمر منها الوجه كما قالوا للسنة المجدبة حمراء وكنوا عن الامر المستصعب بالموت الاحمر اه قلت ويحتمل أن يكون المراد بقولهم الموت الاحمر انه القتل الذى يرى فيه سفك الدم وقول الطغرائى من قول أبى الطيب

ديار اللواتى دارهن عزيزة * بسمر القنا يحمين لا بالتمائم

وقول أبى اسحاق الغزى

وبورك فى خيام قبيل سلمى * وفى تلك المضارب والمجال

فما أوتادهن سوى المواضى * ولا أطنابهن سوى العوالى

وقال الارجانى

وقفا الصائدة الفؤاد بدلها * وخفا جناية عينها الحوراء

وتحدثا سرا فحول خبائها * سمر الرماح يملن للاصغاء

وقال ابن قلاقس الاسكندري

في سندس السكاة حورية * تهلن قلبي وهو النار
أحدقت السمر بها مثلما * تحدق بالمقلة أشفار

وقد أخذه من قول أبي الطيب

مضى بعدما التف الرماحان حوله * كما يتلقى الهدب في الرقدة الهدبا

وقال السراج الوراق

من البيض تمشي البيض حول خبائها * شبيهة نومي ليس يأوى الى جفني
غزالة أنس والرماح كناسها * ومن حوله قوم يخالون كالجن
لهم غيرة تدساء بالطيف ظنها * فصنوا عليها بالكرى خيفة الظن

وقال أيضا

ومحجوبة أما الدجى فغدائر * عليها وأما الصبح فهو جبينها
عجبت لسرى الطيف لي من كناسها * ومن حوله أسد الشرى وعرينها

وأنشدني من لفظه الشيخ الامام الحافظ أثير الدين أبو حيان قال أنشدني لنفسه الشيخ تقي الدين السروجي

وأرى لليلى العامرية منزلا * بالجود يعرف والندى أصحابه
فيه الامان لمن يخاف من الردى * والخير قد ظفرت به طلابه
قد أشرعت بيض الصوارم والقنا * من حوله فهو المنيع حجابه
وعلى حماه جلالة من أهله * فلذاك طارفة العيون تهابه
كم قابلت فيه الخدود على الثرى * شوقا اليه وقبلت أعتابه
قد أخصبت منه الاباطح والربى * للزائرين وفتحت أبوابه

وقال ابن سناء الملك

ألا فارفعي ذا الشعر عنا فاننا * نغار عليه من ملاعبه الجمل
عجبت له اذ يطمئن معانقا * أما أذهل الخلخال خوف بني ذهل
بشوك القنا يحمون شهد رضابها * ولا بذدون الشهد من ابر النحل

قال شرف الدين بن جبارة بعد أن أورد على البيت الاول والثاني ما أورده من

فساد المعنى ونقضه أراد ان يمدحهم فهجاهم بالمثل المضمن آخر بيته الذى جعله كفن ميتة لانه جعل طعن رماحهم كابر النحل وابرة النحل لا اثر لها ولا ألم يحصل منها ولو أن كل عاشق انما يمنعه من معشوقه ويحجزه عنه لسع الزنابير ولدغها لسهل عليه صعبها وذل له منعها ولله در المجنون اذ يقول كما قيل عنه

وحقكم لا زرتكم فى دجنة * من الليل تخفينى كأنى سارق
ولا زرت الا والسيوف هواتف * الىّ وأطراف الرماح عواشق

ولابى عبد الله عثمان المعروف بابن الحداد الاندلسى

أنى أراع لهم وبين جوانحى * شوق يهون خطبهم فيهون
أوهل يهاب ضرابهم وطعانهم * صب بألحاظ العيون طعين
وكانما بيض الصفاح جداول * وكانما سمر الرماح غصون

ثم ذكر أشياء غير ذلك وقال لولا وقوع هذا الشاعر فى شعره وقلة معرفته وقصور فكره لما قال بشوك القنا يحمون شهد رضابها وكيف يحمى الشهد بالشوك ولو اتفق له ان يقول جنى رضابها لكان أسوغ وأبلغ ثم قال فى اول البيت شهد وفى آخره شهد وانما الاحسن ان يأتى بالمثل بالمعنى لا باللفظ لانه اذا كرر بلفظه فكانه هو وانما القصد ان يكشف المعنى بلفظ موجز وقول مجموع معجز واذا تؤمل أكثر الشعر المضمن للامثال وجد على هذا المثال وهذه العلوم تدق عن فهمه ويخفى غرضها عن مرمى سهمه اه قلت أما كونه يدعى انه لا ألم فى ابر النحل ولا ضرر فى الزنابير فهذا مالا يسمع وهو تحامل أبين ان فى ابر النحل والزنابير سما يمنع القرب منه والدنو اليه وغالب الناس يهاب ذلك ولا يقدم عليه ومن مسائل النحاة كنت أظن العقرب أشد لسعا من الزنبور فاذا هو هى أو فاذا هو اياها الاول مذهب سيبويه والثانى مذهب الكسائى وليس بشئ لان مذهب الكسائى خرجت فاذا زيد واقف وهذه المسئلة تعرف بالزنبورية وقد ذكرها الشيخ بهاء الدين بن النحاس فى التعليقة على المقرب والشيخ علم الدين السخاوى ذكرها مستوفاة فى سفر السعادة ولعل بعض الناس لسعه زنبور فتورم منه

ومات وبالجملة فني ابر النحل سم تعاف النفوس من الاقدام عليه وهو ما أراد أن طعن قومها مثل لسع ابر النحل كما قال المعرى

واضعف الرعب أيديهم فطعنهم * بالسمهرية دون الوخز بالابر

لانه ما أتى بمثل ولا بكاف التشبيه بل نبه بالمثل الذى ذكره على أن حلاوة ريقها لاتنال الا بعد مشقة وعناء واهوال كما ان الشهد من دونه ابر النحل وكل لذيذ محفوف بألم فالجنة حفت بالمكاره وهذا غير وارد عليه واما انكاره شوك القنا فهو استعارة حسنة والتشبيه مطابق لان الاسنة أشكال مستدقة ملسنة حادة كما هو الشوك وأتى بها ليطابق الكلام المثل فى قوله ولابد دون الشهد من ابر النحل فقوله شوك يناسب ابر النحل وقد شبه الشعراء القنا بالشوك قال الارجانى

وردالخدود ودونه شوك القنا * فمن المحدث نفسه أن يجتنى

وقال ابن خفاجة

والخيل تعثر فى شبا شوك القنا * وتظل تسبح فى الدم المواد

وما أعجبنى شئ مما أورده عليه غير انكاره تكرار الشهد وكان الاحسن لو قال بشوك القنا يحمون رشف رضابها حتى اذا جاء المثل فسر ما تقدم واخراج الكلام مبهما ثم مفسرا أوقع فى النفوس وأبلغ الاترى ما أحلى قول مجير الدين محمد بن تميم فى مليح يشرب من بركة

أفدى الذى أهوى بفيه شاربا * من بركة رقت وراقت مشربا

أبدت لعينى وجهه وخياله * فارتنى القمرين فى وقت معا

فلو قال أبدت لعينى قمر وجهه وقمر خياله لما كان له هذه الديباجة فاعرف ذلك وبيت الطغرائى فيه من البديع التدبيج وهو تفعيل من الديج وهو النقش والتزيين وأصل الديباج فارسى معرب فالتدبيج فى البديع ان يذكر الشاعر فى مدح أوذم أووصف الفاظا تدل على الوان مختلفة كقول ابن حيوس

ان ترد علم حالهم عن يقين * فالقهم يوم نائل أونزال

تلقى بيض الوجوه سود مثار النـ * ـقع خضر الأكناف حمر النصال

وأخذه ابن النبيه فقصر عنه فى قوله

له بنان طافح بالندى * فهن اداهيم أو بحار

بيض الأيادى خضر روض الرضا * حمر المواضى فى العجاج المثار

والطغرائى ذكر فى بيته البيض والسمر والسود والحمر وما أحسن قول القائل

الغصن فوق الماء تحت شقائق * مثل الأسنة خضبت بدماء

كالصعدة السمراء تحت الراية الـ * ـحمراء فوق اللامة الخضراء

وقلت أنا

ما أبصرت عيناك أحسن منظرا * فيما يرى من سائر الأشياء

كالشامة الخضراء فوق الوجنة الـ * ـحمراء تحت المقلة السوداء

وقال ابن النبيه

وفى الكلة الحمراء بيضاء طفلة * بزرق عيون السمر يحمى احورارها

أثارلها نقع الجياد سرادقا * به دون ستر الخدر عنها استتارها

وقال عماد الدين بن دبوقا من أبيات

أرى العقد فى ثغره محكما * يرينا الصحاح من الجوهر

وتكملة الحسن ايضاحها * رويناه عن وجهك الأزهر

ومنثور دمعى غدا أحمرا * على آس عارضك الأخضر

وبعث رشادى بغى الهوى * لأجلك ياطلعة المشترى

ولبعض الكتاب وأوردنا ظباء الحديد الأخضر ماء الوريد الأحمر من عدو الدين الأزرق من بنى الأصفر وقال القاضى الفاضل من رسالة يصف فيها كتابا ورد عليه وقبضته وكم اجتنى منه نضارة بعد نضاره وفضضته فاذا جبال النور منه مستعاره كان شراره الجمالات الصفر او القصور الحمر أو النصال الزرق أو الليالى السود أو البروق البيض والعلم المشهور فى هذا قول الحريرى فى المقامة الثانية عشر فذا غبر العيش

الأخضر وازور المحبوب الأصفر اسود يومى الأبيض وابيض فودى الأسود حتى رثى لى العدو الأزرق فحبذا الموت الأحمر وأخبرنى الامام شهاب الدين ابو الثناء محمود أن القاضى الفاضل شرع فى انشاء مقامات فكان يعارض كل فصل من كل مقامة للحريرى بفصل من كلامه فلما انتهى الى هذا الفصل قال من أين يأتى المتكلم بمثل هذا وأبطل ما عمله من المقامات والحديث المدبج عند علماء الحديث هو الذى يروى فيه الاقران بعضهم عن بعض وهم المتقاربون فى السن والاسناد وربما اكتفى الحاكم أبو عبد الله فيه بالتقارب فى الاسناد ان لم يوجد التقارب فى السن وأعلاه ما يروى فيه الصحابى عن الصحابى مثل عائشة وأبى هريرة وبعده التابعى عن التابعى مثل مالك عن الأوزاعى وعكسه وبعده تابع التابعين عن تابع التابعين مثل أحمد بن حنبل عن على بن المدائنى وعكسه وبعده رواية الاشياخ عن الاشياخ وقد جمع الحافظ عبد الغنى والحافظ ابن عساكر والحافظ جمال الدين الرهاوى وغيرهم أجزاء فى الرباعى أى الحديث الذى اجتمع فيه أربعة من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين

فسر بنا فى ذمام الليل معتسفا * فنفحة الطيب تهدينا الى الحال

(اللغة) الذمام الحرمة والاعتساف افتعال من العسف وهو الاخذ بغير دليل فالذى يعتسف فى السير يمشى على غير طريق نفحة الطيب رائحته يقال نفح الطيب ينفح اذا فاح نشره تهدينا ترشدنا الى مقصدنا الحال بكسر الحاء جمع حلة وهى بيوت القوم (الاعراب فسر) الفاء للتعقيب أى عقب كلامه بقوله فسر وسر فعل أمر من السير مجزوم لكونه أمرا وذكرت هنا بيتين من أبيات المعانى وهما

سألت ونحن فى البيداء عمرا * على عجل ونحن نسير سيرا
فجاد به ولم يبخل علينا * فقلت له جزاك الله خيرا

ولا يظهر فى بادئ الرأى أنه جاد له بشئ لان الذهن يتبادر الى أن سيرا مفعول مطلق مثل ضربت ضربا وانما هو مفعول به اسما نثر وتقدير الكلام سألت

ونحن في البيداء عمرا اسيرا نجادبالسير (رجع) الامر ينقسم الى قسمين لغوي وهو طلب ايجاد الفاعل الفعل في الخارج على سبيل الاستعلاء وقيل اقتضاء فعل غير كف على جهة الاستعلاء والمراد بالاقتضاء مايقوم بالنفس من الطلب لانه الأمر في الحقيقة وتسمية الصيغة به مجاز وقيل غير كف ليقع الاحتراز من النهى وعلى جهة الاستعلاء ليقع الاحتراز من الدعاء وأورد على طرده كف لانه اقتضاء فعل هو كف فلا يكون هذا أمرا لكنه أمر فلا يكون مطردا وعلى عكسه لا تكف لانه اقتضاء فعل غير كف فيكون أمرا لكنه ليس بأمر فلا يكون منعكسا وصناعى وهو ما حصل به ذلك أى طلب ايجاد الفعل والذى حصل به ذلك هو الصيغة التى يطلب بها الفعل من الفاعل وفعل الامر بنى على السكون لانه الأصل في البناء وصيغته مأخوذة من المضارع فاذا أردت أن تصوغ فعل أمر حذفت حرف المضارعة ونظرت الى ما يليه فان كان متحركا صغت مثال الامر على صيغته وحركته فتقول مثلا من يشمر شمر ومن يدحرج دحرج ومن يثب ثب ومن يصل صل وان كان الذى يلى حرف المضارعة ساكنا اجتلبت له همزة وصل ليتوصل الى النطق بأوّل الفعل ساكنا فتقول من مثل يضرب اضرب ومن مثل ينطلق انطلق ومن مثل يستخرج استخرج لأن الابتداء بالساكن في النطق مستحيل وما أحسن قول السراج الوراق

ياساكنا قلبي ذكرتك قبله * أرأيت قبلي من بدا بالساكن
وجعلته وقفا عليك وقد غدا * متحركا بخلاف قلب الآمن
وبذا جرى الاعراب في نحو الهوى * فاليك معذرتي فلست بلاحن

وسواء كان الفعل ثلاثيا أو خماسيا أو سداسيا وشذ من هذه القاعدة فعلان فلا تدخل عليهما همزة وهما خذ وكل وجوّز في فعلين الحاق الهمزة وحذفها وهما مروسل وقد نطق القرآن الكريم بهما فقال تعالى سل بنى اسرائيل وقال تعالى واسأل القرية وتقول مره بكذا وامره بكذا فأما حركة الهمزة المجتلبة فان كان الماضي رباعيا فانها مفتوحة في الأمر تقول

من أكرم أكرم وإذا كان ثالث المضارع مضموما فانها مضمومة في الأمر تقول في الأمر من يقتل اقتل وما عدا ذلك فانها مكسورة (رجع) سر كان أصله سير لان مضارعه يسير فاجتمع فيه ساكنان وأحدهما حرف علة فحذف والفاعل فيه ضمير مستتر تقديره أنت (بنا) جار ومجرور ولم يظهر الجر لان الضمائر كلها مبنية والباء للتعدية (في ذمام الليل) في حرف جر وذمام مجرور بها والليل مضاف اليه وهي اضافة مقدرة باللام وموضع الجار والمجرور النصب على الظرف (معتسفا) اسم فاعل من اعتسف وهو منصوب على الحال والحال صاحبها هو الضمير المستتر المقدر في سر وهو أنت والعامل فيها سر وافرادها هنا متعين فان قلت لأي شئ لم يقل معتسفين لانهم جماعة أو معتسفين لانهما اثنان قد شملهما السير قلت كانه قال لصاحبه تقدم أنت وسر بنا اماما واعتسف الارض ودعني مشغولا بما أنا فيه من الفكر وحديث النفس ولا تخف فنفحة الطيب التي تتضوع من أهل الحي تهديك وتدلك على الطريق اليهم (فنفحة الطيب) الفاء هنا سببية ونفحة مرفوع على الابتداء والطيب مجرور بالاضافة وهي مقدرة باللام أو من (تهدينا) فعل مضارع من هدى يهدي فهو ثلاثي مفتوح الاول وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء لانه معتل مثل يرمي والنون والالف ضمير في محل نصب بتهدينا والفاعل يرجع الى النفحة (الى الحال) جار ومجرور في موضع نصب لتعلقه بتهدينا والى تاتي في العربية لمعان فتأتي لانتهاء الغاية لانها تقابل من في الابتداء تقول جئت اليك من البلد الفلاني أي انتهى مجيئي اليك قال الله تعالى انظروا الى ثمره اذا أثمر أي الثمر غاية النظر وتأتي بمعنى مع وهو دليل قال بعضهم في قوله تعالى ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم يعني مع أموالكم وليس بشئ لانها لو كانت بمعنى مع لأمكن أن تقدر بمعنى مع في كل موضع مما كانت فيه درايته لان الصيانة في من في كل مواردها ولا يمكن ذلك في الى تقول في سرت اليك ان الى بمعنى مع وأما الآية الكريمة فلما كان الاكل بمعنى التبع والضم وليس بمعنى البلع والمضغ عداه بالى أي لا تضموا

أموالهم الى أموالكم لان الضم سبب فى الاكل فأقام المسبب مقام السبب كقوله تعالى ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وقوله تعالى من أنصارى الى الله قيل المعنى مع الله وليس كذلك بل من أنصارى الى أن يتم أمر الله وتأتى بمعنى فى كقول النابغة

فلا تتركنى بالوعيد كأننى * الى الناس مطلى به القار أجرب

واختلف فيما بعدها فقيل ان كان ما بعدها داخلا فى مسمى ما قبلها دخل والا فلا فعلى هذا يدخل المرفق فى الغسل لان المرفق داخل فى مسمى اليد لان اليد من رأس الأنامل الى الابط وهذا ينتقض بقولك نمت البارحة الى نصفها ولا يجوز أن يقال انه نام البارحة كلها وقال الجمهور بغسل المرفقين مع اليدين وقال مالك وزفر لا يجب غسل المرفقين وهذا الخلاف أيضا فى الكعبين حجة زفر أن الى لانتهاء الغاية والمنتهى غير النهاية فلا يتعين غسل النهاية والجواب من وجهين الاول مذهب الزجاج سلمنا أن المرفق لا يجب غسله لكن المرفق اسم لما جاوز طرف العظم فانه هو المكان الذى يرتفق به أى يتكأ عليه ولا نزاع فى أن ما وراء طرف العظم لا يجب غسله الثانى أن حد الشئ قد يكون منفصلا عن المحدود كقوله تعالى ثم أتموا الصيام الى الليل فان النهار منفصل عن الليل فى الحس وقد لا يكون منفصلا كقولك بعتك هذا الثوب من هنا الى هنا فهذا الحد غير منفصل ولا شك أن امتياز المرفق عن الساعد ليس منفصلا معينا واذا كان كذلك فليس ايجاب الغسل الى جزء أولى من ايجابه الى جزء آخر فوجب القول بغسل كل المرفق وقال بعضهم الى النهاية غير المتناهى وغسل المرفق لم يفهم من الآية الكريمة انما فهم من فعله صلى الله عليه وسلم فعلى هذا لو قلت بعتك من هذه الشجرة الى هذه الشجرة لم تدخل الغاية هاهنا واذا قلت بعتك هذا البستان من هذا الحائط الى هذا الحائط دخل الحائطان فى المبيع والفرق بينهما أن الغاية فى الأولى من جنس ما دخلت فيه فهى خارجة عنه وكذلك المرفق من جنس اليد فهو خارج

من الغسل وفى الثانية ان الغاية خارجة عن المغيا لان الحائط ليس من جنس البستان فلهذا دخل الحائطان فى المبيع الاترى أن قوله تعالى ثم أتموا الصيام الى الليل لما كان الليل من غير جنس النهار اعتبر دخول أول الليل قال صلى الله عليه وسلم اذا أدبر النهار من هاهنا وأقبل الليل من هاهنا فقد أفطر الصائم فاعتبر دخول الليل لانه خارج عن النهار (المعنى) فسر بنا فى ذمة الليل فانه يسترنا واعتسف السير ولا تخش الضلال عن طريق الحى فان له نفحة طيب من أهله ترشدك الى الحلة التى هم بها نزول وهذا معنى لطيف وتركيب رقيق وقد جرت عادة الشعراء أن يذكروا أن مواطن الحبيب وأماكنه وماجاورها تتضوع بأنواع الطيب وتتأرج النسمات بنفحاته العطرة قال محمد بن عبد الله النميرى فى زينب أخت الحجاج بن يوسف الثقفى من قصيدة

تضوع مسكا بطن نعمان اذ مشت * به زينب فى نسوة خفرات
له أرج من مجمر الهند ساطع * تطلع رياه من الحجرات

ومنها

يخمرن أطراف البنان من التقى * ويطلعن شطر الليل معتجرات

ويروى ويقتلن بالالحاظ مقتدرات ومنها

ولما رأت ركب النميرى أعرضت * وكن من ان يلقينه حذرات

ولما بلغ الحجاج أن النميرى تغزل بأخته تهدده وقال لولا أن يقول قائل لقطعت لسانه فهرب الى اليمن ثم انه استجار بعبد الملك بن مروان فأجاره وكتب له الى الحجاج فأمنه واستنشده الابيات فانشدها حتى بلغ قوله ولما رأت ركب النميرى فقال له وما كان ركبك قال أربعة أحمرة لى كنت أجلب عليها القطران وثلاثة أحمرة لصاحبى تحمل البعر فضحك عند ذلك وخلى سبيله ويشبه هذا ما حكى عن الشريف المرتضى انه كان جالسا فى عالية له تشرف على الطريق فمر تحته ابن المطرزى الشاعر يجر نعلا له بالية وهى تثير الغبار فأمر باحضاره فلما حضر قال له انشدنى ابياتك التى تقول فيها

اذا لم تبلغني اليكم ركائبي * فلاوردت ماء ولارعت العشبا

فأنشده اياها فلما انتهى الى هذا البيت أشار الشريف الى نعله البالية وقال له أهذه كانت من ركائبك فأطرق المطرزي ساعة ثم قال له لما عادت هبات سيدنا الشريف أيده الله الى مثل قوله

وخذ النوم من جفوني فاني * قد خلعت الكرى على العشاق

عادت ركائبي الى مثل ماترى لانك خلعت مالاتملكه على من لا يقبل فاستحى الشريف منه وكان الشيخ صدر الدين بن الوكيل يقول والله ان قول المطرزي عندي أحسن من قول الشريف (رجع) وذكرت بقول الطغرائي قول أبي العلاء المعري

يا موقدون بنجد نار بادية * لاتحضرون وفقد العز في الحضر

اذا همى القطر شبتها عبيدهم * تحت الغمائم للسارين بالقطر

القطر هو العود ومعناه ان هؤلاء الممدوحين يوقدون النار في الليل ليهتدي الضيف بها اليهم فاذا كان الغمام ونزل القطر وأطفأ النار أمروا عبيدهم أن يوقدوها بالطيب ليشم الساري الرائحة فيهتدي اليهم وهذا معنى غريب مليح وعليه اعتمد ابن عباد في قوله على أنه مافارق المعنى ولا خالف المعنى وهو

المكثرين من البكاء لنارهم * لايوقدون بغيره للساري

ومن قول الطغرائي قول التهامي

يتركن حيث حللن زهر لطيمة * ممايثرن به العبير وطاها

يهدي ثراها الى البلاد وربما * حيث برياه الرياح رباها

وقول الارجاني

بلغاني منازل الحي أسأل * تهامتى فارقت رباها الغيد

واستدلا على الحي نشر مسك * من مجر الحسان فيه برودا

والأصل في هذا كله قول أبي الطيب

ويفوح من طيب الثناء روائح * لهم بكل مكانه تستنشق

وقول الآخر

ولو أن ركباً يمموك لقادهم * نسيمك حتى يستدل به الركب

وقول ابن النبيه

راح تطير النار من دنها * كأنما بازلها قادح
أنكرها الخمار ضنا بها * حتى هدانا نشرها الفائح

وقوله

ان جاء من يبغي لهم منزلا * فقل له يدني ويستنشق

وقول مسلم بن الوليد

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه * فطيب تراب القبر دل على القبر

وقول ابن الرومي

أعقبته من طيب ذكرك نفحة * كادت تكون ثناءك المسموعا

وقال آخر

وليس نسيم المسك ما تجدونه * ولكنه ذاك الثناء الخالق

وقال آخر

لو كان يوجد ريح مسك فائحا * لوجدته منهم على أميال

ان قلت هذا المعنى مختل لان ريح المسك يوجد فائحا فكان ينبغي أن يوجد منهم على أميال لان الشرط اذا صدق صدق المشروط قلت فيه تقديم وتأخير تقديره لو كان يوجد ريح مسك على أميال لوجدته منهم ولكن لم يوجد ريح مسك على أميال الا يوجد منهم وروّاه بعضهم لو كان يوجد ريح مجد وعلى هذه الرواية فلا حاجة الى الايراد والجواب وقرأت على الشيخ القاضي شهاب الدين أبي الثناء محمود قوله من أبيات

اذا هبّ او أرضاه أو مدّ بارق * تروض من سح الدموع ثراها
يضئون بار الفريق حلى الحمى * بها لهم ونادوا اولاحس اهاها
ويستمسون الا يبدر شذهم بها * الى الدار لما ان اطريق شذاها
وقد يهب ا ر ا ا كرا كما اله ما اما دارا ولا عراها

اذا عاينوا أعلامها وضعوا لها * خدودا على وجه الثرى وجباها

وقرأت عليه أيضا قوله

غنى بذكر الحمى فارتاح كل شجى * وخاض بالدمع حادى الركب فى لجج
واسترخص السير اذ أدنى تواصله * من الأحبة بالغالى من المهج
ولاذ قطع الدجى اذ كان يسفر عن * صباح يوم بنور الوصل منبلج
واسترشد الركب اذ حار الدليل بهم * بما تلقوه دون الحى من أرج

وأنشدنى أيضا اجازة قال أنشدنى الشيخ الامام الفاضل شهاب الدين محمد بن عبد المنعم المعروف بابن الخيمى لنفسه وكذلك أنشدنى الشيخ الامام الحافظ فتح الدين محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمرى قال أنشدنى لنفسه شهاب الدين محمد بن عبد المنعم المذكور اجازة ان لم يكن سماعا وفى غالب الظن انه سماع قصيدته البائية التى أولها

يا مطلبا ليس لى فى غيره أرب * اليك آل التقصى وانتهى الطلب

ومنها

بالله ان جزت كثبانا بذى سلم * قف بى عليها وقل لى هذه الكثب
ليقضى الخد من جرعائها وطرا * من تربها ويؤدى بعض ما يجب
وخذ يمينا لمغنى تهتدى بشذا * نسيمه الرطب ان ضلت به النجب

وحكى ابن رشيق فى الانموذج أن عبد الرحمن بن محمد القرشى جلس مع بعض شيوخ تونس وكان هذا الشيخ نهاية فى المجون فاجتاز بهم رجل يسأل عن دار ابن عبدونه فأقبل الشيخ عليه وقال هى فى ذلك المكان فى تلك الناحية حيث يقوم أيرك فقال القرشى والله لأنظمن هذا المعنى فما رأيت مثله وأنشأ يقول من وقته

ان شئت أن تعرف من صحة * دار الذى يعزى لعبدونه
فامش فان أيرك أبصرته * قام فان الباب من دونه

وقد عكست أنا هذا المعنى فقلت

أقول لمن يسائل عن محلى * تقدم وامش من ساق السوارى

ومن خيفتها تلق احتكاكا * بسرمك لا تعد فثم داري

فالحب حيث العدى والاسد رابضة * حول الكناس لها غاب من الاسل

(اللغة) الحب بالضم المحبة وبالكسر الحبيب نفسه قال ابن الانبارى الحب الحبيب يقال للذكر والانثى بلفظ واحد وحكى عن بعض العرب أنهم يقولون فلانة حبي وسيأتي الكلام على الحب في قوله ممل انضاء حب العدى بكسر العين الاعداء وهو جمع لا نظير له قال ابن السكيت لم يأت فعل من النعوت الا حرف واحد يقال هؤلاء قوم عدى وأنشد

اذا كنت في قوم عدى لست منهم * فكل ما علفت من خبيث وطيب

ويقال قوم عدى وعدى بالكسر والضم مثل سوى وسوى الاسد جمع أسد وأسد يجمع على اسود واسد مقصور منه وأسد مخفف وأسد وآساد مثل جبل وأجبال رابضة الربوض للبقر والغنم والفرس والكلاب مثل البروك للابل والجثوم الطائر يقال ربضت تربض ربوضا فهي رابضة حول يقال قعدت حوله وحواله وحواليه وحواليه ولا تقل حواليه بكسر اللام وحول الشيء يحاذيه من كل جانب الكناس موضع الظبي الذي يكنسه تقول كنس يكنس بالكسر الغاب الآجام والغابة الاجمة وهي مكان الاسد الاسل الرماح وهي الرماح ايضا واصل الاسل نبات طويل له شوك ومنه أسلة اللسان والذراع [illegible] (الاعراب فالحب) مبتدأ والخبر محذوف تقديره [illegible] حيث ظرف مكان وهو مبني على الضم وانما بني لانه أشبه الحرف من حيث الاستعمال لكونه يحتاج الى صلة مثل الذي ويوصل بالجملة الاسمية كقولك جلست حيث زيد جالس وبالجملة الفعلية كقولك جلست حيث يجلس زيد وكان البناء ضما لوقوعه موقع الغاية والغاية هي الخبر والخبر [illegible] كذلك قبل [illegible] [illegible] من محاسن الشعر

[illegible] * [illegible]

[illegible] * [illegible] كاس

واش ق

وأنشدني المولى شمس الدين محمد بن علي بن أيبك السروجي قال أنشدني لنفسه القاضي زين الدين عمر المعروف بابن الوردي الشافعي بحلب وأنشدنيه أنا أيضا فيما بعد لنفسه ومن خطه نقلت

قلت لنحوي اذا عرضا * له بأوقات الرضا أعرضا

يا حيث لو أصبح باب الرضا * كيف لما كنت كأمس مضى

قلت معناه يا مضموم لو أن باب الرضا مفتوح لما كنت مكسورا وفي حيث لغات الضم وهو الافصح والفتح لانه أخف والكسر لان الاصل في البناء السكون واذا حرك الساكن كسر وجاءت لغة رابعة وهي حوث (وحيث) في موضع نصب لانه ظرف والعامل فيه مستقر وقد سد مسد الخبر (العدى) مبتدأ ولم يظهر فيه الرفع لانه مقصور (والاسد) معطوف عليه وهو عطف نسق (رابضة) خبر عن المبتدا المعطوف وسد هذا الخبر عن الاول لان العدى في الشدة والبأس كالاسد (حول) منصوب على الظرفية والعامل فيه رابضة و(الكاس) مضاف اليه والاضافة هاهنا معنوية (لها) جار ومجرور ولم يظهر الجر لان الضمائر مبنية وهو خبر مقدم لان المبتدا نكرة (غاب) مبتدا تقدم خبره في الجار والمجرور ولا يجوز الابتداء بالنكرة لان الغالب فيها أن لا يفيد الاخبار عنها فان أفادت ابتدئ بها والنحاة في الغالب عدوا لمسوغه مواطن أولها أن يكون المبتدا نكرة محضة والخبر جار ومجرور مقدم كما في هذا البيت أو ظرف نحو عندي درهم وثانيها أن تعتمد النكرة على استفهام نحو هل رجل في الدار أو على نفي نحو ما أحد خير منك وثالثها أن تخصص النكرة وتقرب من المعرفة اما بوصف نحو قوله تعالى ولعبد مؤمن خير من مشرك أو باضافة نحو خمس صلوات كتبهن الله على العباد ورابعها أن يكون فيها معنى الدعاء نحو سلام عليكم وخامسها أن يكون فيها معنى التعجب كقول الشاعر

عجب لتلك قضية واقامتي * فيكم على تلك القضية أعجب

وسادسها أن يكون لها صدر الكلام كقولك من أبوك وكم علام لك قال الشيخ

بهاء الدين بن النحاس تنكير المبتدا اختلفت فيه عبارات النحاة فقال ابن السراج المعتبر في المبتدا حصول الفائدة فمتى حصلت الفائدة جاز الابتداء بالنكرة وقال الجرجاني يجوز الاخبار عن النكرة بكل أمر لا تشترك النفوس في معرفته نحو رجل من بني تميم شاعر والمجوز عنده شيء واحد وهو جهالة بعض النفوس وقال شيخنا جمال الدين محمد بن عمرون الضابط في جواز الابتداء بالنكرة قربها من المعرفة لا غير وفسر قربها من المعرفة بأحد شيئين اما باختصاصها كالنكرة الموصوفة أو بكونها في غاية العموم كقولك تمرة خير من جرادة فعلى هذا لا حاجة الى تعداد الاماكن التي يجوز فيها الابتداء بالنكرة بل يعتبر كل ما يرد فان كان جاريا على الضابط اجزناه والا منعناه ثم قال الشيخ بهاء الدين فيما بعد والاماكن التي يجوز فيها الابتداء بالنكرة تزيد على ثلاثين ولم أجد أحدا من النحاة عبره زاد على أربعة وعشرين فيما علمته وقد ذكر هذه الاماكن التي عدها في تعليقته على المقرب وأضربت عنها خشية التطويل (رجع من الاسل) جار ومجرور ومن هنا بيان الجنس وقوله لها تمام من الاسل في موضع رفع صفة للاسد (المعنى) حبيبي مكانه حيث الاعادي والاسود رابضة حول كناسه وللأسود غاب من ارماح ولو كان لي في البيت حكم لعابه بانه ما جعل الاسد رابضة لانه ينتهي الى أن يقول حول الكناس لها غاب من الاسل ولا سل هي الرماح التي أرادها في البيت والرماح مما يختص بالاناسي لا بالاسود وأيضا الاسود ليس من شأنها الالفة بالناس حتى تكون حولهم فان قلت أراد بالاسود العدى وذلك أنهم في البأس كالأسد فأطلق ذلك عليهم مجازا قلت لا يتأتى له ذلك وقد عطف الاسد على العدى والعطف يدل على المغايرة اذا الاسد غير العدى وأيضا هو قطع الكلام عن العدى وما ذكر لهم متعلقا ووصف المحبوب بأن الاعادي محيطون به حولهم الاسل وهو أبلغ في المنع والتحصن من الاسد لان الاسل أبلغ في الحرس والاحتراز من الاسد لانه دوية لم تذكر

ووهم وليس للأسد غير البطش وعلى الجملة فقد وصف محبوبه بأنه مصون محجب لا سبيل الى الوصول اليه والحالة هذه وما أحسن قول أبي عبد الله محمد بن أحمد الخياط الدمشقي

ومحتجب بين الأسنة معرض * وفي القلب من اعراضه مثل حجبه

وقول ابن قلاقس

ارجع عن الوادي فان مياهه * مما يشب به غليل الهيم
وبشعب رامة معرك بعدوبه * قلب المزبراسير لحظ الريم
مذ الكماة من الأسنة فوقه * ظلالاو ذاك الظل من يحموم
حيث التفت الى مطالع شمسه * الفيتها محجوبة بغيوم

وقول ابن القيسراني ومن خطه نقلت

ودون مرادي من مرادي غمائل * نبت المذاكي القب منهن قبابها
ودون الخدور السابرية غيره * تهز كعوب الرمح دون كعابها

وقول ابن خفاجه

لقد حجبت دون الحي كل تنوفة * يحوم بها نسر السماء على وكر
وخضت ظلام الليل يسود فحمه * ودست عرين الليث ينظر عن جمر
وجئت ديار الحي والليل مطرق * ممم ثوب الافق بالانجم الزهر
أشيم بها برق الحديد وربما * عثرت بأطراف المثقفة السمر
فلم أتق الاصعدة فوق لامة * فقلت قضيب قد أطل على نهر
ولاشمت الاغرة فوق أشقر * فقلت حباب يستدير على خمر
فسرت وقلب البرق يخفق غيرة * هناك وعين النجم تنظر عن شزر

قلت هذا هو النظم الذي تخجل منه درر العقود ويستحي من طرسه رقم البرود وقد جمع الانسجام والجزالة وأضاف الى الاستعارة حسن التخيل فقلت هذا البدر ضمن هاله وأبرز في صورة تعرق منها الضراغم وتلوح على من تلبس بتلك الحالة ساجعات الحمائم فاذا حاول محاكاتها ناظم وجدها كالحديد ملمسا وكالحرير ملبسا وأين الثريا من يد المتناول

وقوله أيضا

وإيل طرقت الممالك نحته * أجذع على حكم الشباب مزارا
تحالفت أطراف الأسنة أنجما * ودست لها لات البدور ديارا

وقول ابن صردر

وطرقت أرضهم وتحت سمائها * عدد النجوم أسنة المران
أرض جداولها السيوف ونبتها * نبع وما ركزوا من الخرصان

قلت ما أحسن الجداول هنا والنبع بعدها وقول ابن نفادة

أطل انسيا من أرض نجد هبوبها * فمن ثم راينا قد تضوع طيبها
ومن عجب ان صافحتها وسلمت * عليها ولم يشعر بذاك رقيبها
ولو أنها مما يرى كان صدها الثغور ولم يبلغ الى محبوبها

وقوله أيضا

قد حجبوا البيض ببيض الصفاح * وحموا السمر بسمر الرماح
وأطبقوا أحداق أسيافهم * فاترى شمس الصباح الصباح
غاروا من النكباء تسري فهم * لورقدوا سدوا مهب الرياح

وقول ابن الدهان

وابلائي من غادرة * دونها سور وجدران
وأ ود خاف سطوتها * كل حارته أجفان
ورقيب لو يلاحظها * انثنى وهو غيران

قال ابن الاثير في المثل السائر سافرت الى الشام سنة سبع وخمسمائة ودخلت مدينة دمشق فوجدت جماعة من أدبائها يلهجون ببيت من الشعر لابن الخياط وهو

أغار إذا آنست في الحي أنة * حذارا وخوفا أن تكون لحبه

فقلت لهم هذا البيت مأخوذ من قول أبي الطيب المتنبي

لو قلت للدنف المشوق فديته * مما به لأغرته بفدائه

وأنشدني الشيخ الامام العلامة شهاب الدين محمود قال أنشدني شيخنا

الامام مجد الدين محمد بن أحمد بن عمر الظهير الاربلي الحنفي لنفسه من ابيات

أواصل فيه لوعتي وهو هاجر * ويؤنسني تذكاره وهو نافر
غزال منيع الخدر دون مزاره * مظللة بالبيض منه المحاجر

وقرأت عليه أيضا قوله من قصيدة

ومن طلب الاحبة كان أسخى * ببذل النفس من كعب بن مامه
ومن طلب الغنائم لم يهب من * نضا من دون مطلبه حسامه

وأنشدني لنفسه اجازة ومن خطه نقلت

وعلى الحمى حي تخال ظباءه * أخذت سطا الفتكات عن آساده
جعلوا القنا رصد القباب فمن نأى * طرفا له رمقته زرق صعاده
يحمى نزيلهم ويامن جارهم * الاعلى أحشائه وفؤاده
فاذا تزود نظرة من عينهم * قبل الرحيل فحتفه في زاده

وأنشدني له أيضا اجازة

ولقد عهدت رماحهم تصغي الى * مر الصبا خوفا على أسرارهم
ورأيت مع بذل النوال حماتهم * والوهم يفرق ان يرى بمزارهم

وأنشدني اجازة لنفسه المولى صفي الدين الحلي ومن خطه نقلت

وسرب ظباء مشرقات شموسه * على حلة عدّ النجوم بدورها
تمانع عما في الكناس أسودها * ويحرس ما تحوي القصور صقورها
يغار من انطيف الملم حماتها * ويغضب من مر النسيم غيورها
اذا ما رأى في النوم طيفا يزورها * توهمه في اليوم ضيفا يزورها
نظرنا فأعدتنا السقام عيونها * ولذنا فأواتنا النحول خصورها
وزرنا واسد الحي تذكي لحاظها * ويسمع في غاب الرماح زئيرها
فيا ساعد الله المحب فانه * يرى غمرات الموت ثم يزورها

قلت هذا تضمين حسن ولكن القافية تكررت معه في يزورها وما وصف أحد رقيبه أبلغ من قول ابن قلاقس المتقدم وهو قوله رقيب لو يلاحظها

البيت وهو أنه يغار حتى من نفسه وهذه حالة زائدة عن الرقباء فان الرقيب قد يكون بريد الصون وأن العاشق لا يلم بالمعشوق ولا يدانى مكانا يضمه فأما اذا انضاف الى هذه الغيرة انه يغار عليه من نفسه كان حال المحب أشق عليه الى الغاية وأين غيرة هذا الرقيب من عدم غيرة عبد المحسن الصورى على محبوبه حيث قال

تعلقته سكران من خمرة الصبا * به غفلة عن لوعتى ونحيبى
وشاركنى فى حبه كل ماجد * يشاركنى فى مهجتى بنصيب
فلا تلزمونى غيرة ما ألفتها * فان حبيبى من أحب حبيبى

وبالغ الآخر فقال يتبجح بالقيادة

أفرد بحمد الله لا عن كراهة * وغيرى فؤاده على رغم أنفه

وما أحلا قول مجير الدين بن تميم

لى صاحب كملت جميع صفاته * قد عمنى بغرائب الاحسان
لو لم يكن مثل النسيم لطافة * ما بات يعطف لى غصون البان

وقال الوجيه الذروى

لا تبعثوا بسوى المهذب جعفر * فالشيخ فى كل الامور مهذب
طورا يغنى بالرباب وتارة * تأتى على يده الرباب وزينب

وقال السراج الوراق وهو من شعره

جاء فى البرم واحد العصر والفرد أيضا فى ذاته مقبول
وهو مع ما فيه من البرم والفضل غنى من دينه مملول

وقال ابن سناء الملك

لى صاحب أفديه من صاحب * حلو التأتى حسن الاحتيال
لو شاء من رقة ألفاظه * ألف ما بين الهدى والضلال
يكفيك منه انه ربما * قد قاد بالنسمة ريح الشمال

وقال آخر

يسهل كل ممتنع شديد * ويأتى بالمراد على اتئاد

فلو كلفته تحصيل طيف الخيال ضحى لزار بلا رقاد

وقال مجير الدين محمد بن تميم ومن خطه نقلت

وقواد يعيد الهجر وصلا * وطول البعد قربا واتفاقا
يكاد بحكمة فيه وحذق * يقود بلا أزمتها انسياقا

وقال عبد العزيز الآمدي فيمن له ابن يدعى سراجا

لك زوجة وابن هما لك روضتنا * زهر وفي يوم اللقاء هجاج
لا تخش في طرق القيادة ظلمة * لك منهما طوافة وسراج

قيل ان أبا الحسين الجزار حضر الى بيت الزين الماردينى الشاعر ومعه مليح فأطال الزين الجلوس فكتب الجزار بيتين في ورقة ودفعهما اليه وهما

ليس في البيت ما يخاف عليه * وعلى الضمان حتى تعودا
فتصدق وقم على فلا بد اذا جئت منزلى أن أقودا

وقال أبو الحسين الجزار أيضا من أبيات

ليت شعرى ماذا تقول اذا ما * رمت شيئا قل لى بأى طريق
علم الله ما مضيت رسولا * قط من عند ابنتى لعشيق
لا ولا جئت بالرجال الى بيتى وكاسرت عنهم فى السوق

وكتب أيضا الى السراج الوراق من أبيات

ولئن كنت قد علقت حبيبا * موصليا فأنت بالعلق أعلق

فأجابه السراج بأبيات منها

ما ترى كيده وقد جاء بالقا * ف روبا فجئت بالقلب أعاق
قلت دع ما الشيخ أقول منا * قال بالدال وانت قرنك أصدق

وقال ابن دانيال في الكمال العواد

عين الكمال العواد قاف * وهو شويخ ردف واقى
سرت قيادانه الى أن * قاد بمصر على عراقى

وحكى لى الشيخ الحافظ أبو الفتح محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمرى أن الشيخ شهاب الدين بن النحاس دخل الى الجامع الأزهر ووجد أبا الحسين

قوله عين الكمال الخ هذان البيتان من مخلع البسيط ولا يصح الوزن الا بتخفيف الواو من العواد اه

الجزار جالساوالى جانبه مليح ففرق بينهما وصلى ركعتين ولما فرغ قال لابى الحسين ما أردت الاقول ابن سناء الملك فقال أبو الحسين ماتفاءلت أنا الابقول صاحبنا السراج الوراق اه قلت أما مراد الشيخ بهاء الدين بن النحاس من قول ابن سناء الملك فهو

أنا فى مقعد صدق * بين قواد وعلق

وأما مراد أبي الحسين الجزار من قول السراج الوراق فهو

ومهذب واض الابى فقاده سلس القياد

لما توسط بيننا * جرت الامور على السداد

وقد تساب كل منهما مع خصمه ولم يشعر بمراده ما أحد وقريب من هذا ما حكاه ابن الجوزى فى كتاب الاذكياء قال روى رفيقنا عبد الكريم بن منصور قال سمعت المبارك بن أحمد بن الا... يقول خرج رجل من بغداد على سبيل الفرجة فقعد على الجسر فأقبلت امرأة من جهة الرصافة متوجهة الى الجانب الغربى فاستقبلها شاب فقال رحم الله على بن الجهم فقالت المرأة رحم الله أبا العلاء المعرى وما وقفا بل مر الرجل مشرقا ومرت المرأة مغربة فتبعت المرأة وقالت ان لم تقولى لى ما أراد وما أردت والا فضحتك فضحكت وقالت أراد الشاب بقوله رحم الله على بن الجهم قوله

عيون المها بين الرصافة والجسر * جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى

وأردت أنا بقولى رحم الله أبا العلاء المعرى قوله

فيادارها بالخيف ان مزارها * قريب ولكن دون ذلك أهوال

ومثل هذا ما ذكره صاحب الاغانى قال هوى محمد بن عيسى الجعفرى جارية مغنية اسمها بصبص وطال عليه ذلك فقال لصديق له لقد شغلنى حب ... وكل أمرى وقد ... مس السلوة عنها ... بناحى

[illegible]

[illegible]

[illegible]

تحمل أهلها عنها فبانوا * على آثار من ذهب العفاء

قال فاستحسنه وزاد بها كلفا وأطرق ثم قال أتغنين

واخضع بالعتبى اذا كنت مذنبا * وان أذنبت كنت الذى أتنصل

قالت نعم وأغنى أحسن منه

فان تقبلوا بالود نقبل بمثله * وننزلكم منا بأقرب منزل

قال فتقاطعا فى بيتين وتواصلا فى بيتين وما شعر بهما أحد قلت وبصبص هذه من مولدات المدينة حلوة الوجه حسنة الغناء وهى جارية يحيى بن نفيس يقال ان المهدى اشتراها وهو ولى العهد سرا من أبيه بسبعة عشر ألف دينار فولدت منه علية بنت المهدى (رجع) والاصل فى غالب ماتقدم من القيادة قول عمرو بن أبى ربيعة المخزومى من أبيات

فأتتها طبة عالمة * تمزج الجد مرارا باللعب

تغلظ القول اذا لانت لها * وتراخى عند سورات الغضب

قيل ان ابن أبى عتيق لما سمع ذلك قال لعمرو ما أحوج المسلمين الى خليفة يدبر أمرهم مثل قوادتك هذه وأخذ هذا المعنى الواو الدمشقى فقال هذه الابيات

بالله ربكما عوجا على سكنى * وعاتباه لعل العتب يعطفه

وعرضا بى وقولا فى حديثكما * مابال عبدك بالهجران تتلفه

فان تبسم قولا فى ملاطفة * ماضر لو بوصال منك تسعفه

وان بدا لكما فى وجهه غضب * فغالطاه وقولا ليس نعرفه

ومنه قول الآخر

الا يانسيم الريح بلغ رسالتى * سليمى وعرض بى كأنك مازح

فان أعرضت عنى فكن مغالطا * بغيرى وقل ناحت بذاك النوائح

وقال الآخر دوبيت

باللطف اذا لقيت من أهواه * عاتبه وقل له الذى ألقاه

ان أغضبه الوصال غالطه به * أو رق فقل عبدك لاتنساه

وقلت أنا من أبيات

ويارسولى اليهم صف لهم أرقى * وأن طرفى لطيف الضيف مرتقب
عرض بذكرى فان قالوا أتعرفه * فاسأل لى الوصل وانكرنى اذا غضبوا

وقال بعضهم دخلت مدينة فرأيت بها غلاما حسنا فراودته عن نفسه فأجاب فلما خلونا ذكرت الله وانصرفت عما هممت به فلما خرجنا قال ادفع لى شيأ فقلت ما جرى بيننا ما يوجب العطاء فتنازعنا وطال اللجاج فبينما نحن كذلك اذ مر بنا رجل فناديناه وتحاكمنا اليه وحكينا له الصورة فقال حدثنى أبى عن جدى عن المزنى عن الشافعى أنه قال اذا أغلق الباب وأسبل الستر فقد وجب المهر فأعطه حقه فدفعت الى الامرد درهمين وقلت لذلك الرجل أعيذك بالله من قواد فما رأيت من يقود على مذهب الشافعى بسند متصل غيرك وفى المثل أقود من ظلمة قال بعضهم أظنه من قولهم الليل أخفى للويل أو من قولهم فانما الليل نهار الاديب أو من قولهم فالشمس نمامة والليل قواد وليس بشئ وانما أصل المثل انه كان فى هذيل امرأة تدعى ظلمة زنت ستين سنة وقادت أربعين سنة فلما عجزت عن ذلك اتخذت تيسا وعنزا وكانت تنزى التيس على العنز فقيل لها لم تفعلين هذا فقالت حتى أشاهد أنس الجماع فاتخذبه أدوله فما كان أحقها بأن يقال فى حقها

عجوز قد زنت ستين عاما * وقادت بعد ذلك أربعينا
وقامت فاشترت تيسا وعنزا * لتنظر لذة المتمتعينا

ويقول بعضهم

شيخة الفسق لا تحول عن العهـ * ـد كما تستبيح ما لن يجوزا
ساحقت طفلة ولاطت فتاة * وزنت كهلة وقادت عجوزا

قلت وما رأيت من استعمل هذه المادة من الصغر الى الكبر الا الذى قال

حاشا لمثلى عن هواه يتوب * هو دون كل العالمين حبيب
أهواه طفلا فى القماط وأمردا * وبلحية واذا علاه مشيب

وأخذه الآخر فقال مواليا

هويت شيخاً أسمر اكحل ماله عائب * الامشيبوا وماقلبي بذا نائب
يحيى على كل حاله مابروح خائب * أمردمعذر منكرش ماتحى شائب

(رجع) الى ذكر الرقيب وأما الرقيب فلازمته أمر يضني ومرض يفري الحشا ويفني والمحبون ابتلوا به حديثا وقديما وزعوا به روض المحبة هشيما وأرى الرقيب هو المبتلى وصاحب السهر والتعب على أنه ماعشق ولاسلا وذلك لأن العاشق يجد في الغرام لذة عليه عائده والرقيب أضاع زمانه وأذاب فؤاده بلا فائده ولهذا قال ابن رشيق

تأذى بلحظي من أحب وقال لي * أخاف من الجلاس ان يفطنوا بنا
وقال اذا كررت لحظك دونهم * الي فما يخفى دليل مريبنا
فقلت بلينا بالرقيب فقال ما * بلينا ولكن الرقيب بلي بنا

وما ألطف قول ابن المعتز

وابلائي في محضر ومغيب * من حبيب مني بعيد قريب
لم ترد ماء وجهه العين الا * شرقت قبل ريها برقيب

قلت ما أحلا استعارته الشرق والورد والري لماء الوجه فهكذا يكون الشعر وأظن أن ابن بابك أخذ من هنا قوله

تكاد عيني اذا خاضت محاسنه * اليه تشربه من رقة البشره

وتلطف ابن المعتز أيضا حيث قال

وكم عناق لنا وكم قبل * مختلسات حذار مرتقب
نقر العصافير وهي خائفة * من النواطير يانع الرطب

وما أحسن قول سيف الدين بن حمدان

أقبله على جزع * كشرب الطائر الفزع
رأى ماء فأوقعه * وخاف عواقب الطمع
وصادف خلسة فدنا * ولم يلتذ بالجرع

وأبلغ من هذا قول الحارث بن خالد

تدنيك شيأ قليلا وهي خائفة * كما يمس بظهر الحية الفرق

وتلطف الصاحب بن عباد رحمه الله حيث شبه الرقيب بالصلة والمحبوب بالذى لشدة اتصالهما وعدم خلو الذى من الصلة فقال

ومهفهف ذى وجنة كالجنبذ * ولحاظه مثل السهام النفذ
قد نلت منه مراد قلبى فى الهوى * وملكته لولم يكن صلة الذى

وبالغ القائل فى ملازمة الرقيب فقال

أنا والحب ما خلونا ولا طر * فة عين الا علينا رقيب
ما اجتمعنا بحيث ان لم يكن الدهر بأنى أقول أنت الحبيب
بل خلونا بقدر ما قلت أنت الشيخ فوافى فقلت كيم الطبيب

وما ترك هذا الشاعر فى الظرف غاية لمن بعده وقريب من هذه المادة ما ذكره الحريرى فى درة الغواص قال حكى لى أبو الفتح عبدوس بن محمد الهمدانى حين قدم البصرة حاجا فى سنة نيف وستين وأربعمائة ان الصاحب أبا القاسم بن عباد رأى أحد ندمائه متغير السحنة فقال له ما الذى بك قال حمى فقال له الصاحب قه فقال له النديم وه فاستحسن الصاحب ذلك وخلع عليه وقيل ان بعض الظرفاء سمع امرأة حسناء تقول وقد أتت الى جانب نهر يا جارية أين أضع رجلى فقال لها ذلك الظريف على كتفى فقالت بخفى فقال لها رقبة زوجك فقالت له من أين خرجت فقال لها من بينك فقالت مصفوع فقال لها على تهمة بك فقالت وأنت عنها برئ فانقطع ونقلت من خط القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر فى ترجمة ضياء الدين موسى الكاتب من نوادره أنه قال له الرضى الحلاوى الشاعر أنا فى لحيتى حاصة فقال الضياء موسى لى وقال الحلاوى يوما أنا أشعر شعرا حسنا وما يعوزنى الا حلق فقال له موسى لحية قلت أما النادرة الاولى فلا بد فيها من مسامحة ما لان التذييب اذا كان جوابا اغتفر فيه للسرعة ما لا يغتفر فى غيره اذ الحصة التى هى بمعنى النصيب هو مراد الضياء موسى بغير ألف وأما الداء الذى يتناثر منه شعر الذقن وهو مراد الحلاوى انما هو حاصة والحصص قد ه الشعر ... عن نه وعلى قول الضياء فى الثانية ذكرت ما قلته

أنا قديما

قلت له اذ مر لى ذقنه * ولام فى من ذبت فى عشقها
تذكرا اذ غنت فنادى نعم * فقلت واشوقا الى حلقها

نؤم ناشئة بالجزع قد سقيت * نصالها بمياه الغنج والكحل

(اللغة) الأم القصد يقال أمه وأممه وتأممه اذا قصده ناشئة مؤنث ناشئ وناشئ اسم فاعل من نشأ ينشأ فهو ناشئ الجزع بالكسر منعطف الوادى النصال جمع نصل وهو حديدة السيف والسهم ويجمع على نصول مياه جمع ماء ويجمع على أمواه فى القلة ومياه فى الكثرة والهمزة فى ماء مبدلة من الهاء فى موضع اللام اذ أصله موه بالتحريك لانه يجمع على أمواه كما تقدم الغنج بالسكون والغنج بالتحريك الشكل وقد غنجت الجارية وتغنجت فهى غنجة والغنج هو الدل الكحل سواد يعلو جفون العين مثل الكحل من غير اكتحال ورجل كحيل وامرأة كحلاء (الاعراب نؤم) فعل مضارع مرفوع لخلوه من الناصب والجازم وقد تقدم الكلام عليه والفاعل ضمير مستتر فيه تقديره نحن (ناشئة) مفعول به وهو صفة لموصوف محذوف تقديره فتاة ناشئة أو فتيات ناشئة وهذا جائز ونطق القرآن به كثيرا كقوله تعالى ثم يرم به بريا أى شخصا بريا و (بالجزع) جار ومجرور فى موضع نصب بما فى ناشئة من معنى الفعل والباء هنا ظرفية (قد) حرف توقع لاقترانه بالافعال المتوقعة فى الحال والمسئول عنها ومنه قد قامت الصلاة لان المصلين ينتظرون قيامها وقال الجوهرى ولا تدخل الا على الافعال وهى جواب لقولك لما تفعل وزعم الخليل انه تقول قد مات فلان لمنتظر الخبر ولو أخبرت شخصا لا ينتظره لا تقل قد مات ولكن تقول مات فلان وأصلها التقريب فتقرب الماضى من الحال تقول كنت أتمنى الحج وقد حججت أى فى زمن قريب من اخبارى ولكونها تفيد التقريب فى زمن الحال تلزم الفعل الماضى اذا وقع حالا نحو جاء زيد وقد ركب ومعناها فى المضارع التقليل وهى فيه بمنزلة رب فى الاسماء لان التقريب

يناسب التقليل ومعنى تقليلها تقريبها الفعل من الحال ومنه قوله تعالى قد يعلم الله المعوقين منكم أى تحقق علم ذلك عند الله تعالى وأما قولهم قد يصدق الكذوب فمعناه أن الصدق يقل منه ويحتمل أن يكون المراد أن الصدق قد يتحقق من الكذوب وقيل انها اذا دخلت على المضارع أدت منه معنى الماضى وقد تكون زائدة فى نحو لو قد جاءنى لأكرمته وقد تخرج عن بابها وتجئ من قبيل الأسماء بمعنى حسب تقول قدك أى حسبك قال أبو تمام الطائى

قدك اتئب أربيت فى الغلواء * كم تعذلون وأنتم سجرائى

ومن أبيات المعانى قول الفقيه أبى الحسن الطوسى

منيتنى حينا فلما أن ملئت من التمنى

عرضن لى بالوصل حتى قلت قد أعرضن عنى

وظاهره مشكل لعدم انتظام الكلام فاذا حملت قد على معنى حسب صح المعنى (سقيت) فعل مغير لما لم يسم فاعله وقد تقدم الكلام على هذه الصيغة والتاء علامة تأنيث المفعول (نصالها) مفعول ما لم يسم فاعله والضمير فى موضع جر بالاضافة وقد تقدم الكلام على رفع ذلك المفعول فائدة ومن مشكل هذا النوع قراءة ابن كثير وعاصم يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله بضم الياء فى يسبح وفتح الباء على بناء ما لم يسم فاعله قال بعض العلماء حذف الفاعل هنا وابهامه على السامع مدح عظيم لانه اذا حذف الفاعل اقتضى ان الذين يسبحون الانس والجن والملائكة والخلق أجمعون كما قال تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده على أحد الاقوال ثم انه تعالى خصصهم بالذكر فى قوله رجال لا تلهيهم أى صفتهم ما ذكر من المدح تشريفا لهم وعناية بهم فكأن السامع تشوق الى أن يعلم من هم المسبحون فعينه بقوله رجال الآية والوقف فى هذه القراءة على الآصال ويبتدى بقوله رجال ولو وقف على رجال لكان كفرا ويحكى أن بعض الأفاضل صلى تحت منبر يوم الجمعة وكان الخطيب عاميا فقال الحمد لله المسبح بكسر الباء

فقال له الفاضل ذاك أنا الذى أسمع باللغات المختلفة ومثل هذا ماسأله بعض العوام وقدرأى جنازة فقال من المتوفى بكسر الفاء فقال له رجل فاضل الله تعالى فأنكر العامى قوله فقال له الفاضل الله يتوفى الأنفس حين موتها والميت متوفى بفتح الفاء وحكى أن بعض العميان سمع بعضهم يقول يامن يرى ولا يرى بضم الياء فى الكلمة الاولى وفتحها فى الثانية فقال له الأعمى لبيك ذاك أنا وحكى بعضهم انه سمع بعض السؤال يقول من يعطينى فلسا وأحيله على من يرى ولا يرى فقال له بعض أهل المجون فاذا أعطيتك من هو المطالب فائدة قوله تعالى لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار هذه الآية الكريمة أقوى دلائل المعتزلة فى الأدلة السمعية على أن الله تعالى لا يرى لانها صريحة والجواب أن الآية الأخرى تناقضها وهى قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وحديث عائشة رضى الله عنها انكم لترون ربكم يوم القيامة الحديث وأما شبهتهم فى قوله تعالى لاتدركه الابصار فقد أجاب الاشاعرة عنها بأن قالوا قوله تعالى لاتدركه الابصار نقيض لقولنا تدركه الابصار وقوله لاتدركه الابصار يقتضى أن كل أحد لا يبصره لان الالف واللام اذا دخلتا على الجمع أفادتا الاستغراق ونقيض السالبة الكلية الموجبة الجزئية فكان معنى قوله تعالى لاتدركه الابصار لاتدركه كل الابصار ونحن نقول بموجبه فان جميع الابصار لاتراه ولايراه الا المؤمنون وهذه النكتة هى معنى قولهم سلب العموم لا يفيد عموم السلب ومن حجج المعتزلة بالأدلة السمعية أيضا قوله تعالى لموسى لن ترانى ولفظة لن تقتضى التأبيد والجواب عن ذلك أنها لا تقتضيه بدليل قوله تعالى ولن يتمنوه أبدا فاخبر أنهم لن يتمنوا الموت وذكر لفظة أبدا وأيضا فقد تمنوه فى قوله تعالى ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك ومن حجج الاشاعرة قول الامام فخر الدين الرازى رؤية الله تعالى معلقة على شرط جائز وكلما علق على شرط جائز فهو جائز فرؤية الله جائزة لان الرؤية علقت على شرط استقرار الجبل وهو جائز لقوله تعالى فان استقر مكانه فسوف ترانى

وانما قلنا بجوازه لان الجبل جسم وكل جسم يمكن أن يكون ساكنا وانما قلنا ان المعلق على الجائز جائز لان بتقدير وقوع ذلك الشرط ان لم يحصل المشروط لزم الكذب في اخبار الله تعالى وهو محال وان حصل كان الجواز قبله حاصلا وهذه نكتة حسنة والادلة السمعية على رؤية الله تعالى في الدار الآخرة كثيرة منها قراءة من قرأ واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا بفتح الميم وكسر اللام ولا جائز أن يكون ذلك الملك الا الله تعالى وروى الجمهور أنه صلى الله عليه وسلم قرأ قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة فقال الحسنى هي الجنة والزيادة هي النظر الى وجه الله تعالى وأول المعتزلة قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة بان المراد به ناظرة منتظرة واستشهدوا بقوله تعالى فناظرة بم يرجع المرسلون واستشهدوا أيضا بالشعر وغيره والذي يقال في جوابهم ان انظرت في اللغة يتعدى بغير حرف الجر وأما انظرت الى كذا بحرف الجر فلم يرد الا في معنى البصر وائن سلمنا أن الانتظار يتعدى بحرف الجر فنقول ان الانتظار كان حاصلا من المؤمنين في الدنيا فلا فائدة في ذكره يوم القيامة فلا بد من شئ زائد على ما كان حاصلا قبل وهو النظر في وجه الله الكريم جعلنا الله بفضله من يؤهل لذلك المقام ويختص بذلك الانعام العام وأورد الزمخشري في تفسيره هذين البيتين [illegible]

[illegible] * وجماعة [illegible] موكفه
قد شبهوه بخلقه وتخوفوا * شنع الورى فتستروا بالبلكفه

وأجاب عنهم بعض أهل السنة بقوله

عجبا لقوم ظالمين تلقبوا * بالعدل ما فيهم لعمري معرفه
قد جاءهم من حيث لا يدرونه * تعطيل ذات الله مع نفي الصفه

[illegible] بيوت أذن الله [illegible] في بيوت بالجر [illegible] كان الله تعالى توفى في بيوت أذن الله أن ترفع

تجربها أنت ومن نوع الآية الكريمة قول الشاعر

ليبك يزيد ضارع لخصومه * ومختبط مما تطيح الطوائح

(ربع بمياه) جار ومجرور متعلق بسقيت والباء هنا زائدة كما في قوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وأتت زائدة مع المفعول لان سقى يتعدى بنفسه تقول سقاه وأسقاه بمعنى و (الغنج) مضاف الى مياه والاضافة معنوية مقدرة باللام (والكحل) معطوف على الغنج والجملة من قوله قد سقيت الخ فى موضع النصب على الصفة لناشئة (المعنى) نقصد فتاة أو فتيات ناشئة بمنعطف الوادي ونصالها التي تحميها قد سقيت بمياه الغنج والكحل وهذا معنى قد أولع الشعراء به وأكثروا منه وهو أشهر من أن يستشهد له ولا بد من لمعة منه قال ابن الساعاتي

حال من دونك يا أخت الكلال * مقل الحي وفرسان الأسل

ومواض مرهفات فتكت * بي وحاشاك ولا مثل الكحل

وقال أبو الشيص

يرمين ألباب الرجال بأسهم * قد راشهن الكحل والتهديب

وما أحسن قول عمرو بن أبي ربيعة

تنكر الاثمد ما تعرفه * غير أن تسمع منه بخبر

يعنى أنها تستغني عنه بالكحل الذي في أجفانها وهذا يشبه قول المجنون

موسومة بالحسن ذات حواسد * ان الجمال مظنة للحسد

وترى مدامعها ترقرق مقلة * سوداء ترغب عن سواد الاثمد

ومن هنا أخذ ابن النبيه قوله

بيضاء تكحل لا لها أجفانها * منزه عن لونه الاسود

وقوله منزه أبلغ من قول المجنون ترغب وأحسن في الذوق وقال ابن سناء الملك

تخالو وتحلى حلى وقد حلت * وتنزل الملك بـ الكحل واكحل

كلامها الا اتهام بالاعابة * الا انتم ضيـ جفـ بها من الكحل

وقال أيضا من أبيات

لما ناظريا حيرة الظبي اذرنا * به كحل ناداه يا خجلة الكحل

وأثقلها الحسن الذى قد تكاثرت * ملاحته حتى تننت من الثقل

قال ابن جبارة قوله لما ناظر تحققنا ذلك ثم قال يا حيرة الظبي ولم يحار مع وجود المقاربة وعدم المباينة ثم جعل العلة فى حيرته وجود الكحل ان هذه قريحه قريحه وفكرة غير صحيحة وهذا ان سلم من يأخذ عليه على المجازاة باذ وليست من حروف المجازاة وهل ينبغي أن يقول قائل اذ يقوم زيد قام عمرو ويريد بذلك التعليق وانما أراد سبك مثل المتنبي

ليس التكحل فى العينين كالكحل

ومن أحسن ما نقلته فى التكحل والكحل قول بعضهم

زادت على كحل الجفون تكحلا * ويسم نصل السيف وهو قتول

وقال بعد كلام ساقه على البيت وقوله وأثقلها الحسن هذا قلب المعنى الذى ليس بمعنى وذلك أن الحسن فيما نظهره ونحقق يكون على محيا شخص فيستحسن به والملاحة هى وان كانت البياض فى الأصل فهى فى الاستعمال صفة صورة الذات من الحاجب والعين والأنف والفم ولهذا يقال فى العرف مليح حسن يعنى ان الذات مكملة بالملاحة فى صورة مستحسنة عند تأملها البلوغ الأمل ثم قال ولا ينبغي أن يقال هو حسن مليح لانه يجعل الوصف الذاتى تبعا لغيره وكان الصواب أن يقول أثقلتها الملاحة التى تكاثر حسنها ثم قال حتى تننت من الثقل لو رفع ثاء الثقل لكان أليق بالبيت وبصنعه فلا يقال له أهويت ولا أوهيت وهل يتثنى الانسان من الثقل وانما يمشى قطعة واحدة فى حال الثقل ثم قال وقد وكلت شرح هذا البيت المجزى عن معناه الى عريف الجمالين فعساه يعرف معناه ولقد أحسن الأعشى حيث يقول

كأن مشيتها من بيت جارتها * مشي السحابة لا ريث ولا عجل

وقال فى ريز برد

اذا قامت لحاجتها تثنت * كأن عظامها من خيزران

انتهى قلت هذا لعمرى نقد حسن وسبيل ألقى اليه العنان والرسن ولو كان لى فى البيت الاول حكم لقلت لها ناظر يا حيرة الظبى عنده وخلصت من اذ وعدم وضعها للمجازاة وأما قوله واثقلها الحسن فابن حجة معذور فيه لان حسنا يثقل صاحبه سمج بارد غث لان الحسن انما يفيد الخفة والحركة والنشاط وما مدح شئ بالثقل غير الارداف وما يتركونها الشعراء بل يقرنونها بخفة الخصر ورشاقة القد ومنه قول شمسة الموصلية

هيفاء ان قال الشباب لها انهضى * قالت روادفها اقعدى وتمهلى

وقول الآخر وهو فى غاية الحسن

هيفاء ان خطرت لحاجتها * عجل القضيب وأبطأ الدعص

وقول ابن رشيق

أحمل أثقالى على ردفه * وأمسك الخصر لئلا يضيع

وأنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباته

سألت النقا والبان يحكى لناظرى * روادف أو أعطاف من طال صدها
فقال كثيب الرمل ما أنا حملها * وقال قضيب البان ما أنا قدها

فلما أصبحت أنشدته فى معناه

يقول ردف حبيبى * وعطفه المتثنى
ما أنت يا غصن قدى * ولا كثيبك وزنى

فقال ما أشبه نظمى ونظمك الا ببشار بن برد وسلم الخاسر قلت يريد بذلك قول بشار بن برد

من راقب الناس لم يظفر بحاجته * وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

فأخذه منه سلم الخاسر وقال

من راقب الناس مات غما * وفاز باللذة الجسور

والخفة أمر طاب فى كل شئ ويستحسن ألا تراهم يصفون الكؤوس بها اذا ملئت سداما ولهذا قال الشاعر

ثقلت زجاجات أتتنا فرغى * حتى اذا ملئت بصرف الراح

خفت فكادت أن تطير بما حوت * وكذا الجسوم تخف بالارواح

وقال ابن حمديس

ويخف ملآنا ويثقل فارغا * كالجسم تعدم روحه أو توجد

وقال أيضا

تخف ملأى وتبطى الثقل فارغة * كالجسم عند وجود الروح أو عدمه

وذكرت بقوله لا يعرفه الا عريف الجمالين ما دار بين الصاحب جمال الدين ابن مطروح وبين معين الدين بن الؤلؤ وقد دخل عليه يوما فانشده الصاحب وقال انظر ما أحسن هذا النظم

مازلت أضمه الى أحشائي * حتى وهت من ضمه أعضائي

وقال له معين الدين الله الله يا مولانا الصاحب فتات هذا المسكين بالله ارفق به فاغتاظ الصاحب منه وقال ألبس هذا أحسن من شعرك لدى [illegible] حيث تقول [illegible] والغرام به فقال يا مولانا الصاحب ما اردت أن تقول الا كما قال بعضهم

أعاتبه [illegible] عليه * بنفس عنه من [illegible]

فاعترف له بالاحسان [illegible] أقول بشار بن برد اذا [illegible] البيت [illegible] بشار [illegible] قول كثير عزة

[illegible] * اذا غمزوها بالاكف [illegible]

[illegible] الله أبا [illegible] عصا ويعتذر بأنها [illegible] والله لو قال [illegible] أو عصا زيدا لكان قد هجنه ذكر العصا هلا قال كما قالت

وبيضاء المحاجر من معد * كأن حديثها ثمر الجنان

اذا [illegible] البيت وانشدني الشيخ الامام الحافظ العلامة [illegible] الشيخ علاء الدين علي [illegible] الباجي الاصولي

[illegible]

وراموا كحل عيني قلت كفوا * فأصل بليتي كحل الجفون

وأنشدني الشيخ الامام الأديب الكاتب شهاب الدين أبو الثناء محمود اجازة قال أنشدني لنفسه شيخنا الامام مجد الدين محمد بن الظاهر الاربلي الحنفي أبياتا أولها

غش المهند كامن في نصحه * فاطل وقوفك بالغوير وسفحه

ومنها

وبي الذي يغنيه فاتر طرفه * عن سيفه وقوامه عن رمحه

ظبي يؤنس بالغرام نفاره * ويجد في نهب القلوب بمزحه

ذو وجنة شرقت بماء نعيمها * كالورد أشرفه نداء برشحه

وكأن طرته وضوء جبينه * ليل تألق فيه بارق صبحه

ياشاهرا من جفنه عضبا غدا * ماء المنيـــة باديا في صفحه

قلبي وطرفي ذا يسيل دما وذا * دون الورى أنت العليم بقرحه

وهما بحبك شاهدان وانما * تعديل كل منهما في جرحه

والقلب منزلك القديم وان تجد * فيه سواك من الانام فنحه

وانما أثبت هذه الابيات وان كان أكثرها ليس له علاقة ببيت الطغرائي لحسن نظمها وانسجام لفظها وانظر الى قافية البيت الاخير وتمكنها في محلها كأنها الشمس في الحمل أو الدرة التي تم بها حسن العقد وكمل والقافية روح والبيت جسد هي قلقت فيه ضعف تركيبه وفسد وتمكن القوافي دليل على قوة الناظم في فنه وقلقها أدل على وقوف قريحته وجمود ذهنه وقال الآخر

طرقته في أتراب ... * وهما من العرر الصباح صباحا

أبرزن من ... أسمه * وهززن من ثلاث القدود رماحا

يا حبذا ذاك السلاح وحبذا * وقت يكون الحسن فيه سلاحا

وفي بيت الطغرائي من أنواع البديع الكناية وهي أبلغ من الصريح وأوقع في النفوس ألا ترى ان قولك بعيدة مهوى القرط أبلغ من قولك طويلة

العنق وقول امرء القيس

ويضحى فتيت المسك من فوق فرشها * نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل

أبلغ من قوله منعمة ذات خدم وجواري يخدمونها فهي تنام الضحى ولم تشد وسطها بنطاق الخدمة وامرء القيس أبدع الناس في الكناية لأن الناس كانوا يقولون أسيلة الخد حتى جاءهو فقال أسيلة مجرى الدمع وكانوا يقولون طويلة القامة وتامة العنق حتى قال بعيدة مهوى القرط وكانوا يقولون في الفرس السابق يلحق الغزال والظليم وما أشبه ذلك حتى قال قيد الاوابد وعلى ذكر مهوى القرط فقول قد أنشدني شيخنا العلامة شهاب الدين أبو الثناء محمود قال أنشدني لنفسه شيخنا مجد الدين بن الظهير الاربلي من أبيات

حكى قرطها قلبي خفوقا فهل رثى * له أو عراه الوجد أو راعه الهوى

وهو في غاية الحسن لانه استوفى أقسام الأسباب الموجبة لاضطراب القرط وما أحسن قول ابن سناء الملك

أما والله لولا خوف سخطك * لهان علي ما ألقى برهطك

ملكت الخافقين فتهت عجبا * وليس هما سوى قلبي وقرطك

وأخذه البدر يوسف بن لؤلؤ الذهبي فقصر عنه اذ قال

وأحوى فاتر الاجفان ألمى * رشيق قده رخص البنان

غلات قرطه والقلب مني * فصار له بذاك الخافقان

وقال ابن الساعاتي

يزول زوال الظل صبري وعهدها * ويخفق خفق الآل قلبي وقرطها

وما ألطف ما اعتذر به الوراق الخطيري عن خفق الفؤاد عند رؤية الحبيب في قوله

يقول لي حين وافى * قد نلت ما ترتجيه

فما لقلبك أضحى * بخفقة تعتريه

فقلت وصالك عرس * والقلب يرقص فيه

ومنه قول الآخر

لاتنكروا خفقان قلـبي والحبيب لدى حاضر
ماالقلب الا داره * دقت له فيها البشائر

وما أحسن قول ابن سناء الملك

أوسعت فيه الدهر عتبا ولما * فأجابني بالافك والبهتان
قلبي يحاسبني على اجرامه * وبعدها بانا من الخفقان

وقول القاضي الفاضل

وقد خفقت راياته فكأنها * أنامل في عمر العدو تحاسبه

وقول معين الدين بن لؤلؤ

لم أنسه اذ قال أين تحلني * حذرا على من الخيال الطارق
فأجبته قلبي فقال تعجبا * أرأيت عمرك ساكنا في خافق

على أنه أخذه من قول الآخر

وسكنت قلبا خافقا * ياساكنا في غير ساكن

قدزادطيب أحاديث الكرام بها * ما بالكرائم من جبن ومن بخل

(اللغة) أحاديث جمع حديث على غير قياس قال الفرا يرى أن واحد الاحاديث أحدوثة ثم جعلوه جمعا للحديث الكرام جمع كريم ويجمع أيضا على كرماء والكريم ضد البخيل تقول قد كرم بالضم فهو كريم وهو أيضا ضد اللئيم لان الكريم هو الذي يجمع الصفات الحميدة وهذا المعنى هو المراد في البيت وما أحسن ما أنشدني من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة

بالروح أفدي معرضا لم أزل * في كل واد من هواه أهيم
... بخل يشبه ريم الفلا * واطول شجوي من بخيل كريم

ونقلت من خط علاء الدين الوداعي له

ما أنت أول سائل محروم * من باخل بادي النفار كريم

وأخذه الوداعي من نور الدين الاسعردي فانه قال في غلام مغن

وغزال أغن غني فأغرى * ادشدا با الغرام كل مليم
فلث جدلي بقبلة قال خذها * وارتشف من لماي بنت الكروم

لست أبغي ماعشت عنه سلوا * كيف أسلو عن حب شادٍ كريم
وحاولت أنا نظم شئ في هذه المادة ففتح على فقلت

كفلت حمل غرامي * له بفرط نحـــــــــولي
فهل سمعتم بغيري * في السقم مضنى كفيل

وقلت أيضا

واخوان وثقت بهم فاضحى * أذاهم يعتريني كل حين
ولما أن أسأت الظن كفوا * فواعجباه من ظن يقين (ى)

(رجع) الكرام جمع كريمة الجبن ضد الشجاعة وما أحسن قول ابن النقيب فيما أظن

أقول وقد شنوا الى الحرب غارة * دعوني فاني آكل الخبز بالجبن

وكتب القاضي محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر كتابا لما التقى الملك الظاهر مع زيتون الفرنجي قريبا من عكا وهرب زيتون وأسر غالب من كان معه من الفرنج فقال من جملة الكتاب وفر زيتون من الجبن قيل ان الظاهر لما سمعها أعجبته وخلع عليه والجبن الذي هو ضد الشجاعة مخفف والذي يؤكل مشدد النون وقد تخفف وتقول في الاول قد جبن بكسر الباء وضمها فهو جبان البخل بضم الباء وسكون الخاء وعن الكسائي بتحريك الخاء مضمومة وهو ضد الكرم (الاعراب قد) تقدم الكلام عليها (زاد) فعل ماض وانما بني الماضي على الفتح لانه أخف الحركات (طيب) مفعول به وقد تقدم الكلام على المفعول به (أحاديث) مجرور بالاضافة وهي بمعنى اللام ويجوز أن تكون بمعنى في (الكرام) مضاف الى أحاديث والاضافة بمعنى اللام أيضا (بها) جار ومجرور ولم يظهر الجر لانه ضمير وهو راجع الى ناشئة والباء هنا تصلح أن تكون بمعنى عن كقوله تعالى سأل سائل بعذاب واقع وانما قلت انها بمعنى عن لانك تقول حدثت عنه وتحتمل غير ذلك (ما) اسم ناقص بمعنى الذي ولا يتم الا بصلة وعائد وهو ضمير من الاعراب الرفع على أنها فاعل زاد ومعناه طاب الذي تقدم

وما تأتى فى الكلام اعمان منها أن تكون للتعجب كقولك ما أحسن زيدا ومنها أن تكون للنفى كقولك ما قام زيد ومنها أن تكون للاستفهام عما لا يعقل وعن صفات من يعقل فاذا قلت ما عندك قيل فرس واذا قلت ما زيد قيل عالم وهنا تنبيه وهو أنها فى هذه المواطن لا تحتاج الى صلة ولا صفة لانها أمكنة ابهام ومنها أن تكون للشرط كقوله تعالى وما تفعلوا من خير يعلمه الله ومنها أن تكون مصدرية كقولك أعجبنى ما عملت أى عملك وكقوله تعالى بما كانوا يكذبون أى بتكذيبهم ومنها أن تكون بمعنى الذى فهى تحتاج حينئذ الى صلة وعائد كقوله تعالى فاصدع بما تؤمر أى بالذى تؤمر بالصدع به فحذفت الباء فاجتمعت الالف واللام والاضافة فحذفتا فبقى بصدعه ثم حذف المضاف فبقى به ثم حذف الجار فبقى تؤمره ثم حذفت الهاء العائدة وهو الكثير قال الأصفهانى فى شرح اللمع لم يأت فى القرآن اثبات العائد الا فى ثلاث آيات وهى الذى يتخبطه الشيطان من المس وكالذى استهوته الشياطين واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا وعلى ذكر ما الموصولة أنشدنى من لفظه الشيخ الامام الحافظ أبو الفتح محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمرى قال أنشدنى والدى أبو عمرو محمد قال أنشدنى والدى أبو بكر محمد قال أنشدنى ابن عروة القيسى قال أنشدنى أبو عبد الله محمد بن أبى محمد بن على بن سعيد بن حزم الظاهرى لنفسه

تجنب صديقا مثل ما واحذر الذى * تراه كعمرو بين عرب وأعجم
فان صديق السوء يزرى وشاهدى * كما شرقت صدر القناة من الدم

قلت قوله مثل ما أى صديقا يحتاج الى ما يكمله كاحتياج ما الموصولة الى الصلة والعائد واحذر الذى تراه كعمرو أى صديقا فيه زيادة لا حاجة اليها كالواو التى فى آخر عمرو لان صديق السوء يزرى بصاحبه كما ان المؤنث اذا جاور المذكر اكسبه التأنيث كقولهم ذهبت بعض أصابعه وكقول الأعشى

وتشرق بالقول الذى قد أذعته * كما شرقت صدر القناة من الدم

لان صدر الذي هو مذكر لما أضيف الى القناة أنث فعله وهو شرقت والتأنيث سوء بالنسبة الى التذكير قال الله تعالى قالت رب اني وضعتها انثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى وهذا البيت مما أنشده سيبويه وأهل الكوفة يستشهدون به وساقه ابن السكيت في كتاب المذكر والمؤنث له ويحتمل أن يكون أراد بالذي كعمرو عمرا الذي في قول الشاعر

المستجير بعمرو عند كربته * كالمستجير من الرمضاء بالنار

والاول أليق وأحسن وما أحسن قول أمين الدين المحلي

عليك بأرباب الصدور فمن غدا * مضافا لأرباب الصدور تصدرا

واياك أن ترضى بصحبة ناقص * فتنحط قدرا من علاك وتحقرا

فرفع أبو من ثم خفض مزمل * يحقق قولي مغريا ومحـــــــذرا

(٤) قلت قد تركت هذا المعنى غفلا ولم أوضح لك معناه لتعمل قريحتك وتشحذ ذهنك في استخراج النكتة منه فاذا ظهر لك هز عطفك وكاد يطير بك (رجع) ومنها أن تكون نكرة موصوفة كقول الشاعر

ربما تكره النفوس من الامر له فرجة كحل العقال

أي رب شئ مكروه ومنها أن تكون زائدة كقوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم وعما قليل ومنها أن تكون كافة وهي التي تدخل على ان واخواتها وعلى رب فتكفها الجميع عن العمل كقوله تعالى انما الله اله واحد ومن العرب من يقول انما زيدا قائم بنصب زيد وابقاء عمل ان وقد جمع بعضهم هذه الأنواع التسعة في بيت واحد فقال

تعجب بما اشرط زد صل انكره واصفا * وتستفهم انف المصدرية واكففا

وقد تكون ما بمعنى ليس فتعمل عملها فترفع الاسم وتنصب الخبر وسألت الشيخ الامام أثير الدين أبا حيان في كم موضع من القرآن وردت ما بمعنى ليس فقال في ثلاثة مواضع أحدها ما هذا بشرا والثاني فما منكم من أحد عنه حاجزين وزعم بعضهم أن حاجزين صفة لأحد وليس بشئ لان الصفة

(٤) قوله قلت قد تركت الخ بيانه أن المراد بقوله فرفع أبو من أي الواقع في نحو علمت زيدا أبو من هو فأبو لولا اضافته الى من الاستفهامية لم يمنع الفعل الذي قبله من نصبه مفعولا ثانيا له ولكنه لما أضيف اليها وهي مما له صدر الكلام امتنع نصب الفعل له وصار أبو مبتدأ واسم الاستفهام مضافا اليه والضمير بعد خبرا عنه وصار الفعل معلقا عن اللفظ ومحل الجملة نصبا بالفعل المذكور كما هو مقرر في التعليق وأما قوله ثم خفض مزمل فالمراد به ما وقع في قول امرئ القيس كأن ثبيرا في عرانين وبله كبير أناس في بجاد مزمل فمزمل صفة ينبغي لكبير وحقه الرفع فساه الكلام لكنه خفض لمجاورته لبجاد [illegible] ذلك فوجد محلا اهـ

يستغنى منها والخبر محط الفائدة والثالث ماهن أمهاتهم وهذه لغة الحجاز فأما بنو تميم فانهم يرفعون معها الجزءين فية ولون مازيد قائم ومنه قول القائل

ومهفهف الأعطاف قلت له انتسب * فأجاب ماقتل المحب حرام

يعنى أجاب بانه من بنى تميم لانه نطق بلغتهم (رجع) بالكرائم جار ومجرور والباء هنا للالصاق وهذا الجمع لايقع بهذه الصيغة الاللمؤنث وشذ منه ثلاثة جموع وهى فوارس وهوالك ونواكس أمّا فوارس فلأنه لايكون الافى الذكور ولايكون فى الاناث فأمن فيه اللبس وأمّا هوالك فانما جاء فى المثل هالك فى الهوالك جريا على الأصل والأمثال يجئ فيها مالايجئ فى غيرها وأمّا نواكس فما جاء الافى ضرورة الشعر والجوابان الاخيران ليس فيهما تعليل يعتمد عليه والجار والمجرور متعلق بمحذوف لازم اضماره لوقوع الجار والمجرور صلة الموصول وهو ما التى تقدمت فى قوله مابالكرائم تقديره قدزاد طيب أحاديث الكرام بها الذى استقر بالكرائم أوالذى يكون بالكرائم (قاعدة) كل جار ليس بزائد ومجرورا وظرف لا بدّوان يتعلق بفعل أو بما فيه معنى الفعل ومافيه معنى الفعل الاسماء التى تعمل عمل الفعل والجار والمجرور والظرف اذا تعلقا باستقرار محذوف فالجار والمجرور مثل زيد فى الدار أى مستقر فى الدار والظرف مثل زيد عندك أى مستقر عندك والمتعلق امّا أن يكون ملفوظا به أو مقدرا والمقدر امّا أن يكون لازم الاضمار أولا ولازم الاضمار له أربعة مواضع الاوّل أن يقع خبرا لذى خبر الثانى أن يقع صفة لموصوف الثالث أن يقع صلة لموصول الرابع أن يقع حالا الذى حال ففى الصلة لايقدر الابالفعل لان الصلة لاتكون الاجملة وفى البواقى بالفعل وغيره وغير لازم الاضمار كقولك بزيد فى جواب من قال بمن مررت (رجع) من جبن جار ومجرور ومن هنا لبيان الجنس (ومن بخل) معطوف عليه (المعنى) قدزاد طيب الأحاديث بين الكرام اذا تسامروا مايوجد فى النساء الكرائم من الجبن والبخل وهاتان الصفتان محمودتان فى النساء مذمومتان فى الرجال لان المرأة اذا كان

فيها شجاعة ربما كرهت بعلها فأوقعت به فعلا أدى الى هلاكه أو تمكنت من الخروج من مكانها على ماتراه لانها الاعقل لها يمنعها مما تحاوله وانما يصدها عما يقتضيه عقلها الجبن الذى عندها والخوف فاذا لم يكن لها مانع من الجبن أقدمت على كل قبيح وتعاطت ماتختاره اقداما منها على ما يأمرها به عقلها وقصة شرحبيل بن الحريث مع زوجته مية بنت عمرو بن مسعود مشهورة وملخصها أنها كانت نائمة الى جانبه فى الفراش فاقبل أسود سالخ فاضافاه لينهشه والسراج يزهر فأخذت بحلقه وخنقته الى أن مات وتركته تحت الفراش فلما أصبح جا أبواه اليه ليصبحاه وكانا يفعلان ذلك كل يوم تعظيما له فأخرجت السالخ اليهما ميتا فقالوا من قتل هذا قالت أنا ولو كان أشد منه لقتلته فقال أبوه يا شرحبيل خل عنها فهى للرجل أقتل فطلقها مكرها وفى كتاب الفرج بعد الشدة حكاية غريبة جرت لبعض الغرباء مع ابنة القاضى بمدينة الرملة لما أمسكها بالليل بالجبانة وهى تنبش القبور وكانت بكرا فضربها فقطع يدها وهربت منه فلما أصبح ورأى كفها ملقى وفيه النقش والخواتم علم أنها امرأة فتتبع الدم الى أن رآه قد دخل بيت القاضى فما زال حتى تزوجها ولما كان بعض الليالى لم يشعر بها الا وهى على صدره وبيدها خنجر فما زالت به حتى حلف لها بطلاقها على أنه يخرج من هذه البلدة ولا يعود اليها أبدا واذا كانت المرأة سمحة جادت بما فى بيتها فأضر ذلك بحال زوجها ومتى علم منها الجود بما يطلب منها ربما حصل الطمع فيها بأمر آخر وراء ذلك ولهذا جاء فى القرآن العظيم فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض ولان المرأة ربما جادت بالشئ فى غير موضعه قال الله تعالى ولا تؤتوا السفهاء أموالكم قيل النساء والصبيان وبالجملة فما حمد أحد من العقلاء كرم المرأة ولا شجاعتها وما أحسن قول أبى اسحاق الغزى

غريرة تخطف الابصار شاخصة * من حولها بروق البيض والاسل
تمى الى القوم جادوا وهى باخلة * والجود فى الخود مثل الشح فى الرجل

وانظر ما أحسن هذا النصف الثانى من البيت الثانى فان فيه مع ارسال المثل الجناس بين الجود والخود وهو جناس التصحيف وقال أيضا

من ضنها بالطيف توعدنا * ليطير طيب النوم بالمقل
دعها فلو سمحت به سمجت * جود النساء يعد فى البخل

وكذا اتفق له فى هذا البيت الثانى الجناس المصحف فى سمحت وسمجت وهو مأخوذ من قول علية بنت المهدى

بنى الحب على الجور فلو * أنصف المحبوب فيه لسمج

وما أحسن قول ابن الرومى

ما للحسان مسيئات بنا وانا * الى المسيئات طول الدهر احسان
فان تبعن بعهد قلن معذرة * انا نسينا وفى النسوان نسيان
لا نلزم الذكر انا لم نسم به * ولا فخناه بل للذكر ذكران
فضل الرجال علينا أن شيمتهم * جود وبأس وأحلام وأذهان
وان فيهم وفاء لا نقوم به * وهل يقوم مع النقصان رجحان

وقال ابن نباتة السعدى

كسلى تزور مع الظلام لما * طيف فأعدى طيفها الكسل
بخلت بما جاد الرقاد به * ومن الغوانى يحسن البخل

وما أبلغ قول ابن المبارية يهجو

يا واسطيون ثقوا انني * بهجوكم بين الورى مولع
ما فيكم كلكم واحد * يعطى ولا واحدة تمنع

تبيت نار الهوى منهن فى كبد * حرى ونار القرى منهم على القلل

(اللغة) تبيت أى تمسى النار معروفة وهى هنا مجاز وفى قوله نار القرى حقيقة والنار عنصر مضىء مركزه فوق الهواء لانها حارة يابسة والهواء حار رطب فنزل عنها والهواء مركزه فوق الماء لان الماء بارد رطب فنزل عن الهواء والماء مركزه فوق الأرض لانها باردة يابسة فالنار والهواء يطلبان فوق والماء والأرض يطلبان أسفل لانك اذا نكست الشعلة الى أسفل

انقلبت الى فوق واذا ملأت زقا مثلا هواء وقسرته على المكث فى الماء ورفعت القاسر طلب الزق جهة فوق وملا الماء واذا تحيلت على صعود الماء الى فوق بالفوارات والزراقات بلغ غاية الرفع ثم أخذ فى الهبوط واذا حذفت الحجر الى فوق بلغ غايته ثم تصوب منحدرا وترتيب النار أولا والهواء ثانيا والماء ثالثا والأرض رابعا هو الصحيح ومنهم من قال ان الأرض فى وسط العالم ومنهم من قال انها أول العناصر ثم تلطف الماء عنها ثم تلطف الهواء عنه ثم تلطفت النار عنه ومنهم من قال ان الماء هو أصل الاربعة والأرض كثيفة والذى علاها لطيف ومنهم من قال الهواء الاصل فالنار لطيفة والذى سفل عنه كثيف والصحيح الاول على ما تقرر فى الطبيعى لان حدوث النار مسبب عن اصطكاك أجرام الافلاك والكلام فى هذا يطول وهو مستقصى فى أماكنه من كتب الحكمة وقول ابليس خلقتنى من نار وخلقته من طين افتخار بعنصر النار لانه مضىء مشرق فاعل الحرارة التى هى سبب النمو والنشو مركزه فوق ويعارض بأن الأرض مركز الحياة والنشو للحيوان والنبات بخلاف النار فانها اذا استولت على شئ من ذلك أفسدته وهى مفرطة الكيفية والأرض معتدلة وان كانت النار حسنة اللون فى الحس الباصر فانها مضرة بحس اللمس والأرض لا تؤذى بالمس فثبت أن النار ليست أشرف من الأرض خلافا لبشار بن برد فانه قال فى ذلك

ابليس خير من أبيكم آدم * فتنبهوا يا معشر الفجار

النار جوهرة وآدم طينة * والطين لا يسمو سمو النار

وقال بعضهم النار عند العرب أربعة عشر نارا وهى نار المزدلفة توقد حتى يراها من دفع من عرفة وأول من أوقدها قصى بن كلاب ونار الاستسقاء كانوا فى الجاهلية اذا تتابعت عليهم السنون جمعوا ما قدروا عليه من البقر وعلقوا فى عراقيبها وأذنابها العشر والسلع ثم صعدوا بها فى جبل وعر واشعلوا فيها النار وضجوا بالدعاء يزعمون أنهم يمطرون بذلك ونار

التحالف كانوا لا يعقدون الحلف الا عليها ويطرحون فيها الملح والكبريت فاذا
استشاطت قالوا هذه النار قد تهددتك ونار الغدر كانوا اذا غدر الرجل بجاره
أوقدوا له نارا بمنى أيام الحج ثم صاحوا هذه غدرة فلان ونار السلامة
توقد للقادم من سفره سالما غانما ونار الزائر والمسافر وذلك أنهم كانوا اذا
لم يحبوا أن يرجع الزائر أو المسافر أوقدوا خلفه نارا وقالوا أبعده الله وأسحقه
ونار الحرب وتسمى نار الأهبة يوقدونها على بقاع اعلاما لمن بعد عنهم ونار
الصيد يوقدونها للظباء لتغشى أبصارهم ونار الأسد كانوا يوقدونها
اذا خافوه لانه اذا رآها أحدق اليها وتأملها ونار السليم توقد للملدوغ اذا
سهر والمجروح اذا نزف ومن الكلب يوقدونها حتى لا يناموا
ونار الفداء كانت ملوكهم اذا سبوا قبيلة وطلب منهم الفداء كرهوا أن
يعرضوا النساء نهارا لئلا يفتضحن ونار الوسم التي يسمون بها الابل لتعرف
ابل الملوك فترد الماء أولا ونار القرى وهي أعظم النيران ونار الحرتين
وهي التي أطفأها الله بخالد بن سنان العبسي احتفر لها بئرا ثم أدخلها فيها
والناس يرونه ثم اقتحم فيها حتى غيبها وخرج منها (رجع) الهوى مقصور
ميل النفس وجمعه أهواء الكبد واحدة الاكباد وفيها لغتان كبد
بالتحريك والسكون وحرى مؤنث حار القرى الضيافة القلل جمع قلة
وهي أعلا الجبل وقلة كل شئ أعلاه (الاعراب تبيت) فعل مضارع
تقول بات يبيت ويبات بيتوتة وبياتا وهو مرفوع لخلوه عن الناصب
والجازم وبات من أخوات كان (نار) مرفوع على أنه اسم بات و(الهوى)
مضاف اليه والاضافة معنوية بمعنى اللام ولم يظهر الجر لانه مقصور
(منهن) جار ومجرور ولم يظهر الجر لانه ضمير والضمائر كلها مبنية وهن
ضمير جماعة المؤنث يرجع الى فتيات الحي ونسائه اللاتي تقدم ذكرهن
(في كبد) جار ومجرور وفي هنا ظرفية تتعلق بمحذوف وهذا الجار
والمجرور سد مسد الخبر الذي لبات لانها من أخوات كان ترفع الاسم وتنصب
الخبر تقديره تبيت نار الهوى منهن مستقرة في كبد (حرى) مجرور على

الصفة لكبد وقد وافق الموصوف فى الافراد والتأنيث والتنكير والجر لان الكبد مؤنثة وحوى لا ينصرف لانه مؤنث بالالف المقصورة لان الف التأنيث سواء كانت ممدودة أو مقصورة تمنع الاسم من الصرف وهى علة مستقلة بمنع الصرف بخلاف التاء وانما كان كذلك لان مطلق التأنيث فرع ولزومه كتأنيث آخر والالف بهذه المنزلة لانها لازمة مع الكلمة من أول الامر والتاء تنفك فى المذكر ولان الالف تستمر فى الجمع ولا تفارق فى مثل حبلى وحبالى وأما التأنيث بالتاء فيفارق مثل مسلمة ومسلمات ولهذا لم يدخل حوى التنوين وحوى يكتب بالياء (ونار) الواو عاطفة عطفت الاسم على الاسم والنار هنا حقيقة وفى الاول مجاز وهو مرفوع على أنه اسم ثان لتبيت (القرى) مجرور بالاضافة وهى هنا معنويه بمعنى اللام ولم يظهر الجر لانه مقصور والهوى والقرى يكتبان بالياء أيضا لانهما من هويت وقريت (منهم) اعرابه كاعراب منهن و(على القال) جار ومجرور متعلق بمحذوف كما سافى كبد وعلى هنا للاستعلاء وقال فى النار الاولى منهن لان الضمير يعود الى نساء الحى وفى النار الثانية منهم لان الضمير يعود الى رجاله الذين جعلهم عدى كالاسود (المعنى) ان هذا الحى الذى أريد طروقه له ناران نار انسائه تبيت فى كبد حوى ونار لرجاله تبيت للقرى مضرمة على القال وهذا فى غاية المدح لهذا الحى لان نساءه حسان ورجاله كرم وفى قوله كبد حوى منكرا نكتة كان قال نار نسائه فى كبد واحد وهى كبدى لانهن غير مبتذلات لمن يراهن فما يشاركنى فى محبتهن أحد ونار قراهم على القال تبدو لكل ناظر وقد جمع بين وصف النساء ووصف الرجال فى بيت واحد وهو من البلاغه ومن هذا قول ابن الساعاتى

ادمية الحى الحسان جمانه	*	لله ما صنعت بنا جفناك
أغنتك الحاظك عن لحاظ سيوفهم	*	فبها انتهت من القلوب اناك
أهذى رماحهم وأملك ان يكن	*	حرب وغير سيوفهم عيناك

وقوله أيضا

وأبى الهوى لو كنت أملك قوة * تذر الوشيج برامتين مكسرا
لطرقت دون الحى غير مراقب * ذاك الكناس وزرت ذاك الجؤذرا
ولزرت بيضاء المضارب صاليا * اما بنار الحرب أو نار القرى
يا دمية الحى المقدس تربه * فكأنما يطئون مسكا أذفرا
آنست نارك فى التهائم دونها * جمرات قومك فى الذوائب والذرى
ويظن غاش أنها اما أضرمت * من فحمة الظلماء الاعنبرا

وأنشدنى الشيخ الامام شهاب الدين محمود قال أنشدنى الشيخ مجد الدين محمد بن الظهير الاربلى لنفسه اجازة

حيث الاراكة والكثيب الاوعس * وادبهيم به الفؤاد مقدس
وبكل خدر منه ليث خادر * أفأية ذاك الحمام مكنس
يا جيرة الحى المظلل بالقنا * هل ناركم سوى الاضالع نقبس
أضرمتموها للنزيل ودونها * نيران فتاك الحفيظة أشرس

وما أحلى قول أبى طاهر بن حيدر البغدادى

خطرت فكاد الورق تسجع فوقها * ان الحمام لمغرم بالبان
من معشر نشروا على تاج الربى * للطارقين ذوائب النيران

وهذه الاستعارة فى غاية الحسن وهو مأخوذ من قول الاول

يبيتون فى المشتى خماصا وعندهم * من الزاد فضلات تعد لمن يقرى
اذا ضل عنهم طارق رفعوا له * من النار فى الظلماء ألوية حمرا

وقال ابن صردر

قوم اذا حيى الضيوف جفانهم * ردت عليهم ألسن النيران

وهذه استعارة أخرى وهى أكمل لان فى النار من اللسان شبئين وهما الشكل الشبيه باللسان والزفير الشبيه بالتصويت وفى الاستعارة الاولى الشكل لا غير ومن هنا قول التهامى

نادته نارك وهى غير فصيحة * وهنا بخفق ذوائب النيران

وقال أبو اسحاق ابراهيم الغزى

اذا بجا الليل فى اللأواء واحتجبت * زهر النجوم فضل الحافر الوقع

دعته نار مقاريهم بألسنة * فوق الفضا من شدوف الاكم تندلع

وهذه استعارة حسنة فى الشدوق للاكام وقال ابن قلاقس

حصائب لم يفرق بها الخطب لانه * مفارق لم يعصب بها الدم لاثث

اماء القدور الراسيات لديهم * بنار القرى فى كل يوم طوامث

انظر الى هذه الاستعارة فى قوله اماء القدور الراسيات اذشبه القدور بالجوارى السود وفيه نقص من وجوه الاول أنه لا مناسبة فى ذلك لانه ليس كل أمة سوداء الثانى أن هذا الشكل مخالف لذلك الشكل لان هذه مستديرة وتلك مستطيلة الثالث عدم الاحساس ولكن لما رشح التشبيه بأن النار بمنزلة دم الحيض اهن حسنت الاستعارة وصارت غاية فى البلاغة وقد بالغ مهيار الديلمى فى قوله

ضربوا بمدرجة الطريق قبابهم * يتقارعون على قرى الضيفان

ويكاد موقدهم يجود بنفسه * حب القرى حطبا على النيران

وما أحسن قول الاسعد بن مماتى

لنيرانه فى الحى أى تحرق * على الضيفان أبطا وأى تلهب

تودلى بشرا وجادت بعينه * فحققت أن الماء من نوء كوكب

ويعجبنى أبيات الحطيئة وان كان فيها طول

وطاوى ثلاث عاصب البطن مرمل * ببيداء لم يعرف لها ساكن رسما

أخى جفوة فيه من الانس وحشة * ترى البؤس فيها من شراسته نعمى

تفرد فى شعب عجوزا ازاءها * ثلاثة أشباح تخالهم بهما

حفاة عراة ما اغتذوا خبز ملة * ولا عرفوا للبر مذ خلقوا طعما

رأى شبحا عند العشاء فراعه * فلما رأى ضيفا تشور واهتما

وقال هيا رباه ضيفا ولا قرى * بحقك لا تحرمه ذى الليلة اللحما

فقال ابنه لما رآه بحيرة * أيا أبت اذبحنى ويسر له طعما

ولا

ولا تعتذر بالعدم عل الذى طرا * يظن لنا مالا فيوسعنا ذما
فروى قليلا ثم أجم برهة * وان هو لم يذبح فتاه فقد هما
فبيناهم عنت على البعد عانة * قد انتظمت من خلف مسحلها نظما
ظماء تريد الماء فانساب نحوها * على أنه منها الى دمها أظما
فامهلها حتى تروت عطاشها * وأرسل فيها من كنانته سهما
فخرت نحوص ذات جحش فتية * قد اكتنزت لحما وقد طبقت شحما
فيا بشره اذ جرها نحو قومه * ويا بشرهم لما رأوا كلمها يدمى
وباتوا كراما قد قضوا حق ضيفهم * وما غرموا غرما وقد غنموا غنما
وبات أبوهم من بشاشته أبا * لضيفهم والام من بشرها أما
وسأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه متمم بن نويرة عن حزنه على أخيه مالك فقال والله انى ما أنام الليل وما رأيت نارا رفعت بليل الا ظننت أن نفسى ستخرج لأنى أذكر بها نارا أخى فانه كان يأمر بالنار فتوقد حتى يصبح مخافة ان يبيت ضيف قريبا منه فتى رأى النار يأوى اليها وذكر المبرد فى الكامل فصلا طويلا فى قصة مالك بن نويرة وقتله ومراثى أخيه متمم فيه وقد احتج الناس لخالد بن الوليد رضى الله عنه فى قتله مالكا بانه قتله على ردته فانه لما وقف بين يديه كان يقول فى مخاطبته قال صاحبك وتوفى صاحبك يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له خالد أوليس هو صاحبك يا عدو الله ثم قتله واحتجوا له أيضا بقول أخيه متمم لما قال له عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقد سمعه ينشد مراثى أخيه مالك وددت لو رثيت أخى زيدا بما رثيت به أخاك فقال والله لو علمت ان أخى صار الى ما صار اليه أخوك لم أرثه ولم أحزن عليه قيل ان الجاحظ لما قيل له ان الاصمعى كان يقول فى مرثية متمم لأخيه مالك بقصيدته العينية التى منها

وكنا كندمانى جذيمة حقبة * من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

هذه أم المراثى قال الجاحظ لم يسمع الأصمعى

أى القلوب عليكم ليس ينصدع * وأى نوم عليكم ليس يمتنع

قلت هذه من مراثي أبي تمام الطائي في بني حميد (رجع) وما هجا أحد قوما بمنع الضيف من القرى وعدم الانس به والبشاشة له بمثل ما هجا القطامي به امرأة من محارب في قصيدته البائية فانه أخبث هجاء وهي مشهورة منها

الى حيزبون توقد النار بعدما * تلفعت الظلماء من كل جانب

فما راعها الا بغام مطيتي * تريح بمحسور من الصوت لاغب

تجنّت جنونا من دلاث مناخة * ومن رجل عاري الاشاجع شاحب

سرى في جليد الليل حتى كأنما * تحزم بالاطراف شوك العقارب

تقول وقد قربت كوري وناقتي * اليك فلا تذعر علي ركائبي

فسلمت والتسليم ليس يسرها * ولكنه حق على كل جانب

فردت سلاما كارها ثم أعرضت * كما انحازت الافعى مخافة ضارب

فلما تنازعنا الحديث سألتها * من القوم قالت معشر من محارب

ولما بدا كرهانها الضيف لم يكن * على مبيت السوء ضربة لازب

الا انما نيران قيس اذا شتوا * لطارق ليل مثل نار الحباحب

وقد أسقطت من غضونها أبياتا خوف الاطالة والى هذه العجوز أشار عبد الصمد بن المعذل في أخيه أحمد حيث يقول

ليت لي منك يا أخي * جارة من محارب

نارها كل شتوة * مثل نار الحباحب

وعبد الصمد هذا كان صاحب مجون شديد الاقدام على الاعراض ردئ السيرة خبيث الهجاء ولكن كان يؤانس على علاته لظرفه وطيب مجلسه وكان أخوه أحمد بالضد من حاله وكان صاحب زهد وورع وعبادة وانقطاع عن الناس وتقدم في الاعتزال وحكي انه كان في مكان وتحته عبد الصمد في جماعة من أصحابه وندمائه وقد أكبوا على شرابهم وعكفوا على لذاتهم فعلت أصواتهم وجلبتهم بسماعهم من صوت الملاهي والغناء وغير ذلك فشوشوا على أحمد في تعبده فناداه يا عبد الصمد أما تخاف أن يحل بك وبهؤلاء عذاب من الله فرفع عبد الصمد رأسه اليه وقال وما كان الله ليعذبهم وأنت

فيهم ولأحمد بن المعذل هجو ظريف فى أخيه عبد الصمد وهو قوله

قال لى أنت أخو الكلب وفى * ظنه أن قد هجانى واجتهد
أحـــمد الله تعالى انه * مادرى أنى أخو عبد الصمد

وهذا الهجو فى غاية الأذى مع مافيه من اللطافة ويقال ان أهجى بيت قالته العرب هو قول الأخطل

قوم اذا استنبح الأضياف كلبهم * قالوا لأمهم بولى على النار

وقد اشتمل هذا البيت على معائب أولها أنهم قليلون حتى تنبحت الأضياف لنباح كلابهم ثانيها أنها نار قليلة لفقرهم فهى تطفأ ببول امرأة ثالثها أن أمهم هى التى تخدمهم فليس لهم خدم غيرها رابعها أنهم كسالى عن مباشرة أمورهم حتى تقوم بها أمهم خامسها عقوقهم لوالدتهم حيث أنهم يمتهنونها فى الخدمة سادسها عدم أدبهم لانهم يخاطبون أمهم بهذه المخاطبة التى يستحى الكرام من التفوه بها سابعها انهم لا يتركون أمهم تبيت عند مراقدهم لانهم قالوا لها بولى ولم يقولوا لها قومى الى النار ثامنها أنهم جبناء لا يرقدون لانهم مستيقظون يستمعون الصوت الخفى من البعد تاسعها قذارتهم لانهم لا يبالون بما يصعد من رائحة البول اذا وقع فى النار عاشرها الزامهم والدتهم بأن لا تبول وان تدخر ذلك الى وقت الحاجة اليه والانسان كل وقت يطلب الانسان الارادة بصدها فتجد لذلك ألما ومشقة من احتباس البول حادى عشرها افراطهم فى البخل الى غاية يشفقون معها على الماء أن يطفأ به النار فيروح مجانا ثانى عشرها أنه تأكد بهذا القول عداوة المجوس للعرب لان الفرس يعبدونها وأولئك يبولون عليها فيتأكد بذلك الحقد قلت قد سمعت من أفواه الادباء بعض هذه الأقسام وتكلفت أنا الكثير واجتمع الفرزدق والأخطل ليلة على الشراب وتناشدا الى أن قال الأخطل والله انك واياى لأشعر من جرير ولكنه أوتى من سير الشعر مالم نؤتيه قلت أنا بيتا وما أعلم أن أحدا قال أهجى منه وهو قوم اذا استنبح الاضياف كلبهم البيت فلم يروه الا حكماء الشعر وقال هو

والتغلي اذا نضج القرى * حلت استه وتمثل الامثالا

فلم يبق ثقاة ولا سوقة الا رووه وقال المنصور لعمرو بن عبيد ما بلغك في الكلب قال ماورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقتنى كلبا لغير حراسة أو صيد نقص من أجره كل يوم قيراطان قال ولم ذلك قال كذا جاء في الحديث فقال المنصور خذها بحقها وذلك لانه ينبح الضيف ويروع السائل وذكر أصحاب الخواص أن الكلب اذا نبح انسانا وخاف ضرره فليلتفت اليه وليجلس الى الارض فانه يرجع عنه مسئلة من علم المناظرة تتعلق بالنار ان قال قائل لم كانت النار يراها الانسان من بعد أكبر مما يراها اذا وقف عندها أو قريبا منها فالجواب أن الهواء المحيط بالاجسام يتكيف بكيفية النار ويتحد بجرمها فترى أكبر منها لعسر التمييز على الحس بواسطة البعد ومن أوصاف النار قول ابن المعتز وقد تقدم في المقدمة

مشهرة لا يحجب البخل ضوءها * كأن سيوفا بين عيدانها تجلى
يفرق أغصان الوقود اضطرامها * كما شقت الشقراء عن متنها جلا

وقول ابن خفاجة

حمراء نازعت الرياح رداءها * وهنا وزاحمت السماء بمنكب
ضربت سماء من دخان فوقها * لم تدر فيها شعلة من كوكب
وتنسمت من كل نفحة جمرة * باتت لها ريح الشمال بمرقب
ذهبت فذهبت فكأنها * شقراء تمرح في عجاج أكهب

وقول محمد بن عطية بن حسان الكاتب من شعراء المغرب

بتنا ندير الراح في شاهق * أعلا على نغمة عودين
والنار في الارض التي دوننا * مثل نجوم الجو في العين
فياله من منظر مونق * كأننا بين سماءين

وقول مجير الدين محمد بن تميم

وكأنما النار التي قد أوقدت * ما بيننا ولهيبها يتضرم
سوداء أحرق قلبها ذا سانها * بسفاهة للحاضرين يكلم

وقول الآخر

وفحم كأيام الوصال فعاله * ومنظره في العين ليل صدود

كأن لهيب النار بين خلاله * بوارق لاحت في غمائم سود

وقول الآخر

كانون يطفي برده كانوننا * ما بين سادات كرام حذق

بأراقم حمر البطون ظهورها * سود تنضنض باللسان الأزرق

وقول مجير الدين محمد بن تميم

كأنما نارنا وقد خمدت * وجمرها بالرماد مستور

دم جرى من فواخت ذبحت * من فوقها ريشهن منثور

وقوله أيضا

كأنما النار في تلهبها * والفحم من فوقها يغطيها

زنجية شبكت أناملها * من فوق نارنجة لتخفيها

وقول الآخر

كأن كانوننا سماء * والجمر في وسطه نجوم

ونحن من حوله شياطين * والشرر الطائر الرجوم

وقول أبي الفرج الببغاء

فحمنا قدم الغلام فأدنى * في كوانينه حياة النفوس

كان كالآبنوس غير محلى * فغدا وهو مذهب الآبنوس

لقي النار في ثياب ثكالى * فكسته مصبغات عروس

وقلت أنا

لا كنت يا فصل الشتاء فإننا * لم تأت إلا نضرم النيرانا

فإذا تطاول فيك شيل شرارها * رجعت بها شهبا نخيلانا

ومن كلام القاضي الفاضل من جملة كتاب وأن البرج وطيس الحرب وقد أججته إلى أن أحرقته وصرح الشرك قد خاضته إلى أن أغرقته وأن الخندق بركة والبرج لها فواره وإن الله أعد للعدى نارا في الآخرة وأحرقهم

فى الدنيا بشراره وان العدو تحصن فى البرج بكثيب بنفسج أحرقه الله
بجلناره ومن كلامه أيضا وبات الناس مطيفين بالحصن والنيران به وعليهم
مشتعله ومذبات ألسنتها على وجهه منسدلة ومن خلفه مسبله واقتصاتها
جهنمية وقودها الناس والحجاره والملا ينادى طيرية بلسان مصابها اياك
أعنى واسمعى ياجاره فوجدت النار موائج تضيق عنها الفكر وتعجز عنها
الابر وخوالف المثل فى ان السعادة تلحظ الحجر وأغنى ضوء نهارها سواد
كل بقعة أن يسأل هذا وذا ما الخبر الى أن بدا الصباح وكأنه منها استنار
وانشق الشرق وكأنه من عصفرها صابغ الازار وسرى داء النقوب
الى المعاقل ودب سكرها بين المفاصل وغدت الجدران قائمة والبلى سار
فى أعقابها متجلدة والنار قصت ثيابها وقال آخر

كأن نضيد الفحم خوف شراره * اذا النار مست خاده فتلونا
تذكر أيام السحاب التى جرت * بمنبته لما تأود أغصنا
فأنبت منه الآبنوس بنفسجا * وأثمر عنابا وأورق سوسنا

قلت وأظن الجوبان القواس سام هذا المرعى ولمح هذا المعنى فنقله الى
الراووق اقتدارا وصنعا فقال

ولما حكى الراووق فى العين شكله * وقد عاق العنقود فى سالف الدهر
تذكر عهدا بالكروم فكله * عيون على أيام عمر الصبا تجرى

قلت قل من يحسن أن ينشده معربا العدم تصور معناه والوجه فى اعرابه أن
يكون العنقود منصوبا على انه مفعول حكى وشكله مرفوع على أنه بدل من
المرفوع الذى هو فاعل حكى ونائب فاعل عاق ضمير مستتر يعود على
العنقود ففيه تقديم وتأخير وتقديره ولما حكى شكل الراووق
العنقود فى العين وقد علق هو فى سالف الدهر ومثل هذا كثير فى شعر العرب
كقوله

ان الفرزدق صخرة ملومة * طالت فليس تنالها الاوعالا

وقول الآخر

نزلنا القادسية فاستقينا * من البئر التى حفر الاميرا

وقول الآخر

من بنات الكروم جاءت سلافا * لم يدسها برجله العصارا

وقول الآخر

فمن قبل صدقنا وقد كان قومنا * يصلون للاوثان قبل محمدا

التقدير طالت الاوطال واستقينا الامير وجاءت العصار وصدقنا محمدا صلى الله عليه وسلم

يقتان أنضاء حب لاحراك بهم * وينحرون كرام الخيل والابل

(اللغة) انضاء جمع نضو وقد تقدم فى قوله وضج من لغب نضوى وأراد بالانضاء جماعة العشاق الذين أسقمهم الهوى وأنحلهم ولهذا أضافهم الى الحب والحب معروف يقال أحبه فهو محب وحبه يحبه بالكسر فهو محبوب واذا أفرط الحب سمى عشقا فالعشق محبة مفرطة وليس بافراط المحبة كما قاله بعضهم فيكون أخص من المحبة لان كل عشق محبة من غير عكس قال صاحب الريحان والريعان الحب أوله الهوى ثم العلاقة ثم الكلف ثم الوجد ثم العشق وهو مقرون بالشهوة والحب والمقة فى الله تعالى والعشق اسم لما فضل من المقدار الذى هو الحب ثم الشغف وهو احراق القلب بالحب مع لذة يجدها وكذلك اللوعة واللاعج والغرام ثم الجوى وهو الهوى الباطن والتتيم والتبتل والهيام وهو شبه الجنون والعشق عند الاطباء من جملة أنواع الماليخوليا وهى تغير الظنون والفكر عن المجرى الطبيعى الى الفساد وقد رسموا العشق بأنه مرض وسواسى يجلبه المرء الى نفسه بتسليط فكرته على استحسان بعض الصور والشمائل وقال ارسطو العشق عبارة عن عمى العاشق عن عيوب المعشوق وهذه خاصة من خواص العشق والتحقيق ان العشق أعم من ذلك لان الرئيس أبا على ابن سينا فى رسالته فى العشق ذكر انه سار فى جميع الموجودات من الفلكيات والعنصريات والمعدنيات والنباتات والحيوانات حتى أن أرباب

الرياضي ذكروا فيه الاعداد المتحابة واستدركوا ذلك على اقليدس وقالوا فاته ذلك ولم يذكره وهي المائتان والعشرون فانها عدد زائد أجزاؤه أكثر منه واذا جمعت كانت مائتين وأربعة وثمانين بغير زيادة ولا نقصان والمائتان والاربعة والثمانون عدد ناقص أجزاؤه أقل منه واذا جمعت كانت جملتها مائتين وعشرين فكل من العددين المتحابين أجزاؤه مثل الآخر وبيان ذلك أن العدد التام هو ما اذا اجتمعت اجزاؤه كانت مثله وهو ستة فان اجزاءها البسيطة الصحيحة انما هي النصف وهو ثلاثة والثلث وهو اثنان والسدس وهو واحد ومجموع ذلك ستة والعدد الناقص هو ما اذا اجتمعت أجزاؤه البسيطة الصحيحة كانت جملتها أقل منه وهو ثمانية فان أجزاءها انما هي النصف وهو أربعة والربع وهو اثنان والثمن وهو واحد ومجموع ذلك سبعة وهي أقل من العدد المذكور والعدد الزائد هو ما اذا اجتمعت أجزاؤه زادت عليه وهو اثنا عشر فان له النصف وهو ستة والثلث وهو أربعة والربع وهو ثلاثة والسدس وهو اثنان ونصف السدس وهو واحد ومجموع ذلك ستة عشر وهو يزيد على الاصل الذي هو اثنا عشر فالمائتان والعشرون لها نصف وهو مائة وعشرة وربع وهو خمسة وخمسون وخمس وهو أربعة وأربعون وعشر وهو اثنان وعشرون ونصف عشر وهو احد عشر وجزء من احد عشر جزأ وهو عشرون وجزء من اثنين وعشرين جزأ وهو عشرة وجزء من أربعة وأربعين جزأ وهو خمسة [illegible] خمسة وخمسين جزأ وهو أربعة وجزء من مائة وعشرة اجزاء وهو اثنان وجزء من مائتين وعشرين جزأ وهو واحد وجملة ذلك من الاجزاء البسيطة الصحيحة مائتان وأربعة وثمانون وهي ليس لها الا نصف وهو مائة [illegible] وأربعون وربع وهو واحد وسبعون وجزء من احد وسبعين جزأ [illegible] وجزء من [illegible] وأربعين جزأ وهو اثنان وجزء من [illegible] وقد ذكرنا [illegible] تحاب العددين واتحاد [illegible] ذلك خاصية عجيبة في المحبة ويقولون اذا

جعل هذا العدد الاول والعدد الاكثر فى شئ من المأكول وأكل المحب الاكثر وأطعم الاقل لمن يريد محبته فان المحبوب يحبه أكثر مما كان ذلك يحبه ويجمع هذين العددين قولك فردكر وكنت قد بخلت بهذه الفائدة أن أودعها هذا الكتاب ثم بدا لى اثباتها لما تذكرت قوله صلى الله عليه وسلم من علم علما وكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار فان قلت ذلك فى العلوم الدينية قلت والتحابب أيضا من الامور الدينية قال صلى الله عليه وسلم لاتدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا وتألف القلوب أمر مرغوب فيه وقد حض الشارع عليه الصلاة والسلام عليه ومن صرف هذا فى غير أمر شرعى فانما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ مانوى (رجع) قال أفلاطون العشق قوة غريزية متولدة من وساوس الطمع وأشباح التخيل نامية باتصال الهيكل الطبيعى والعشق يحدث للشجاع جبنا وللجبان شجاعة فيكسو كل انسان عكس طباعه حتى يبلغ به المرض النفسانى والجنون الشوقى فيؤديانه الى الداء العضال الذى لا دواء له وقال الاسكندر العشق نور شعشعانى أوجده واجب الوجود فى اللطائف القدسية مؤلفا بين المتنافيين لبقاء سره الخفى فى تناسبها اذ التنافى مؤد الى الشتات والشتات مؤد الى الانفراد والانفراد مؤد الى الوحدة والوحدة مؤدية الى العجز والعجز مؤد الى العدم وهو مع ضيائه بار مجرى ظلمة الشهوة التى ركبها الله تعالى لبقاء معانى الاجسام اذ لا سبيل الى بقاء أعيانها وقال سقراط العشق صفة من صفات علة العلل خلطها بماء العزة وقسمها فى جميع المركبات ولم يدل عليها الا نور العقل اذا ظفر بها ظن أن هى هو فجرى تحت أوامرها صاغرا وخضع لذلك المعنى القدسى حكمة من الله تعالى لئلا تستديم امرته فيسهو عن تلك الافلاك فيستحيل جهلا بالبيان فينقطع سلك النظام فينبوعنها وقال أبو معشر العشق اتصال نبات أرضى بحظ أوجبته الكواكب الفلكية من الاجسام الطبيعية والمواليد الزمانية فى عالم الكون والفساد اذ هى فاعلة فى الطبائع اذ العالم العلوى فاعل فى العالم

السفلى كما أن فلك الآدميين فاعل فى فلك الحيوان وفلك الحيوان فاعل فى فلك النبات وفلك النبات فاعل فى فلك المعادن فاستدل بذلك على أن سببه نجومى وقرانه زمانى وقال اقليدس العشق وفق هندسى وجزء معنوى لقى شكاه فطابقه وصادف مخالفه فنافاه وذلك أن مركب الاشباح اللاهوتية والاشكال الناسوتية اقتضت حكمته سبحانه أن يكسوها كيفا وكما للتفاضل ونقل الاشعى جنوس الزمان فاى التئام وافق شخصين سمى ذلك الالتئام عشقا أكثر كيبك خمسة أعداد على خمسة اعداد وثمانية امثال على ثمانية امثال ولا يعتد بتنافى الالوان والاطوال فانه قد يقاوم السطح المستطيل المثلث المستدير فيعدله فى المثال وقد تزن شجاعة النحيف كثافة الجبان وقال طمطم العشق مغناطيس روحانى أودع فى سرائر الانفس لخفائها عن الادراك لاجتذاب معانى لطائف كرائم المطبوعات المستترة فلأجل ذلك اذا سئل العاشق لم وقع منك ذلك لم يعلم حجة يبرهن بها عن نفسه كما لو سئل أعلم الخلق بعلم الطبيعة عن السبب الكامن فى الحجر الذى أوجب اجتذاب الجرم المعدنى لم يكن جوابه الا الصمت أو الخاصية هذا مع صفاء ذهنه وجودة خاطره وقال الجنيد العشق الفة رحمانية والهام شوقى أوجبهما كرم الله على كل ذى روح لتحصل به اللذة العظمى التى لا يقدر على مثلها الا بتلك الالفة وهى موجودة فى الانفس مقدرة مراتبها عند أربابها فما أحد الا وهو فى لأمر يستدل به على قدر طاقته من الخلق ولأجل ذلك كان أشرف المراتب فى الدنيا مراتب الذين زهدوا فيها مع كونها معاينة ومالوا الى الآخرة مع كونها مغيبة عنهم مخبرا لهم عنها بصورة لفظا وأما ما ذكر من أخبار المتيمين فى مصارع العشاق وطوق الحمامة لابن حزم وغيرهما فذلك مقصور على عشق الفتيان والفتيات وما اتفق فى ذلك من غرائب الاخبار ولطائف الاشعار والذى يظهر من موت الدنف من العشاق عشقا انما هو بسبب دق يعتريه بسبب سهره وتقليل طعامه وشرابه واستعمال الفكر والوسواس وقد وصف الله تعالى نفسه بالحب فقال

تعالى يحبهم ويحبونه وأما العشق فلم يرد فى لسان الشرع وما أظرف قول بعض الادباء العشق عبارة عن طلب ذلك الفعل من شخص مخصوص وقول الاطباء بجاذبه المرء الى نفسه ليس بصحيح لان الغالب فى العشاق انهم اضطروا الى محبة من يهوونه وقال الفضيل بن عياض فيما أظن لو رزقنى الله تعالى دعوة مجابة لدعوته تعالى أن يغفر للعشاق لان حركاتهم اضطرارية لا اختيارية وما أحسن قول أبى فراس

وكم فى الناس من حسن ولكن * عليك لشقوتى وقع اختيارى

يقال ان بعض العرب قال لرجل من بنى عذرة ما لاحدكم يموت عشقا فى هوى امرأة ألفها وليس ذلك الا ضعف نفس أو خور تجدونه فيكم يا بنى عذرة فقال أما والله لو رأيتم الحواجب الزج فوق النواظر الدعج تحتها المباسم الفلج لاتخذتموها اللات والعزى وقلت أنا

والهوى لو ملكت أمرا مطاعا * فى الهوى تقتفى هداه العقول

لأمرت العيون ترنو ودر الشغر يفتر والقوام يميل

ثم أدعو العذال اذ ذاك حتى * ان رأوا عندهم فضولا يقولوا

(رجع) لا حراك بهم الحركة ضد السكون يقال ما به حراك أى حركة وينحرون يذبحون كرام الخيل والابل يعنى الاصائل من هذه وتلك والخيل هنا هى الافراس والابل اسم للجمال لا واحد له من لفظه وربما قالوا إبل بسكون الباء والجمع آبال (الاعراب يقتلن) فعل مضارع والنون نون الاناث والفعل المضارع اذا اتصلت به هذه النون أو احدى نونى التأكيد بنى ولكن على السكون ان كان المتصل نون الاناث وعلى الفتح ان كان المتصل نون التوكيد فيقال هن يقمن ولا تفعلن ولا تفعلا لان الفعل حينئذ قد تركب مع النون تركيب خمسة عشر فبنى بناءه ولهذا لو حال بين النون والفعل ألف الاثنين أو واو الجمع أو ياء الخطاب نحو هل تضربان وهل تضربن لم يحكم عليه بالبناء لتعذر الحكم عليه بالتركيب اذ لم تركب العرب ثلاثة أشياء واصل تضربان تضربانن فاستثقلت النونات فحذفت

نون الرفع تخفيفا وبقي الفعل مقدر الاعراب وحكى لنا الشيخ الامام نجم الدين أبو محمد الحسن بن كمال الدين محمد القرشي الصفدي ان الشيخ تاج الدين الكندي حضرت اليه من بغداد فتيا في اعراب قوله تعالى فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون وان جماعة من أهل دمشق خبطوا فيها وما أجابوا بشيء ونسيت هل قال لي ان الشيخ تاج الدين الكندي أجاب أولا قلت ليست هذه المسئلة مما يخفى على مثل الشيخ تاج الدين مع جلالة قدره والذي ظهر لي من اعرابها ان لا حرف نهي والنهي مجزوم وهنا غير جازم لان الجزم اعراب لانه اذا دخلت نون الاناث أو احدى نوني التوكيد على المضارع بني كما تقدم وتتبعان فعل مضارع والالف ضمير الفاعلين ونون التثنية محذوفة وثبوتها دليل الاعراب وهذه الثانية ليست للتثنية وانما هي نون التأكيد الثقيلة على ان الشيخ تاج الدين الكندي كان ممن [illegible] ورأيت بخط علاء الدين الكندي الوداعي ما معناه انه حضرت اليه فتيا من مصر في قول القائل الهي اني أسألك وخير ما سأل العبد ربه هل ينتصب ربه أو يرتفع فكتب الجواب بنصب وكان الشيخ علم الدين السخاوي حاضرا فرأى ما كتب وخاف أن يخرج الجواب عن الشيخ بخطاء فقال يامولانا تثبت في ذلك وحقق الجواب فقال له الشيخ انه [illegible] فقال علم الدين رفعه [illegible] على الابتداء فقال له أين الخبر فعطل الجواب [illegible] يرتفع (رحب) [illegible] على انه مفعول يقبلن والفاعل ضمير مستتر فيه يرجع لي [illegible] (حب) مجرور بالاضافة المعنوية المقدرة باللام (لا حراك) لا هذه لنفي الجنس وحراك اسمها وقد تقدم الكلام على لا واسمها في قوله فلا صديق (بهم) جار ومجرور [illegible] ظهر الجر في الضمير لانه مبني والضمير راجع الى الانضاء والجملة من لا واسمها وما بعدها [illegible] الانضاء [illegible] من الانضاء [illegible] متحرك [illegible] على [illegible] مجرور [illegible] الرفع [illegible]

٢ قوله والذي ظهر لي الخ مخالف لما استفيد آنفا من قوله ولهذا الوحال بين النون والفعل الخ وما ذكره النحاة من أن هذا الفعل معرب وان نون الرفع حذفت منه للجازم وهو لا الناهية وقوله ونون التثنية الاولى ونون الرفع وقوله وثبوتها دليل الاعراب فيه ان حذفها الناصب والجازم كذلك وفي كل عبارته غير ظاهرة اه

قوله والفاعل ضمير الخ الصواب أن فاعل يقبلن هو نون [illegible] اه

والنون علامة الرفع للفعل لخلوه عن الناصب والجازم (كرام) منصوب على انه مفعول يخرون و(الخيل) مجرور بالاضافة والاضافة معنوية بمعنى اللام والالف واللام هنا للجنس ولا بأس بالكلام هنا على أداة التعريف فأقول قال الشيخ جمال الدين بن مالك فى شرح التسهيل بعد ما رجح مذهب الخليل بن أحمد على مذهب س فان عهد مدلول مصحوبها بحضور حسى أو علمى فهى عهدية والا فجنسية ثم قال أشرت بالحضور الحسى الى حضور ماذكر كقوله تعالى كما أرسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول والى حضور ما أبصر كقولك لمن سدد سهما القرطاس والله وبالحضور العلمى الى مثل قوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم واذ هما فى الغار واذ ناداه ربه بالوادى المقدس واذ يبايعونك تحت الشجرة ثم قال وقولى والا فجنسية أى اذا لم يكن المدلول عليها بمصحوب الاداة معهودا بأحد الحضورين المبينين فالاداة جنسية فان خلفها كل دون تجوز فهى للشمول مطلقا ويستثنى من مصحوبها واذا أفرد فاعتبار لفظه فيما له من نعت وغيره أولى فان خلفها كل بتجوز فهى لشمول خصائص الجنس على سبيل المبالغة مثال التى يخلفها كل دون تجوز قوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا والمراد بكون الشمول مطلقا عموم الافراد والخصائص بخلاف التى يخلفها كل على سبيل التجوز كقولك زيد الرجل بمعنى الكامل فى الرجولية الجامع لخصائصها فان هذا تجوز لاجل المبالغة ويستعملون كلا بهذا المعنى تابعا وغير تابع فيقولون زيد كل الرجل وكل الرجل زيد وحكى الفراء عن العرب أطعمنا شاة كل شاة والشمول الحقيقى هو الاصل ولذلك استغنى عن قرينة ولم يستغن الثانى عنها ومثال الاستثناء من مصحوبها قوله تعالى والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلولا أن أداة التعريف اقتضت شمول الحقيقة والاحاطة بأفرادها لم يستثن الذين آمنوا من المعرف بها وهو الانسان والاكثر فى مصحوب الاحاطة وغيره موافقة اللفظ كقوله تعالى والجار ذى القربى والجار الجنب وقوله تعالى لا يصلاها الا الاشقى

قوله قال الشيخ جمال الدين الخ مذهب الخليل وسيبويه فى أل أنها حرف تعريف الا أن الهمزة عند الاول همزة قطع أصلية وصلت لكثرة الاستعمال وعند الثانى همزة وصل زائدة معتد بها فى الوضع اهـ

الذى كذب وتولى وسيجنبها الاتقى الذى يؤتى ماله يتزكى وموافقة المعنى دون اللفظ قليلة كقوله تعالى أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء وحكى الاخفش أهلك الناس الدينار الحمر والدرهم البيض ومن موافقة المعنى دون اللفظ ماهو من الاحد أى من الناس وأنشدوا

وليس يظلمنى فى وصل غانية * الا كعمرو وما عمرو من الاحد

قال الجامى ولو قلت زيد ماهو من الانسان أصبت انتهى قلت واذا لم تخالف الالف واللام كل مثل قوله تعالى وجعلنا من الماء كل شئ حى فهى لبيان الحقيقة ذكر ذلك ولده بدر الدين فى شرح الخلاصة ونبه عليه فى التسهيل والده جمال الدين ولم أقف عليه فى مغنى ولعله سقط منها من الناسخ وقد تزاد الالف واللام فى معرف بدونها والزيادة تكون لازمة وعارضة فاللازمة نحو اللات والعزى ونحو الذين واللاتى فانهما معرفتان بالصلة ولا [illegible] والعارضة اما للضرورة كقوله

ولقد جنيتك أكمؤا وعساقلا * ولقد نهيتك عن بنات الاوبر

أراد بنات أوبر [illegible] من الكمأة واما للمح الصفة كالفضل والحارث [illegible] لان الاصل لتجرد بدونهما ادخلوا [illegible] فيها وقد تزاد فى الحال مثل أرسلها العراك أى معتركة وقراءة من قرأ ليخرجن الاعز منها الاذل بفتح الياء وضم الراء أى ذليلا وكقول بعض العرب ادخلوا الاول فالاول أى مترتبين [illegible] فى التمييز كقول الشاعر

رأيتك لما أن عرفت وجوهنا * صددت وطبت النفس يا قيس عن عمرو

أى وطبت نفسا وقد تزاد على ما صار علما أو تغلب عليه العلمية كالبيت للكعبة والمدينة لمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] كالاسن [illegible] الآن كالامن [illegible] وقد تخلف الميم اللام فى [illegible] فى امسفر [illegible] الشاعر

ذاك خليلي وذو يواصلني * يرمي ورائي بأمسهم وامسلمه

وهي لغة تميم وما أحسن قول شمس الدين محمد بن دانيال في المعنى حيث قال

أرى لك وجهان لعنتك جائزا * فأنت بتحقيق الكلام قمين

اذا كان معنى اللام والميم واحدا * برأي تميم فالمعين لعين

(رجع والابل) الواو عاطفة عطفت الاسم على الاسم والابل مجرور لانه عطف على مجرور والمعطوف في حكم المعطوف عليه فكأنه قال وينحرون كرام الخيل وكرام الابل وأنث الضمير في يقتلن وذكره في ينحرون لانه في الاول ضمير نساء الحي وفي الثاني ضمير رجاله كما قال منهن ومنهم في البيت الاول (المعنى) ان هذا الحي نساؤه يقتلن العشاق الذين أسقمهم الهوى وأنحلهم فمالهم حركة البتة ورجاله ينحرون للاضياف كرام الخيل وكرام الابل فمعناه معنى البيت الذي تقدم وهو بليغ لانه جمع في البيت الواحد بين مدح النساء ومدح الرجال على ما تقدم أولا وقدم الخيل لانها أشرف من الابل وقد وصف أهل هذا الحي بما هو أعلى صفات المدح لان الحسن كلما كان بارعا زاد المحب هلاكا والكرم غايته أن ينحر المضيف الخيل والابل بخلاف من ينحر مادون ذلك من الضأن والمعز وأما الضيف فقد أوجب رسول الله صلى الله عليه وسلم حقه فقال ليلة الضيف حق واجب وقال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته يومه وليلته والضيافة ثلاثة أيام وما زاد فهو صدقة ولا يحل له أن يثوى عنده حتى يحرجه وفي رواية حتى يؤثمه قالوا يارسول الله وكيف يؤثمه قال يقيم عنده ولا شئ له يقريه به وفي رواية ان نزلتم بقوم فأمروا لكم بما ينبغي للضيف فاقبلوا وان لم يأمروا فخذوا منهم حق الضيف الذي ينبغي لهم قال الشيخ محيي الدين النووي في شرح مسلم هذه الاحاديث متظافرة على الامر بالضيافة والاهتمام بها وعظم موقعها وقد أجمع المسلمون على الضيافة وأنها من متأكدات الاسلام قال الشافعي ومالك وأبو حنيفة والجمهور هي سنة وليست بواجبة وقال الليث وأحمد هي واجبة يوما وليلة على أهل البادية والقرى دون أهل

المدن وتأول الجمهور هذه الاحاديث وأشباههما على الاستحباب كحديث غسل الجمعة واجب على كل محتلم أي متأكد الاستحباب وقالوا معنى يؤثمه يقيم عنده بعد الثلاث حتى يوقعه في الاثم لانه قد يغتابه لطول مقامه أو يعرض له بما يؤذيه أو يظن به مالا يجوز انتهى ويحكى عن الابرش الكلبي انه كان عنده ضيف فقام ليصلح المصباح فقال له صاحب المجلس مه انه ليس من المروءة أن يستخدم الرجل ضيفه وروى انه قال لاتتخذوا الاخوان خولا وقال بعض السلف لابن عمر بن عبد العزيز ما رأيت رجلا أكرم من أبيك سهرت عنده ذات ليلة فخفق المصباح فقام اليه فأصلحه فقلت يا أمير المؤمنين هلا أمرت باصلاحه فقال قمت وأنا عمر بن عبد العزيز ورجعت وأنا عمر ابن عبد العزيز وأما استخدام الضيف فقد حكي أن بعضهم أضاف بعض الكسالى فلما أتى باللحم قال له قطع اللحم حتى أوقد النار فقال الضيف لا أحسن ذلك فقال له تق هذا لا أرى أن أشتغل أنا بأمر اللحم على النار فقال لا أحسن ذلك فلما استوى الطعام قال له مد الخوان فقال لا أحسن ذلك فقال له قم فكل فقال له والله لقد استحييت من كثرة خلافي لك تقدم فأكل وأما تأثيم الضيف فقد حكي عن الفرزدق أنه قيل له ما أقرب عهدك بالذنوب قال ليلة الدير قيل له ما ليلة الدير قال نزلت على ديرانية ضيفا فأكلت عندها طعاما لحم خنزير وشربت نبيذها وزنيت بها وسرقت كساءها عند الانصراف وخرجت وأنشدت

وكنت اذا نزلت بدار قوم * رحلت بخزية وتركت عارا

وقيل للاوزاعي ما تقول في رجل قدم الى ضيفه الكامخ والزيتون وعنده اللحم والعسل والسمن فقال هذا لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر والعرب قديما وحديثا ما كان لهم ما يفتخرون به الا الضيف والسيف والبلاغة فكانوا يحتفلون بالضيف اذا مر بهم ويهتمون به ألا ترى الى قول مرة بن محكان السعدي يخاطب امرأته وقد نزل به ضيف

أقول والضيف مخشي ذمامته * على الكريم وحق الضيف قد وجبا

يا ربة البيت قومى غير صاغرة * ضمى اليك رجال الحى والقربا
فى ليلة من جمادى ذات أندية * لا يبصر الكلب من ظلمائها الطنبا
لا ينبح الكلب فيها غير واحدة * حتى يلف على خيشومه الذنبا

أندية هنا أراد به جمع ندى فهو شاذ من القياس لان القاعدة فى جمع المقصور أن يكون على أفعال مثل حشى وأحشاء وقفا وأقفاء وطلا وأطلاء وفى الممدود أن يكون على أفعلة مثل غطاء وأغطية وهواء وأهوية لما فى الجوور شاء وأرشية فثبت أن ندى جمعه أندية وتأوله بعضهم فقال أندية جمع ناد وهو المجلس يعنى أنهم كانوا يجلسون فى الاندية يصطلون وليس بشئ لان سياق الكلام يدل على انه أراد جمع ندى لا ناد وظاهر هذا لمن له ذوق وذكرت بالابيات هنا ما حكاه لى الشيخ الامام الحافظ فتح الدين محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمرى قال اجتمع تاج الدين بن الاثير وفخر الدين ابن لقمان فى بعض البساتين فى ليلة مظلمة على تل العجوز وكان لابن لقمان مملوك يدعى الطنبا فجعل يدعوه باسمه والطنب يجيبه وهو لا يراه لشدة الظلمة فيكرر نداءه ويقول أين أنت يا طنب فانى لا أراك فقال تاج الدين ابن الاثير

فى ليلة من جمادى ذات أندية * لا يبصر الكلب من ظلمائها الطنبا

وهذا من لطيف الاستشهاد وحسنه وقال ابن سناء الملك من قصيدة مدح بها القاضى الفاضل

واذا سألت من الكريم فانه * عبد الرحيم لانه مولى الورى
يختار أن يهب الخريدة كاعبا * والطرف أجرد والحسام مجوهرا
يقرى الضيوف شعاع تبر أحمر * فشعاع ذاك التبر نيران القرى

وتعنت ابن جبارة عليه فى هذه الابيات فما قال فى هذا الثالث الم أولا بقول ابن عمار

قدح زناد المجد لا ينفك من * نار الوغى الا الى نار القرى

وزاحم فيه أبا الطيب فى قوله

الرمث بالكسر نبت يوقد به اه

تركت دخان الرمث في أوطانها * طلبا لقوم يوقدون العنبرا

وقوله يقرى الضيوف شعاع تبر أحمر والتبر لا يكون الا كذلك وانما قصد المبالغة وشبه ذلك بشعاع النار التي توقد على البقاع ليهتدي بها الحيران وتهتدي الى موضعها الضيفان وقد جعله يدفع الى الضيوف صلة الانعام ويمنعهم من الطعام وكم من ضيف يمتنع من أخذ ذلك ويعده عيبا شنيعا قلت هذا نعت زائد وليس للبيت علاقة بما قاله ابن عمار ولا بقول أبي الطيب نعم لو قال نظرا الى قول أبي الطيب

وملأت نحو عشارها فأضافني * من يحرا البدر النضار لمن قرى

لكان فيه بعض سرقة وأما قوله التبر لا يكون الا أحمر لا نسلم له هذه الدعوى لان التبر ما كان من الذهب غير مضروب والشاعر هنا ما أراد الا الذهب المضروب ولكنه قال تبرا مجازا والذهب منه ما يكون أحمر ومنه ما يكون أخضر ومنه ما يكون أ[illegible] [illegible] و[illegible] ذا أمر شاهده الحس ولولا أن ذلك لازم لما [illegible]ل في بعض المواطن الذهب الاحمر كما يقال الثلج الابيض وما بقي له من الانتقاد عليه الا دعواه [illegible] الاضياف فيهم من لا يقبل الانعام وهذا نقد حسن فان [illegible] قد يكون اكبر قدرا من أخذه وأجل نعمة وأشرف همة ولا كذلك [illegible] بانهم لا يكرهون الادون من يسألونه ويستعطونه فلو قال يقرى العفاة [illegible] يرد [illegible] فيه [illegible] ضرا من اثبات القرى ويمكن أن يجاب بأنه [illegible] القرى بالاضياف الذين يسألونه ويستعطونه والأحسن ما [illegible] [illegible] بن عبد الظاهر من نظمه

سلمتنا على العقول [illegible] * فتعاضت دونها باطافه

ضيفتنا بالبشر والنشر والبشـ * ـر ألا هكذا تكون الضيافه

[illegible] بالبشر بالباء و[illegible] [illegible] الحباب وما أحلى قول صدر الدين بن الوكيل

[illegible] * [illegible] الموالي [illegible] الادب

وقول سراج الدين بن أبي الحجاج [illegible]

لاتلقها الابشـــ * ـرك فالقطوب من الدنس
ما أنصف الكاسات من * ضحكت اليه وقد عبس

وأنشدنى من لفظه الشيخ الامام الحافظ العلامة أثير الدين أبو حيان قال أنشدنى لنفسه الشيخ شرف الدين محمد بن موسى المقدسى

اليوم يوم سرور لاشرور به * فزوج ابن سحاب بابنة العنب
ما أنصف الكاس من أبدى القطوب لها * وثغرها باسم عن لؤلؤ الحبب

ومن هذه المادة قول ابن قلاقس

لاتقتلاها بالمزا * ج غداة أشرب ماشفاها
ما فى المـــروءة أنها * تحيي السرور وتقتلاها

وقول محيي الدين بن قرناص

قد دات اذ أضحى يعبس كلما * دارت عليه بالمدام الأكؤس
نالله ما أنصفتها ياما لكى * تأتيك باسمة وأنت تعبس

وما أحسن قول ابن رشيق

أحب أخى وان أعرضت عنه * وقل على مسامعه كلامى
ولى فى وجهه تقطيب راض * كما قطبت فى وجه المدام
ورب تقطب من غير بغض * وبغض كامن تحت ابتسام

وقول الشيخ صدر الدين فمنه بسط الموالى بحفظ الادب يتطار الى قول أبى الطيب

ان يقبح الحسن الاعند طلعته * فالعبد يقبح الاعند سيده

وتكلم ابن جنى على هذا البيت ومثله بقول الآخر

واذا الدر زان حسن وجوه * كان للدر حسن وجهك زينا

وليس منه وأما قول محيى الدين بن عبد الظاهر بالنشر بالنون يعنى به نكهتها كما قال ابو نواس

فتنفست فى البيت اذ مزجت * كتنفس الريحان فى الانف

وقوله والبشر بالباء والسين يريد ان شعاره ما يزول همه وتبسطا آمله

قال بعض الأعراب

واذا سكرت فانني * رب الخورنق والسدير
واذا صحوت فانني * رب الشويهة والبعير

وما أحسن قول النصير الحمامي

أصبحت من أغنى الورى * مستبشرا بالفرح
عندي خمر ذهب * أكاله بالقدح

لا يخفى حسن هذا النظم ولطف هذا المعنى وقول ابن قلاقس

فظلت بالكاس أغنى الناس كلهم * فالخمر من عسجد والماء من ورق

وما أحسن قول القاضي الفاضل

لها بين ذه فوعلى الشرب أربع * وواحدة لولا سماحتها تكفي
سرور الى قلب وبر الى يد * ونور الى عين وعطر الى أنف
ولما رأينا يا ابن حبا بها * مددنا يمين اللطف قبل فم الرشف

وما أحسن ما قال ابن المعتز

شربت الراح في الحانات صرفا * لما أدبج حلل عن الصفات
عجبت لعاصريها كيف ماتوا * وقد عصروا لنا ماء الحياة

يشفى لديغ العوالي في بيوتهم * بنهلة من غدير الخمر والعسل

(اللغة) لدغه العقرب بالدعة لدغا وتلداغا فهو ملدوغ ولديغ ويقال لدغه بكلمة أي نزعه بها فاللدغ للعقرب حقيقة وفي غيرها مجاز العوالي الرماح وقال صاحب الكفاية العامل ما تحت السنان الى مقدار ذراعين ثم العالية وجمعها عوال بنهلة النهلة الشربة الواحدة والمنهل المورد وهو الماء ترده الابل والشربة ثانية يقال لها العلل الغدير القطعة من الماء يغادرها السيل وهو فعيل بمعنى مفاعل من غادره أو مفعل من أغدره وقيل بمعنى فاعل لانه يغدر بأهله عند الحاجة اليه قال الكميت

ومن غدره نبز الاولون * بأن لقبوه الغدير الغديرا

الخمر معروف ... والمراد ... وانما ... خمرا لانها تركت فاختمرت أي

تغيير ريحها والعسل يذكر ويؤنث تقول منه عسلت الطعام أعسله وأعسله بالضم والكسر اذا عملته بالعسل والعسل مجاج النحل (الاعراب يشفى) فعل مضارع مغير لما لم يسم فاعله وقد تقدم الكلام عليه فى قوله كالسيف سرى متناه ويكتب بالياء لانه من شفيت (لديغ) مرفوع على أنه مفعول لما لم يسم فاعله وهو هنا بمعنى مفعول وهو كثير فى كلامهم ومنه قتيل بمعنى مقتول وجريح وطريد ومسيح فى أحد الاقوال (العوالى) جمع عالية وهو فى موضع جر بالاضافة والجر فيه مقدر لانه منقوص لا يظهر فيه اعراب غير النصب تقول هذه عوال ومررت بعوال ورايت عوالى (فى بيوتهم) جار ومجرور والضمير يعود الى رجال الحى وهو فى موضع جر بالاضافة وفى هنا للظرف المكانى و متعلق بلديغ (بنهله) الباء هنا للاستعانة والجار والمجرور متعلق بيشفى ويصح أن يكون حالا تقديره يشفى اللديغ فى بيوتهم ناهلا (من غدير) من هنا لبيان الجنس وتكون للتبعيض وغدير هنا بمعنى مفعول لانه يغادر من السيل فى الاودية و (الخمر) مجرور بالاضافة الى غدير والاضافة بمعنى اللام (والعسل) معطوف عليه والالف واللام هنا للجنس (المعنى) ان هؤلاء القوم من وصفهم أن لديغ العوالى الذى طعن يشفى بشربة واحدة من غدير الخمر والعسل وقوله بشربة من غدير الخمر والعسل كناية عن رشف رضاب الفتيات اللاتى تقدم ذكرهن فشبه ريقهن بالخمر والعسل والاول حمل على حقيقته كذبه الحس لان الذى يطعن بالرمح لا يشفى بشرب العسل ولا الخمر فابقى الارذلك بالتأويل الى ماذكرته واعلم أن الشعراء ألفاظا صارت بينهم حقائق عرفية وان كانت فى الاصل مجازا لكثرة دورها فى كلامهم وتعاطيهم استعمالها لانهم ألفوا ذلك من تداولها وتكرارها على مسامعهم من ذلك الغصن اذا أطلقوه فهم منه القوام والكثيب اذا أطلقوه فهم منه الردف والورد اذا أطلقوه فهم منه الوجنة والاقاح اذا أطلقوه فهم منه الثغر والراح اذا أطلقوه فهم منه الريق والنرجس اذا أطلقوه فهم منه العيون وكذلك

السيف والسهم والسحر واذا أطلق والآس أو البنفسج أو الريحان فهم منه العذار فكل هذه الاشياء انتقلت عن وضعها الاصلي وصارت حقائق عرفية نقلها الاصطلاح الى هذه الاشياء قال أبو نواس

يا قمرا أبصرت في مأتم * يندب شجوا بين أتراب
يبكي فيذرى الدر من نرجس * ويلطم الورد بعناب

وقال ابن المعتز فيما أظن

ووجه [illegible] الحاظه وعذاره * يتعاضدان على قتال الناس
[illegible] نرجس * كانت حمائل غمده من آس

وقال ابن اسرائيل

وأسمر [illegible] اللون تحكى * معاطف قده سمر العوالي
[illegible] عذار آس * ويبسم بالعقيق عن اللآلي

[illegible] وقال الجلال [illegible]

[illegible] تغنى [illegible]
[illegible] على النرجس

وقال آخر

[illegible] * ومن كاسى الى فلق الصباح
[illegible] * واسرها شقيقا في اقاح

[illegible]

[illegible] وفي يده رحيق كالحريق
[illegible] شقيقا [illegible] ونم [illegible] بدر في عقيق

وقال ابن [illegible]

[illegible] * [illegible]

[illegible]

قال أصحاب التفسير ان العرب كانت اذا غلبت فى الميسر تتصدق بكل
ماخرج لها على الفقراء والمحتاجين ويعيبون على من لا يفعل ذلك منهم
ويسمونه البرم وما رأيت من تكلم على قداح الميسر وأسمائها وأحكامها
مثل علم الدين السخاوى فى كتابه سفر السعادة ومذهب الشافعى أن
التداوى بالخمر لا يجوز تمسكا بقوله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يجعل شفاء
أمتى فيما حرم عليها ولم يرخص الا للشرق اذا غص باللقمة فله أن يسيغها
بجرعة من الخمر اذا لم يجد ماء فى الوقت وخاف الهلاك واذا كان التداوى بها
عنده لا يجوز فمنع استعمالها للطرب واللذة بالطريق الاولى ولا فرق فى
مذهبه بين قليلها وكثيرها وبين عصير العنب وغيره من المسكرات لانه قال
كل شراب مسكر حرام وقال أبو حنيفة الخمر عبارة عن عصير العنب المشتد
الذى قذف بالزبد وحجة الشافعى ما روى أبو داود فى سننه عن الشعبى عن ابن
عمر رضى الله عنهما قال نزل تحريم الخمر يوم نزل وهى خمسة من العنب والتمر
والحنطة والشعير والذرة والخمر ما خامر العقل وقد روى أبو داود
فى سننه من هذا النوع جملة عن نافع عن ابن عمر وعن عائشة وعن جابر وعن
القاسم وعن شهر بن حوشب عن أم سلمة رضى الله عنهم ولا شك أن ابن عمر
رضى الله عنه كان عالما باللغة وبالمراد من الآية لما نزلت وقد قال نزل تحريم
الخمر يوم نزل الخ وهو صريح فى تناول الحرمة للانواع الخمسة وحجة أبى
حنيفة قوله تعالى ومن ثمرات النخيل والاعناب الآية قال منّ الله تعالى
باتخاذ السكر والرزق الحسن والمنة لا تكون الا بمباح ورواية ابن عباس
قال لما أتى النبى صلى الله عليه وسلم السقاية عام حجة الوداع استند اليها وقال
اسقونى فقال العباس الا نسقيك مما ننبذه فى بيوتنا فقال ما يسقى الناس
فجاءه بقدح من نبيذ فشمه وقطب وجهه ورده فقال العباس يا رسول
الله أفسدت على أهل مكة شرابهم فقال ردوا على القدح فرددناه عليه
فدعا بماء من زمزم فصب عليه وشرب وقال اذا اغتلمت عليكم هذه الاشربة
فاقطعوا متونها بالماء قال والتقطيب لا يكون الا من الشديد والجواب

ان آية السكر والرزق الحسن نزلت قبل الآيات الدالة على الحرمة فهى اما ناسخة أو مخصصة وأما الحديث فلعل ذلك النبيذ كان ما نبذت فيه تمرات يسيرة ليحلو طعمه وأما التقطيب فلانه صلى الله عليه وسلم كان فى غاية اللطافة فلم يحتمل طبعه الكريم ذلك الطعم وكل فقهاء الكوفة أفتوا بشرب النبيذ وأما الخمر فلا وقد قال بعض أصحاب أبى حنيفة لأن أقول فى النبيذ مرارا كثيرة هو حلال خير من أن أقول فيه مرة واحدة هو حرام ولأن أخر من السماء فتتخطفنى الرياح خير لى من أن أشرب منه قطرة قلت الاول قول بما أدى اليه اجتهاده والثانى تورع منه رضى الله عنه وقد ظرف من قال

لعمرك ماشربت الراح جهلا * ولكن بالادلة والفتاوى

فانى قد مرضت بدائهم * فأشربها علاجا للتداوى

والثانى ماجاء فى قوله تعالى يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس قال مجاهد المراد بقوله فيه شفاء للناس القرآن والصحيح أن المراد به العسل لان الضمير يعود الى أقرب مذكور وهو الشراب وعن ابن مسعود رضى الله عنه ان العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما فى الصدور وروى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان أخى استطلق بطنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسقه عسلا فسقاه ثم جاء فقال انى سقيته عسلا فلم يزده الا استطلاقا فقال له ثلاث مرات ثم جاء الرابعة فقال اسقه عسلا فقال لقد سقيته فلم يزده الا استطلاقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن أخيك فسقاه فبرئ وحملوا قوله صلى الله عليه وسلم صدق الله على قوله تعالى فيه شفاء للناس وقوله صلى الله عليه وسلم وكذب بطن أخيك على انه علم بنور الوحى أن ذلك العسل سيظهر نفعه فلما لم يظهر فى الحال كان كأنه كذب بطن أخيك وقد روى عن ابن عمر رضى الله

عنه انه كان لا يشكو شيئا الا تداوى بالعسل حتى انه كان يدهن به الدمل والقرصة ويقرأ فيه شفاء للناس فان قيل كيف يكون العسل فيه شفاء للناس وهو مضر بالصفراء مهيج للمرة فالجواب أنه تعالى لم يقل فيه شفاء لكل الناس بل قال شفاء للناس ويكفي فيه أن كل معجون مركب لم يكن تمامه الا بالعسل والاشربة المتخذة منه للامراض البلغمية عظيمة النفع فقد حصل فيه شفاء للناس وذهب قوم من أهل الجهالة الى أن المراد بهذه الآية أهل البيت وبنو هاشم وأنهم النحل وأن الشراب القرآن والحكمة وذكر هذا بعضهم في مجلس أبي جعفر المنصور فقال رجل من الحاضرين جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطون بني هاشم فأضحك من في المجلس وأخبرني الشيخ الامام الحافظ علاء الدين مغلطاي شيخ الحديث بالمدرسة الظاهرية بين القصرين بالقاهرة قال جاء رجل الى الشيخ شهاب الدين الحنبلي صاحب التعبير فقال له رأيت في منامي كأن قائلا يقول لي اشرب شراب الهكاري فقال له ايوجعك فؤادك قال نعم قال اذهب فاشرب عسلا تبرأ باذن الله تعالى فقيل له من أين لك هذا قال لاني فكرت فلم أعرف شرابا منسوبا الى الهكاري فرجعت الى الحروف فوجدتها شراب الملك أرى والارى هو العسل وتذكرت حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه فعلمت أن فؤاده يوجعه فوصفت له العسل قلت وقد حكى لي غير واحد من الثقاة عن الشيخ شهاب الدين المذكور غرائب كهذه المبادة لم تسمع عن غيره من المعبرين الغابرين (رجع) وهذا المعنى الذي في بيت الطغرائي لطيف كأنه يقول ان الذي يطعن بالرماح حتى ارتشف شربة واحدة من ريق هذه الفتيات اللاتي في الحي شفي وذهب عنه الألم اما بلذة يجدها في رشف ريقهن واما بالخاصية التي في العسل والمعنى الاول أغزل وأشعر وقد اشتهر تشبيه الريق عند الشعراء بالراح والعسل قال عرقلة

بابلي اللحاظ في كل عضو * لي من قوس حاجبيه سهام

حوموا ريقه على ولكن * صدق الشرع ما تحل له
وقال أبو اسحاق الصابى
بأبى من اذا الاح أهدى * بردا يشفع الجوانح بردا
شهد الثم صادقا وهو عدل * أن فى ثغرها رحيقا وشهدا
وقال حولة بن مقاتل
وما ضرب فى رأس صعب ممرد * بنيهانه يستنزل العصم
أطيب من فيها ان ذاق طعمه * وقد جعل بعد النوم
اذا ... الاذواه ... الكرى * وقد حان من نجم الثريا حفوق
وما ذقت فاه ساغير حال رجوته * الارب راح شربة لا يذوقها
وأول من فتح الباب فى هذا المعنى النابغة الذبيانى حيث قال يصف المتجردة
امرأة النعمان
... * بردا اشف اثاثه بالاثمد
كالاقحوان ... * جفت أعاليه وأسفله ندى
... * ... العطش الصدى
... * ... وورد ... املحا
...
...
...
وقال ...
كأن ... * ترقرق بين ... وورد
...
...
...
...
...

وقال امرؤ القيس

وثغر له طيب واضح * لذيذ القبل والمبسم
وما ذقته غير ظني به * وبالظن يقضي على ما كتم

وقال ابن الرومي من أبيات

وماذقته الا بشيم ابتسامها * وكم مخبر يبديه للعين منظر
بدا لي وميض شاهد أن صوبه * مريض وما عندي سوى ذاك مخبر

ومما أورده صاحب الاغاني في أخبار مجنون ليلى ثم قال انهما للصيب قوله

كأن على أنيابها الخمر شجها * بماء الندى من آخر الليل غابق
وما ذقته الا بعيني تفرسا * كما شيم في أعلى السحابة بارق

وقال بشار بن برد

يا أطيب الناس ريقا غير مختبر * الا شهادة أطراف المساويك
قد زرتنا مرة في الدهر واحدة * عودي ولا تجعليها بيضة الديك

وقال التهامي

وا بسم ما مشمشه شمول * ثوت في الدن عاما بعد عام
اذا ما شارب القوم احتساها * أحس لها دبيبا في العظام
بأطيب من مجاجتهن طعما * اذا استيقظن من سنة المنام
ولم اشهد لهن جنى ولكن * شهدن بذاك أعواد البشام

وقال ابن حمديس

وماقهوه خالطت مسكة * فبينهما للاريج اشتراك
بأطيب منها جنى نكهة * وقد ركد الليل ريح السماك
وما ذقتها ولكنني * علمت شهادة عود الاراك

[illegible] زهير

[illegible] * [illegible]
[illegible] * ولم أرعذلا وهو سكران يطمع

[illegible] الساطق

وبي زائر تكبو الماني دون وصله * ويعثر جاري الدمع في ليل صده
يخبر عن لثم السلاف ابتسامه * وتشهد أطراف الاراك بشهده

وقال أيضا

ضاهي مقبله فريد عقوده * في منعه وصفائه ونظامه
أبدا يشتت لوعتي تشتيته * ويزيد في ظمأ مدار مدامه
كالمسك نشرا والسلاف مذاقة * والقول مثل اراكه وبشامه

وقال أيضا

قبلتها ورشفت خمرة ريقها * فوجدت نار صبابة في كوثر
ودخلت جنة وجهها فأباحني * رضوانها ادرجو شرب المسكر

وقال أيضا

حددت جفنيها الى رشف ريقها * ومن شرب الصهباء يلزم بالحد
فياقاب صبرا عن شهي رضابها * فان وجي السم من ذلك الشهد

قلت في هذه المقاطيع الثلاث نظر أما قوله أبدا يشتت لوعتي تشتيته فانه خطأ لان اللوعة اذا تشتتت تفرقت أجزؤها وضعفت وليس هذا من شكوى المحبة في شئ وكان الاليق أن يقول أبدا يجمع لوعتي أو يضم صبابتي ولكن الجناس أذهله وأما قوله فأباحني رضوانها ادرجو شرب المسكر فهو أيضا خطأ لان خمور الجنة منزهة عن السكر بل هي لذة للشاربين وفسر قوله تعالى لا فيها غول بأن معناه لا تغتال العقل بالسكر كخمور الدنيا وأما قوله حددت جفنيها الى آخره ففيه عيبان لانه أولا من جهة المعنى فلن قوله حددت جفنيها لا معنى له لانه ان كان قد أراد الحد الذى يقام على السكر فبعيد أن تستعار السياط للجفون ولم يستعر لها الا السيوف أو السهام ومن أين يفهم عند التشابه وما أحلى قول القائل

[illegible]

وان كان قد أراد [illegible] الحد [illegible] بالاول لانه [illegible] على [illegible]

والثانى انه لم يجزم جواب الشرط فى يلزم وان كان قد جاء فى الضرورة ولكن الافصح الجزم وقلت أنا فى معنى قول النابغة

تبسم فارتعت من سكرتى * وقلت هنا القرقف المنتخب
وما ذقت فاه ولكننى * حكمت على ثغره بالحبب

وقال سعد الدين محمد بن عربى

سبانى ثغر منك كالدر نظمه * فيامن رأى دراً يشبه بالدر
أشاهد ريقا منك كالشهد طعمه * وماذقته يوما ولكننى أدرى

وما أحلى قول ناصر الدين حسن بن النقيب

قالوا فلان يصوغ كذبا * يكسوه من لفظه طلاوه
حلو حديث فقلت من لى * لوانه صادق الحلاوه

ونقله المولى جمال الدين محمد بن نباتة فقال

ان جاد لى هاجرى بوعد * كالشهد فى الطيب والطلاوه
فلا تكذب حديث فيه * فانه صادق الحلاوه

وقلت فى المعانى المتقدمة

علم الوشاة بأن ريق معذبى * راح تعيد الصب بعد هلاكه
اما أنا لم يدر هذا من فى * لكن هذا من فضول سواكه

وقلت أيضا

بت من ورد خده * ولماه المعطر
بين ورد مفتح * وشراب مسكر

وقلت أيضا

يا آمرى بالصبر عمن شفنى * سقما وفى فيه شفاء غليلى
من يستطيع الصبر أو يرضى به * عن مثل ذاك المرشف المعسول

وقلت أيضا

لا تلح قلب الشجى تمايل * معروف أهل الهوى بمنكر
فلو ترشفت ريق فيه * كنت يقينا يا صاح تسكر

وقلت أيضا

يا قلب ان زاد الظما * فاقصد مراشفه الشهيه
اني لأعرف منهلا * يشفي الجوى خلف الثنيه

وقلت أيضا

وغزال عرا فؤادي بسهم * وسنان من طرفه الوسنان
كم سقاني من ثغره كاس خمر * فرشفت السلاف من أقحوان

(يقول راجي عفو المنان أحمد بن محمود السعران)

قد تم بعون الملك الوهاب طبع الجزء الأول من هذا الكتاب وقد بذلت في تصحيحه همتي على حسب طاقتي غير أن نسخه التي بيدي وان زادت عن واحده فهي قليلة الجدوى والفائده اذ قل أن توجد بها عباره مستقيمه أو جمله من عال التغيير والتبديل سليمه وقل أعثر أنا على مراجعة المظان من الكتب التي تيسرت مع حرصي على عدم تغيير عباراته ان وافقت السداد أو حكات وأنى لا أرجو أن أكون صادفت الصواب أو قاربته أشد اقتراب وآمل ممن اطلع على غير ذلك نصحا جميلا وقبول عذر من اعتذر والله سبحانه ولي التدبير نعم المولى ونعم النصير وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله [illegible] على منهجه ومن والاه آمين

[illegible]